



جامعة إفريقيا العالمية
عمادة الدراسات العليا
كلية الدراسات الإسلامية
قسم الدعوة والسيرة

منهج الصحابة في الدعوة إلى الله تعالى
وتطبيقه على ولاية بلاتو - نيجيريا
(عبدالله بن مسعود ومصعب بن عمير رضي الله عنهما نموذجا)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة
تخصص الدعوة

إشراف: أ. د.

حسن علي الشايقي

إعداد الطالب :

محمد منير عبد الغني

الخرطوم -- السودان

١٤٤٠ هـ — ٢٠١٩ م



استهلال

قال الله سبحانه وتعالى:

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا

وَمَنِ اتَّبَعَنِي ^{صَلِّ} وَسُبِّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

صدق الله العظيم

سورة يوسف، الآية ١٠٨

إهداء

إلى والدي المرحوم عبد الغني ألْمُو صلاح الدين، أسأل الله أن يغفر له خطاياہ
ويطيّب مرقدہ ويرحمہ، ويجعل الفردوس متقلبه ومثواه، إنه هو الرحمن الرحيم

إلى والدتي الحبيبة إلى قلبي، الأم الحنونة الرحيمة، الحاجة سفيينة بدماسي، أسأل الله
أن يحفظها ويرعاها، ويقرّ عينها دائماً بارتقاء أبنائها إلى العلا المستمر، آمين

إلى أسرتي (زوجتي المطيعة، وأبنائها الستة) التي حملت الكثير من العناء والوحدة،
فصبرت عليّ وأنا أسلك دروب العلم والمعرفة

إلى الدعاة إلى الله ورثة الأنبياء ونجوم السماء في الظلماء، المفلحون الفائزون في
الدنيا والآخرة

إليكم جميعاً أهدي ثمرة هذا الجهد القليل سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يقلل عثرتي
ويغفر زلتي ويجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم.

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، انطلاقاً من قول الله تعالى: " قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنَّي تَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ " فالشكر والثناء الجزيل لأستاذي فضيلة البروفيسور/ علي حسن الشايقي الذي تفضّل مشكوراً بالإشراف على هذا البحث، فأعطاه من نفيس وقته وفكره الكثير، وسأظلّ مديناً له بكثير من التوجيهات والأفكار والنصائح القيمة التي أسداها إليّ، فله مني الشكر والتقدير، ومن الله حسن الجزاء. وأشكر في المقام الثاني الدكتور حسن الناطق، الذي استفدت كثيراً من تصحيحه للبحث، جزاه الله خيراً. والشكر مقدم إلى زملائي في جامعة الفدرالية كاشري، وأخص منهم بالذكر د/ ميغري ود/ عثمان جبريل و د/ أبوبكر تليّ ومالم حمزة أبوبكر حسين والأخ الفاتح طاهر. ولا أنسى في هذا المقام البروفيسور يحيى إبراهيم يرو، ادع الله له بالتوفيق.

كما أقدم خالص شكري إليّ أسرتي الكريمة (زوجتي المطيعة، الحاجة مطيعة صلاح الدين، وأبنائها الستة، عبد البرّ وعبد الصمد وبشرى والتوأم [حسنى ويسرى] وميمونة الحنان) التي تحملت كثيرة أيام هذه الدراسة من نواحي لا أحصيها، أسأل الله أن يوفقنا جميعاً على درب الهدى حتى نفارق الدنيا إلى الجنة إن شاء الله.

والشكر الموصول إلى الجامعة الفدرالية كاشري، ولاية جومبي -نيجيريا التي قدمت لي الدعم اللازم لإنجاز هذا العمل، فجزاكم الله خيراً

كما أتقدم بالشكر الكافي والثناء الوافي لجامعة إفريقيا العالمية وأساتذتها الأجلاء بكلية الدراسات الإسلامية وعلى رأسهم السيد عميد الكلية الدكتور عبد الحي يوسف، ورؤساء أقسامها، وأخص بالذكر منهم الشيخ د/ حسن أبو القاسم أحمد (رئيس قسم الدعوة والسيرة) وأشكر الممتحن الداخلي، الدكتور محمد عثمان (نائب عميد كلية الدراسات الإسلامية). الذين لو يبخلوا عليّ بعلمهم الوفير وتوجيههم المنير

وإلى أستاذي الفاضل البروفيسور محمد موسى محمد أحمد البرّ (الممتحن الخارجي). وإلى كل من ساهم معي في وضع أي لبنة من هذا البحث، أثابكم الله بحسن المثوبة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

مستخلص البحث

ولاية بلاتو إحدى ولايات في شمال نيجيريا تحتوى على قبائل وتقاليد وديانة مختلفة، وكثير منهم يحملون أفكارا مشوهة عن الإسلام، نتيجة أعمال بعض المنتسبين إلى الإسلام من جانبهم تحديات الأمن العالمي من جانب آخر، فالداعية في مثل هذه الحالة لا بد أن يكون عالما، متفنانا، مثقفا، بحيث يعرف الأسلوب، ويكون قادرا على إبداع مهارته في تقديم الإسلام بصورته الصحيح مضادة للشوائب التي تشاع عنه.

فانتخاب المنهج في الدعوة إلى الله تعالى أمر ضروري لدى الداعية لينجز عمله على الوجه الملائم، والمتأمل في واقعنا اليوم، يرى أن هناك جهد عظيم ومساهمات عديدة في سبيل الدعوة وإبلاغ الناس رسالة الإسلام الصحيحة، وهذه المحاولات يقام بها من النواحي العديدة، لكن الثمرة قليلة ومحصولاتها ضئيلة، فتدعو هذا الحال إلى تساؤلات دائمة، لما كانت النتيجة غير متكافئة مع الجهد؟ فدل ذلك على أنه لا بد من إعادة النظر في المنهج والتطبيق، ولن تنجح الدعوة إلا بهما، فالدعوة ليست مجرد الوقوف أمام الناس وقراءة الآيات والأحاديث عليهم بشرح وبيان فحسب، فالدعوة أعم من ذلك؛ لذا أفنى رسول الله ﷺ وصاحبه حياته في سبيلها، فهي وظيفة العمر، ولن تصلح هذه الأمة إلا بما صلحت به الأولون، فالعودة إلى المنهج الذي تلقاه الصحابة من رسول الله ﷺ وطبقوا حياتهم عليه وفق تعاليه هو الحل الأساسي.

فعبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير صاحبا بارعان في عمل الدعوة، عاشا في سبيل الدعوة في مجتمع متعدد القبائل والعادات والأديان، وتركوا أثرا ومنهجاً واقعياً في تحقيق الدعوة، ونالا بهذا الجهد تزكية النبي ﷺ. ويعتبر منهج هذين الصحابييين مثالياً لأنه قبسا من منهج الرسول الكريم، الموصوف بالرحمة والوسطية والتسامح، والبعيد عن التطرف والعنف والقبلية والمذهبية.

ويسعى البحث للمواءمة بين منهج الصحابة الذي تحقق النجاح في الدعوة وبين حاضر الدعاة في ولاية بلاتو خاصة، ونيجيريا عامة.

اشتمل البحث إجمالا على تسعة فصول أساسية، ثم خاتمة وفهارس تفصيلية.

الفصل الأول تحتوي على المقدمة وأساسيات البحث العامة والفصل الثاني: في الدراسات السابقة.

أما الفصل الثالث: ففي تاريخ دخول الإسلام إلى نيجيريا، وجهود الشيخ عثمان بن فودي في نشر الإسلام في شمال نيجيريا خصوصا.

والفصل الرابع: في التعريف بالصحابة رضوان الله عليهم والثناء عليهم رضي الله عنهم في القرآن والسنة.

والفصل الخامس في الدعوة في العهد النبوي ومراحلها والدروس والعبر الكامنة فيها.

والفصل السادس: في التعريف بولاية بلاتو، وواقع الدعوة فيها، والصحة الإسلامية الحديثة فيها.

أما فصلا السابع و الثامن في التعريف بالصحابيين عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير رضي الله عنهما ومنهجهما في الدعوة والتعليم.

والفصل التاسع: وهو الفصل الأخير من البحث، فهو في تطبيق منهج الصحابييين على ولاية بلاتو، خصوصا في الدعوة والتعليم والتعامل مع الناس والتعامل مع الخلاف.

ومن ثمّ خلص البحث إلى الخاتمة وتشمل النتائج والتوصيات والفهارس

الفصل الأول: أساسيات البحث

ويشتمل على:

أولاً : مقدمة البحث

ثانياً : أهمية البحث

ثالثاً : أهداف البحث

رابعاً : مشكلة البحث

خامساً : أسئلة البحث

سادساً : فروض البحث

سابعاً : منهج البحث

ثامناً : وسائل وأدوات البحث

تاسعاً : حدود البحث

عاشراً : مصطلحات البحث

حادي عشر : مساهمة الخطة في الفكر الإنساني

أولاً: مقدمة البحث

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اقتفى أثره، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: فإن الدعوة إلى الله تعالى أمر واجب على كل مسلم، وقد حث الله تعالى عباده على ذلك حيث قال: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وقال وهو يبين منهج رسوله في الدعوة "قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ

عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٨﴾. لقد سار الصحابة الكرام على هذا المسلك فعملوا بعلمهم وقاموا بواجب الدعوة إلى الله وحققوا البلاغ المبين. وكل منهم أدلى بدلوه في سبيل الدعوة إلى الله وانتهجوا مناهج تختلف في الوسائل وتتفق في الهدف مهتدين برسول الله ﷺ.

وقد أراد الباحث أن يتتبع جهود بعض هؤلاء الصحابة في ميدان الدعوة إلى الله ومناهجهم والأساليب والوسائل التي اتبعوها في إنجاز هذه المسؤولية العظيمة، ومن ثم إبراز ثمرات تضحياتهم لتكون منهاجاً عملياً للدعاة في هذا العصر.

عبدالله بن مسعود ومصعب بن عمير من السابقين إلى الإسلام وقد لاقيا مع إخوانهم من الصحابة المشقة والعناء وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل هذا الدين بل ضحيا بنفسيهما حتى لحقا بالرفيق الأعلى. وقد وقع خيار الباحث عليهما لأمر يفصلها عند الحديث عن كل منهما خلال الدراسة.

إن جمهورية نيجيريا دولة حافلة بالدعاة، الذين يساهمون ليلاً ونهاراً في ميادين الدعوة ومع ذلك فإن درجة تحصيلهم وثمرات عملهم قياساً بهؤلاء الصحابة قاصرة، لذا أراد الباحث تتبع مناهج هذين الصحابييين في الدعوة لعلها تكون أنموذجاً للدعاة المعاصرين، خاصة في ولاية بلاتو – نيجيريا.

^١ سورة فصلت، الآية ٣٣

^٢ سورة يوسف، الآية ١٠٨

ثانياً: أهمية البحث :

تبرز أهمية هذا البحث من خلال النقاط التالية :

- ١ - من أهم الأهمية تطبيق منهج الصحابة على الدعوة والدعاة في ولاية بلاتو لحلّ مشاكل الدعوة في تلك الولاية والوصول إلى النتائج
- ٢ - إيجاد دراسة عملية عن فقه وألويات الدعوة من واقع حياة الصحابة .
- ٣ - التنبيه على جهود السلف في الدعوة وخاصة الصحابة
- ٤ - إظهار فضل الصحابة والانتصار لهم من الذين ينتقصونهم.
- ٥ - تأكيد إمكانية تطبيق منهج السلف الصالح من هذه الأمة في الدعوة مع تباين الأزمنة والأمكنة.
- ٦ - توجيه الدعاة إلى العناية بسيرة الصحابة رضوان الله عليهم، ففيها تسليّة وتشجيع لهم.

ثالثاً: أهداف البحث :

تهدف الدراسة إلى النقاط التالية :

- ١ - عرض واقع الدعوة في ولاية بلاتو وإيجاد الحلول التي توحد المسلمين وتبين كيفية التعامل مع غير المسلمين
- ٢ - إيجاد قاعدة فكرية دعوية ثقافية تهتدي بهدي الصحابة وتوظف في خدمة الدعوة.
- ٣ - إبراز جوانب دعوية من حياة الصحابة الكرام رضي الله عنهم.
- ٤ - الجمع والتحرير للمناهج والأساليب التي استخدموها في الدعوة.
- ٥ - تزكيتهم والذب عن أعراضهم والانتصار لهم.
- ٦ - استخدام مناهجهم وأساليبهم ووسائلهم لبلوغ الغايات الدعوية.
- ٧ - التوعية والتنبيه بأن الدعوة أوسع أفقا من قصرها على المنابر فقط.

رابعاً: مشكلة البحث :

منهج الصحابة في الدعوة كان منهجاً مثالياً في التعامل مع المجتمع ونشر العلم والتدرج في الدعوة حسب حال مجتمعاتهم.

الدعاة في هذا الزمن يحتاجون للتسلح بالعلم ومعرفة أدب الخلاف بين الجماعات المسلمة، ونبذ العنف والتطرف والغلو.

فولاية بلاتو تعاني من كثرة اختلافات الطائفية بين المسلمين التي تؤدي كثيراً إلى الشجار وقطع صلات الأخوة وتكفير البعض للبعض، وليس إلا لفشو الجهل بالدين من ناحية وسوء أساليب إنكار المنكر من ناحية أخرى

يحاول الباحث الاستفادة من منهج الصحابة في إيجاد الحلول لما يعانيه المسلمون في ولاية بلاتو من العداء والتناحر وقلة العلم والتطرف

خامساً: أسئلة البحث :

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذه الأسئلة :

- ١- من الصحابي ؟
- ٢- كيف ساهم الصحابة في الدعوة إلى الله؟
- ٣- ما المناهج والوسائل التي استعملوها في الدعوة إلى الله تعالى؟
- ٤- ما الدروس المستفادة من حياتهم الدعوية؟
- ٥- ما التحديات التي يواجهها الدعاة في ولاية بلاتو؟
- ٦- هل يمكن تطبيق أساليب الصحابة في معالجة العقبات الدعوية في ولاية بلاتو؟

سادساً: فروض البحث :

١ - الصحابة هم الذين لقوا النبي ﷺ وآمنوا به وماتوا على الإيمان، ويصعب حصر عددهم لكنهم على مراتب مختلفة.

٢- ساهم الصحابة في الدعوة من أوجه مختلفة منها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم، والدعوة، ونشر قيم التسامح، وعدم المغالاة، وحسن الجوار، ومواساة الضعفاء وغير ذلك.

٣- الدروس المستفادة من حياة الصحابة الدعوية كثيرة منها: الإخلاص والصبر والمثابرة والمواساة.

٤- التحديات التي تواجه الدعوة كثيرة منها: الفرقة والاختلاف والجهل.

٥- عاش الصحابة في بيئة تشمل المسلمين وغيرهم وولاية بلاتو أشبه بذلك من ولايات الشمال الوسط في نيجيريا.

سابعاً: منهج البحث

إن مثل هذا الموضوع يتطلب مناهج علمية متعددة من أجل تحقيق الأهداف المنشودة، لذلك يستعين الباحث بجملة مناهج منها: منهج تاريخي يعتمد على الأحداث والوقائع التاريخية وتساعد على ربط الماضي بالحاضر والتنبؤ بالمستقبل، والمنهج الوصفي القائم على جمع المعلومات على قضية لتفسيرها وتحليلها والوقوف على تفاصيلها وجوانبها المختلفة، كما أن هناك منهج الإستقرائي موصولاً بالمنهج التحليلي حيث يقوم الباحث بتتبع وسائل البحث من نواحي مختلفة: دينية واجتماعية وسياسية وثقافية وفكرية، يستقرئها ويحللها. كما سيعتمد الرسالة على منهج أوصولي علمي من حيث عزو المعلومات إلى مظانها ومراجعتها الأصلية.

ثامناً: وسائل وأدوات البحث :

الوسائل والأدوات التي سوف يستخدمها الباحث هي:

- المصادر والمراجع
- المقابلات
- المجلات والدوريات
- البحوث والرسائل الأكاديمية
- المواقع الإلكترونية

تاسعاً: حدود البحث :

الحدود الموضوعية: دراسة نموذجية عن حياة مصعب بن عمير وعبدالله بن مسعود في الدعوة إلى الله تعالى. و آخر الصحابة وفاة هو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي وكان في العام ١١٠ هجرية بمكة على القول الراجح.

الحدود المكانية: ولاية بلاتو في شمال الوسط في نيجيريا

عاشرأ: مصطلحات البحث :

منهج: الطريقة أو المسلك، وهو بمعنى طريقة الصحابة في الدعوة إلى الله.

الصحابة: هم الذين لقوا النبي ﷺ وآمنوا به وماتوا على الإيمان.

الدعوة: تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة^١.

ولاية: هي جزء من الدولة، وتحتها حكومات محلية

ولاية بلاتو: اسم ولاية في نيجيريا ويندرج تحتها سبع عشرة حكومة محلية

نيجيريا: إحدى الدول في غرب إفريقيا تحدها من جوانبها جمهورية نيجر والكامرون و بينين وتشاد وخليج غينيا

حادي عشر: مساهمة الخطة في الفكر الإنساني

تساهم هذه الخطة في الفكر الإنساني من ناحية عرضها للدعوة من خلال منهج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وتوظيفه في حل مشكلات الدعوة في هذا العصر، لأن منهجهم كان قبساً من منهج النبوة ورسالة محمد ﷺ صالحة لكل زمان ومكان.

^١ محمد البيانوني www.aluka.net اطلعت عليه يوم الثلاثاء ٥-٣-٢٠١٩م

الفصل الثاني: الدراسات السابقة

من خلال اطلاع الباحث المتواضع على الدراسات السابقة تبين له أن الموضوع لم يعالج معالجة مستقلة وافية إلا أن الباحث لا ينكر وجود دراسات حول موضوع الدعوة، والصحابة ودورهم في الدعوة، كذلك وجود دراسات حول الجمعيات والمنظمات الدعوية بصفة عامة وورود إشارات متفرقة تتصل بمختلف أطراف هذا الموضوع في مصادر ومراجع قديمة وحديثة.

وهناك من البحوث والمقالات والكتب المحلية التي يمكن للباحث الاستفادة منها من إجراء هذا البحث، منها على سبيل المثال:

الدراسة الأولى: رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة الإسلامية، كلية الدعوة والسيرة، جامعة إفريقيا العالمية (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م)، بعنوان الدعوة الإسلامية في نيجيريا، مكاسبها ومشكلاتها (ولاية برنو نموذجاً) للطالب وهبي آدم سليمان،

هدف هذا البحث كما قال المؤلف: هو تتبع واقع الدعوة في نيجيريا وبيان مفهومها وأساليبها ووسائلها وأهم صفات الواجبة التي ينبغي أن يتصف بها الداعية، والبحث عن تاريخها والكشف عن مكاسبها ومشكلاتها

مواضع الاتفاق

تتفق الدراستان في الكلام عن الدعوة في نيجيريا عموماً، وذكر أساليب الدعوة ووسائل أدائها

مواضع الاختلاف

وتختلف الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في الولاية المختارة كنموذج وهذه الدراسة تحاول تطبيق منهج الصحابة خصوصاً في الدعوة على الولاية المختارة

الدراسة الثانية: رسالة دكتوراه بعنوان: منهج الدعوة في ضوء الواقع النيجيري المعاصر، رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية، جامعة جامعة إلورن نيجيريا (٢٠٠٥م)

هدف الدراسة هو تصوير حال الصراع الذي بين المسلمين والنصارى في نيجيريا وكيف تبقى صحة المسلمين حية مع بيان الأساليب والاستراتيجية التي يتخذها أرباب الدعوة في مقاومة الكارثة.

مواضع الاتفاق

تتفق الدراسة مع هذه الدراسة في الكلام عن صحوة المسلمين في الدعوة.

مواضع الاختلاف

تختلف الدراسة في أن الباحث في هذه الدراسة يدرس أساليب الدعوة من سيرة الصحابة وكيف يمكن استخدام تلك الأساليب في الدعوة.

الدراسة الثالثة: رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، في كلية الدعوة الإسلامية جامعة أم درمان الإسلامية (١٤٣٢هـ-٢٠١١م) للطالب حسب الرسول حمدان الحسين صباحي بعنوان "المنهج الدعوي في القرآن الكريم من خلال سورة البقرة"

هدف الدراسة هو البحث عن الأسلوب القرآني في الدعوة من خلال هذه السورة العظيمة (سورة البقرة) وركز البحث أكثر في كيف يخاطب القرآن المتكبرين والملحدين وكيف يلزمهم الحجة في أسلوبه.

مواضع الاتفاق

تتفق الدراستين في الكلام عن الدعوة واختيار الأسلوب المناسب للمخاطبين

مواضع الاختلاف

وتختلف الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة من حيث أنها تنظر إلى الدعوة بمنظار شامل من حيث المنهج والأسلوب والمستهدفين بالدعوة ولم تنقيد بسورة ما من سور القرآن الكريم

الدراسة الرابعة: رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان "منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله والاستفادة منه في العصر الحاضر للمؤلف سليمان بن القاسم العيد

هدف الرسالة: هو إبراز أهمية منهج السلف في الدعوة خاصة الصحابة، وأن منهجهم كان قبساً من منهج النبوة. والعقبات التي تواجه الدعوة تحلّ فقط بالعودة إلى هذا المنهج وخاصة منهج علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي عاش في زمن كثر فيه الاختلاف وظهرت فيه عقائد مختلفة وظهرت كذلك الفرق الداعية إلى الإسلام، وكيف استطاع أن يتغلب على بعض هذه الظواهر بالحكمة والبصيرة وحسن التدبير.

مواضع الاتفاق

يتفق الباحثان في الحديث عن منهج الصحابة في الدعوة عموماً.

مواضع الاختلاف

وهذه الدراسة تختص بذكر النماذج والأمثلة من مواقف مصعب بن عمير وعبد الله ابن مسعود في الدعوة.

الدراسة الخامسة: التبشير والاستعمار في نيجيريا: للطالب حضر مصطفى النيجيري- رسالة ماجستير مقدمة لقسم العقيدة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الملك عبد العزيز عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

تناول هذا البحث بشكل عام: دخول الاستعمار إلى نيجيريا، حركة التبشير ووسائله، وخطته ثم آثار نفوذ الغربي، وأخيراً الاستشراف نحو مستقبل زاهر للإسلام والمسلمين في نيجيريا

مواضع الاتفاق

تتشابه الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في أن كلا منهما يتضمن الحديث في ميدان الإسلام والمسلمين في نيجيريا، فيتفقان في إبراز المشاكل التي يواجهها المسلمون في نيجيريا

مواضع الاختلاف

ويختلفان في أن الدراسة الحالية تتناول جانب الدعوة والدعاة، وكيف ينتفعون من التراث الدعوي والمنهجي الذي تركه الصحابة رضوان الله عليهم للخلف.

الدراسة السادسة: دور العلماء والدعوة الإسلامية في نيجيريا في العصر الحاضر: للطالب عبد الحفيظ فلور نشو أحمد، وهي رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م

تطرق فيها الباحث إلى نيجيريا والإسلام ثم الدعوة الإسلامية في نيجيريا ووسائلها وأخيراً تناول المشاكل التي تواجه الدعوة الإسلامية في نيجيريا

مواضع الاتفاق

تتفق الرسالتان في تأولهما الحديث عن مجال الدعوة الإسلامية في نيجيريا، وفي إبراز وظيفة الدعوة والعلماء في نيجيريا وبعض المشاكل التي تواجه المسلمين في نيجيريا

مواضع الاختلاف

يختلفان في أن الدراسة الحالية تناول واقع الدعوة الإسلامية في ولاية بلاتو ومشاكلها وكيف يمكن حلها عن طريق استعمال منهج الصحابة رضوان الله عليهم في الدعوة للحصول على أفضل نتيجة.

الدراسة السابعة: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بعنوان "جهود منظمة الدعوة الإسلامية في نشر الإسلام بإفريقيا" لإبراهيم حسن إبراهيم. جامعة إفريقيا العالمية

كان هدف الرسالة الكشف عن جهود منظمة الدعوة الإسلامية وأعمالها الطوعي في نشر الإسلام وإعداد الدعاة الذين يقومون بمهام الدعوة بالدول العربية والإفريقية، وخاصة نشر الإسلام في أوساط المسيحيين، ونشر روح التفاهم والسامح بين الجماعات المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى

مواضع الاتفاق

تتفق الدراستان في الكلام عن الدعوة وجهود منظمة من منظمات الدعوة في نشر الإسلام خاصة بين المسيحيين

مواضع الاختلاف

وتختلف الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في المنظمة المرتكزة عليها فهذه تركز على منظمات وجماعات الدعوة في نيجيريا وكيف يستفيدون من منهج السلف من الصحابة في تحقيق أهدافهم للعمل للدين عن طريق وجود تنسيق الأعمال بينهم

الدراسة الثامنة: رسالة مقدمة لنيل درجة الدبلوم العالي بعنوان : انتشار الإسلام في الإستوائية الكبرى- بالإشارة إلى دور المنظمات الإسلامية الطوعية- للطالب مالك إبراهيم سعيد الشيخ

قال الباحث: تهدف هذه الرسالة من خلال هذه الدراسة لمعرفة المد الإسلامي في هذه المنطقة منذ عهد التركي إلى فترة الحكومة الوطنية المتعاقبة والمختلفة من حيث انتشار الإسلام بالإضافة إلى معرفة دور الدعاة ورجالات الدين والإداريين. ومعرفة دور النشاط الدعوي المنظم ودور الخدمات في هذه المنطقة والأساليب الدعوية المتسعة في نشر الدعوة الإسلامية وكذلك التحديات التي تواجه هذه المنظمات

مواضع الاتفاق

تتفق الدراسات في الكلام عن دور الجماعات الإسلامية في الدعوة والتعرف على أعمالهم الطوعي وأساليبهم في نشر الدعوة الإسلامية

مواضع الاختلاف

وتختلف الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في المنطقة المرتكزة عليها والمنظمات والجماعات المعنية، وهذه الدراسة تهتم كثيرا على الاستفادة بخبرات الصحابة في الدعوة لحل النزاعات والاختلافات بين المسلمين وخاصة الدعاة وأتباعهم وكذلك بث روح التفاهم والتسامح بين الجماعات المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى

الدراسة التاسعة: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة القرآن والعلوم الإنسانية (٢٠٠٠م) بعنوان "الدعوة والداعية نظرة تحليلية موضوعية مع التركيز على دور المرأة المسلمة، للطالبة حليلة شرطي عير:

هدف هذه الرسالة كما ذكرت الباحثة: هو إبراز أهداف الدعوة إلى الله والتعرف على منهج الأنبياء في الدعوة، والداعية هو الذي يحقق أهدافها وغايتها، والمعلوم أن غاية وجود الخلق على هذه الأرض هو عبادة الله وإفراد وحدانيته

السعي إلى ما يوحد الأمة التي فرقها الاستعمار لتستعيد الأمة عزها. وركزت كذلك على أهمية وحدة الأمة والتنسيق العمل الإسلامي في ظل الإخاء والوحدة والترابط والتعاون بين افراد المجتمع وخاصة دعاة الإسلام

مواضع الاتفاق

تتفق الدراسات في الكلام عن أهمية وحدة الأمة والتنسيق العمل الإسلامي في ظل الإخاء والوحدة والترابط والتعاون بين أفراد المجتمع وخاصة دعاة الإسلام

مواضع الاختلاف

وتختلف الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في أن الدراسة السابقة اهتمت بمنهج الأنبياء في الدعوة وهذه الدراسة تركز على منهج الصحابة في الدعوة الذي له أصله من النبي ﷺ ولكنهم استعملوا وسائل وأساليب متاح لهم في أدائها لأنهم عايشوا أمورا ونوازل لم تكن على عهد النبي ﷺ.

الدراسة العاشرة: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بعنوان: أهمية إعداد المعلم الداعية وأثر ذلك في نشر الإسلام، في قسم المنهج وطرق التدريس ، كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة إفريقيا العالمية، للطالب عبد الحليم المساعد

هدفت الرسالة إلى كيفية إعداد المعلم الداعية الذي يستطيع من خلال إعداداته أن يعد الطالب الداعية القدوة والذي بدوره يبيث الدعوة بسلوكه إلى خارج المدرسة للمسلمين وغيرهم وبذلك يكون الجميع دعاة ومن ثم يكون المجتمع مجتمعاً مثالياً

مواضع الاتفاق:

تتفق الدراستان في أهمية إعداد الفرد المسلم ليكون داعية إلى الله بكل ما أوتي من الوسائل، بغض النظر عن شخصيته وحرفه

مواضع الاختلاف

تختلف الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة من حيث التركيز على اتباع منهج الصحابة رضوان الله عليهم في تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية ودور أفراد الدعوة والجماعات الدعوية في نشر التربية الصحيحة ومن ثم تكوين مجتمع مثالي

الدراسة الحادية عشر- كتاب بعنوان: مواقف الصحابة رضي الله عنهم في الدعوة.

تأليف الشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني

هدف هذا الكتاب كما يقول مؤلفه في مقدمة الكتاب "فهذه رسالة مختصرة في مواقف الصحابة رضي الله عنهم في الدعوة بينت فيها نماذج من مواقفهم المشرقة في الدعوة إلى الله تعالى على سبيل الاختصار"

مواضع الاتفاق:

يتفق الكتاب مع هذه الدراسة في ذكر مواقف الصحابة رضي الله عنهم في الدعوة مع إيراد نماذج من مواقفهم الدعوية.

مواضع الاختلاف:

تختلف الدراسة في أن الباحث هنا يركز في المنهج والأساليب الدعوية من سيرة الصحابة وإبراز العبر الكامنة فيها.

الدراسة الثانية عشر: كتاب بعنوان- جوانب دعوية من سيرة علماء الدعوة السلفية تأليف/ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

تحدث المؤلف عن مواقف ومشاهد من جوانب دعوية في سيرة علماء الدعوة السلفية بنجد.

مواضع الإتفاق

يتفق الباحثان في إظهار مجهودات دعوية لبعض الدعاة عبر التاريخ .

مواضع الاختلاف

هذه الدراسة تركزت على سيرة الصحابة ومنهجهم في الدعوة، مع لفت أنظار الدعاة الى الاهتداء بأساليبهم الدعوية.

الدراسة الثالثة عشر: كتاب بعنوان: الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه

تناول هذا الكتاب جوانب تاريخية للدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا والممالك الإسلامية التي نهضت فيها قبل الاستعمار ثم ركز اهتمامه على جهود الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخ الإسلام فيها وكيف أسس الخلافة الإسلامية في صكتو، شمال نيجيريا

مواضع الاتفاق

يتفق هذا البحث مع الكتاب في الحديث عن الدعوة ودور الشيخ عثمان في نشره وترسيخه

مواضع الاختلاف

يختلفان في جانب أن هذا البحث يركز على الإسلام في إحدى ولايات نيجيريا، ومحاولة تطبيق منهج الصحابة في الدعوة فيها

الدراسة الرابعة عشر: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدعوة، كلية الدعوة والإعلام، جامعة أم درمان الإسلامية، بعنوان "السفارة ودورها في تبليغ الدعوة" للطالبة مرضية عبد الرسول دوكة محمد (١٤١٦هـ-١٩٩٥م)

كانت هدف الرسالة هو الكلام عن أهمية السفارة في تبليغ الدعوة كما أثبتت ذلك السيرة النبوية المشرقة، والدولة الإسلامية الحديثة لا بد أن تأخذ بهذه الوسيلة كما في عهد الرسول ﷺ

مواضع الاتفاق:

تتفق الدراسات في ذكر أهمية السفارة وكونها إحدى وسائل لإبلاغ الدعوة إلى نطاق أوسع من قدرة الرجل الواحد، كما أشادت الرسائل بال دور الذي لعبه مصعب بن عمير في سفارته إلى يثرب

مواضع الاختلاف

وتختلف الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في النظر إلى وسائل متعددة في إبلاغ الدعوة، ودور الصحابة جميعا في تحقيق نجاح رسالة المصطفى ﷺ

الدراسة الخامسة عشر: كتاب: منهج النبي ﷺ في الدعوة: للمؤلف أ.د محمد أمحزون

هدف هذا الكتاب هو ذكر أهمية الدعوة إلى الله تعالى مع تفصيل البيان عن بعض المصطلحات في ميدان الدعوة. يقول المؤلف في مقدمة كتابه ما نصه "لكن الخلط بين المنهج والطريقة وبين الجوهر والأسلوب وبين الموضوع والكيفية أوقع بعض الدعاة في نتائج خاطئة مما تترتب عليه تحريف وتمييع في مضمون وجوه الدعوة، فالمؤلف سعى إلى تصحيح هذه الظواهر من خلال منهج النبي ﷺ في الدعوة".

مواضع الاتفاق:

تتفق الدراسات في الكلام عن أهمية الدعوة.

مواضع الاختلاف:

تختلف هذه الدراسة في تركيزها على منهج الصحابة في الدعوة إلى الله تعالى. وخاصة "مصعب بن عمير" و"عبدالله بن مسعود" رضي الله عنهما.

الدراسة السادسة عشر: كتاب: العشرة المبشرون بالجنة من الصحابة

تأليف د. السيد العربي بن كمال

هدف الدراسة هو اظهار مناقب هؤلاء الأصحاب وجهودهم في سبيل الدعوة.

مواضع الاتفاق

تتفق الدراسة مع هذه الدراسة في الكلام عن الصحابة رضي الله عنهم

مواضع الاختلاف

تختلف الدراسة في أن الباحث لا يركز على مجرد سرد سيرة الصحابة فحسب بل يتتبع مواقف حياتهم الدعوية وكيف ينتفع الدعاة بالدروس الغالية المستفادة من حياتهم.

الفصل الثالث : تاريخ دخول الإسلام إلى نيجيريا

وفيه مبحثان

المبحث الأول : دخول الإسلام في نيجيريا

المبحث الثاني: عثمان بن فوديو جهود ونشره للإسلام في شمال نيجيريا

المبحث الأول : دخول الإسلام في نيجيريا

ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: نيجيريا في التاريخ

المطلب الثاني: دخول الإسلام في نيجيريا

المطلب الأول: نيجيريا في التاريخ

يرى المؤرخ الأديب آدم عبد الله الألوري^١ أن كلمة نيجيريا محرفة من نيغرو، وهي لاتينية الأصل ومعناها الزنجي الأصل، وقد أطلقوها على كافة الزنوج الشرقيين بأسترااليا والغربيين بإفريقيا^٢.

فمعنى نيجيريا: ما حول النيجر وهو اسم أطلق على النهر المنسوب إلى الزنج وسموه نهر نيغرو، أي نيل السودان أو نيل الزنج، فهو الذي عناه الرحالة العربي الإسلامي ابن بطوطة^٣ في رحلته المشهورة إلى بلاد السودان يقول: "فوصلنا إلى النهر الأعظم وهو النيل"^٤. أي نهر النيجر، فأخذت البلاد اسمها من ذلك، فإذا كانت دولة النيجر أخذت اسم النهر تماما فإن نيجيريا قد أضافت على اسم النهر مقطعا فأصبحت بذلك تشمل ما حول النيجر. ويبدو أن العرب والإفرنج اتفقوا بالمصادفة على تسمية هذه البلاد بما يدل على السواد وإن كانت ألفاظهم ولغاتهم مختلفة فيقال بلاد السودان أو بلاد التكرور.

تقع نيجيريا في غرب إفريقيا وتحدها شرقا بلاد كامرون وغربا جمهورية بنين وشمالا منطقة النيجر وجنوبا خليج غينيا الذي يصب في المحيط الأطلسي.

فهذا التحديد الجغرافي حصل بعد الإستقلال من المستعمرين البريطانيين، فالذي كان قبل ذلك هي ممالك وامبراطوريات، وأكبر هذه الممالك أربعة، تتسع أراضيها إلى كامرون وغانا حسب تحديد الجغرافيا اليوم:

أ- المملكة الشمالية: وهي تضم إقليم برنو وبعض أراضي ولايات هوسا (زاريا وغوبر وكانو ونوفي ويلوى).

ب- مملكة كلابا (Calabar): التي يحكى أنها أوجدت منذ سنة ١٠٠٠م وهي التي تضم جزءا من كامرون.

ج- مملكة أودودوا (Odudua) وهي تضم جنوب غرب نيجيريا، يدخل تحتها منطقة بروبوا

^١ هو آدم بن عبد الباقي بن حبيب الله الألوري، ولد في مدينة وسا في جمهورية بنين سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م، أنشأ مركزا لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية التي صارت مقصدا لأبناء المسلمين، له مؤلفات كثيرة في الأدب والتاريخ وله أشعار مدونة سميت ديوان الألوري. توفي رحمه الله ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م

^٢ - الألوري، آدم عبد الله: موجز تاريخ نيجيريا (ص ١١) مكتبة وهبة القاهرة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م
^٣ هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم ولد سنة (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) في مدينة طنجة بالمغرب، كان من هواة قراءة كتب الرحالة الجغرافيين ومعرفة غرائب الدنيا والبلدان، فقام برحلات طويلة حول قارات العالم الثلاثة القديمة. توفي رحمه الله سنة (٧٨٠هـ / ١٣٧٨م) : انظر نوفل، محمود حسن، قاموس المعلومات، القاهرة، دار النهضة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٣٤٥
^٤ ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط أكاديمية مملكة المغربية ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ج ٤، ص ٢٥٠

د- مملكة بنين

وتعود جذور الدولة السياسية القطرية الحديثة في نيجيريا إلى زمن الإستعمار البريطاني في المنطقة فمنذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين سنة ١٩١٤م بالتحديد اختلقوا في تحديد نيجيريا الحالية عن طريق دمج المحميتين البريطانية خلال الفترة الإستعمارية (محمية الشمال ومحمية الجنوب) ثم أنشئت خلالها أربعة أقاليم إدارية وقانونية مع الإبقاء على المشيخات التقليدية.^١

نالت نيجيريا حريتها من أيدي المستعمرين سنة ١٩٦٠م وبعدها بثلاث سنوات صارت جمهورية. ولم يستمر تآلف الشمال مع الجنوب إلا يسيرا حتى بدأت الحرب الأهلية التي أدت إلى قتل العديد من سكانها خاصة الذين ينتسبون إلى قبيلة ايبو إحدى القبائل الثلاثة العظمى في نيجيريا (هوسا ويروبا وايبو)، وأخيرا تمّ التصالح بين الشعب النيجيري بعد الحرب الأهلية وانتقلت السيطرة إلى العسكريين. وعند ذلك اختلقوا ولايات خلال الأقاليم الأربعة وجعلوها "تسعة عشر (١٩) ولاية" وبعد ذلك تزايد الحكام على مختلف ولايتهم هذه الولايات حتى بلغت ستة وثلاثين (٣٦) وعاصمة فدرالية في أبوجا. وفي عام ١٩٩٩م انتقلت نيجيريا إلى نظام حكم جمهوري فيدرالي على غرار النظام الأمريكي القائم على قاعدة فصل السلطات: السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية ويتكون المجلس الوطني التشريعي من مائة وتسعة مقاعد للشيوخ وثلاثمائة وستين مقعدا للممثلين وينتخبون هم ورؤيس البلاد من قبل الشعب لمدة أربع سنوات.

واكبر أديان شعب نيجيريا دين الإسلام والوثنية والنصرانية. ويمثّل المسلمون خمسة وسبعين في المائة ٧٥% والوثنيون ١٥% والباقي نصرانية وهذا يدل على أن النصرانية أقلية ضئيلة في نيجيريا. وهذه الإحصاءات تتباين بين كثيرين ومن يرى قلة عدد المسلمين وكثرة المسيحيين في نيجيريا. ويبلغ عدد سكان نيجيريا ١٨٢ مليون نسمة حسب إحصاءات تخمينية لعام ٢٠١٥م. ولا يوجد إحصاء جديدة عن أعداد المسلمين والمسيحيين، والسبب في هذا يرجع إلى تقرير حكومة نيجيريا حيث لا تجعل الديانة ضمن البيانات المطالب بها عند القيام بالإحصاء الرسمي لسكانها التي تقيمها بعد كل عشر سنوات. وقد مضت أعوام ولم تُقَم لأسباب معلومة لدى الحكومة، ويظهر من بينها شدة التنافس بين أنصار الديانات المشهورة والحكومة الفدرالية التي قررت التحفظ على إعلان النسبة لحسابات انتخابية، وقد اضطرت أحزاب السياسية إلى عمل

^١ شلبي، أحمد : موسوعة تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية، القاهرة، (ص ٥٧٦) مكتبة النهضة المصرية، ج ٦، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

^٢ الفاروقي، اسماعيل راجي وآخرون: أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة عبد الوحد لؤلؤة وآخرون، الرياض مكتبة العبيكان وآخرون، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص ٤٨٩

^٣ يمانى، محمد عبده : إفريقيا لماذا ؟ ، دار الصحوة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ١٠٧

صيغة تقسيم المناصب والتناوب حسب ديانة الفرد والمنطقة التي جاء منها. وحسب المعلومات الرسمية لدى الحكومة الفدرالية على أن شمال نيجيريا أكثر سكانا، وأكثر من ٩٠ في المائة مسلمون ، ونسبة المسلمين بين الجنوبيين أكثر من ٣٠ في المائة. الشمال لها ١٩ ولاية وفي جميع هذه الولايات، المسلمون هم الأغلبية عدا بلاتو وبينوى وأمر تربا مختلف فيه وفي الجنوب ١٧ ولاية.

وفي ولاية بلاتو التي هي مرتكز هذا البحث، الوثنيون وغيرهم من المسيحيين أكثر عددا. والإحصائية الرسمية التي أجريت في سنة ١٩٥٢م والتي ١٩٦٣ دلت على أن المسلمين بين ٢٥.٥% و ٢٦.٥%. ويوجد عدد أكثر في الحكومات المحلية: جوس الشمالية والجنوبية وكنم ووسي ويلوا في شندم ودانغي. ويأتي تفصيل ذلك في الفصول القادمة.

ويشق نيجيريا نهران عظيمان نهر نيجر ونهر بنوى يلتقيان في ثغر لوكوجا بمنتصف أرض البلاد فيتحدان ويصبان في خليج غينيا. وجمهورية نيجيريا غنية بالمعادن في مختلف أنحائها ومن معادنها البترول والملح والسبخة والحديد والكلس والقصدير والفحم. ومن حاصلاتها النباتية زيت النخيل والفاول والقطن والفلفل والأرز والذرة والطنبول (كولا) وغيرها كثيرة^١. فنيجيريا دولة مباركة منحها الله بخيرات كثيرة ولها قبائل وعادات متنوعة يتعايشون فيما بينهم ويتبادلون الخيرات بينهم وحسن الجوار والعادات والثقافة التي تزدهر بها تقاليدها وتتطور ثقافة شعبها.

^١ الإلوري: آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، (ص ١٩) المرجع السابق

المطلب الثاني : دخول الإسلام في نيجيريا

يعتبر اسم نيجيريا جديداً إذ إنه أطلق بعد دخول المستعمرين البريطانيين منطقة غرب إفريقيا، وأما وصول الإسلام إلى غرب إفريقيا فيرجع إلى أيام الفاتحين من الصحابة على أحد أقوال المحققين. ودولة نيجيريا سابقا كان جزءا مما يسمى بلاد السودان أو بلاد التكرور ولا يُعرف بالجزم متى دخل الإسلام فيها. وسيتعرض الباحث ذكر آراء المؤرخين عن دخول الإسلام في غرب إفريقيا بصفة عامة والممالك التي تكونت منها جمهورية نيجيريا بصفة خاصة.

فالممالك المشهورة قبل أيام الاستعمار هي غانا ومالي وسونغي، وأراضيها أوسع ما يكون قبل التقسيم الجغرافي وجعلها دول في غرب إفريقيا وقد يكون في هذه التقسيمات الجغرافية تداخل في الأراضي بين ما كان مملكة غانا وما يسمى دولة غانا أو مالي في العصر الحديث وكذلك ممالك هوسا وكنم برنو.

يرى الشيخ عبد الله بن فودي أن غرب إفريقيا عرفت الإسلام منذ القرن الأول الهجري، وهذا ما نصه : "إن دخول الإسلام في الغرب يعني غرب إفريقيا كان بالقرن الأول الهجري على يد عقبة بن نافع الصحابي الجليل".

والمؤرخون الآخرون اشتهر عندهم وجود علاقات تجارية بين شمال إفريقيا وغربها قديما حيث إن نيجيريا - على الاصطلاح الحالي - تعتبر إحدى المعابر لأهم طرق القوافل التي كانت ولا تزال تخترق الصحراء الكبرى جنوبا أولاها يبدأ من طرابلس ماراً بفزان وكوار وينتهي في برنو داخل نيجيريا حالياً. وثانيها يبدأ من تونس وتنتهي في كانو في حين أن الثالث يبدأ من تافلت في المغرب وقد تفرع فرعين أحدهما يمر بسجلماسة وتغازة والآخر بتواب وأودغت فيجتمعان كلاهما في تمبكتو، ومنها يتوجهان شرقاً إلى كانو. ومعلوم أن التجار من شمال إفريقيا يحملون معهم نشاطات الدعوة. فطرق القوافل هذه إن دلت على شيء فإنما تدل على العلاقات التجارية القديمة التي كانت ولا تزال تربط بين شمال إفريقيا وغربها، تلك العلاقات التي وصفها الرحالة بارت^٢ (Barth) بأنها أقدم من كل ما يتصور^٣.

فهذه الصلة التجارية بين الشمال والغرب دعمت سرعة نفوذ الإسلام في غرب إفريقيا على أثر دخوله إلى الشمال. وكان شيوع الإسلام إلى الغرب بصورة مدهشة في مدة وجيزة لم تسطع أية عقبة منيعة أن تقف أمامه إلا ذلها وظهر عليها واجتازها إلى ما وراءها، وكلما اعتنقت قبيلة الإسلام حملت لواء الدعوة الإسلامية وأوصلته إلى ما

^١ آدم عبد الله الإلوري: الإسلام في نيجيريا (ص ١٤) مكتبة وهبة القاهرة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

^٢ هاينرشبارت (١٨٢١-١٨٦٥) هو باحث مستكشف ألماني، زار إفريقيا

^٣ علي أبو بكر : الثقافة العربية في نيجيريا (ص ٤٢) دار الأمة لوكالة المطبوعات، كانو، نيجيريا ، ط٢ ، ٢٠١٤م

يليه من القبائل المجاورة. وهكذا فعل البربر والونغارة والفلانيون والهوسا، وفق ما كان يفعله الصحابة.^١

ويبدو أن الرأي الذي يرجح تاريخ دخول الإسلام إلى العلاقات التجارية التي بين الشمال وغرب إفريقيا أقوى لأنه لا توجد براهين تاريخية قوية بوصول جنود عقبة ابن نافع غرب إفريقيا آنذاك.

وأما عن المناطق التي اشتهرت باعتماد الإسلام في الماضي وهي الآن جزء من جمهورية نيجيريا الحديثة، منطقة كَنَم برنو وممالك هوسا. فمملكة كَنَم برنو مملكتان حول بحيرة تشاد وتنقلت عاصمتها بينهما لذا تُعرف بهذا الاسم المركب فالكانميون والبرناويون قوم من البرابرة جيران النوبة في حدود مصر العليا. قامت أول دولتهم الإسلامية منذ القرن الخامس الهجري وشملت بلاد هوسا جنوبا كما امتدت إلى حدود مملكتي فور وسنا حتى حدود مصر شمالا واتصلت بحدود كبي وصخراء ليبيا غربا.

وبلغت مملكة برنو أوج مجدها في القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين وكان لها اتصالات وثيقة مع مصر وتونس وغيرهما من بلاد العرب.^٢

أما بلاد هوسا، فاتفق المؤرخون أن ملوكها السبعة يرجعون في أصل تكوينهم إلى أصل عربي مسلم يُعرف بـ "أبي يزيد" وفي قول آخر اسمه "هوذة"^٣ نزح من بغداد في أواخر القرن الثامن الميلادي وهام على وجهه في الأرض حتى وصل إلى دورا ثم أصبح أحفاده ملوكا على الممالك الستة التي تحت مملكة دورا وهي: كانو وكاشنة وزكزك وزنفرة وبُرم وبرنو^٤

ولم يعرف جنوب نيجيريا الإسلام إلا متأخرا بعد شيوعه في الشمال بعشرات السنين. وتذكر الروايات أن مدينة أبولاي المجاورة للأقطار التي تأثرت بنفوذ الإسلام منذ قرون عديدة، عرف أهلها الإسلام منذ عهد المنسا موسى سلطان مالي في القرن الثالث الميلادي^٥ ويقول الألوري: أنه لم يُسمع عن الإسلام إطلاقا في بلاد اليروبا إلا في أوائل القرن العشرين فقط^٦ وأية هذه الآراء كانت صوابية، فهناك علامات تدل على سبق الإسلام وأثاره إلى المنطقة قبل القرن الماضي مثل المساجد وبعض الشعائر الأخرى^٧

^١ الألوري، آدم عبد الله : الإسلام في نيجيريا (ص ١٧) المرجع السابق

^٢ الألوري، آدم عبد الله : موجز تاريخ نيجيريا (ص ١٥) المرجع السابق

^٣ الألوري، آدم عبد الله : الإسلام في نيجيريا، (ص ٣١) المرجع السابق

^٤ المرجع نفسه (ص ٣٠)

^٥ - الألوري، آدم عبد الله : تاريخ الإسلام في نيجيريا، (ص ٣٣) المرجع السابق

^٦ : المرجع نفسه (ص ٣٣)

^٧ المرجع نفسه (ص ٣٣)

هكذا كان يوجد الإسلام في بلاد يوربا مبعثرا ينتشر انتشارا بطيئا على أيدي التجار المتجولين أولا، ثم على أيدي الدعاة المجهولين ثانيا ويتطور بالتدرج إلى أن تمكن في إلورن تحت لواء عثمان بن فوديو رحمه الله.

المبحث الثاني : الشيخ عثمان بن فوديو جهوده ونشره للإسلام في شمال نيجيريا

ويحتوي على خمسة مطالب:

المطلب الأول: مولده ونشأته وطلبه للعلم وشيوخه

المطلب الثاني: مؤلفاته

المطلب الثالث: حالة الإسلام ووضع البلاد قبل دعوته

المطلب الرابع: دعوته وطريقته في التعليم

المطلب الخامس: جهاده وقيام دولة سكوتوا الإسلامية ووفاته

المطلب الأول: مولده ونشأته وطلبه للعلم وشيوخه

هو عثمان بن محمد الملقب بفوديو بن عثمان بن صالح بن أيوب بن هارون بن محمد غورظو بن محمد جبو بن محمد ثنبو بن أيوب بن ماسران بن بابا بن موسى حكولو. وموسى هذا هو الذي هاجر بجماعته من بلاد فوتاتورى فاستوطنوا بلاد الهوسا وامتزجوا بهم حتى ولد شيخ عثمان بن فودي^١.

ولد بقرية طغل من أرض غوبر (ولاية سكتو في شمال نيجيريا حاليا) وكان مولده يوم الأحد آخر يوم من صفر عام ١١٦٨ الموافق ١٨ أكتوبر سنة ١٧٥٤م^٢. نشأ في حجر والديه الصالحين وكان لهما فضل توجيهه إلى الدين والعلم والعبادة. أخذ مبادئ العلم عن والده محمد بن فودي، وعن والدته حواء وجدته رقية^٣ ثم أخذ عن شيوخ آخر علوما مختلفة، أخذ عن الشيخ عبد الرحمن بن حمّدا علم النحو خصوصا كتاب خلاصة الكافية الشافية (الألفية)، لابن مالك. وأخذ عن عمه وخاله الشيخ عثمان المعروف ببذور بن الأمين بن عثمان في الفقه المالكي: المختصر في الفقه للخليل ابن إسحاق المالكي المصري. وعن الشيخ العلامة أبو الأمانة جبريل بن عمر الكثير من العلوم، ولازمه كثيرا وأجازه في جميع مروياته في: القرآن الكريم، الصحاح الستة، فقه المذاهب الأربعة، الشرائع للإمام الترمذي، الموطأ للإمام مالك، الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، كتاب الشفا للقاضي عياض اليعصبى، دلائل الخيرات للشيخ محمد بن سليمان الجزولي وغيرها^٤. وتلمذ على يد عثمان بن فوديو بعد فقهه في الدين خلق كثير وتأثر به طلاب العلم، ومن أشهر تلاميذه

١- أخوه عبد الله بن محمد بن فوديو

٢- ولداه محمد بللو و محمد ثنبو

٣- ابنته أسماء (نانا)

٤- الشيخ محمد بن أبوبكر الونكري التنبكتي

٥- الشيخ عبد السلام بن إبراهيم وغيرهم^٥.

^١ أمين الدين، أبو بكر: المجاهد الكبير في غرب إفريقيا، (ص ١٠) جماعة الدعوة في نيجيريا، ط ٢، كانو، نيجيريا

^٢ علي أبو بكر: الثقافة العربية في نيجيريا (ص ٩٦) المرجع السابق

^٣ الإلوري: آدم عبد الله: الإسلام في نيجيريا (ص ٩٤) المرجع السابق

^٤ الإلوري: آدم عبد الله: الإسلام في نيجيريا (ص ٩٤) المرجع نفسه

^٥ أمين الدين، أبو بكر: المجاهد الكبير في غرب إفريقيا (ص ٢٥) المرجع السابق

المطلب الثاني: مؤلفاته

وكان الشيخ عثمان كاتباً موقفاً يكتتب نظماً ونثراً ورسائل (خاصة بعد توليه إمارة المؤمنين) وكان يكتبها بالهوسا والعربية والفلاتية. وكان أكثر كتبه في العقيدة والفقه والتهذيب. وتكلم الباحثون عن مؤلفاته وعددها، فعَدَّ له ابنه محمد بللو (في كتابه إنفاق الميسور)^١ ما ينيف على مائة مؤلف. وذكر غيره من الباحثين أعداداً مختلفة، منهم من ذكر أكثر من العدد المذكور سابقاً، ومنهم من ذكر أقل من ذلك، واختلافهم ينبعث من أنواع الكتابات المأثورة عنه لأن الرسائل والقصائد أكثر مما ذكرها الذين ورد عنهم في جملة مؤلفاته. ولاشك أن المجال هنا لا يتسع لذكر جميع مؤلفاته ولو بشكل غير مسهب وعابر، ونذكر هنا من مؤلفاته التي خطبت بموضوعية كبيرة وبعُمق في الفحوى وجمال في التعبير وأصالة في الموضوع منها:

- ١- ضياء التأويل في معاني التنزيل
- ٢- عمدة البيان
- ٣- تنبيه الإخوان علي وجوب اجتناب الشعوذة والنجوم
- ٤- إحياء السنة وإخماد البدعة
- ٥- كتاب التصوف
- ٦- تمييز المسلمين من الكافرين
- ٧- أصول الولاية
- ٨- نصائح الأمة المحمدية
- ٩- عمدة العلماء
- ١٠- كف الطالبين عن تكفير عوام المسلمين
- ١١- بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس
- ١٢- بيان وجوب الهجرة على العباد
- ١٣- وثيقة الإخوان لتبيين دليلات وجوب اتباع الكتاب والسنة والإجماع
- ١٤- الفرق بين ولاية أهل الإسلام وولاية أهل الكفر
- ١٥- بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان نصب الإمام وإقامة الجهاد
- ١٦- تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ المجلس لأجل تعليم النسوان فروض الأعيان من دين الله تعالى الرحمن
- ١٧- عدد الداعي إلى الله
- ١٨- شفاء العليل فيما أشكل من كلام شيخ شيوخنا جبريل بن عمر
- ١٩- قصيدة الدالية: هل لي مسير نحو طيبة مسرعا

^١ عبد الله بن فودي: اتفاق الميسور (ص ٢٥) دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠١٠م

المطلب الثالث : حالة الإسلام ووضع البلاد قبل دعوته

تعتبر إفريقيا أول منطقة في العالم وصلها الإسلام بعد مكة مهبط الوحي، وذلك في العام الخامس من النبوة، عندما هاجر الصحابة الأولون فارين بدينهم إلى الحبشة، ثم الشمال الإفريقي كله ومن هناك أخذ الإسلام في الانتشار في قلب القارة الإفريقية شيئاً فشيئاً، بالتجارة تارة، وبالجهد تارة، والدعاة المرابطين تارة إلى أن وصل غرب إفريقيا، وبالتدريج تحولت القبائل الوثنية إلى الإسلام، وقامت ممالك إسلامية في غاية القوة والانتساع مثل مملكة 'غانا'، ومملكة 'مالي' الضخمة وكانت تشمل 'تشاد ومالي والنيجر والسنغال'، وكانت هذه المملكة من أقوى وأعرق الممالك الإسلامية في إفريقيا ومملكة 'الصنغاي'، وغيرها من الممالك القوية التي دفعت بالإسلام إلى داخل غرب إفريقيا،

ولكن وللأسف الشديد أصاب المسلمون هناك، ما أصاب إخوانهم في الشمال، وفي كل مكان، إذ دب بينهم التفرق والخلاف، واقتتلوا فيما بينهم، وصارت الممالك تتقاتل فيما بينها، بدوافع قبلية وديوية محضة، فاقتتلت مملكة 'الصنغاي' مع مملكة 'مالي' حتى دمرتها، ثم قامت مملكة المغرب أيام حكم 'المنصور السعدي' بتدمير مملكة 'الصنغاي'، وانهارت مملكة غانا بالاقتتال الداخلي وهكذا أكلت هذه الممالك الإسلامية بعضها بعضاً، في نفس الوقت الذي كان فيه أهل الكفر من الغرب والشرق يجمعون صفوفهم ويوحدون راياتهم استعداداً للانقضاض على العالم الإسلامي.

وعلى الرغم من انهيار الممالك الإسلامية الكبيرة، إلا أن القبائل المسلمة قامت بدورها في نشر الإسلام، واستكمال الدور الدعوى الذي كانت تقوم به الممالك وربما بصورة أفضل، ومن أشهر القبائل المسلمة: قبائل الماندينج وتنتشر في مالي والسنغال وجامبيا وغينيا وسيراليون وساحل العاج، وقبائل الولوف والتوكلور في السنغال ومالي، وقبائل الهوسا في النيجر وشمال نيجيريا وبنين والتوجو وبوركينا فاسو. والكانوري في شمال شرق نيجيريا والكاميرون. ولكن أعظم وأشهر القبائل الإفريقية وأشدّها تحمساً لنشر الإسلام وتمسكاً به هي قبائل [الفولاني] وهي التي تحملت مسؤولية إعادة نهضة الإسلام وإقامة الممالك الإسلامية من جديد. وإليها ينتسب الشيخ عثمان بن فوديو. نشأ الشيخ عثمان بن فوديو في بيئة تتأرجح بين ظلمة الكفر ونور الإيمان بل كادت آثار التوحيد أن تطمس لفشو العادات والشعوذة والسحر، وتعالى السلاطين على الرعية

^١ أمين الدين، أبو بكر: المجاهد الكبير في غرب إفريقيا (ص ٢٨-٢٩) و أحمد، لواء الدين: الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فوديو في ترسيخه، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م ص ١٠٣

وظلم العباد. وقد بلغ الفساد ذروته، وارتد كثير من المسلمين نتيجة أعمالهم مع أنهم يدعون الإسلام بألسنتهم، وعبد الآخرون الأحجار والأشجار والأنهار وصاروا يرجونها لدفع الشر وجلب الخير وتعالى الملوك والسلاطين في الجور والطغيان^١.

وقد وصف الدكتور آدم عبد الله الإلوري الوضع في بلاد هوسا قبل قيام ابن فودي للإرشاد قائلاً: أدرك أهل زمانه على خمسة أقسام:

القسم الأول: كفار بالأصالة يعبدون الأشجار والأنهار والجان والشياطين ولم يرتضوا بشيء غير الكفر بديلاً.

القسم الثاني: مرتدون عن الإسلام نتيجة اختلاطهم بالكفار ويسمون "ماغنوا"

القسم الثالث: مسلمون يقرون بالتوحيد ويصلون ويصومون ويزكون ولكنهم جهلاء يأتون بالعبادات على غير استكمال شروطها، ثم يخلطون عباداتهم بالبدع والعبادات الكفرية والعبادات الجاهلية التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم أو أحدثوها من أنفسهم.

القسم الرابع: العلماء الذين ركنوا إلى الدنيا واستمالوا لزخارفها، وتعاونوا مع الملوك الظالمين وسكتوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (ولقد لقي ابن فودي من هؤلاء أذى وجفاء).

القسم الخامس: العلماء الصالحون العاملون، والذين يقتدي بهم من تلامذتهم من الذين يعملون على نشر الهداية والحق^٢.

ومن هؤلاء كان مشايخ ابن فودي الذين تربي وتعلم على أيديهم وأبعدوه وأصحابه الذين نصره في دعوته عن غي قومهم وخذلانهم.

فهذه الأصناف كما ذكرها الإلوري هم الذين تحمل ابن فودي مسؤولية دعوتهم وإرشادهم وتجديد الدين بينهم. ويصدق ما ذهب إليه الألوري بعض كلمات الشيخ نفسه من كتبه، يقول في مقدمة كتابه (بيان البدع الشيطانية التي أحدثتها الناس في أبواب الملة المحمدية) ومما أحدثوه في باب الإيمان: التعصب في الدين وهو بدعة محرمة إجماعاً، ومن ذلك إفساد عقائد المسلمين وهو بدعة محرمة إجماعاً، ومن ذلك الخوض فيما يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين^٣

^١ الإلوري، آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا. (ص ١٠٢) المرجع السابق

^٢ الإلوري، آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا المرجع نفسه (ص ١٠٣)

^٣ ابن فودي، عثمان بن محمد: بيان البدع الشيطانية التي أحدثتها الناس في أبواب الملة المحمدية، ضمن كتاب من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، تحقيق نجف علي ميرزاي، كاتو معهد أهل البيت للدراسات العلوم الإسلامية وأخرى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، (ص ٢٠٩)

ومن جملة من تقاوم معهم الشيخ في بلاد الهوسا بعض العلماء المتعصبين لمذاهب وطرق معينة، فكان كل واحد منهم يتعصب لمذهبه، فلا يقبل في الدين رأيا ولا رواية إلا ما كان لمشايخه وأئمة عمله أو دراية فيرفضون السنة وقد ذهبوا مذاهب عدة وفرقا متشعبة وطرقا متعصبة وكل منهم يزعم أنه على حق وأن مذهبه وطريقته هي طريق أهل السنة ويكفر باقي الطرق الأخرى لدرجة أن أشيع عن إقفال باب الاجتهاد في تلك البلاد. وهذا ما كان يكرهه الشيخ عثمان، فانبأرى يجادل هؤلاء العلماء وينقد آراءهم الفاسدة ويحارب بكل ما أوتي من علم ومعرفة التعصب لمذهب معين أو طريقة معينة ويطالب المسلمين بالاجتهاد في الدين فيقول^١: أما من كان من أهل البصيرة فيجب عليه أن يعمل الفكر في هذه الأصول ليخرج من التقليد، لأن الدين مبني على التبصر لأهل البصيرة ولا سيما إذا بلغ المرء منهم مقام الدعوة إليه قال تعالى: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ^٢

فإذا كانت هذه الأحوال هي ما عاشته الأمة والإسلام في مثل هذا الوضع فلا بد أنه لا يجعل ضمير الداعية يطمئن إليه ولا يسكن عقله حتي يبذل مافي وسعه في تغييره إلى الأصلح فهذا ما هيج ابن فوديو إلى الدعوة والتجديد.

المطلب الرابع : دعوته وطريقته في التعليم

لطريقة المعلم في تعليمه أو الداعية في دعوته أثر هائل في سير مهمته ونتيجة عمله التعليمية أو الدعوية. والنتيجة قاصرة على الوسيلة المتخذة إيجابية أو سلبية حسب فطنة العامل. والعمل الجماعي كالدعوة والتعليم ادعى لأن ينتخب لها أسمى وأليق طرق للوصول إلى الغاية في أسرع وقت ممكن وبأقل كلفة. ولا يقل عن ذلك أهمية إخلاص النية لله تعالى والحرص على متابعة هدي الرسول ﷺ في كل مايفعله. فالدعوة والتعليم لا ينفصيلان في مجال الدعوة لأن الدعوة بمثابة الصيد وقيده هو التعليم. فإذا اصطاد الداعية المدعو فقد تكون إجابته وقبوله للدعوة انفعاليا او عاطفيا أو استجابة للتحفيز فهو بحاجة الى ما يثبت ويطمئن عاطفه وقلبه على الذي قبل جديدا أو يرجع الى الذي تآلف عليه نفسه فلا يكاد يبقى على الحالة الجديدة إلا بالتعليم والكشف عن الحقائق التي تجعله يبقى على الأمر الحديث الذي ولج فيه.

^١ ابن فودي، عثمان بن محمد: أصول الدين ، ضمن كتاب من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، تحقيق نجف علي ميرزاي، كاتو معهد أهل البيت للدراسات العلوم الإسلامية وأخرى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ص ١٨٢
^٢ سورة يوسف، الآية ١٠٨

فابن فوديو اتخذ هاتين الطريقتين الهامتين في إيصال دعوته وعلمه إلى العامة. وهما طريق الدعوة والتعليم فكان له مجلسان: أحدهما للوعظ والإرشاد والآخر للتدريس وكان يجاهد نيته ويعظم عليه أن يكون عمله على غير اخلاص. ولعل سر نجاح دعوته نبغ من مجاهدته لنيته كما ذكر ذلك ابنه محمد بللو، قال: أعلم أنني رأيته إذا أراد الخروج إلى الناس يقف في زاوية الدار هنيهة ويتكلم بكلام ثم ينصرف إلى الناس فسألته عن ذلك فقال: أجدد النية وأعاهد الله على الإخلاص فيما أخرج إليه وأسأله أن يفهم الحاضرون ما أحدث به ومع ذلك كنت أجدد النية في المجلس^١.

كان يعقد مجلس تدريسه بعد صلاة العصر والعشاء يفسر فيه القرآن الكريم ويدرس الحديث والفقه والتصوف وسائر العلوم الأخرى^٢ ويبدأ تعليمه من باب الاستنجاء ثم الوضوء وصفة الغسل والتميم والصلاة وقضاء ما فات من الصلاة ثم أبواب السهو ثم الزكاة والصيام والحج واليمين والنذر والنكاح والبيع. وقد أقطع للتدريس أكثر أوقاته وكان تعليمه في جوانب ومواد مختلفة وهذا ظاهر في المؤلفات المنسوبة إليه

أما الوعظ، فكان يخرج له ليلة كل جمعة، يعظ الناس فيها عن أمور دينهم وكيف يقوون علاقتهم بربهم ويجددون عقيدتهم ويخرج معه فيها تلاميذه ممن أهلهم للقيام ببعض الأعمال التعليمية والدعوية نيابة عنه. ويحضر مجلس وعظه حشد كبير، رجالاً ونساء لأسلوبه وتأثير كلامه في الناس. وربما يخرج إلى الأفاق والبلدان المجاورة للإفادة والوعظ أياماً ثم يرجع إلى بلده. وقد لخص ابنه محمد بللو مدار ما يحدث الناس به في مجلسه وعظه على خمسة نقاط:

الأول: فيما فرضته الشريعة من الأصول والفروع الظاهرة والباطنة .

الثاني: في الحث على اتباع سنة رسوله الله ﷺ

الثالث: في رد أوهام الطلبة في التوحيد والفقه والتصوف إلى الصواب .

الرابع: في إخماد البدع الشيطانية ورد العادات الرديئة.

الخامس: في بث العلوم الشرعية وتحرير المشكلات والإفادة بالغرائب والنوادر في العلوم^٣. وتدل هذه العناصر التي تستوعبها دعوته وتعليمه على منهج الشمولية واستراتيجية الدعوة العريضة إلي يتمتع بها. فهو لم يرتكن إلى جانب واحد لأنه كان يعلم أن شريعة الإسلام متكاملة الجوانب والشمولية. فلم يركز على الأصل بطرح الفرع

^١ بلو، محمد بن عثمان بن فودي: انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور . (ص ٦٨) المرجع السابق

^٢ الإلوري : آدم عبد الله : الإسلام في نيجيريا (ص ١٠٤) المرجع السابق

^٣ الإلوري : آدم عبد الله : الإسلام في نيجيريا ص ١٠٤ وبلو، محمد بن عثمان بن فودي: انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور .

على أرض الحائط كما لم يركز على الحكام فقط على استغناءه عن الجماعة التي حملت
دعوته وتعاليمه إلى أراض لم تطأها نعليه.

لقد تمسك الشيخ عثمان بن فودي في دعوته لجوهر الدين، بينما تسامح في العرض
جامعا بذلك قوله تعالى: مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ^١ وقوله تعالى: وَذَرِ
الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا^٢ فبدأ بمرحلة التصويب لبعض العادات الموروثة حيث
يقول في مقدمة كتابه (إرشاد الأمة إلى تيسير الملة) "ومقصودي من تأليف هذا الكتاب
بيان أن دين الله تعالى يسر لبذل النصيحة لكم لا لإنقائكم في باب التساهل والمعاصي
والبدع المذمومة والعوائد الرديئة لتقتدوا به عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح
رضي الله عنهم- في اختيار أيسر الأمور في كل ما لم يكن فيه إثم ولم يرد فيه نص"^٣

وكان شديد الإصرار على الأمر بالعرف والنهي عن المنكر وهو شديد الإصرار أن
يتمسك تلاميذه وأتباعه بالكتاب والسنة وأن يتبعوا أوامر الدين وأن يجتنبوا كل ما هو
مخالف لأحكام الشريعة، لأن المنكرات تؤدي بصاحبها إلى الهلاك لا محالة فيحثهم
على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تحل الفضيلة محل الرزيلة وتسود
الأخلاق الحميدة وتنفي المفساد ويظهر المجتمع في ثوب إسلامي نقيا ناصع البياض
يقول الشيخ " لا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان بالكتاب والسنة
والإجماع وأما الكتاب، فقولته تعالى: وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^٤ وأما السنة فقولته ﷺ " من
رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف
الإيمان"^٥ وأما الإجماع فهو أن المسلمين في الصدر الأول كانوا يتواصون بذلك.
واعلموا -يا إخواني- أنه يجب على كل من له حظ في العلم أن لا يسكت في هذه الأزمنة
لأن البدع والعوائد الذميمة قد شاعت فيها"^٦

بلغت أخبار شيخ عثمان بن فوديو الآفاق فكان يقصده الأقربون كما يكتابه الأبعدون
وتكونت من المستمعين لوعظه عصابة منتظمة سماهم "الجماعة" وهم الذين صاروا

^١ سورة المائدة، الآية ٦

^٢ سورة الأنعام الآية ٧٠

^٣ ابن فودي، عثمان بن محمد: ابن فودي، عثمان بن محمد: إرشاد الأمة إلى تيسير الملة ، ضمن كتاب من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، تحقيق نجف علي ميرزائي، كانو معهد أهل البيت للدراسات العلوم الإسلامية وأخرى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م (ص ١٣١)

^٤ سورة آل عمران الآية ١٠٤

^٥ مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم ، ج ١ ص ٧٥ كتاب (الإيمان) باب (بيان أن النهي عن المنكر من الإيمان) حديث رقم (٧٨)

^٦ ابن فودي، عثمان بن محمد: عدد الداعي ، ضمن كتاب من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، تحقيق نجف علي ميرزائي، كانو معهد أهل البيت للدراسات العلوم الإسلامية وأخرى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، (ص ٣٢٦)

له أنصارا في دعوته الإصلاحية والتجديدية، فكان الشيخ يشتغل بالدعوة ويزور من حين لآخر بلداناً مختلفة حيث يعقد أندية الوعظ والإرشاد ومن أشهر البلدان التي زارها " كَبِّ وزنفر وجاوز نهر نيجر إلى ناحية الجنوب ودخل بلاد الدند^١ .

ومن خلال هذه المجهودات وهذا الشرف الذي يتمتع به الشيخ عانى من علماء زمانه الذين اتهموه بالرياء والتسمع، لما رأوا من قبول الناس دعوته والتفاف القرية حوله دونهم وأن نوع دعوته وطريقة تعاليمه وزهده والتورع عن الدخول على السلاطين وتقديم المطالب منهم، فاتهموه باتهامات مختلفة ورفعوه الى ملك غوبر، وعيروا عليه كذلك حشد الرجال والنساء في أماكنه الوعظية، حتى كتب إليه أحدهم (مصطفى غوني البرناوي) في أبيات يذكر فيها

فامنع زيارة نسوان لو عظك إذ * خلط الرجال بنسوان كفى شينا

لا تفعلن ما يؤدي للعائب إذ * لم يأمر الله عيبا كان يؤذينا

إن الممات وبعد الممات والجهلا * بالعواقب وعظ كان يكفينا

وأبيت المصطفى بحج يتممها * في عام رش مع زيد العد يغنينا^٢

ولما تلقى الشيخ هذه الرسالة أمر أخاه عبد الله أن يرد عليها فجاء الرد على مثل بحرها وروبوها في عشرة أبيات يقول فيها:

يأيها ذا الذي قد جاء يرشدنا * سمعا لما قلت فاسمع أنت ما قلنا

نصحت جهدك لكن ليت تعذرنا * وقلت سبحان هذا كان بهتانا

إن الشياطين إن جاءوا لمجلسنا * هم من يبثون سوء القول بهتانا

لسنا نخالط بالنسوان كيف وإذ * كنا نحذر لكن قلت سلمنا

إن كان ذاك ولكن لا أسلم أن * يتركن بالجهل هملا كان يؤذينا

إذ ارتكاب أخف ضرر قد حتما * يكفر الجهل إن ذا كان عصيانا

هذى البلاد وجدنا قومنا غرقوا * بالجهل نمنعهم أن يفقهوا الدينا^٣

^١ الإلوري : آدم عبد الله ، الإسلام في نيجيريا ص ١٠٥-١٠٦ المرجع نفسه

^٢ الإلوري : آدم عبد الله ، الإسلام في نيجيريا ص ١٠٥-١٠٦ المرجع نفسه

^٣ الإلوري : آدم عبد الله ، الإسلام في نيجيريا (ص ١٠٥-١٠٦) المرجع نفسه

وكتب هو كذلك كتابا سماه (تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ المجلس لأجل تعليم النسوان على فروض الأعيان من دين الله تعالى الرحمن). هذا غييض من فيض مما كان يجري بين ابن فوديو والمناوئين له من علماء زمانه.

وهكذا تمادى في دعوته وعظم شأنه وتزدادت جماعته الذين يسمعون كلامه ويطيعون أمره حتى صار ملك غوبر يتوجس منه خيفة على عرشه، واشتدت العداوة بينهما ولم يُفَضْ مرامه من الشيخ حتى وُسد بالثرى فخلفه ابنه واستمر الأمر على أشنع ما يكون حتى جاء دور ملك "ينف" ولم يلبث عقب توليته حتى أرسل إلى الشيخ يأمره بالخروج من أرضه ولا يصاحبه أحد إلا عياله. لكن الجماعة لم يرغبوا في هذا الأمر من الملك فعزموا جميعا على الخروج مع شيخهم فاستعدوا للهجرة ولم يتوانى الشيخ في امضاء عزم خروجه، فخرج هو ومن رام الخروج معه من الجماعة. فهاجروا إلى غدو^١ في مملكة "كبي".

لم يكتف ابن فوديو بالتدريس المباشر وعقد المجالس التعليمية فحسب إنما أكب كذلك على التأليف وكتابة الكتب وإرسال الرسائل في مواد شتى حسب المطالب وشرحا للمسائل القائمة وكذلك أخوه عبد الله وابنه محمد بللو وابنته أسماء "نانا". وهذا وضح فيما تناولنا في مؤلفاته

استمر الشيخ على دربه في تعليم الناس قبل هجرته حتى تهيأ له الطريق وقوي نفوذه ويزداد طغيان ينف على الجماعة فلم يبق أمامه إلا مقاومة نفوذ "ينف" الذي طالما كان يطغى عليه وعلى أصحابه. امتثالا بأمر المهاجرين الذين قال الله في حقهم:

أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ^٢

المطلب الخامس: جهاده وقيام دولة سكوتوا الإسلامية ووفاته

مر بنا في المطلب الماضي خروج الشيخ مع جماعته إلى قرية غدو في مملكة كبي حيث استوطنوا. وانتشر خبر هجرته في جميع أنحاء المملكة في أسرع وقت كسرة البرق لكثرة عددهم. وسرعان ما أخذ أتباعه يهاجرون إلى مملكة كبي فرادى وأزواجا

^١ وفي بعض النسخ "قدو"
^٢ سورة الحج، الأيتان ٣٩-٤٠

كانهم نحل. واستمر سيل هجرتهم تقريبا شهرين^١ ممّا أقلق "بنفى" فما اطمأن حتى حاول إيقافه ومنعه من الهجرة، وحاول بكل ما في وسعه فما استطاع.

ولما رأى أن جميع مناوراته قد باءت بالفشل، نهج سياسة الملاطفة فكتب إلى الشيخ يلتمس منه أن يعود إلى قريته وأنه ندم على تصرفه مع جماعة الشيخ. قابل الشيخ هذا الالتماس بصدر رحب، واشترط على الملك شرطين طلب منه أن يتعهد بهما:

أولاً: أن يتوب الأمير إلى الله ويخلص له دينه، ليتفق مع المسلمين على دين واحد.

ثانياً: أن يقيم العدل بين رعيته، فيرد إلى الجماعة كل ما سلب منهم ويفك أسراهم ليأمن الناس منه.

استفتى الملك علماءه وحاشيته فأفتوه بأنه على الحق وأن لا يقبل هذا الدناء من ابن فوديو فيظهر للعامة أنه ظالم في مواقفه السالفة. فتمادى في العناد والطغيان فأعلن الحرب على ابن فوديو وجماعته واستئصالهم من جذورهم. وعند ذلك بايع الجماعة أميرهم ومرشدهم عثمان بن فوديو على الجهاد^٢. وتمت هذه البيعة عام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٤ م^٣. وبعد ما تمت البيعة، عمد الشيخ إلى تشكيل الدولة على النظام الإسلامي فاختر أخاه عبد الله وزيره الأول وصديقه عمر الكونى وزيره الثانى ومحمد بن ثبو بن عبد الرحمن إمامهم في الصلاة وقاضيه في الخصومات، وجعل محمد بن الحسن صاحب اللواء وقائد الجيوش^٤.

وهكذا تمّ تشكيل الدولة الإسلامية العظيمة التي تنفذ أوامر الله ورسوله وتحافظ على حدودها وتحمي دمار المسلمين وتدافع عن أرواحهم وأموالهم. فاطمأنت نفوس الجماعة للعبادة فانشرحت نفوسهم للجهاد وأعدوا لذلك كل قوة ورباط وبنوا في مكانهم حصنا حصينا وحفروا حول الحصن خندقا عميقا.

جمع ملك بنفى أوباشا من القبائل التي تحته وهم النوبة والتوارك والهوسا فأقبل بجنوده للهجوم على الجماعة ولم يشردوا الجماعة حتى زحفوا إليهم للدفاع عن أنفسهم تحت قيادة عبد الله بن فوديو فالتقى الجيشان في مكان اسمه كوتو، فهزم الله جيوش بنفى بأيدي المؤمنين وغنموا أموالهم وأسلحتهم وهذا يعتبر أول وقعة بين ابن فوديو وسلاطين زمانه

^١ علي أبو بكر : الثقافة العربية في نيجيريا . ص ١٠٦ المرجع السابق

^٢ الإلوري، ادم عبد الله. الإسلام في نيجيريا، ص ١٠٩ المرجع السابق

^٣ الإلوري، ادم عبد الله. المرجع نفسه

^٤ الإلوري، ادم عبد الله. المرجع نفسه

يقول الشيخ آدم عبد الله الإلوري "لقد نجح الشيخ في هذه البلاد في القرن الماضي حيث قام بالجهاد والإصلاح ، فتغلب على جميع ملوك الهوسا السبع وأسس دولة اسلامية كبرى" ^١ يقول الله تعالى: وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤٢﴾

وهكذا انتصر الشيخ على أعدائه وفاز بكثير من الغنائم التي تركها الأعداء وراء ظهورهم. ولا يخفى أهمية هذا النصر لأصحاب الحركة الإصلاحية فقد زاد في قوتهم وشجعهم وأعطاهم ثقة في أنفسهم. فجعلوا يشبهون حال المهاجرين الأولين في عهد رسول الله ﷺ ويقارنون واقعتهم هذه وبين واقعة بدر فهم ضعفاء وأعداؤهم أقوياء وليس لهم امكانات كثيرة كما كان لأعدائهم، ولكن إيمانهم بالله وحبهم للإسلام واعتقادهم ينيل إحدى الحسنين أعطاهم حماسة ليس فوقها حماسة.

ثم توالى للجماعة النصر بعد النصر حتى تم تأسيس دولة سكوتو الإسلامية التي حوت أكبر جزء في شمال نيجيريا ومنها إقليم بوشي التي اقتطعت منها ولاية بلاتو

ولقد توفي الإمام المجاهد الأمير عثمان بن فودي سنة (١٢٣٣هـ-١٨١٨م)، بعد أن أعاد للإسلام مجده، الإفريقي، وأبقى للإسلام دولة قوية ظاهرة صامدة أمام هجمات الأعداء، وحتى بعد وقوعها فريسة للاحتلال الصليبي بقيت القلوب حيّة، مجاهدة، تُقاوم الأعداء، تُحافظ على دينها وعزّتها، فجزى الله عز وجل هذا الإمام على ما قدّمه للإسلام في إفريقيا، ورفع درجاته في عليّين مع المهديين. آمين

^١ بولم، دنيز: الحضارة الإفريقية ، ترجمة نسيم نصر، بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (ص ٧٦)

^٢ سورة الحج ، الآية ٤٠-٤١

الفصل الرابع: التعريف بالصحابة رضوان الله عليهم

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : تعريف الصحابة

المبحث الثاني: فضائل ومناقب الصحابة

المبحث الثالث: في عدد الصحابة

المبحث الرابع: الثناء عليهم في القرآن والسنة وثناء العلماء فيهم

المبحث الأول: تعريف الصحابة

وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف الصحابة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: طرق إثبات الصحبة

المطلب الأول: تعريف الصحابة لغة واصطلاحاً

الصحابة: كلمة مشتقة من الصحبة، وهي بمعنى الملازمة والإنقياد^١

والصاحب في اللغة: اسم فاعل من صحب يصحب فهو صاحب، ويقال في الجمع: أصحاب وأصحاب وصحب وصحبة وصُحبان- بالضم - وصَحابة بالفتح- وصَحابة بالكسر.^٢ قال أبو بكر بن الطيب: لا خلاف بين أهل اللغة في أن كلمة (صحابي) مشتقة من الصحبة، وأنها ليست بمشتقة من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً، ويتحقق مدلولها في شخصين بينهما ملازمة ما، كثيرة أو قليلة، حقيقة أو مجازاً، قال الله تعالى: "فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ"^٣. كما أن القول (مكلم ومخاطب وضارب) مشتق من المكالمة والمخاطبة والضرب، وجاز على كل من وقع منه ذلك قليلاً كان أو كثيراً. يقال صحبت فلانا حولاً ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعة فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار^٤.

أما تعريف الصحابي في الاصطلاح: فاختلف العلماء في تعريف الصحابي في الإصطلاح منها ما يلي:

قال ابن عبد البر نقلاً عن صاحب كتاب الباحث الحثيث: هو من لقي النبي ﷺ يقظة، مؤمناً به بعد بعثته حال حياته، ومات على الإيمان^٥

قال علي بن المديني: من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم^٦

^١ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (ص ٢٠) دار الجيل، بيروت ١٤١٢ هـ. أبو عمر يوسف بن عبد الله الترمذي المعروف بابن عبد البر ٣٦٨ هـ - ٤٦٣ هـ إمام وفقيه مالكي ومحدث ومؤرخ أندلسي، له العديد من التصانيف والكتب، برع ابن عبد البر في علوم الحديث والرجال والقراءات والخلاف في الفقه. وكان ابن عبد البر في بدايته ظاهرياً، ثم تحول إلى المالكية مع ميل إلى فقه الشافعي في مسائل، وألف الكثير من التصانيف والكتب في مختلف العلوم ومنها: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد الذي قال عنه ابن حزم وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه
^٢ ابن المنظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب (ص ٢٨٦/٧) أدب الحوزة قم - إيران ١٤٠٥ هـ
^٣ سورة الكهف الآية ٣٤

^٤ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي: الكفاية في علم الرواية (ص ٦٩-٧٠) دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م. أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، المعروف بالخطيب: (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ = ١٠٠٢ - ١٠٧٢ م) أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. مولده في (غزيرة) - بصيغة التصغير - منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشأه ووفاته ببغداد. رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، وعاد إلى بغداد ومن كتبه البخلاء والكفاية في علم الرواية، في مصطلح الحديث، والفوائد المنتخبة والجامع، لأخلاق الراوي وآداب السامع ومصنفاته كثيرة من أفضلها تاريخ بغداد في أربعة عشر مجلدًا. انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - تحقيق إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٩٨٧ م

^٥ اسماعيل بن كثير: الباعث الحثيث، ص ٢٠٢) موقع الوراق، <http://www.alwarraq.com> (ابن كثير) عالم وفقيه، ومفت ومحدث، وحافظ، ومفسر ومؤرخ، وعالم بالرجال، ومشارك في اللغة، وله نظم. كان والده (عمر بن كثير) خطيب مسجد جامع بمدينة بصرى ويعود أصله إلى البصرة التي نزع منها إلى الشام، ولد في سوريا سنة ٧٠١ هـ كما ذكر ذلك في كتابه البداية والنهاية، قرأ على شيخ الإسلام ابن تيمية كثيراً ولازمه وأحبه وانتفع بعلومه

^٦ أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري، (ص ٥/٧) دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

قال البخاري "من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه".^١ ورواية عن عبد القدوس بن مالك العطار قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وذكر من أصحاب النبي ﷺ أهل بدر فقال: ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بعث فيهم، كل من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه.^٢

وأما سعيد بن المسيب فكان لا يعد في الصحابة إلا من أقام مع النبي ﷺ سنة فصاعدا أو غزا معه غزوة فصاعدا^٣ ويوافق هذا التعريف ما ذكره ابن الأثير في جامع الأصول قال: هو من طالت صحبته و كثرت ملازمته على سبيل الاتباع^٤. وقال ابن عمرو الواقدي: رأيت أهل العلم يقولون: كل من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك الحكم وأسلم وفعل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار^٥.

وقال ابن حزم رحمه الله: أما الصحابة فهو كل من جالس النبي ﷺ ولو ساعة، وسمع منه ولو لكلمة فما فوقها، أو شاهد منه عليه السلام أمراً يعيه ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ماتوا على ذلك، ولا مثل من نفاه عليه السلام باستحقاقه، كهيت المخنث ومن جرى مجراه فمن كان كمن وصفنا أولاً فهو صاحب^٦. ويحسن في هذا المجال ذكر تحليل ابن حجر على هذه المسألة قال: وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، فيدخل في من لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك، إذا لم يجتمع به مرة أخرى، وقولنا "به" يخرج من لقيه مؤمناً بغيره، كمن لقيه من مؤمنى أهل

^١ القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن، (ج٨/ص٢٣٧) دار عالم الكتب، الرياض ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م. **والقرطبي:** ولد بقرطبة بالأندلس حيث تعلم القرآن وقواعد اللغة العربية وتوسع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها كما تعلم الشعر أيضاً. انتقل إلى مصر واستقر بمدينة بني خصيب (المنيا) حتى وافته المنية في ٩ شوال ٦٧١، وهو يعتبر من كبار المفسرين وكان فقيهاً ومحدثاً ورعاً وزاهداً متعبداً. ومن مؤلفاته الجامع لأحكام القرآن وهو كتاب جمع تفسير القرآن كاملاً ومنها التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. انظر التذكار في أفضل الأذكار، للقرطبي (ص٦٩) بتحقيق: بشير عيون

^٢ الخطيب البغدادي، ابوبكر أحمد بن علي: الكفاية في علم الرواية (ص ٦٩) المرجع السابق

^٣ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: فتح الباري (ج٧/ص٥) دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط٢، المكتبة الشاملة الإصدار الأخيرة

^٤ ابن الأثير، مجد الدين بن محمد الجزري: جامع الأصول، (ج٧/ص٥) مكتبة الحلواني، لبنان، بدون تاريخ. ابن الأثير الجزري، ٥٥٥هـ - ٦٣٠هـ مؤرخ إسلامي كبير، عاصر دولة صلاح الدين الأيوبي ورصد أحداثها وبعد كتابته الكامل في التاريخ مرجعاً لتلك الفترة من التاريخ الإسلامي وكتب في ترجمة الصحابة أسد الغابة في معرفة الصحابة، اللباب في تهذيب الأنساب، وهو كتاب في الأنساب. انظر تذكرة الحفاظ للذهبي

^٥ الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، (ص ٥٠) المرجع السابق

^٦ أحمد فريد: الفوائد البديعة في فضائل الصحابة وذم الشيعة، (ص٦) موقع الوراق، <http://www.alwaraq.net>

الكتاب قبل البعثة، وهل يدخل من لقيه منهم ويعلم بأنه سيبعث أو لا يدخل؟ محل احتمال ومن هؤلاء بحيرا الراهب ونظراؤه، ويدخل في قوله "مؤمنًا به" كل مكلف من الجن والإنس، وخرج بقوله "ومات على الإسلام" من لقيه مؤمنًا به ثم ارتد و مات على ردة - والعياذ بالله - ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به مرة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمد^١ ومن خلال ما ذكر يستطيع الباحث أن يقول بأن التعريف الراجح للصحابي هو ما ذهب إليه جمهور المحدثين، وهو "من لقي النبي ﷺ يقظة، مؤمنًا به، بعد بعثته، حال حياته، و مات على الإيمان" وهذا التعريف مستخلص من الأقوال السابقة و ذلك لسلامة أدلتهم و خلوها من الانتقاد، ونظرا إلى تحليل ابن حجر الماضي. والله أعلم.

المطلب الثاني: طرق إثبات الصحبة

الصحبة من أكبر المناقب في الإسلام، وهي منقبة يحبها كل مسلم، وقد حاز الصحابة التقدير والاحترام من جميع الأمة الإسلامية بسبب الصحبة. فلذا اعتنى العلماء بمعرفة وتحرير من لهم الصحبة برسول الله ﷺ ليصونوا للمسلمين دينهم حتى لا يأخذوا أمر دينهم أو يزووا الخبر ممن لا يعتمد على صدقه بغير تمحيص واختبار. هذا لأن الصحابة يتمتعون بمزية ومرتبة ليس لغيرهم لتزكية الله ورسوله لهم رضوان الله عليهم.

ولقد جعل العلماء المحققون ضوابط وشروط لإثبات الصحبة. وهي مدار هذا المطلب:

الضابط الأول: أن تثبت الصحبة بطريق التواتر المقطوع به لكثرة ناقله، أن فلانا من الصحابة^٢ كورود نص قرآني كما في قوله تعالى: **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**^٣ وقد وقع الإجماع على أن هذا النص وارد في حق

^١ أحمد فريد: الفوائد البديعة في فضائل الصحابة ودم الشيعة، (ص ٦) المرجع السابق
^٢ الخطيب البغدادي، ابوبكر أحمد بن علي: الكفاية في علم الرواية (ص ٦٨) المرجع السابق
^٣ سورة التوبة، الآية ٤٠

أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما ذكر ذلك الرازي^١، أو كورود حديث متواتر عن رسول الله ﷺ بذلك مثل بشارة الصحابة العشرة المشهورة بالجنة.

فعن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: عشرة من قریش في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة، رضي الله عنهم أجمعين^٢

الضابط الثاني: أن تثبت الصحبة للشخص عن طريق الإستفاضة والشهرة^٣ كما في شهرة أبي أيوب الأنصاري مضيف رسول الله ﷺ وعكاشة بن محصن وأبي هريرة وسلمان الفارسي رضي الله عنهم أجمعين.

الضابط الثالث: أن يروى عن أحد من الصحابة أن فلانا صحابي أو عن طريق اللزوم كأن يقول الصحابي: كنت أنا وفلان عند رسول الله ﷺ أو دخلت أنا وفلان على رسول الله ﷺ أو كنت مع فلان في سفر مع رسول الله. قال السخاوي إلا أنه يشترط في طريق اللزوم أن يعرف إسلام المذكور تلك الحالة^٤.

الضابط الرابع: عن طريق التابعي الثقة أن فلانا صحابي

الضابط الخامس: أن يخبر عن نفسه أنه صحابي، بشرط أنه معلوم العدالة.

والطريق الرابع مختلف فيه وهو أن يقول أو يخبر أحد التابعين الموثوقين بناءً على تزكية من واحد وهذا يرجع إلى قضية قبول خبر الأحاد. وإلى هذا ذهب الإمام السخاوي^٥ وابن حجر^٦

^١ الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي: مفاتيح الغيب، (ج ١٦/ص ٦٥) دار إحياء التراث العربي - بيروت ط ٣٦٠هـ.

^٢ الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي: المعجم الصغير (ج ١/ص ٥٩) دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. هو الإمام الحافظ الثقة الرحال الجوال محدث الإسلام علم المعمرين أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة. مولده بمدينة عكا في شهر صفر سنة ستين ومائتين، ولقي الرجال ستة عشر عاما، وكتب عن أقبال وأدبر، وبرع في هذا الشأن، وجمع وصنف، وعمر دهرًا طويلاً، وازدحم عليه المحدثون، ورحلوا إليه من الأقطار وقد عاش الطبراني مائة عام وعشرة أشهر. قال أبو نعيم الحافظ: توفي الطبراني لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ٣٦٠هـ.

^٣ يوسف بن عبدالله بن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص ٢١ و ٧٠) المرجع السابق

^٤ السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: فتح المغيب، دار الكتب العلمية (ص ٩٦/٣) لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ. السخاوي ٨٣١هـ، هو مؤرخ كبير وعالم حديث وتفسير وأدب، شهير من أعلام مؤرخي عصر الماليك. ولد وعاش في القاهرة، ومات بالمدينة المنورة سافر في البلدان سفيراً طويلاً وصنف أكثر من مائتي كتاب، أشهرها: الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ترجم نفسه فيه بثلاثين صفحة. ومنها فتح المغيب بشرح ألفية الحديث

^٥ السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: فتح المغيب، (ص ٩٦/٣) المصدر نفسه

^٦ ابن حجر، أحمد العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، (ج ١/ص ١٠) دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ.

ابن حجر: ٧٧٣هـ-٨٥٢هـ، الملقب بـ أمير المؤمنين في الحديث. تفرد ابن حجر من بين أهل عصره في علم الحديث ومطالعة وقراءة وتصنيفاً واقفاءً حتى شهد له بالحفظ والإتقان القريب والبعيد والعدو والصديق، حتى كان إطلاق لفظ "الحافظ" عليه كلمة إجماع بين العلماء

ذكر ابن حجر ضابطا تستفاد منه معرفة جمع كثير من الصحابة، يكتفى فيه بوصف يدل على أنهم صحابة وهذا الضابط مأخوذ من أمور ثلاثة:

أولها: أنهم كانوا لا يؤمرون في المغازي إلا الصحابة، فمن تتبع الأخبار الواردة في حروب الردة والفتوحات وجد من ذلك الشيء الكثير.

ثانيها: قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: "كان لا يولد لأحد مولودا إلا أتى به النبي ﷺ فدعا له" وهذا أيضا يؤخذ منه شيء كثير..

ثالثها: لم يبق بمكة والطائف أحد في سنة عشر إلا أسلم وشهد حجة الوداع فمن كان في ذلك الوقت موجودا اندرج فيهم لحصول رؤيته للنبي ﷺ وإن لم يره هو^١

^١ ابن حجر، أحمد العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، (ج ١ ص ١٠): المصدر نفسه

المبحث الثاني: فضائل الصحابة ومناقبهم

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: تحرير معنى كلمة فضائل (فضل)

المطلب الثاني: فضل الصحابة رضوان الله عليهم

المطلب الثالث: طبقات الصحابة رضوان الله عليهم

المطلب الرابع: التحذير من سب الصحابة والحث على حبهم

المطلب الأول: تحرير معنى كلمة الفضل

قال ابن منظور: الفضل ضد النقص والنقيصة والجمع فضول والفضلة بمعنى الدرجة الرفيعة في الفضل^١. يقال رجل مفضل وامرأة مفضالة على قومها إذا كانت ذات فضل سمحة. وأفضل عليه وتفضل عليه بمعنى، والمتفضل الذي يدعي الفضل على الغير ومنه قوله تعالى "يريد أن يتفضل عليكم"^٢ وفي المعجم الوسيط: الفضل يطلق على ما زاد على الحاجة. يقال: انفق من مالك ما فضل، ويأتي أيضا بمعنى "ما بقي" يقال خذ هذا الذي فضل مما أنفقت، ويستعمل في التمييز وإظهار أن أحدهما أحسن من الآخر، ويقال فاضل غيره ففضله فهو فاضل^٣ وهذا هو المعنى المطابق لهذا المطلب.

ومن منطلق المعنى اللغوي يتبين لنا عندما نقول فضل الصحابة، نعني بذلك درجتهم التي بها تميزوا وفاقوا من دونهم. فإن الله خص كل من صحب النبي ﷺ مؤمنا به بفضل ليس لغيره. قال ﷺ " لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"^٤ وقد أُلّف في هذا الموضوع وغيره من الموضوعات في ذكر سيرهم وإشادة حالهم ومناقبتهم وجهادهم وتضحياتهم عبر العصور علماء أفذاذ منهم:

- ١- ابو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) : فضائل الصحابة
- ٢- ابو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني (ت ٣٨٥هـ): فضائل الصحابة ومناقبتهم وقول بعضهم في بعض رضي الله عنهم.
- ٣- أبو نعيم الأصفهاني: فضائل الخلفاء الراشدين
- ٤- أسد الغابة : ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)
- ٥- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)
- ٦- صفة الصفوة ابن الجوزي
- ٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر
- ٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني
- ٩- حكايات الصحابة : محمد زكريا الكندهلوي

ومن مؤلفات العلماء المتأخرين في هذا الموضوع:

i. فضائل الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم: حافظ محمد اسحاق زاهد

^١ ابن المنظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب (ص ٣١٠) المرجع السابق

^٢ سورة المؤمنون، الآية ٢٤

^٣ إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية، موقع شبكة مشكاة الإسلامية (ج ٢/ص ٦٩٣)

^٤ البخاري: محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، (ج/ ص ١٧٨١) باب من انتظر حتى تدفن، حديث رقم ٣٦٧٣، دار طوق النجاة الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ

- ii. شجرة نسب الخلفاء الراشدين والأحاديث الصحيحة في مناقبهم رضي الله عنهم: عاطف بن عبد الوهاب عماد
- iii. فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة: عبد المحسن بن حمد العباد

ومنهم من كتب عن أفراد الصحابة، وهذا لا حصر له ولا زال العلماء والكتّاب يكتبون عن هذا الموضوع خاصة في تحليل الشبهات المرتبطة ببعض الصحابة والدفاع عنهم من الذين اتخذوا سب الصحابة الأبرار ديناً، فكتب العلماء بعناوين مختلفة عن أمهات المؤمنين والخلفاء الراشدين وأبي هريرة ومعاوية وابن مسعود وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

المطلب الثاني: فضائل الصحابة رضوان الله عليهم

إن فضل الصحابة أمر معلوم من الدين بالضرورة. فإنه لا أحد ينكر فضلهم إلا من لا يعتبر قولهم. قال ابن حجر رحمه الله: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة، ثم نقل عن الخطيب البغدادي في "الكفاية" فصلاً نفيساً في ذلك فقال: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم، فمن ذلك قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ^١

وقوله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا^٢ وقوله: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ

فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا^٣ وقوله: وَالسَّابِقُونَ

الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

^١ سورة آل عمران: الآية ١١٠

^٢ سورة البقرة: الآية ١٤٣

^٣ سورة الفتح: الآية ١٨

وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾^١ ومنها قوله: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهُ فَازَرَهُ فَاسْتَعْطَفَ فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ يَعْجِبُ الْزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠١﴾

والأحاديث شهيرة يكثر تعدادها، منها

عن عبد الله بن المغفل المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: الله الله في أصحابي لا تتخذوا أصحابي غرضا، من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه^٢

✓ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"^٣

✓ عن أنس قال، قال أصحاب رسول الله: يا رسول الله، إنا نُسب فقال رسول الله ﷺ: "من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً"^٤

✓ عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك

^١ سورة التوبة : الآية ١٠٠

^٢ سورة الفتح، الآية ٢٩

^٣ محمد بن حبان: صحيح ابن حبان (ص ١٦ / ٧٨) رقم ٧٢٥٦ موقع يعسوب <http://www.yasoob.com>

^٤ البخاري ، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري (٨/٥) رقم الحديث ٣٦٧٣ المرجع السابق

^٥ المحاملي: أمالي المحاملي، (٩٧/١) موقع جامع الحديث <http://www.alsunnah.com>

مد أحدهم ولا نصيفه" ^١ وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة، وضيق الحال بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمائته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال تعالى: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا ^٢ وهذا كله مع ما كان فيهم في أنفسهم من الشفقة، والتودد، والخشوع، والتواضع، والإيثار، والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا ينال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ^٣ وقيل "السبب فيه أن تلك النفقة أثمرت في فتح الإسلام، وإعلاء كلمة الله ما لا يثمر غيرها، وكذلك الجهاد بالنفوس لا يصل المتأخرون فيه إلى فضل المتقدمين لقلّة عدد المتقدمين، وقلة أنصارهم فكان جهادهم أفضل، ولأن بذل النفس مع النصر، ورجاء الحياة ليس كبذلها مع عدمها" ^٤

✓ وحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال ﷺ: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" ^٥ وإنما صار أول هذه الأمة خير القرون؛ لأنهم آمنوا به حين كفر الناس، وصدقوه حين كذب الناس، وعزروه ونصروه وآووه وواسوه بأموالهم وأنفسهم، وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام" ^٦

ومما جاء في فضلهم أيضا ما رواه أبو بردة رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ النجوم أمانة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي

^١ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ٣٤٧٠ المرجع السابق

^٢ سورة الحديد، الآية ١٠

^٣ المباركفوري، أبي العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم: تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (بدون تاريخ) ٢٤٦/١٠

^٤ المباركفوري، أبي العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم: تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي، ٣٣٨/٨ المرجع السابق

^٥ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ٢٥٠٩ ومسلم رقم ٢٥٣٣ المرجع السابق

^٦ ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، بتحقيق مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، مؤسسة القرطبة، (بدون تاريخ) ٢٥١/٢٠

ما يوعدون"^١ وهو إشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة من طمس السنن وظهور البدع وفشو الفجور في أقطار الأرض"^٢

وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك وسأله أمعاوية أفضل أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال "لتراب في منخري معاوية مع رسول الله ﷺ خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز"^٣

وجاء رجل إلى الإمام أبي زرعة الرازي رحمه الله فقال: يا أبا زرعة أنا أبغض معاوية. قال: لِمَ؟ قال: لأنه قاتل علياً. فقال أبو زرعة: إن ربَّ معاوية ربُّ رَحِيمٍ وخَصَمٌ معاوية خصمٌ كريمٌ فما دخولك أنت بينهما رضي الله عنهم أجمعين^٤

وجميع ذلك يقتضى القطع بتعديلهم، وإظهار فضلهم ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق، فإنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأبناء والمناصرة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على تعديلهم، والاعتقاد بنزاهتهم وأنهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم، والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله. قال أبو زرعة الرازي: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فأعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهم يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة^٥.

وقال الطحاوي في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: "ونحب أصحاب محمد ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق وعصيان". فقله: "ولا نفرط في حب أحد منهم" فيه رد على الشيعة في تفضيلهم علي رضي الله عنه على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وتكفيرهم الصحابة إلا القليل^٦.

^١ مسلم بن حجاج النيسابوري: صحيح مسلم، رقم ٢٥٣١ المرجع السابق

^٢ المباركفوري، أبي العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم: تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي، ١٥٦/١٠ المرجع السابق

^٣ ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، بتحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ، ص ٢٢٧/٦. ابن تيمية ٦٦١هـ-٧٢٨هـ. هو فقيه ومحدث ومفسر وعالم ومجتهد من علماء أهل السنة والجماعة وهو أحد أبرز العلماء المسلمين خلال النصف الثاني من القرن السابع والثالث الأول من القرن الثامن الهجري، نشأ ابن تيمية حنبلي المذهب فأخذ الفقه الحنبلي وأصوله عن أبيه وجده، كما كان من الأئمة المجتهدين في المذهب، فقد كان يفتي في العديد من المسائل على خلاف معتمد الحنابلة لما يراه موافقاً للدليل من الكتاب والسنة ثم على آراء الصحابة وآثار لسلف. انظر: طبقات علماء الحديث، الجزء الرابع (الطبعة الثانية). بيروت: مؤسسة الرسالة. صفحة ٢٨٠

^٤ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (ص ١٣ / ٨٦) دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط١،

^٥ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، (ص ٦-٧) مرجع سابق

^٦ زكريا علي يونس: شرح العقيدة الطحاوية، (ص ٣٥٦) المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة : الثانية - ١٤١٤هـ

المطلب الثالث: طبقات الصحابة

إن الصحابة رضوان الله عليهم يتفاوتون في مراتبهم من حيث السبق إلى الإسلام والهجرة وشهود المشاهد الفاضلة. والعلماء يجعلونهم على اثنتي عشرة (١٢) طبقة:

الطبقة في اللغة: بمعنى المرتبة، وفي مختار الصحاح طبقات الناس أي: مراتبهم^١

واصطلاحاً: تطلق على الجماعة الذين تشاركوا في وصف عام يشملهم، وإنما يسمون: طبقة، لأن لهم من رتبة السبق أو التوسط أو التأخر ما يحدد وصفهم، ويعين مراتبهم^٢.

اختلف العلماء في عد طبقات الصحابة ما بين مقل ومكثر، واختلافهم في ذلك مبني على اختلاف أنظارهم فيما يتحقق به معنى الطبقة عندهم؛ فمنهم من ذهب إلى أن الصحابة طبقة واحدة. وممن جرى على هذا القول ابن حبان ومن رأى رأيه، ووجهتهم فيما ذهبوا إليه: - أن للصحابة من الشرف العظيم والفضل الكبير ما يفوق كل ملحظ، ويعلو فوق كل اعتبار. فهم نظروا إلى مطلق الصحبة، قاطعين النظر عن غيرها من سائر الاعتبارات الأخرى^٣.

ولكن التقسيم المشهور وهو أيضاً تقسيم إمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوي في كتابه معرفة علوم الحديث^٤ هي:

الطبقة الأولى: قوم أسلموا بمكة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وخديجة وسمية وعبد الله بن مسعود وغيرهم رضوان الله عليهم، ويصعب احصاء عددهم.

الطبقة الثانية: أصحاب دار الأرقم حيث بايع النبي ﷺ جماعة فيها على الإسلام مثل سعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص وغيرهما.

الطبقة الثالثة: المهاجرة إلى الحبشة: منهم جعفر بن أبي طالب وغيره.

الطبقة الرابعة: الذين بايعوا النبي عند العقبة، منهم عبادة بن الصامت.

الطبقة الخامسة: الذين بايعوه في العقبة الثانية وأكثرهم من الأنصار مثل أسعد ابن زرارة وكعب بن مالك والبراء بن معرور ومن النساء نسيبة بنت كعب وأسماء

^١ الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، (ص ٢٨٨) مكتبة لبنان - بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

^٢ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص ٢٢)

^٣ ماهر ياسين الفحل: محاضرات في علوم الحديث (١/ ١٥٣) maher_fahl@hotmail.com

^٤ الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري: معرفة علوم الحديث <http://www.alsunnah.com>

(ص ٢٢ - ٢٤) الحاكم النيسابوري. من كبار المحققين ومن أصحاب الصحاح. اشتهر بكتابه المستدرک على الصحيحين، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة من الهجرة في نيسابور. رحل إلى العراق سنة ٣٤١ هـ وحج، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وفي سنة ٣٥٩ هـ ولي قضاء نيسابور، ولُقِّبَ بالحاكم لتوليه القضاء مرة بعد مرة، ثم اعتزل منصبه ليتفرغ للعلم والتصنيف، تولى السفارة بين ملوك بني بويه وبين السامانيين فأحسن السفارة. انظر ميزان الاعتدال ٣/ ٦٠٨

بنت عمرو.

الطبقة السادسة: أول المهاجرين الذين وصلوا إلى رسول الله ﷺ وهو بقاء قبل أن يدخلوا المدينة ويبنى المسجد، منهم عامر بن ربيعة.
الطبقة السابعة: أهل بدر الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: "لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"^١
الطبقة الثامنة: المهاجرة الذين هاجروا بين بدر والحديبية منهم المغيرة بن شعبه وغيره.

الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرضوان الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^٢ وهم ألف وأربعمائة (١٤٠٠) صحابي منهم سلمة بن الأكوع وابن عمر وغيرهما.

الطبقة العاشرة: المهاجرة بين الحديبية والفتح، منهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبو هريرة وغيرهم، فإن رسول الله ﷺ لما فتح خيبر قصده خلق من كل ناحية من أجل الهجرة.

الطبقة الحادية عشرة: الذين أسلموا يوم الفتح وهم جماعة من قريش، منهم أبو سفيان صخر بن حرب.

الطبقة الثانية عشرة: صبيان وأطفال رأوا رسول الله ﷺ يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرها وأعدادهم في الصحابة. منهم السائب بن يزيد وعبد الله بن ثعلبة فإنهما قدما إلى رسول الله ﷺ ودعا لهما. ومنهم أبو الطفيل عامر بن واثلة وأبو جحيفة وهب بن عبد الله فإنهما رأيا النبي ﷺ في الطواف وعند زمزم.^٣
قال ابن الصلاح: وإذا نظرنا إلى تفاوت الصحابة في سوابقهم ومراتبهم كانوا بضع عشرة طبقة^٤

وأما محمد بن سعد فقد جعل الصحابة على خمس طبقات: وخص الجزء الثالث والرابع من كتابه المشهور بـ "طبقات ابن سعد" بتراجم الصحابة. ووجهته فيما ذهب إليه أن الصحابة رضي الله عنهم وإن تساوا في شرف الصحبة لرسول الله ﷺ، إلا أنهم متفاوتون بالنظر إلى اعتبارات أخرى، كالسبق إلى الإسلام والغزو، وما إلى ذلك، فيكون قد نظر إلى أمر زائد على أصل الصحبة.

الطبقة الأولى: البدريون (وهم الذين شاركوا مع النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار في غزوة بدر الكبرى)

الطبقة الثانية: من أسلم قديما ممن هاجر عامتهم إلى الحبشة وشهدوا أحدا فما بعدها.
الطبقة الثالثة: من شهد غزوة الخندق (عبر عنها القرآن بغزوة الأحزاب)
الطبقة الرابعة: مسلمة الفتح، يعني الذين أسلموا عندما فتح النبي ﷺ مكة

^١ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري رقم ٣٠٠٨ المرجع السابق

^٢ سورة الفتح، الآية ١٨.

^٣ ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل: الباعث الحثيث ٥٠٤/٢ المرجع السابق

^٤ الشهرزوي، عثمان بن عبد الرحمن: مقدمة ابن صلاح، (ص ١٩٧) دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

الطبقة الخامسة: الصبيان والأطفال ممن لم يغز سواء حفظ عنه أم لا وهم الأكثر.

المطلب الرابع: التحذير من سب الصحابة والحث على حبهم رضوان الله عليهم

يقول الإمام مالك في الذين يقدحون في الصحابة: إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال رجل سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين.^١ وهذا القول من الإمام مالك منطلق من نظرتة البعيدة إلى أبعاد الخبر فليس الأمر قدحاً في الصحابة فقط، بل إن هذا يجر إلى ما هو أخطر منه وهو الطعن في الرسول ﷺ نفسه.

و بهذا المنظار انطلق ابن تيمية رحمه الله بقوله: الطعن فيهم - أي في الصحابة - طعن في الدين.^٢

فقد دلت أدلة القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ على تحريم سبهم رضي الله عنهم منها:

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

مُهِينًا ﴿٥٧﴾

١. فوجه الدلالة في الآية: أن إيذاء الرسول يشمل كل أذية قولية أو فعلية من سب أو شتم أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى، ومما يؤذيه ﷺ سب أصحابه وقد أخبر ﷺ أن إيذاءهم إيذاء له، "من آذاه فقد آذى الله".^٤

٢. قوله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا

بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾. وجه الدلالة: أن النهي عن سب المؤمنين والمؤمنات بما

ينسب إليهم مما هم منه براء ولم يعملوه، فإن الصحابة رضي الله عنهم في صدارة المؤمنين، فإنهم المواجهون بالخطاب في كل آية مفتوحة بقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا" إلى غيرها من الآيات الكثيرة، يحسن ذكرها عند الدفاع عنهم.

وفي وضوح الأدلة الشرعية على تحريم سب الصحابة، إضافة إلى عناية علماء السنة على ذكر مآثرهم الطيبة وذكر ما قدموه من النفس والنفيس في نجاح الدعوة، ظلت الروافضة ومن دان بدينهم يطعنون فيهم ويذكرونهم بأبشع وأشنع الذكر من السب والشتم واللعن ولم ينج من ذلك حتى بيت النبوة فإنهم طعنوا في زوجاته ﷺ خاصة

^١ ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم: الصارم المسلول، (ص ٥٥٣). دار ابن حزم - بيروت ط١١، ١٤١٧هـ.

^٢ ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم: منهاج السنة، (ص ١٨/١) مؤسسة قرطبة، ط١١، ١٤٠٦هـ.

^٣ سورة الأحزاب، الآية ٥٧

^٤ ومحمد ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن (ص ١/ ٦٧١ مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م

^٥ سورة الأحزاب الآية ٥٨

السيدة عائشة رضي الله عنها مع أن القرآن برأها وحذر من كان له أدنى إيمان أن يعود إلى قذفها أبداً، قال تعالى: **يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ^١ ومع هذه الموعظة من الله، تهادوا في النيل منها ولعنوا وأبىها وغيرهما من أمهات المؤمنين وصحابة رسول الله الكرام.

ويؤسف جدا أن عقيدة التشيع تتسرب إلى الأماكن التي لم تكن تعلمها من قبل، وأنها الآن تشتد وتقوى في نيجيريا، خاصة بلدان شمال نيجيريا. ويذكر الباحثون أن فكرة التشيع دخلت نيجيريا منذ الثمانينيات وكان أول ظهورها بين صفوف تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات الذين يدرسون فنوناً مختلفة، وقليل منهم يدرس الإسلام نفسه وعلومه، فكانوا قليلي المعرفة بالإسلام وتاريخه وعقائده مع أنهم شديداً الحب للدين ومتحمسون لأعمال الدعوة، فتجدهم منخرطين في أنشطة دينية التي في العادة يقوم بها الطلبة والتلاميذ في رحاب الجامعات والمدارس على اختلاف مراحلها لكن بقله فهم للدين، وهذا بطبيعة الحال جعل مثل هؤلاء الطلبة لقمة سائغة أمام الدعوات المختلفة والتيارات العقدية والفكرية المنتشرة في البيئة الدراسية وخصوصاً الجامعة. ومن هذه التيارات تيار عقيدة التشيع الوافد من إيران على إثر ثورتها العارمة التي أطاحت بحكم الشاه محمد رضا البهلوي. وكان من أكبر أهداف الثورة الإيرانية نشر المذاهب الشيعية، فكانوا يرسلون المنشورات والكتب بالمجان ويرفعون الشعارات البراقة من تأسيس الجمهورية الإسلامية وتحرير المسجد الأقصى من أيدي اليهود ومقارعة أعداء الله ورفع الظلم عن الشعوب المستضعفة إلى غير ذلك من الشعارات البراقة التي اختطفت كثيراً من شباب المسلمين قليلي الخبرة والتعليم وألقت بهم في غياهب التشيع والرفض^٢. وهذه العقيدة في نيجيريا مرت بمرحلة التقية قبل مرحلة الظهور وطور الإعلان بحقيقة هويتها والجهر بعقائد الرفض من بغض الصحابة وسبهم وتكفيرهم واعتقاد تحريف القرآن والقول بالأئمة الاثني عشر المعصومين وغير ذلك من مقالات الرافضة المعروفة المنتشرة ولا يعني ذلك أن العلماء سكتوا أو أحجموا عن مقاومة الحركة، لا، إلا أن الحركة وجدت دعماً وعناية رسمية (من وراء الستار طبعا) تحت حكومة أوبا سنجو (أحد حكام نيجيريا سابقاً وهو مسيحي) الذي أوصى حكام الولايات بتمكين أتباعها وإحلالهم مراكز النفوذ في الإدارات المحلية (وهذا ظاهر) حتى أدى إلى تنصيب إبراهيم يعقوب الزكركي رئيس حزب الشيعة في نيجيريا مستشاراً دينياً لولاية كدونا، فقويت شوكتهم في تلك الحقبة من الزمن. وكانت الجهود لمكافحة انتشارها، محاولات غير منتظمة ولا مؤسسية لأن الحركة التي يحاربونها أصبح لها إمكانات مادية وتنظيمية هائلة ولا يمكن مقارعتها إلا بمثلها. ومن

^١ سورة النور، الآية ١٧

^٢ عمر محمد لبوط: ظهور التشيع انتشاره في نيجيريا، (ص ١٩-٢٠) pro printing

أسباب فشو العقيدة في ربوع نيجيريا كما سردها د. عمر لبطو: تساهل العلماء في قيادة الأمة، وانتشار الجهل بالدين، وانتشار عقيدة التصوف وسكوت علمائها عن الفضائح وعقيدة التشيع التي تشيع أمام أعينها وبعدها اعتقاد فصل الدين عن الدولة (العلمانية) فهذه هي العوامل ساعدت في انتشار التشيع في نيجيريا. والأمر الآخر هو الجهل بخطرهم، فإن كثيرا لم يدروا بخطورة العقيدة حتى فشت بينهم وقوي نفوذها. ويستعينون بالمسيحيين وغير المسلمين في النيل من المسلمين. وهذا بارز في تزاورهم ومشاركتهم في الأعياد والتعبد مع النصارى في كنائسهم أيام عيد المولد النبوي ﷺ ومولد المسيح في شهر ديسمبر، ويخرجون معا في المظاهرات والتي صارت إحدى شعاراتهم مؤخراً.

فيجب على العلماء أن يشمروا عن ساعد الجد لمقاومة هذه العقيدة، التي بدأت تنتشر انتشار النار في الهشيم بين الشباب والشابات عن طريق إغرائهم بنكاح المتعة، هذه العقيدة المارقة تنتشر كثيرا، خاصة سكان الريف والبوادي. ولا شك أن العلماء تساهلوا في توعية أهل البادية عن خطورة هذه العقيدة لكن ما نشاهده ونسمعه في هذه الأيام من الهمة في محاربتها أمر يتحف المسامع ويبعث الأمل في النفس أن العلماء انتبهوا لمسؤوليتهم تجاه إنقاذ الأمة من الزيغ والضلال. وهذا أمر ليس يخص الواحد دون الآخر، فهو يدخل في عموم المنكرات التي أمر رسول الله ﷺ بتغييرها، قال: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"^١ فعلى كل المنظمات أن تضع في برامجهم، برنامج بيان زيغ عقيدة الرفض والتشيع لأتباعهم وإثبات أن الشيعة يعتقدون هذه المعتقدات المنسوبة إليهم من سب الصحابة واتهام أمهات المومنين ولعن أبي بكر وعمر وعثمان وأن القرآن محرّف وأن نكاح المتعة حلال وغيرها من زيغهم، لأن كثيرا من العوام لا زالوا يشكون أنهم لا يعتقدون هذه الأشياء لشدة التقية التي يمارسونها، وتصل الفائدة بأسرع وقت إذا استخدمت جميع طرق الاتصالات الحديثة من انترنت وشاشات التلفاز وبرامج في المذياع وتكون بلغة القوم المستهدفين، إضافة إلى المحاضرات وحلقات المساجد وما إلى ذلك. والله ولي التوفيق

^١ مسلم بن حجاج: صحيح مسلم، رقم ١٨٦ المرجع السابق

المبحث الثالث: في تحقيق عدد الصحابة

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: أقوال العلماء في عدد الصحابة رضوان الله عليهم

المطلب الثاني: عدد الرجال من الصحابة رضوان الله عليهم

المطلب الثالث: عدد الصحابييات رضوان الله عليهن

المطلب الأول: أقوال العلماء في عدد الصحابة

توفي الرسول ﷺ وقد دخل الناس في دين الله أفواجا كما بشره الله عز وجل بقوله: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝^١ وقال كعب ابن مالك رضي الله عنه في قصة توبة الله عليه "والمسلمون كثير لا يجمعهم كتاب حافظ"^٢ قال الدكتور فاروق حمادة: وعلى أية حال فعدد الصحابة كبير جدا إلا أن الذين وصلتنا أسماؤهم مع أن بعضهم اختلف في صحبته لا تصل إلى معشار هذه المقدار كما يقول الحافظ ابن حجر في الإصابة، وابن حجر قد جمع في كتابه هذا، جل الكتب المتقدمة التي ترجمت للصحابة مع المختلف فيهم أو الذين ذكروا باعتبارهم شخصين وهم شخص واحد، فيبلغ عددهم رجالا ونساء اثني عشر ألفا ومائتين وسبعة وتسعين نفسا(٢٩٧، ١٢)^٣

وقد ذكر ابن الصلاح في مقدمته كما ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب عن أبي زرعة الرازي قال: روينا عن أبي زرعة الرازي أنه سئل عن عدة من روى عن النبي ﷺ فقال: ومن يضبط هذا؟ شهد مع الرسول ﷺ حجة الوداع أربعون ألفا وشهد معه تبوك سبعون ألفا^٤

وقال القسطلاني في المواهب: أما عدة الصحابة رضي الله عنهم فمن رام حصر ذلك رام أمرا بعيدا، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله تعالى لكثرة من أسلم من أول البعثة إلى أن مات النبي ﷺ وتفرقهم في البلدان والبادي^٥

قال وحكي عن أبي زرعة أنه قال يبلغون مائة وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روي عنه وسمع منه . وفي رواية : ممن رآه وسمع منه . فقل له : يا أبا زرعة هؤلاء أين كانوا و أين سمعوا منه؟ قال: أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما والأعراب ومن شهد معه حجة الوداع كل رآه وسمع منه بعرفة^٦ وقال ابن الأثير: "وأصحاب رسول الله ﷺ ... كثيرون فإن رسول الله ﷺ شهد حنيناً ومعه اثنا عشر ألفاً سوى الأتباع والنساء، وجاء إليه هوازن مسلمين فاستنقذوا حريمهم وأولادهم، وترك مكة مملوءة ناساً وكذلك المدينة أيضاً: وكل من اجتاز به من قبائل

^١ سورة النصر الآية ١-٢

^٢ البخاري : صحيح البخاري (رقم ٤٤١٨) المرجع السابق

^٣ أحمد فريد: الفوائد البديعة في فضائل الصحابة، (ص ٥) المرجع السابق

^٤ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص ٢٣) . وأبو عمرو الشهرزوري: مقدمة ابن الصلاح، (ص ١٧١) المرجع السابق

^٥ ابن عبد البر: المصدر نفسه (ص ٢٣)

^٦ أبو عمرو الشهرزوري: مقدمة ابن صلاح، (ص ١٧١) المرجع السابق

العرب كانوا مسلمين فهؤلاء كلهم لهم صحبة وقد شهد معه تبوك من الخلق الكثير ما لا يحصيهم ديوان، وكذلك حجة الوداع وكلهم له صحبة"^١

وبعد حكاية هذه الأقوال كلها يتبين أن حصر الصحابة بعدد معين أمر صعب، لكن الأرقام السابقة الذكر تشير إلى نجاح دعوة رسول الله ﷺ وقد آمن به هذا العدد من خلال هذه المدة اليسيرة، فحري بالدعاة أن يشمروا عن ساعد الجد ويبدلو قصارى جهدهم في الدعوة مع إعمال الحكمة الموعظة الحسنة، فإن وقت الدعوة هو الآن، لكثرة العوارض والصدود والأمور الملهية عن الدين وعقبات إيصال الدعوة إلى غير المسلمين وما إلي ذلك، هذا ليتحقق حديث رسول الله ﷺ "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو ذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر"^٢.

المطلب الثاني: عدد الرجال منهم

كما يصعب حصر عدد الصحابة برمتهم كذلك لا يمكن ضبط عدد الرجال من الصحابة والصبيان ولا غير ذلك، اللهم إلا أن للعلماء طرقاً أخرى في تعداد الصحابة وضبط عددهم، فالاهتمام هنا يكون في السنوات الأواخر لرسول الله ﷺ في المدينة فقد شهد الأغلب ممن آمن معه المواقع، خاصة المواقع التي وقعت بعد الحديبية، فنذكر الصحابة الذين حشدوا حول الرسول وأزروه ونصروه في هذه البطولات.

● عدد أصحاب الشجرة:

يرى أكثر المؤرخين وأهل السير أن عدد المسلمين الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية في ذي القعدة سنة ٦، عددهم ألف وأربعمائة (١٤٠٠)^٣.

قال ابن اسحاق: وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني يقول كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة^٤

● عدد المسلمين في خيبر:

^١ ابن الأثير: مجد الدين بن محمد الجزري: أسد الغابة (ص٧) دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م،

^٢ ابن حنبل: أحمد الشيباني، المسند، حديث رقم ١٦٩٩٨ مرجع سابق: هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (١٦٤-٢٤١ هـ) فقيه ومحدث، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي، اشتهر بعلمه الغزير وحفظه القوي، وكان معروفاً بالأخلاق الحسنة ويعدُّ كتابه "المسند" من أشهر كتب الحديث وأوسعها، اشتهر ابن حنبل بصبره على المحنة التي وقعت به والتي عُرفت باسم "فتنة خلق القرآن". انظر مناقب الإمام أحمد بن حنبل، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص١٦

^٣ المباركفوري، صفى الرحمن: الرحيق المختوم (ص٣٥٧) (دار إحياء التراث العربي، بيروت / لبنان، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م)

^٤ المباركفوري: المرجع نفسه

هم نفس أصحاب الشجرة لأن الرسول عندما أراد الخروج إلى خيبر أعلن أن لا يخرج معه إلا راغب في الجهاد فلم يخرج إلا أصحاب الشجرة.^١

• عدد المسلمين في مؤته:

ثلاثة آلاف مقاتل، وهو أكبر جيش إسلامي آنذاك لم يجتمع قبل ذلك مثل هذا العدد إلا في الأحزاب^٢

• عدد المسلمين في فتح مكة: عشرة آلاف (٣١٠،٠٠٠)

• عدد المسلمين في غزوة حنين: عشرة آلاف وألفان (١٢،٠٠٠) من أهل مكة وأكثرهم حديثو عهد بالإسلام.

• عدد المسلمين في تبوك: عدد المسلمين الذين شهدوا مشهد تبوك ثلاثون ألف (٣٠،٠٠٠) مقاتل لم يخرج المسلمون في مثل هذا الجمع الكبير قبله قط.^٤ وهو آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

• ويقدر عدد المسلمين الذين خرجوا مع النبي ﷺ في حجة الوداع بمائة لألف، وقد نقل السخاوي كلام أبي زرعة أنهم مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، واختاره، بعد أن ذكر أقوالاً أخرى للعلماء^٥

المطلب الثالث: عدد الصحابييات رضوان الله عليهن:

كما أسلفنا الذكر أن العدد بالتعيين لذكور الصحابة أو إناثهم لا يمكن حصره لعدم وجود أي عملية إحصائية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس لذلك عظيم فائدة في تلك الآونة، لكن نحن الآن بحاجة إلى معرفة ذلك، لأنها تفيدنا في معرفة ما بذلوه من المجهودات والتضحية والنصيحة والنصرة التي امتازوا بها في عصرهم.

ولقد حاول المحققون من أهل السير والمؤرخون معرفة عدد الصحابييات لكن تعذر هذه المحاولات لعدم وجود أي ديوان في ذلك الوقت. والأمر الثاني هو أن الصحابييات ملتزمات بأدب القرآن، فيقرن في منازلهن ولا يخرجن إلا لحاجة الخروج، فلم يعرف منهن إلا القليل. واللائي ورد ذكرهن في كتب السير والتراجم فلا يخلو أن تكون إحدى

^١ ابن هشام: السير النبوية (ص ١٩٧/١)

^٢ المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم (ص ٤١١)

^٣ المباركفوري المرجع السابق (ص ٤٢٤)

^٤ المباركفوري: المرجع نفسه ٤٤٢

^٥ السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيبيات ص ٤٩/٤ مرجع سابق

أمهات المؤمنين أو مستفتية أو أنها تداوي المرضى أو يكون لها قضية حتى أظهر شأنها للعامة. منهن:

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي ﷺ وأول من صدقت ببعثته مطلقاً. قال الزبير بن بكار كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة وأمها فاطمة بنت زائدة قرشية من بني عامر بن لؤي^١ وكان تزويج النبي ﷺ خديجة قبل البعثة بخمس عشرة سنة وقيل أكثر من ذلك وكانت موسرة وكان سبب رغبتها فيه ما حكاه لها غلامها ميسرة مما شاهده من علامات النبوة قبل البعثة ومما سمعته من بحيرا الراهب في حقه لما سافر معه ميسرة في تجارة خديجة وولدت من رسول الله ﷺ أولاده كلهم إلا إبراهيم^٢. قال ابن جرير: كان عليه السلام ابن سبع وثلاثين سنة، فولدت له القاسم وبه كان يكنى والطيب والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. قلت: وهي أم أولاده كلهم سوى إبراهيم، فمن مارية^٣. توفيت قبل الهجرة بعامين، وسمي عام وفاتها عام الحزن.

أم أيمن: واسمها بركة الحبشية أمة أبيه، وأول من أرضعته وكان قد ورثها عليه الصلاة والسلام من أبيه فلما كبر أعتقها وزوجها مولاه زيد بن حارثة، فولدت له أسامة

حليمة السعدية: مرضعة النبي ﷺ هي بنت أبي ذؤيب واسمها عبدالله بن الحارث ابن شجنة بن ناضرة بن سعد بن بكر بن هوازن.

أخرج أبو داود وأبو يعلى وغيرهما من طريق عمارة بن ثوبان عن أبي الطفيل أن النبي ﷺ كان بالجعرانة يقسم لحما فأقبلت امرأة بدوية فلما دنت من النبي ﷺ بسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا هذه أمه التي أرضعته^٤

ثويبة مولاة أبي لهب: أرضعت النبي ﷺ أياما قبل حليمة بنت الحارث السعدية واختلف في إسلامها أخرجها ابن منده وأبو نعيم. وقال أبو نعيم: لا أعلم أحدا أثبت إسلامها غير المتأخر يعني ابن منده^٥

أم هانئ: قال ابن سعد: اسمها فاختة ابنة أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمها فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أخت علي وجعفر، تأخر إسلامها. دخل النبي ﷺ إلى منزلها يوم الفتح، فصلى عندها ثمانين ركعات ضحى. وهي التي قال لها رسول الله: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ"^٦

^١ ابن حجر أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، (ص ١٠٧/١٢).

^٢ ابن حجر أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: المرجع نفسه

^٣ ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر: السيرة النبوية (ص ١٩٠/٨) موقع شبكة مشكاة الإسلامية <http://www.almeshkat.net>

^٤ ابن حجر أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: ١٥٨/١١-١٥٩ المرجع السابق

^٥ ابن الأثير، مجد الدين بن محمد الجزري، أسد الغابة (ص ١٣٢٣) مرجع سابق

^٦ الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير اعلام النبلاء (ص ٣١١/٢-٣١٢) مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

السيدة سودة بنت زمعة رضى الله عنها وأما الشמוש بنت قيس بن زيد الانصارية من بني عدي بن النجار وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة^١

السيدة عائشة بنت ابي بكر: احدى أمهات المؤمنين تزوجها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بسنتين أو بثلاث سنين وهي بكر وكان عمرها لما تزوجها رسول الله ﷺ ست سنين وقيل: سبع سنين. وبني بها وهي بنت تسع سنين بالمدينة^٢

قال عنها النبي ﷺ "و فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"^٣

السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب احدى أمهات المؤمنين وأما زينب بنت مظعون تزوجها رسول الله ﷺ بعد عائشة. طلقها رسول الله ﷺ تطليقة ثم ارتجعها وذلك أن جبريل قال له أرجع حفصة فإنها صوامة قوامه وإنها زوجتك في الجنة^٤.

السيدة زينب بنت خزيمة الهلالية كانت تدعى أم المساكين في الجاهلية، زوّجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث فأقامت عنده شهرين أو ثلاثة ولم يمت من أزواجه قبله غيرها وغير خديجة^٥.

أم سلمة بنت أبي أمية زوج النبي ﷺ واسمها هند، وكانت من المهاجرات إلى الحبشة وإلى المدينة^٦

السيدة زينب بنت جحش من بني أسد بن خزيمة وفيها نزل قوله تعالى: { فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها"^٧ ومن خواصها أن الله سبحانه وتعالى كان هو وليها الذي زوجها لرسوله من فوق سمواته. وتوفيت في أول خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهم^٨

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار كانت من بني المصطلق جاءت تستعين برسول الله على كتابتها فأدى عنها كتابتها وتزوجها^٩

صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ناخوم وقيل : ينخوم وقيل : نخوم. وأم صفية برة بنت سموأل.

روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر وجمع السبي أتاه تحية بن خليفة فقال: أعطني جارية من السبي. قال: "أذهب فخذ جارية". فذهب فأخذ صفية. قيل: يا رسول الله إنها سيدة قريظة والنضير ما تصلح إلا لك. فقال له رسول الله ﷺ: "خذ جارية من السبي غيرها". وأخذها رسول الله ﷺ واصطفأها وحجبها وأعتقها وتزوجها

^١ ابن حجر أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: المرجع السابق ٢١٦/١٢

^٢ ابن الأثير: مجد الدين بن محمد الجزري، أسد الغابة ١٣٨٣/١

^٣ البخاري: صحيح البخاري رقم ٥١٠٢

^٤ ابن حجر أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المرجع السابق (ص ٩١/١٢)

^٥ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص ٩٩/٢)

^٦ ابن الأثير: مجد الدين بن محمد الجزري، أسد الغابة، (١٤٤٢/١)

^٧ سورة الأحزاب، الآية ٣٧

^٨ ابن القيم: محمد بن أبي بكر الجوزية الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد (ص ١٠٢/١) بيروت، لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

^٩ ابن القيم محمد بن أبي بكر الجوزية (ص ١٢٠/١) المجمع السابق

وقسم لها. وكانت عاقلة من عقلاء النساء^١. حدثنا قتيبة أخبرنا أبو عوانة عن قتادة وعبد العزيز بن صهيب عن أنس: أن رسول الله ﷺ أعتق صفية وجعل عتقها صداقها. توفيت صفية في شهر رمضان في زمن معاوية سنة خمسين^٢.
ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر من تزوج بها تزوجها رسول الله ﷺ بمكة في عمرة القضاء بعد أن حل منها على الصحيح^٣

السيدة أم عمارة: نسيبة بنت كعب المازني: صحابية جليلة دافعت عن النبي (ﷺ) يوم أحد وجرح جرحا شديدا في عاتقها^٤.

أم عطية الأنصارية: نسيبة بنت الحارث وهي مشهورة بكنيتها صحابية جليلة كانت تغسل من ماتت من النساء على عهد النبي ﷺ^٥

أم حكيم بنت الحارث: صحابية جليلة زوجة عكرمة بن أبي جهل، استأمنت له من رسول الله ﷺ يوم الفتح فأمنه^٦

السيدة فاطمة بنت النبي ﷺ: صحابية جليلة تزوجت بخليفة وابنتها تزوجت بخليفة واختها تزوجت بخليفة. (زوجها علي بن أبي طالب، وابنتها أم كلثوم تزوجت بالفاروق عمر واختها رقية وأم كلثوم تزوجتا بعثمان بن عفان رضى الله عنه. قال عنها رسول الله ﷺ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة^٧

السيدة خولة بنت حكيم رضى الله عنها: صحابية جليلة خطبت للنبي ﷺ السيدة سودة بنت زمعة والسيدة عائشة بنت ابى بكر^٨

السيدة صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها: إحدى عمات النبي ﷺ ووالدة الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضى الله عنه وهي أول امرأة قتلت رجلا من المشركين^٩

السيدة أم الفضل لبابة بنت الحارث: صحابية جليلة، زوج العباس بن عبد المطلب أخت ميمونة زوج النبي وخالة خالد بن الوليد وكان النبي يزورها ويقبل عندها وهي ثانی امرأة تدخل في الإسلام بعد السيدة خديجة^{١٠}.
الرميصاء أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك واسمها سهلة: صحابية جليلة تزوجت بأبي طلحة الأنصاري وكان مهرها إسلامه رضى الله عنهما.

^١ ابن الأثير: مجد الدين بن محمد الجزري، أسد الغابة، (ص ١٣٧٥/١) المرجع السابق

^٢ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (١٠٥/٢) المرجع السابق

^٣ ابن القيم محمد بن أبي بكر الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، (ص ١٠٢/١) المرجع السابق

^٤ ابن القيم محمد بن أبي بكر الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، (ص ١٧٢/٣) المرجع السابق

^٥ ابن الأثير: مجد الدين بن محمد الجزري، أسد الغابة، (ص ٣٠٢/٧) المرجع السابق

^٦ ابن القيم محمد بن أبي بكر الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، (ص ٣٦١/٣) المرجع السابق

^٧ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ٣٦٢٤ المرجع السابق

^٨ ابن كثير: السيرة النبوية (ص ١٤٢/٢)

^٩ ابن القيم محمد بن أبي بكر الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، (ص ٣٩٤/٥) المرجع السابق

^{١٠} ابن الأثير: مجد الدين بن محمد الجزري أسد الغابة، (ص ٢٧٤/٧) المرجع السابق

السيدة برة بنت عبد المطلب: إحدى عمات النبي ﷺ ووالدة الصحابي الجليل عبد الله ابن عبد الاسد أبو سلمة.

السيدة أسماء بنت عميس صحابية جلييلة عرفت بأنها صاحبة الهجرتين ومصلية القبلتين وزوجة الخليفتين وزوجة الشهيدين تزوجت بجعفر بن أبي طالب وهاجرت معه إلى الحبشة، وبعد استشهاديه في مؤته تزوجت بأبي بكر الصديق وبعد وفاته تزوجت بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم

السيدة أم رومان بنت الحارث الكنانية: صحابية جلييلة زوجة أبي بكر الصديق وام السيدة عائشة رضي الله عنها.

حمنة بنت جحش: صحابية جلييلة استشهد زوجها وأخوها وأخوها في غزوة أحد. زوجها مصعب بن عمير وأخوها حمزة بن عبد المطلب وأخوها عبد الله بن جحش رضي الله عنهم.

السيدة فاطمة بنت الخطاب: صحابية جلييلة زوجها وأخوها من العشرة المبشرين بالجنة، زوجها سعيد بن زيد وأخوها الفاروق عمر بن الخطاب

السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: صحابية جلييلة لقبت بذات النطاقين وهي زوجة الزبير بن العوام^١. وأم عبد الله بن الزبير، فهي التي كانت تأخذ الطعام إلى رسول الله وأبيها وهما في الغار أيام الهجرة.

أم زياد الأشجعية: شاركت في غزوتي خيبر وحنين وكانت تسقى وتداوى الجرحى وتناول السهام للمحاربين^٢

أميمة بنت قيس الغفارية أسلمت وبايعت الرسول بعد الهجرة وفي غزوة خيبر مع مجموعة أم سلمة، تداوي الجرحى وتعين المسلمين.

رفيدة الأنصارية، بايعت الرسول بعد الهجرة واشتركت في الخندق وخبير وكانت رفيدة أول سيدة تعمل في نظام أشبه ما يكون بنظام المستشفيات في وقتنا هذا حيث اتخذت خيمة في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة مكانا يأوي إليه المرضى^٣ وكونت فريقا من الممرضات المتطوعات قسمتهن إلى مجموعات لرعاية المرضى نهارا وليلا ولم يكن عمل رفيدة مقتصرًا في الحروب فقط بل عملت أيضا في وقت السلم تعاون وتواسي كل محتاج^٤.

ولا يستطيع الباحث حصر نساء الصحابة بالذكر في هذا المجال لكثرتهم، لكن قد يكفي ما ذكره إشارة لما قدمه في خدمة دين الله ودعوة رسول الله ﷺ فرضي الله عنهن وأرضاهن وجعل الجنة مثواه.

^١ ابن الأثير، مجد الدين بن محمد الجزري: أسد الغابة (ص ١١/٧) المرجع السابق

^٢ ابن الأثير: مجد الدين بن محمد الجزري، أسد الغابة (٣٦٣/٧) المرجع السابق

^٣ ابن الأثير: مجد الدين بن محمد الجزري، أسد الغابة (ص ١٢٢/٧) المرجع السابق

^٤ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، (١٤٨/١٢) المرجع السابق

المبحث الرابع: الثناء عليهم في القرآن والسنة والإجماع

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الثناء عليهم في القرآن الكريم

المطلب الثاني: الثناء عليهم رضوان الله عليهم في السنة المطهرة

المطلب الثالث: الإجماع على عدالتهم بإجماع من يعتدّ بقولهم

المطلب الأول: الثناء عليهم في القرآن الكريم

لقد تضافرت آيات كثيرة من كتاب الله على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم مما لا يبقى معه لمرتاب شك في تحقيق عدالتهم.

١- قال الله تبارك وتعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۝١٤٣

وجه الله تبارك وتعالى في هذه الآية الخطاب إلى جميع الأمة المحمدية. أنه جعلهم خيار الأمم، والمعنون بها قبل غيرهم هم صحابة رسول الله ﷺ، فهم المسلمون الأول قبل غيرهم. وقوله وسطا قال القرطبي: "عدلا" وقال: وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطا أي دون الأنبياء وفوق الأمم^٢ فقد روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا" قال عدلا، قال هذا حديث صحيح^٣

٢- وقوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۝١١٠

وجه دلالة هذه الآية على الثناء على الصحابة وذكر عدالتهم أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية والمخاطبون بها أصالة هم الصحابة الكرام رضي الله عنهم وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال.

قوله تعالى: وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤ ° ففي هذه الآية وصف الله تعالى جميع المهاجرين والأنصار بالإيمان الحق ومن شهد الله له بهذه الشهادة فقد بلغ أعلى مرتبة العدالة.

٣- قوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ تَبَعُوا

بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

^١ سورة البقرة، الآية ١٤٣

^٢ عبد الرحمن رأفت الباشا، صور من حياة الصحابة، (ص ١٣) دار النفائس ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

^٣ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: سنن الترمذي (٢٩٦١) دار إحياء التراث العربي - بيروت

^٤ سورة آل عمران، الآية ١١٠

^٥ سورة الأنفال، الآية ٧٤

خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾^١ قال الحافظ ابن كثير: يخبر تعالى

عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم^٢

قال محمد بن كعب القرظي: مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ هذه الآية:

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ... فأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟، فقال: أبي بن

كعب، قال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه، فلما جاءه قال عمر: [أنت أقرأت

هذا هذه؟] ، قال: نعم، قال: أنت سمعتها من رسول الله ﷺ ، قال: نعم، قال

عمر: قد كنت أظن أنا قد رفعنا رفعة لا يبلغه أحدٌ بعدنا؛ فقال أبي: تصديق

هذه الآية في أول سورة الجمعة^٣ {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز

الحكيم}؛^٤

فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم ولا سيما سيد

الصحابة بعد رسول الله ﷺ وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة

الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإن الطائفة المخدولة من

الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عيادا بالله من ذلك.^٥

٤- قوله تعالى: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ

الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ

رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ قال أبو بكر الجصاص عن هذه الآية فيها مدح لأصحاب النبي ﷺ

الذين غزوا معه من المهاجرين والأنصار، وإخبار بصحة بواطن ضمائرهم

وطهارتهم: لأن الله تعالى لا يخبر بأنه قد تاب عليهم إلا وقد رضي عنهم

ورضي أفعالهم؛ وهذا نص في رد قول الطاعنين عليهم والناسبين لهم غير ما

نسبهم الله إليهم من الطهارة ووصفهم به من صحة الضمائر وصالح السرائر

رضي الله عنهم.^٦

^١ سورة التوبة، الآية ١٠٠

^٢ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (ص ٤٦٧/٢) القرآن دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط ٢١٤١٥/هـ ١٩٩٤ م

^٣ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم ، المرجع نفسه

^٤ سورة الجمعة، الآية ٣

^٥ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (ص ٤٦٨/٢) المرجع السابق

^٦ سورة التوبة، الآية ١١٧

^٧ الجصاص: أحمد بن علي أبو بكر الرازي أحكام القرآن، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط ١١٤١٥/هـ ١٩٩٤ م .

٥- قوله تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهُ فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ١

قال ابن كثير رحمه الله " فالصحابه رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبه في سمتهم وهديتهم. وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ ٢،

قال السعدي: يخبر الله تعالى عن رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار، أنهم بأكمل الصفات وأجل الأحوال ٣

٦- قوله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ٤؛ يخبر تعالى بفضلته ورحمته، برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول ﷺ تلك المبايعة التي بيضت وجوههم، واكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة، وكان سبب هذه البيعة -التي يقال لها "بيعة الرضوان" لرضا الله عن المؤمنين فيها، وكانوا نحواً من ألف وخمسمائة (١٥٠٠) ٥

٧- قوله تعالى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ٦ وَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ٦ قال ابن جرير الطبري الذين اصطفاهم يقول "الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ، فجعلهم أصحابه ووزرائه على الدين الذي بعثه بالدعوة إليه دون المشركين به، الجاحدين نبوة نبيه ٧ ثم بإسناده إلى ابن عباس في قوله وسلام على عباده

١ سورة الفتح، الآية ٢٩

٢ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (ص ٤٧٧/ ٢٤٧) المرجع السابق

٣ السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن (٧٩٥) المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير

٤ سورة الفتح، الآية ١٨

٥ السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن (ص ٧٩٣) المرجع السابق

٦ سورة النمل، الآية ٥٩

٧ ابن جرير، محمد بن جرير بن يزيد: جامع البيان في تأويل القرآن مؤسسة الرسالة ط ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (ص ١٩/ ٤٨٢)

الذين اصطفى" قال أصحاب محمد ﷺ، وقال شيخ الإسلام بن تيمية قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى" قال طائفة من السلف هم أصحاب النبي ﷺ، ولا ريب أنهم أفضل المصطفى من هذه الأمة التي قال الله فيها: ثُمَّ أَوْرَثْنَا آلَكَتَبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ١ فأمّة محمد ﷺ الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم اليهود والنصارى وقد أخبر الله تعالى أنهم الذين اصطفاهم وتواتر عن النبي ﷺ أنه قال: خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم^٢. ومحمد ﷺ وأصحابه هم المصطفون من المصطفين من عباد الله^٣

٨- وقوله تعالى: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾^٤

وفيما سبق من الآيات ما يثبت عدالة الصحابة رضي الله عنهم، ويليها ثناؤهم من السنة المطهرة

١ سورة فاطر، الآية ٣٢-٣٥

٢ البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري ٢٦٥٢ المرجع السابق

٣ البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري ٢٦٥٢ المرجع السابق

٤ سورة الحديد، الآية ١٠

المطلب الثاني: الثناء عليهم رضوان الله عليهم في السنة المطهرة

لقد وصف النبي ﷺ أصحابه بالعدالة، ونعتهم بنعوت الصدق والثقة والمروءة، وأثنى عليهم في أحاديث^١ يطول تعدادها منها:

- ١- قوله ﷺ: في حجة الوداع " ليلبلغ الشاهد منكم الغائب"^٢ ففي هذا الحديث أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح، ولا ضعيف، إذ لو كان فيهم أحد غير عدل، لاستثنى في قوله ﷺ وقال: ألا ليلبلغ فلان منكم الغائب، فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ لمن بعدهم، دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله ﷺ شرفاً
- ٢- عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته"^٣ وهذه الشهادة بالخيرية مؤكدة لشهادة رب العزة: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ^٤

قال النووي: اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد أصحابه^٥

- ٣- روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"^٦ قال الخطابي: النصيف بمعنى النصف كما قالوا الثمين بمعنى الثمن قال الشاعر:
فما طار لي في القسم إلا ثمينها
وقال آخر:
لم يعدها مد ولا نصيف
والمعنى أن جهد المقل منهم واليسير من النفقة الذي أنفقوه في سبيل الله مع شدة العيش والضيق الذي كانوا فيه أوفى عند الله وأزكى من الكثير الذي ينفقه من بعدهم"^٧.

^١ فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم، لا يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم كما مر معنا في المطلب الماضي

^٢ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ١٠٥

^٣ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ٢٦٥٢

^٤ سورة آل عمران الآية ١١٠

^٥ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم، (ص ٨٤/١٦) دار ابن حزم (بدون تاريخ)

^٦ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ٣٦٧٣

^٧ الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، معالم السنن ٢٨٨ - (ص ٣٠٨ / ٤) المطبعة العلمية - حلب ، ط ١، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

٤- عن أبي موسى قال: صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلنا: لو انتظرنا حتى نصلي معه العشاء فانتظرنا فخرج علينا فقال: (ما زلتم ها هنا؟) قلنا: نعم نصلي معك العشاء قال: (أحسنتم) أو قال: (أصبتم) ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: (النجوم أمانة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمانة لأصحابي فإذا أنا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)^١

قال النووي رحمه الله: "ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسما باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشتت وذهبت وقوله ﷺ وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أندر به صريحا وقد وقع كل ذلك ما قاله ﷺ "وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون" معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته ﷺ"^٢

٥- عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله اختار أصحابي على العالمين، سوى النبيين والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعة - يعني: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً، رحمهم الله، فجعلهم أصحابي، وقال في أصحابي: كلهم خير، واختار أمتي على الأمم، واختار أمتي أربعة قرون، القرن الأول، والثاني، والثالث، والرابع"^٣

٦- ويؤكد ابن مسعود رضي الله عنه ما سبق قائلا: "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ"^٤

يقول الإمام الأما دي: "واختيار الله لا يكون لمن ليس بعدل"^٥

^١ ابن حبان: صحيح ابن حبان، (ص ١٦ / ٢٣٤)

^٢ النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم (ص ١٦ / ٨٣) أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي ٦٣١ هـ - ٦٧٦ هـ المشهور باسم "النووي" هو محدث فقيه ولغوي، وأحد أبرز فقهاء الشافعية، اشتهر بكتبه وتصانيفه العديدة في الفقه والحيث واللغة والتراجم، كرياض الصالحين والأربعين النووية ومنهاج الطالبين والروضة، ويوصف بأنه محرر المذهب الشافعي ومهذب، ومنقحه ومرتبته، حيث استقر العمل بين فقهاء الشافعية على ما يرجحه النووي. ويلقب النووي بشيخ الشافعية، فإذا أطلق لفظ "الشيخين" عند الشافعية أريد بهما النووي وأبو القاسم الرافي القزويني. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٤، ص ٢٧٩

^٣ كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة - (ج ٣ / ص ١٣٤)

^٤ ابن حنبل: مسند الإمام أحمد (ص ٦ / ٨٤)

^٥ هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، المكنى بأبي الحسن الملقب بسبق الدين، كان فقيها أصوليا منطقيا، حسن الأخلاق، فصيح اللسان بارع البيان، من مصنفاته: الإحكام في أصول الأحكام، ودقائق الحقائق في الحكمة

^٦ الأما دي، علي بن أبي علي محمد: الإحكام في أصول الأحكام، (ص ٢/١٢) موقع الوراق، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير

٧- عن عبد الله بن مغفل، قال: قال رسول الله ﷺ الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه.^١

المطلب الثالث: الإجماع على عدالتهم بإجماع من يعتدّ بقوله

وقد نقل الإجماع على عدالة الصحابة جم غفير من أهل العلم الذين يعتبر قولهم، ومن تلك النقول:

١- روى الإمام أحمد عن قتادة بن دعامة أنه قال: ولكن أحق من صدقتم

أصحاب رسول الله ﷺ، الذين اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه^٢

٢- قال الخطيب البغدادي في الكفاية بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة

رسول الله ﷺ التي دلت على عدالة الصحابة وأنهم كلهم عدول، قال هذا

مذهب كافة العلماء ومن يعتدّ بقوله من الفقهاء.^٣

٣- قال أبو عمر ابن عبد البر في الإستيعاب: أما عدالة الصحابة، فمذهب أهل

السنة والجماعة ومن وافقهم من الزيدية والمعتزلة برواية إثبات العدالة

لجمع الصحابة رضوان الله عليهم، فإن الله تعالى اختار هؤلاء القوم

لصحبة نبيه ﷺ ونصرته، وتبليغ شرعه وإعلاء كلمته^٤ وقال في موضع

آخر "اجمع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم

كلهم عدول"^٥

وقال ابن حجر في الإصابة: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم

يخالف ذلك إلا شذوذ من المبتدعة^٦ وقال الإمام الجويني كما نقله

السخاوي "وممن حكى الإجماع على القول بعدالتهم إمام الحرمين قال

ولعل السبب فيه أنهم نقلت الشريعة فلو ثبت توقف في روايتهم لانهضت

الشريعة على عصر الرسول ﷺ ولما استرسلت على سائر الأعصار"^٧

^١ الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي رقم ٣٨٦٢ المرجع السابق . ابن حنبل: أحمد الشيباني: مسند الامام أحمد - رقم ٢٠٥٩٧ المرجع السابق

^٢ ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد الشيباني مسند الامام أحمد رقم ١٢٣٩٨

^٣ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد الإستيعاب في معرفة الأصحاب (ص٢٨) المرجع السابق

^٤ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد المرجع نفسه

^٥ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد المرجع نفسه

^٦ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ص٢٩) المرجع نفسه

^٧ السخاوي: فتح المغيـث - ٣ / ١١٢

وقال ... الصحابة كلهم عدول، من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به^١

فهذه النقول الواضحة المباركة للإجماع
فرضي الله عنهم وجعل الجنة متقلبهم ومثواهم.

^١ السيوطي: جلال الدين عبدالله بن أبي بكر، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، (ص ٢١٤/٢) مكتبة الرياض الحديثة – الرياض. (د. ت)

الفصل الخامس: الدعوة في عهد النبوي ومراحلها

ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول: حالة الناس قبل البعثة

المبحث الثاني: الجهر بالدعوة قبل الهجرة من مكة إلى المدينة

المبحث الثالث: الدعوة في المدينة إلى ما قبل الحديبية

المبحث الرابع: الدعوة في المدينة وداخل جزيرة العرب وخارجها بعد صلح
الحديبية

المبحث الأول: حالة الناس قبل البعثة

المطلب الأول: البيئة العربية قبل البعثة

المطلب الثاني: بداية النبوة ونزول الوحي

المطلب الثالث: الدعوة السرية

المطلب الرابع: السابقون الأولون إلى الإسلام

المطلب الخامس: دار الأرقم بن أبي الأرقم مقر الدعوة ومركزها الأول

المطلب السادس: ماذا كان الصحابة يتلقون من الدراسية في دار الأرقم

المطلب الأول: البيئة العربية قبل البعثة

ابتلي العرب قبل الإسلام بتخلف ديني شديد، ووثنية سخيصة لا مثيل لها، وكان سبب عبادتهم الأوثان عندما جاءهم عمرو بن لُحَيّ رئيس خزاعة بهُبل (أول صنم للمشرّكين وأعظمه وأقدسهم) من الشام وجعله في جوف الكعبة، ودعا أهل مكة إلى الشّرك بالله فأجابوه وكان معظم العرب قبل مجيئه يدينون بدين إبراهيم عليه السلام منذ أن نشأت ذريته في مكة وانتشرت في جزيرة العرب، فكانوا يعبدون الله ويوحدونه ويلتزمون بشعائر دينه الحنيف، فمنذ نبذهم للدين الحنيف قلّ شأنهم وصاروا يعيشون على هامش التاريخ، وقد امتلأت قلوبهم بتعظيم تراث الآباء والأجداد واتباع ما كانوا عليه مهما يكن فيه من الزيف والانحراف والضلال، فكان لكل قبيلة صنم، فكان لهذيل بن مدركة: سواع، ولكلب: ود، ولمذحج: يغوث، ولخيوان: يعوق، ولحمير: نسر، وكانت خزاعة وقريش تعبد إسافاً ونائلة، وكانت مناة على ساحل البحر، تعظمها العرب كافة والأوس والخزرج خاصة، وكانت اللات في ثقيف، وكانت العزى فوق ذات عرق، وكانت أعظم الأصنام عند قريش^١. وإلى جانب هذه الأصنام الرئيسية عدد لا يحصى من الأصنام الصغيرة التي يسهل نقلها في الأسفار ووضعها في البيوت. والذين لم يعبدوا الأصنام منهم دخلوا دين اليهود والأخرون تنصروا، ولكن الأغلبية على عبادة الأوثان.

وكانت فواحش الزنا وشرب الخمر والإنخراط في المسكرات سائدة في جميع أوساط العرب، لا تستطيع أن تخص منها وسطاً دون وسط، أو صنفاً دون صنف إلا أفراداً من الرجال والنساء ممن كانوا يعظمون نفوسهم ويأبون الوقوع في هذه الرذيلة، وكانت الحرائر أحسن حالاً من الإماء، والطامة الكبرى هي الإماء، ويبدو أن الأغلبية الساحقة من أهل الجاهلية لم تكن تحس بعار في الانتساب إلى هذه الفاحشة، ويدل على ذلك ما روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قام رجل فقال: يا رسول الله، إن فلاناً ابني، عاهرت بأمه في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: لا دعوة في الإسلام، ذهب أمر الجاهلية، الولد للفراش وللعاهر الحجر^٢، وقصة اختصام سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في ابن أمة زمعة - وهو عبد الرحمن بن زمعة - أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد بن أبي وقاص أن ابن وليدة زمعة مني فاقبضه قالت فلما كان عام الفتح أخذه سعد بن أبي وقاص وقال ابن أخي قد عهد إلي فيه فقام عبد بن زمعة فقال أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه فتساوقا إلى النبي ﷺ فقال سعد يا رسول الله ابن أخي كان قد عهد إلي فيه فقال عبد بن زمعة أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه فقال رسول الله ﷺ هو لك يا عبد بن زمعة،

^١ العودة، سلمان: الغرباء الأولون، دار ابن الجوزي، (ص ٦٠) الدمام السعودية، ط ٣، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م

^٢ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، (ج ٢/ حديث رقم ٢٢٧٦) باب الولد للفراش، دار الكتاب العربي - بيروت (بدون تاريخ)

ثم قال النبي ﷺ: "الولد للفراش وللعاهر الحجر" ^١ وكانت علاقة الرجل مع أولاده على أنواع شتى، فمنهم من كان يئد البنات خشية العار والإنفاق، ويقتل الأولاد خشية الفقر والإملاق فيذكر القرآن من جملة ما حرم عليهم: يقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ^٢ ولكن لا يمكن لنا أن نعد هذا من الأخلاق المنتشرة السائدة، فقد كانوا أشد الناس احتياجًا إلى البنين ليتقوا بهم العدو.

لخص الأستاذ الندوي الحال التي كان عليها العرب وغيرهم وقتذاك ما نصه: كانت الأوضاع الفاسدة، والدرجة التي وصل إليها الإنسان في منتصف القرن السادس المسيحي أكبر من أن يقوم لإصلاحها مصلحون ومعلمون في أفراد الناس، فلم تكن القضية قضية إصلاح عقيدة من العقائد، أو إزالة عادة من العادات، أو قبول عبادة من العبادات، أو إصلاح مجتمع من المجتمعات، فقد كان يكفي له المصلحون والمعلمون الذين لم يخل منهم عصر ولا مصر، ولكن القضية كانت قضية إزالة أنقاض الجاهلية، ووثنية تخريبية، تراكت عبر القرون والأجيال، ودفنت تحتها تعاليم الأنبياء والمرسلين، وجهود المصلحين والمعلمين، وإقامة بناء شامخ مشيد البنيان، واسع الأرجاء، يسع العالم كله، ويأوي الأمم كلها، قضية إنشاء إنسان جديد، يختلف عن الإنسان القديم في كل شيء، كأنه ولد من جديد، أو عاش من جديد ^٣ قال تعالى: أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ ^٤.

لا شك إن أهل الجاهلية كانت فيهم دنيا ورذائل وأمور ينكرها العقل السليم ويأبأها الوجدان، ولكن كان فيهم من الأخلاق الفاضلة المحموده ما يروع الإنسان ويفضى به إلى الدهشة والعجب، فمن تلك الأخلاق :

١- الكرم: وكانوا يتبارون في ذلك ويفتخرون به، وقد استنفدوا فيه نصف أشعارهم بين ممتدح به ومُثْنٍ على غيره، كان الرجل يأتيه الضيف في شدة البرد والجوع

^١ البخاري محمد بن اسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٢٠٥٣، دار طوق النجاة، ط/ ١/ ١٤٢٢ هـ.

^٢ سورة الأنعام، الآية ١٥١.

^٣ الصلابي، علي محمد: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص ٩٤-٩٥) دار بن الجوزي، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م.

^٤ سورة الأنعام، الآية ١٢٢.

وليس عنده من المال إلا ناقته التي هي حياته وحياة أسرته، فتأخذه هزة الكرم فيقوم إليها، فيذبحها لضييفه. ومن آثار كرمهم أنهم كانوا يتحملون الديات الهائلة والحملات المدهشة، يكفون بذلك سفك الدماء، وضياع الإنسان، ويمتدحون بها مفتخرين على غيرهم من الرؤساء والسادات

٢- الوفاء بالعهد : فقد كان العهد عندهم ديناً يتمسكون به، ويستهيئون في سبيله قتل أولادهم، وتخريب ديارهم، وتكفي في معرفة ذلك قصة هاني بن مسعود الشيباني، والسَّمَّوَال بن عادي، وحاجب بن زرارة التميمي.

٣- عزة النفس والإباء عن قبول الخسف والضيم : وكان من نتائج هذا فرط الشجاعة وشدة الغيرة، وسرعة الانفعال، فكانوا لا يسمعون كلمة يشمون منها رائحة الذل والهوان إلا قاموا إلى السيف والسنان، وأثاروا الحروب العوان، وكانوا لا يبالون بتضحية أنفسهم في هذا السبيل .

٤- المضي في العزائم : فإذا عزموا على شيء يرون فيه المجد والافتخار، لا يصرفهم عنه صارف، بل كانوا يخاطرون بأنفسهم في سبيله.

٥- الحلم، والأناة، والتؤدة: كانوا يتمدحون بها إلا أنها كانت فيهم عزيزة الوجود؛ لفرط شجاعتهم وسرعة إقدامهم على القتال.

٦- السذاجة البدوية، وعدم التلوث بلوثات الحضارة ومكائدها: وكان من نتائجها الصدق والأمانة، والنفور عن الخداع والغدر .

تري أن هذه الأخلاق الثمينة مع ما كان لجزيرة العرب من الموقع الجغرافي بالنسبة إلى العالم لعلها كانت سبباً في اختيار الله عز وجل إياهم لحمل عبء الرسالة العامة، وقيادة الأمة الإنسانية، وإصلاح المجتمع البشري؛ لأن هذه الأخلاق وإن كان بعضها يفضي إلى الشر، ويجلب الحوادث المؤلمة إلا أنها كانت في نفسها أخلاقاً ثمينة، تدر بالمنافع العامة للمجتمع البشري بعد شيء من الإصلاح، وهذا الذي فعله الإسلام .

ولعل أعلى ما عندهم من هذه الأخلاق وأعظمها نفعا بعد الوفاء بالعهد هو عزة النفس والمضي في العزائم؛ إذ لا يمكن قمع الشر والفساد وإقامة نظام العدل والخير إلا بهذه القوة القاهرة وبهذا العزم الصميم. ولهم أخلاق فاضلة أخرى دون هذه التي ذكرناها، وليس قصدنا استقصاءها

ولد النبي ﷺ في هذه البيئة ونشأ وترعرع فيها حتى أكرمه الله بالنبوة، كانت حياته ﷺ المبكرة وشبابه مضرب مثل بين أقرانه. كتب فيه د. مباركفوري ما نصه: "إن النبي ﷺ قد جمع في نشأته خير ما في طبقات الناس من مميزات، وكان طرازاً رفيعاً من الفكر الصائب والنظر السديد ونال حظاً وافراً من حسن الفطنة وأصالة الفكرة وسداد الرأي والهدف. وكان يستعين بصمته الطويل على طول التأمل وإدمان الفكرة واستكناه الحق. وطلع بعقله الخصب وفطرته الصافية صحائف الحياة وشؤون الناس وأحوال الجماعات فعاف ما سواها من خرافة، ونأى عنها، ثم عايش الناس على بصيرة من

أمره وأمرهم فما وجدته حسنا شارك فيه وإلا عاد إلى عزلته العتيدة، فكان لا يشرب الخمر، ولا يأكل مما ذبح على النصب، ولا يحضر للأوثان عيدا ولا احتفالا، بل كان من أول نشأته نافرا من هذه المعبودات الباطلة، حتى لم يكن شيئا أبغض إليه منها وحتى كان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى^١ فعلى هذه الصفة أمضى حياته حتى أكرمه الله بالرسالة.

المطلب الثاني: بداية النبوة ونزول الوحي

لما تم له أربعون سنة جاء جبريل عليه السلام بالنبوة وذلك في يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده، وذلك يوافق ٦ أغسطس ٦١٠م وهو بغار حراء. ها هي السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تروي لنا القصة كما في صحيح البخاري. عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبيب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝^٢ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروح فقال لخديجة وأخبرها الخبر، لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرءا قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ أومخرجي هم قال نعم، لم يأت

^١ المباركفوري: الرحيق المختوم، (ص ٧١) مرجع سابق

^٢ سورة العلق، الآية ١-٥

رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي^١ فبهذه الحادثة تم نبوته ﷺ وبتشجيع من السيدة خديجة بعد الله قام بعمل الدعوة فبدأ بالأول فالأول، أهله وذويه ثم القرناء والأقرباء.

المطلب الثالث: الدعوة السرية

أول ما بدأ الرسول ﷺ بعدما اطمأن وعاد إلى وعيه بعد أن راعه ظهور الملك والناموس الذي أتاه وضمه بقوة فهرع إلى أهله، وكان قد عاد من عند ورقة بن نوفل إلى حراء ليواصل جواره في الغار قال: فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، [فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فَجِئْتُ مِنْهُ رَعْبًا حَتَّى هَوَيْتَ إِلَى الْأَرْضِ] فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: [زَمَلُونِي، زَمَلُونِي]، دَثَرُونِي، وَصَبُوا عَلَى مَاءٍ بَارِدًا) ، قال : (فَدَثَرُونِي وَصَبُوا عَلَى مَاءٍ بَارِدًا، فنزلت : يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾^٢ وذلك قبل أن تفرض الصلاة، ثم حمى الوحي بعد وتتابع.^٣ قال صفي الرحمن المباركفوري: " وهذه الآيات هي مبدأ رسالته ﷺ وهي متأخرة عن النبوة بمقدار فترة الوحي "

فهذه الآيات اشتملت على أمر رسول الله ﷺ بالبلاغ والتحذير وذلك في قوله تعالى "قم فأنذر" فقد قام ﷺ إثر نزول هذه الآيات بالدعوة إلى الله تعالى. فبدأ بأقرب الناس إليه والذين يثق بهم ويطمئن إليهم من أهل وعشيرة وأصدقاء وقدمهم على غيرهم^٤

وتكتم النبي ﷺ في دعوته إلى الإسلام ، خلال هذه السنوات الأولى ولم يكن ذلك بسبب الخوف على نفسه فهو حينما كلف بالدعوة ونزلت عليه الآيات السابقة، علم انه رسول الله ﷺ وهو لذلك كان يوقن بأن الإله الذي ابتعثه وكلفه بهذه الدعوة قادر على أن يحميه ويعصمه من الناس، على أن الله عز وجل لو أمره من أول يوم أن يصدع بالدعوة بين الناس علنا لما توانى عن ذلك ساعة ولو كان يتراءى له في ذلك مصرعه. إنما اختار

^١ محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري (ص ١ / ٣) رقم ١ المرجع السابق

^٢ سورة المدثر: الآية ١ - ٥

^٣ ابن كثير: السيرة النبوية، (ص ٩٠/٢) المرجع السابق

^٤ المباركفوري صفي الرحمن: روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، (ص ٣٠) مكتبة ملك فهد الوطنية، بدون تاريخ

النبي ﷺ ابتداء ذلك خفية لتتكون خلية الإسلام وإنما الخلايا يكون بذر البذور فيها بالكتمان لان الجهر يبدها قبل أن تتكون حتى ينمو عودها ويتكون سوقها.

فكل فكرة جديدة لابد أن يلتقي حولها قلوب مؤمنة بها، يتولى من بعد ذلك إعلانها والمجاهرة بها، ثم لا بد من تكوين من يتقدمون للدعوة وكل ذلك يقتضي التدبير الخفي ثم الإعلان الجلي

ومن العبر الذي نستفيد بها من هذه المرحلة، يقول البوطي: فإنه يجوز لأصحاب الدعوة الإسلامية، في كل عصر أن يستعملوا المرونة في كيفية الدعوة من حيث التكتم والجهر، أو اللين والقوة - حسبما يقتضيه الظرف وحال العصر الذي يعيشون فيه وهي مرونة حددتها الشريعة الإسلامية، اعتمادا على واقع سيرته ﷺ^١ على أن يكون النظر إلى مصلحة المسلمين ومصلحة الدعوة.

المطلب الرابع: السابقون الأولون إلى الإسلام

بدأ النبي ﷺ دعوته إلى الله كما اختار الله له أن يبدأ سرا لكون دينه الجديد يخالف ما عليه قومه، فالحكمة اقتضت أن ينتخب من يحدث بالأمر لاحتياج الأمر إلى التوضيح والتكم عند كل من آمن ويعمل في دعوة غيره إلى الذي آمن به.

فأول من آمن على الإطلاق بالإجماع هي خديجة بنت خويلد زوجة النبي ﷺ فإنها عاشت مناظر الوحي الأولى على رسول الله، وقد اطمأنت بكلام ورقة بن نوفل حيث جزم لها أن زوجها نبي هذه الأمة لما علم من أمارات وصفات آخر نبي يبعث، قال الذهبي: قال عز الدين أبو الحسن ابن الأثير: خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة^٢ وفي بيت النبي ابن عمه علي ابن أبي طالب، وكان أول من آمن من الصبيان، وهو ابن عشر سنين إذ ذاك على أرجح الأقوال وهو قول الطبري وابن إسحاق^٣

وممن لهم السبق كذلك حب النبي ﷺ ومولاه ومتبناه زيد بن حارثة الكلبي، الذي أثر رسول الله ﷺ على والده وأهله، عندما جاءوا إلى مكة لشرائه من رسول الله ﷺ فترك رسول الله الأمر له فقال زيد لرسول الله: ما أنا بالذي أختار عليك أحدا، وأنت مني بمنزلة الأب والعم، فقال له والده وعمه، ويحك تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك

^١ البوطي، محمد سعيد رمضان: *فقه السيرة النبوية* (ص ٦٩) دار السلام للنشر والتوزيع، مصر، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

^٢ الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، *سير أعلام النبلاء*، (ص: ١/ ١٩٨) مرجع سابق

^٣ أبو شهبه: *السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة* (٢٨٤/١) دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤١٧هـ،

وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم، وإنني رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً^١

ففي قصة زيد ما يدل على أن الداعية ينبغي بل لا بد أن يدعو الناس بأخلاقه ومعاملته قبل كلماته وحديثه ومما زاد الأمر حسناً أن هذه القصة وقعت قبل النبوة. وصدق أبو الفتح البستي قال.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ** فطال ما استعبد الإنسان إحسان^٢

وسارع إلى الإسلام كذلك بنات النبي ﷺ وهن زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، فقد تأثرن قبل البعثة بوالدهن ﷺ بالاستقامة وحسن السيرة والابتعاد عما كان يفعله أهل الجاهلية من عبادة الأصنام والوقوع في الآثام. وتأثرن بوالدتهن فأسرعن إلى الإيمان^٣ وبذلك أضحى بيت النبي ﷺ أول أسرة مؤمنة منقادة لشرع الله تعالى. فالحقيقة البارزة في المنهج الرباني تشير إلى أهمية بناء الفرد الصالح والأسرة الصالحة كأول حلقة من حلقات الإصلاح والبناء ثم المجتمع الصالح، لأن الأسرة هي التي تستقبل الفرد منذ ولادته وتستمر معه مدة طويلة من حياته، بل هي التي تحيط به طوال حياته فإذا كانت قوية وسليمة أمد طرفيها - الفرد والمجتمع - بالقوة والسلامة^٤

لم يتأخر إسلام أبي بكر الصديق عن إسلام أسرة النبي ﷺ بل هو أول من آمن من الرجال الأحرار على الإطلاق فهو صديق رسول الله ﷺ الحميم فقد بادر إليه الرسول ﷺ ليخبره بما أكرمه الله به من النبوة والرسالة ويدعوه إلى الإيمان به فلم يتردد أبوبكر ولم يتلعث بل أسرع بالإيمان وفيه قال رسول الله ﷺ "ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة، وتردد ونظرة إلا أبا بكر ما عتّم حين دعوته ولا تردد فيه"^٥

ولم يكن إسلام أبي بكر إسلام رجل، بل كان إسلامه إسلام أمة، فهو في قریش في موقع العين منها، قال ابن اسحاق: كان أبو بكر رجلاً مألوفاً لقومه محبباً سهلاً وكان أنسب قریش لقریش وأعلم قریش بما كان فيها من خير وشر. وكان رجال قریش يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته^٦

^١ محمد قلجعي: دراسة تحليلية لشخصية الرسول، دار النفائس، ط ١ ١٤٠٨ هـ. (ص ١٩١)

^٢ انظر مجموعة مواقع مداد www.midad.com

^٣ أبو شهبة: السيرة النبوية، في ضوء القرآن والسنة (ص ٢٨٤/١) المرجع السابق

^٤ الصلابي: السيرة النبوية عرض وقائع، ص ٨٦ المرجع السابق

^٥ المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة، (ص ٣٥) <http://www.alwarraq.com>

^٦ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: أسد الغابة، (ص ١ / ٧٤٩) دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

هذه الخصائص التي امتاز بها أبوبكر لعبت دورا هائلا في دعوته إلى الإسلام، لقد اجتذب إليه في فور دعوته المباشرة بعد إسلامه هؤلاء الرجال الذين أصبحوا أعلاما في الإسلام، والأسس الأولى التي قام عليها صرح الدعوة، والعدة الأولى التي تقوى بها رسول الله ﷺ بعد الله هم:

عثمان بن عفان الأموي في الرابعة والثلاثين من عمره

عبد الرحمن بن عوف في الثلاثين من عمره

سعد بن أبي وقاص في السابعة عشرة من عمره

الزبير بن العوام الأسدي في الثانية عشرة من عمره

وطلحة بن عبيد الله التيمي في الثالثة عشرة من عمره^١

وتلاههم رجال من قريش لهم مكانة وسؤدد، منهم أبو عبيدة بن الجراح، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وأخواه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف وسعيد بن زيد، وامراته فاطمة بنت الخطاب، وخباب بن الأرت وعبد الله مسعود الهذلي وعمار بن ياسر وصهيب وخلق سواهم رضي الله عنهم أجمعين.^٢

رأى رسول الله ﷺ أن أتباعه الذين صدقوا برسالته يكثر عددهم بمرور الأيام ولا يأمنون على عدوان قريش وبطشهم وهناك حاجة إلى تثبيت قلوب الذين آمنوا واطمئنانهم على معتقدتهم الجديد فدعت الحاجة إلى ضرورة إيجاد مكان يلتقون فيه بعيدا عن أعين الناس فوق الخيار على دار الأرقم بن أبي الأرقم.

المطلب الخامس: دار الأرقم بن أبي الأرقم مقر الدعوة ومركزها الأول

استمر النبي ﷺ في دعوته السرية، يستخطف عددا من الأتباع والأنصار من أقاربه وأصدقائه، وخاصة الذين يتمكن من ضمهم في سرية تامة، بعد إقناعهم بالإسلام، وهؤلاء كانوا نعم العون والسند للرسول ﷺ لتوسيع دائرة الدعوة في نطاق السرية، وهذه المرحلة العصبية من حياة دعوة الرسول ﷺ ظهرت فيها الصعوبة والمشقة، في تحرك الرسول ﷺ ومن آمن معه بالدعوة، فهم لا يخاطبون إلا من يأمنون من شره، ويثقون به، وهذا يعني أن الدعوة خطواتها بطيئة وحذرة، كما تقتضي صعوبة المواظبة

^١ منير الغضبان: التربية القيادية، (ص ١١٥) دار الوفاء المنصورة، ط ١١٤١٨ هـ

^٢ ابن هشام: السيرة النبوية ٢٦٢/١ مرجع سابق

على تلقي مطالب الدعوة من مصدرها، وصعوبة تنفيذها، إذا كان الداخل في هذا الدين ملزماً منذ البداية بالصلاة، ودراسة ما تيسر من القرآن -مثلاً- ولم يكن يستطيع أن يصلي بين ظهرائي قومه، ولا أن يقرأ القرآن، فكان المسلمون يتخفون في الشعاب والأودية إذا أرادوا الصلاة.^١

فلأول وهلة، كان الرسول يكون من بعض المسلمين أسراً أي مجموعة، وكانت هذه الأسر تختفي استخفاء استعداد وتدريب، لا اختفاء جبن وهروب حسب ما تقتضيه التدبيرات فكان يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند رجل به قوة وسعة من المال، فيكونان معه ويصيبان منه فضل طعامه، ويجعل منهم حلقات، فمن حفظ شيئاً من القرآن علم من لم يحفظ، فيكون من هذه الجماعات أسر، أخوة وحلقات تعليم.^٢

فليس الهم الأسمى مجرد الدعوة وإعلام العالم بهذا الدين العتيق، فلو كان الرسول يريد مجرد إبلاغ الدعوة للناس لكان خير مكان في الكعبة حيث منتدى قريش كلها، ولكن يريد بناء الدولة وحملة الدعوة وقادة الأمم ولا يمكن ذلك في العجلة والغوغاء. وطريق نيل هذا المرام يكون بالتخطيط الدقيق المنظم وبحسب كل خطوة والتقاء القائد المربي بأتباعه في مكان آمن بعيد عن الأنظار، وذلك أن استمرار اللقاءات الدورية المنظمة بين القائد وجنوده خير وسيلة للتربية العملية والنظرية، وبناء الشخصية القيادية الدعوية.

ثم اختيار الرسول دار الأرقم بن أبي الأرقم مقراً ومركزاً للقيادة لأسباب ذكرناها الدكتور الصلابي:

١- أن الأرقم لم يكن معروفاً بإسلامه؛ فما كان يخطر ببال أحد أن يتم لقاء محمد ﷺ وأصحابه بداره.

٢- أن الأرقم بن أبي الأرقم من بني مخزوم، وقبيلته بني مخزوم هي التي تحمل لواء التنافس والحروب ضد بني هاشم، فلو كان الأرقم معروفاً بإسلامه فلا يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره، لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو.

٣- أن الأرقم بن أبي الأرقم كان فتى عند إسلامه، فلقد كان في حدود السادسة عشرة من عمره، ويوم تفكر قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي فلن يخطر في بالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمد ﷺ بل يتحدد نظرها وبحثها إلى بيوت كبار

^١ الصلابي: علي محمد، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، (ص ١٢٩) مرجع سابق

^٢ المرجع نفسه (ص ١٢٩)

أصحابه، أو بيته هو نفسه ﷺ^١، وكل هذه تشير إلى التستر والخفاء حتى تنمو وتقوى الدعوة في أمن وأمان، ليتم بناء القدوة فيهم في أسرع وقت ممكن. وكما اختير مكان الاجتماع واللقاء انتقى المواد الدراسية المناسبة للظروف والحال، كما سيأتي في المطلب القادم.

المطلب السادس: ماذا كان الصحابة يتلقون من الدراسة في دار الأرقم

اختار رسول الله - ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم ليجتمع فيها بالمسلمين سرّاً، حفاظاً على دعوته وأصحابه، إذ كانت بعيدة عن أعين الطغاة وتفكيرهم، وكانت على جبل الصفا، وهي بمعزل عن المتربصين بالمسلمين في مكة، وكان الأرقم بن أبي الأرقم من السابقين الأولين الذين استجابوا لله والرسول ﷺ.

وفي هذه الدار المباركة، كان رسول الله ﷺ يلتقي بأصحابه - رضي الله عنهم، يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم، ويعلمهم أمور دينهم، ويباحثهم في شأن الدعوة وما وصلت إليه، ويسمع شكواهم وما يلقونه من أذى المشركين وكيدهم، ويتحسس آلامهم وآمالهم، ويطلب منهم الصبر والثبات على دينهم، ويبشرهم أن العقوبة للمتقين. ومنها أن النبي ﷺ كان يهتم بالتخطيط الدقيق، ويحسب لكل خطوة حسابها، فقد كان مدركاً أنه سيأتي اليوم الذي يؤمر فيه بالدعوة علناً وجهرًا، وأن هذه المرحلة سيكون لها شدتها وصعوبتها على المسلمين، ومن ثم فحاجة الجماعة المؤمنة تقتضي أن يلتقي الرسول - ﷺ - المُربي مع أصحابه، ليعلمهم ويربيهم ويشحذ هممهم، ويعدّهم ليكونوا بناة الدولة المسلمة، وحملة الدعوة، واللجنة الأولى التي قام عليها هذا الصرح العظيم.

ومن ثم استمر ﷺ في دعوته السرية وتربيته لأصحابه في دار الأرقم، حتى أصبحت هذه الدار أعظم مدرسة للتربية والإعداد عرفها التاريخ، إذ تخرج منها قادة حرروا البشرية من رق العبودية، وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، بعد أن رباهم رسول الله ﷺ.

وقد حرص - عليه الصلاة والسلام - حرصاً شديداً على أن يكون القرآن الكريم هو المنهج الذي يربي عليه أصحابه، وألا يختلط تعليمهم وتربيته بشيء من غير القرآن، وكانت قلوب الصحابة وأرواحهم تتفاعل مع القرآن وتنفع به، فيتحول الواحد منهم إلى إنسان جديد بقيمه ومشاعره، وأهدافه وسلوكه، وتطلعاته وأمنيته، ومن ثم أدرك الصحابة وتعلموا في دار الأرقم أن القرآن وحده وتوجيهات النبي ﷺ هما: المنهج للحياة

^١ الصلابي علي محمد، السيرة النبوية، (ص ٩٧) المرجع السابق

والدعوة، والدستور للواقع والدولة، فكانوا من شدة تلهفهم إلى معرفة أوامر الله وأوامر رسول الله ﷺ إذا سمعوا أحداً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارهم.

يقول كامل سلامة الدقش في كتابه: دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين: كانت الفترة الأولى من عمر الدعوة تعتمد على السرية والفردية، وكان التخطيط النبوي دقيقاً ومنظماً، وكان تخطيطاً سياسياً محكماً، فما كان اختيار رسول الله ﷺ لدار الأرقم لمجرد اجتماع المسلمين فيها لسماع نصائح ومواظ وارشادات، وإنما كانت مركزاً للقيادة ومدرسة للتعليم والتربية، والإعداد والتأهيل للدعوة والقيادة بالتربية الفردية العميقة الهادئة، وتعهد بعض العناصر والتركيز عليها تركيزاً خاصاً، لتأهيلها لأعباء الدعوة والقيادة، فكان الرسول المربي قد حدد لكل فرد من هؤلاء عمله بدقة وتنظيم حكيم، اشترك في ذلك الكل، الكل يعرف دوره المنوط به، والكل يدرك طبيعة الدعوة والمرحلة التي تمر بها، والكل ملتزم جانب الحيطة والحذر والسرية والانضباط التام.^١

قضى النبي ﷺ ثلاث سنوات تقريباً^٢ يعلم أصحابه أسس العقيدة والعبادة والصبر والتحمل خفية وفي تمام السر حتى يبنى رجال الدعوة من صميم قريش وغيرها، وقد حان الأوان للإسلام أن يدخل في الجولة الثانية وهو إبلاغه إلى القاصي كما عرف به الداني.

^١ الدقش كامل سلامة: دولة الرسول صلى الله عليه وسلم من التكوين إلى التمكين، (ص ٢٣٧) دار العمار، عمان، ط/١ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

^٢ ابن هشام: السيرة النبوية (ص ٩٧) المرجع السابق

المبحث الثاني: الجهر بالدعوة قبل الهجرة من مكة إلى المدينة

وفيه ستة مباحث

المطلب الأول: الأمر بالدعوة الجهرية وما ترتب عليه

المطلب الثاني: الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة والحكم المترتبة عليها

المطلب الثالث: الدعوة خارج مكة

المطلب الرابع: عرض الاسلام على القبائل والأفراد

المطلب الخامس: بذور الدعوة في المدينة قبل الهجرة

المطلب السادس: هجرة النبي ﷺ إلى المدينة

المطلب الأول: الأمر بالدعوة الجهرية وما ترتب عليه

أمر الله رسوله ﷺ بالجهر بالدعوة بنزول قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِئْءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وهذا هو قول عامة أهل السير، وذلك لما مضت ثلاث سنوات من بداية دعوته السرية. لب رسول الله أمر ربه غير متوان فجمع عشيرته الأقربين فصعد على الصفا: وقال ابن عباس رضي الله عنه: جعل النبي ﷺ ينادي: يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي: أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا نعم. قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" قال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾

وروى مسلم طرفا آخر من هذه القصة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أنزلت هذه الآية: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سألها ببلالها"١

قال صفي الرحمن مباركفوري: هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ، فقد أوضح الرسول ﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلات بينه وبينهم. وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله. ٥

ولقد سجل الرسول ﷺ بدعوته لأقربائه خطوة جبارة ارتقى بها إلى طبقة أخرى في سبيل دعوته وبها استطاع أن يظهر ما كان يكتُمها خلال ثلاث سنوات مضت. فقام ﷺ بجهر بالدعوة إلى الإسلام في مجامع قريش ونواحي المشركين وابتلى عليهم القرآن ويأمرهم بتوحيد الله تعالى ونبذ عبادة الأوثان. وبهذا المنطق أيضا بدأ يعبد الله أمام

١ سورة الشعراء، الآية ٢١٤-٢١٦

٢ سورة المسد: الآية ١

٣ سورة الشعراء، الآية ٢١٤

٤ مسلم: أبو الحسين بن الحاج: صحيح مسلم- رقم ٥٢٤ المرجع السابق

٥ المباركفوري صفي الرحمن: الرحيق المختوم، (ص٨٦) المرجع السابق

أعينهم، وكثيرا ما يصلي بفناء الكعبة جهارا وبدأ أصحابه أيضا يظهرين دينهم الجديد وأفراد الناس يسألون عن هذا الدين ويعتقونه واحدا واحدا.

وفي هذه المرحلة أبدى أصحاب النبي ﷺ دينهم الذي طال ما يكتُمونه بأمر رسول الله ﷺ ففي هذه المرحلة صدح عبد الله بن مسعود بالقرآن وقرع بقرائنه قلوب المشركين. وفيها جهر أبو ذر الغفاري بكلمة التوحيد أمام المشركين في مكة، تصور يوم يدخل على رسول الله ﷺ ويطلب أن يعرض عليه الإسلام ولحظة إسلامه يصبح داعيا يقول عن نفسه: قلت له ﷺ: أعرض علي الإسلام، فعرضه فأسلمت مكاني، فقال لي: يا أبا ذر، اكتم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل، فقلت: والذي بعثك بالحق، لأصرخن بها بين أظهرهم، فجاء إلى المسجد وقريش فيه، فقال: يا معشر قريش، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابي، فقاموا فضربت لأموت، فأدركني العباس فأكب عليّ ثم أقبل عليهم، فقال: ويلكم، تقتلون رجلا من غفار، ومتجركم وممركم على غفار، فأقلعوا عني، فلما أن أصبحت الغد رجعت، فقلت مثل ما قلت بالأمس، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابي، فصنع بي مثل ما صنع بالأمس، وأدركني العباس فأكب عليّ، وقال مثل مقالته بالأمس. قال: فكان هذا أول إسلام أبي ذر^١. فمن اللحظة الأولى لإسلام أبي ذر رضي الله عنه حملهم الدعوة إلى الله، فدعا أخاه وأهله وقبيلته للدخول في الإسلام فأسلموا جميعا، ففي رواية لمسلم أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: إنه قد وجهت لي أرضا ذات نخل، لا أراها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عني قومك، عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم^٢.

وهذا عمر بن الخطاب يوم أسلم، فرح المسلمون بإسلامه فرحاً شديداً، وكانت أولى كلمات عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي خاطب بها النبي الكريم قوله ألسنا على الحق يا رسول الله، فأجابه النبي بلا، فقال عمر ففيم الاختفاء، فخرج المسلمون من دار الأرقم إلى البيت الحرام في كتيبتين، كتيبة يتقدمها عمر بن الخطاب، والأخرى يتقدمها حمزة بن عبد المطلب، ومنذ ذلك الوقت والمسلمون يظهرين إسلامهم، ويمارسون شعائره أمام أعين المشركين بلا وجل أو خوف.

لكن من جانب آخر فإن هذا المنظر أساء إلى قريش حتى عقدوا مجلسا استشارياً لكف النبي ﷺ وأصحابه. فأتاروا العنف والتعذيب بديلا من الرفق واللين. فلجؤوا إلى التعذيب والتشديد عليه ﷺ وعلى أصحابه واشتهر في ذلك جماعة من المشاركين هم: أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي وأبو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وزوجه أم جميل بنت حرب بن أمية، وعقبة بن أبي معيط وكان من جيران النبي ﷺ

^١ البخاري، محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، رقم ٣٥٢٢ المرجع السابق
^٢ مسلم: أبو الحسين بن الحجاج: صحيح مسلم، رقم ٢٤٧٣ المرجع السابق

والعاص بن وائل السهمي^١ فهؤلاء لم يفتروا عن أذى رسول الله ﷺ منذ أن صدع بدعوته إلى أن أظهره الله عليهم.

لقد أنتت قريش بأنواع من العذاب وصنوف الأذى ما تقشعر له الجلود وتنفطر منه القلوب وساموا هؤلاء الصحابة الضعفاء سوء العذاب. أؤذي أبوبكر رضي الله عنه، وحشي على رأسه التراب وضرب في المسجد الحرام بالنعال حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحمل إلى بيته في ثوبه، وهو بين الحياة والموت^٢. فعن عائشة زوج النبي قالت لما اجتمع أصحاب رسول الله فكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله في الظهور فقال يا أبا بكر إنا قليل فلم يزل أبو بكر يلح على رسول الله ﷺ حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيبا وكان رسول الله جالسا فكان أول خطيب دعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوهم في نواحي المسجد ضربا شديدا ووطئ أبو بكر وضرب ضربا شديدا فدنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرفهما لوجهه وثنى على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه رضي الله عنه^٣

أما بلال فكان مملوكا لأمية بن خلف الجمحي، وكان أمية يجعل في عنقه حبلا، ويدفعه إلى الصبيان يلعبون به، وهو يقول: أحد أحد. وكان يخرج به في وقت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في الرمضاء، وهي الرمل أو الحجر الشديد الحرارة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول أحد أحد^٤

ومر به أبو بكر يوما وهو يعذب فاشتراه وأعتقه الله^٥

وكان خباب بن الأرت ممن سبي في الجاهلية، فاشتريته أم أنمار بنت سباع الخزاعية، وكان حدادا فلما أسلم عذبتة مولاته بالنار، وكانت تأتي بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره ليكفر بمحمد ﷺ فلم يكن يزيد ذلك إلا إيمانا وتسليما، وكان المشركون أيضا يعذبونه فيلويون عنقه، ويجذبون شعره، وقد ألقوه مرارا على فحم النار، ثم وضعوا على صدره حجرا ثقيلا حتى لا يقوم^٦.

^١ الخضري محمد: نور اليقين، (ص ٣٥) دار الفكر، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤ م

^٢ محمد السيد: التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، (ص ٢٤٣) دار السلام، مصر، ط١، ١٤١٨-١٩٩٨ هـ

^٣ ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل: السيرة النبوية، (ص ١١٦/٢) دار الفكر، بيروت لبنان، ط٢، ١٣٩٨ هـ

^٤ ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل: السيرة النبوية، (ص ٤٣٩/١) المرجع السابق

^٥ ابن هشام: السيرة النبوية ١٦٠/٢ المرجع السابق

^٦ المباركفوري صفي الرحمن: روضة الأنوار (ص ٦٦) المرجع السابق

وعذب عمار بن ياسر وأمه وأبوه - رضي الله عنهم - وكانوا حلفاء بني مخزوم - وكان على رأس بني مخزوم أبو جهل يخرجونهم إلى الأبطح، إذا حميت الرمضاء، فيعذبهم بحرّها ويمر بهم رسول الله ﷺ فيقول: "صبرا آل ياسر موعدكم الجنة اللهم اغفر لآل ياسر"¹ وجاء أبو جهل إلى سمية - أم عمار - فقال لها: ما آمنت بمحمد إلا لأنك عشقته لجمالته، فأغلظت له القول، فطعنها بالحربة في ملمس العفة فقتلها، فهي أول شهيدة في الإسلام² ولم يلبث ياسر أيضا أن مات تحت العذاب. وعذب جماعة من الموالى والإماء. أشهرهم: عامر بن فهيرة وأبو فكية واسمه أفلح، وزنيرة وكانت أمة رومية، وأم عبيس وكانت جارية لبني زهرة وجارية عمرو بن مؤمل من بني عدي، وتذكر فيمن أسلمن وعذبن من الجواري: النهديّة، وابنتها وكانتا من جواري بني عبد الدار.³

وعذب في الله مصعب بن عمير وصهيب بن سنان الرومي وعثمان بن عفان رضي الله تعالى عن الجميع⁴

كان ما يراه رسول الله ﷺ يصيب أصحابه يعز عليه ولا يرضى أن ينظر وهم يعذبون، فلا بد أن يأخذ كل ما أمكن في تخفيف العقوبة عنهم، وصف الله تعالى نبيه ﷺ: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

المطلب الثاني: الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة والحكم المترتبة عليها

لما ضاق المقام بالرسول وأصحابه واشتدت الاضطهادات عليهم من قريش، كان من الرشد أن يفكروا في الحل الأسمى لتخفيف هذا العذاب الأليم وفي هذه الظروف نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيق: قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٦

¹ ابن كثير: السيرة النبوية، (ص ٤٩٤/١) المرجع السابق

² سليمان السويكت: محنة المسلمين في العهد المكي، (ص ٩٩) مكتبة التوبة، الرياض، ط ١، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م

³ الصلابي محمد علي: السيرة النبوية - (ص ١٤٩) المرجع السابق

⁴ المباركفوري صفى الرحمن: روضة الأنوار (ص ٦٦ - ٧٠) المرجع السابق

⁵ سورة التوبة ، الآية ١٢٨

⁶ سورة الزمر، الآية ١٠

وكان الرسول قد علم أن أصحابه النجاشي ملك الحبشة ملك عادل، لا يظلم عنده أحد، فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فرارا بدينهم من الفتن. فهاجر أول فوج في رجب سنة خمس من النبوة^١. وكان عددهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة^٢ وقيل عشرة رجال وخمس نسوة^٣

قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة قال: فلما كثر المسلمون وظهر الإيمان فتحدث به المشركون من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم يعذبونهم ويسجنونهم وأرادوا فتنهم عن دينهم قال فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال للذين آمنوا به تفرقوا في الأرض قالوا فأين نذهب يا رسول الله قال ها هنا وأشار بيده إلى أرض الحبشة وكانت أحب الأرض إلى رسول الله ﷺ لم يهاجر أحد قبلها فهاجر ناس ذوو عدد منهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه حتى قدموا أرض الحبشة^٤

فكان أول من خرج من المسلمين فارا بدينه إلى أرض الحبشة عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ^٥.

والباقيون هم: أبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهيلة بنت سهيل الزبير بن العوام ومصعب ابن عمير وعبد الرحمن بن عوف، أبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة العنزي وامرأته ليلى بنت أبي حثمة وأبو سبرة بن أبي رهم ويقال بل أبو حاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين^٦.

بلغ المهاجرون أن قريشا أسلمت، وكان هذا الخبر كذبا، فرجعوا إلى مكة فلما بلغهم أن الأمر أشد مما كان، رجع منهم من رجع، ودخل جماعة فلقوا من قريش أذى شديدا، وكان ممن دخل عبد الله بن مسعود^٧ ثم أذن لهم في الهجرة ثانية إلى الحبشة فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلا إن كان فيهم عمار فإنه يشك فيه ومن النساء ثماني عشرة امرأة فأقاموا عند النجاشي على أحسن حال فبلغ ذلك قريشا فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة في جماعة ليكيدهم عند النجاشي فرد الله كيدهم في نحورهم

والمأمل في هذه الأشخاص يرى أنها اشتملت على ذوي النسب والمكانة في قريش ويمثلون عددا من القبائل ولا يوجد فيهم أحد من الموالى الذين نالهم أذى قريش أشد

^١ ابن كثير: أبو الفداء أسماعيل، البداية والنهاية (ص ٦٦/ ٣) المرجع السابق

^٢ ابن كثير: أبو الفداء أسماعيل، البداية والنهاية (ص ٦٦/ ٣) المرجع نفسه

^٣ الصلابي محمد علي: السيرة النبوية، (ص ١٩١) المرجع السابق

^٤ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعائي: مصنف عبد الرزاق، (ص ٣٨٤ / ٥) المكتب الإسلامي - بيروت ط ٢، ١٤٠٣ هـ.

^٥ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الدرر في اختصار المغازي والسير، (ص ٤٨/١)

<http://www.alwarraq.com>

^٦ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد الدرر في اختصار المغازي والسير، (ص ٤٨/١) المرجع نفسه

^٧ ابن القيم: محمد بن أبي بكر الجوزية زاد المعاد، ٩٥/١ المرجع السابق

من غيرهم. وصحيح أن الأذى شمل جميع الصحابة آنذاك حتى الرسول نفسه، ولكنه كان على الموالي أشد في بيئة تقيم وزنًا للقبيلة وترى للنسب أعلى قيمة، فلو كان الفرار من الأذى وحده هو السبب في الهجرة لكان الموالي المعذبون أحق وأولى بالهجرة من غيرهم. وبهذا يصل الباحث إلى أنه ثم أسباب أخرى تدفع للهجرة والفرار من غير الأذى.

قال الأستاذ سيد قطب: "ومن ثم كان يبحث الرسول ﷺ عن قاعدة أخرى غير مكة، قاعدة تحمي هذه العقيدة وتكفل لها الحرية، ويتاح فيها أن تتخلص من هذا التجميد الذي انتهت إليه في مكة، حيث تظفر بحرية الدعوة وحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة، وهذا في تقديره كان هو السبب الأول والأهم للهجرة".^١

ووافق صاحب كتاب المنهاج الحركي للسيرة، حيث قال "وهذه اللفتة العظيمة من (سيد) رحمه الله لها في السيرة ما يعضدها ويساندها، وأهم ما يؤكدتها في رأيي هو الوضع العام الذي انتهى إليه أمر مهاجرة الحبشة، فلم نعلم أن رسول الله ﷺ قد بعث في طلب مهاجرة الحبشة حتى مضت هجرة يثرب، وبدر وأحد والخندق والحديبية، لقد بقيت يثرب معرضة لاجتياح كاسح من قریش خمس سنوات، وكان آخرها هذا الهجوم والاجتياح في الخندق، وحين اطمأن رسول الله ﷺ إلى أن المدينة قد أصبحت قاعدة أمينة للمسلمين، وانتهى خطر اجتياحها من المشركين، عندئذ بعث في طلب المهاجرين من الحبشة، ولم يعد ثمة ضرورة لهذه القاعدة الاحتياطية، التي كان من الممكن أن يلجأ إليها رسول الله ﷺ لو سقطت يثرب في يد العدو"^٢

المطلب الثالث: الدعوة خارج مكة

خرج النبي ﷺ إلى الطائف هو وزيد بن حارثة يدعو إلى الله تعالى وأقام بها أياماً فلم يجيبوه وآذوه وأخرجوه وقاموا له في سماطين (صفيين) فرجموه بالحجارة حتى أدموا كعبيه فانصرف عنهم رسول الله ﷺ راجعاً إلى مكة.^٣

قال ابن القيم: إن رسول الله ﷺ بعد أن لم يجد ناصراً في الطائف، انصرف إلى مكة ومعه مولاه زيد بن حارثة محزوناً، وهو يدعو بدعاء الطائف المشهور، فأرسل ربه تبارك وتعالى ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة، وهما جبلاها

^١ سيد قطب: في ظلال القرآن، (ص ٢٩/١) دار الشروق، ط ٩، ١٤٠٠م

^٢ منير الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية، (١/٦٧، ٦٨) مكتبة المنار، الأردن ط ٣، ١٤١١هـ-١٩٩٠م

^٣ علي بن نايف الشحود: موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص ٤٧ / ٣)

اللذان كانت بينهما، فقال: «لا، بل أستاذي بهم، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئاً»... ثم دخل مكة في جوار المطعم بن عدي^١

يقول الدكتور الصلابي: "لقد حققت رحلة النبي ﷺ انتصارات دعوية رفيعة المستوى، فقد تأثر بالدعوة الغلام النصراني عداس، الذي أسلم كما وصلت الدعوة إلى الجن السبعة، الذين أسلموا ثم انطلقوا إلى قومهم منذرين^٢. وأن النبي ﷺ بالرغم مما لقيه من قومه من الصد والعذاب لم ييأس ولم يقط من رحمة الله وكان حريصاً على هداية الخلق مهما يلقي من الأذى. وفي جانب آخر، رغم ما لاقاه الصحابة من المشركين من تعذيب وتنكيل ما تركوا رسول الله ﷺ طرفة عين، إنهم وقفوا معه في جميع المواقف وثبتوا على طاعته حتى بلغ رسالة ربه سبحانه وتعالى.

المطلب الرابع: عرض الاسلام على القبائل والأفراد

في ذي القعدة في السنة العاشرة من النبوة بعد عودته ﷺ إلى مكة من الطائف، لما لم يجبه أهلها، وقع خيار آخر في نفس رسول الله ﷺ ليستأنف عرض الاسلام على القبائل والأفراد من جديد وخاصة في الموسم حيث تأتي شتات القبائل ومختلف الأفراد إلى مكة لقضاء فريضة الحج. وهذا يدل على أن الداعية لا يقط ولا ييأس مهما عسر عليه أمر الدعوة إنما كان عليه ليبدل الاستراتيجية ويعيد النظر في خطواته ليستأنفها من جديد بشكل عبقرى آخر، لأنه لا يهدي من أحب هدايته ولكن الله يقذف الاسلام في قلب من يشاء من عباده.

عرض ﷺ نفسه على القبائل أيام الموسم، ودعاهم إلى الإسلام، وهم بنو عامر، وغسان، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو عبس، وبنو نصر، وثعلبة بن عكاب، وكندة، وكتب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذرة وقيس بن الخطيم، وأبو اليسر أنس بن أبي رافع

قال صفى الرحمن: " لم يكن عرض الإسلام عليها في سنة واحدة ولا في موسم واحد، بل إنما كان ما بين السنة الرابعة من النبوة إلى آخر موسم قبل الهجرة. ولا يمكن تسمية سنة معينة لعرض الإسلام على قبيلة معينة، ولكن الأكثر كان في موسم السنة العاشرة^٣.

^١ ابن القيم: زاد المعاد (ص ٩٦/١) المرجع السابق

^٢ الصلابي محمد علي: السيرة النبوية - (ص ١ / ٣٢٨) المرجع السابق

^٣ المباركفوري صفى الرحمن: الرحيق المختوم - (ص ١٠٣) المرجع السابق

ومن الأشخاص الذين عرض الرسول ﷺ عليهم الإسلام غير أهل مكة سويد بن صامت^١ وإياس بن معاذ^٢ وأبو ذر الغفاري والطفيل بن عمرو الدوسي وضمام الأزدى وكان عرضه عليهم في موسم السنة الحادية عشرة من النبوة.

المطلب الخامس: بذور الدعوة في المدينة قبل الهجرة

وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة وجدت الدعوة الإسلامية بذورا صالحة، وسرعان ما تحولت إلى شجرات باسقات، اتقى المسلمون في ظلالها الوارفة الظلم والعدوان حتى تغير مجرى الأحداث وتحول خط التاريخ.

قال ابن كثير: فلما أراد الله تعالى اظهار دينه وانجاز وعده ونصر نبيه، وإعلاء كلمته، والانتقام من أعدائه، ساقه إلى الأنصار، لما أراد بهم من الكرامة فأنتهى إلى نفر منهم ستة وقيل ثمانية، وهم يحلقون رؤوسهم عن عقبة منى في الموسم، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله ورسوله، ورجعوا إلى المدينة، فدعوا قومهم إلى الاسلام حتى فشا فيهم، ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ.

وهؤلاء نفر الستة شباب كلهم من الخزرج وهم:

- ١- أسعد بن زرارة من بني النجار
- ٢- عوف بن الحارث من بني النجار
- ٣- رافع بن مالك بن العجلان من بني زريق
- ٤- قطبة بن عامر بن حديدة من بني سلمة.
- ٥- عقبة بن عامر من بني حرام بن كعب
- ٦- جابر بن عبد الله بن رئاب من بني عبيد بن غنم^٣

وفي العام المقبل بعد المقابلة الأولى وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فلقوه ﷺ بالعقبة، وبايعوه بيعة العقبة الأولى، منهم خمسة من الستة الأولين ومن باقي السبعة اثنان من الأوس. والسبعة هم:

- ١- معاذ بن الحارث بن عفرأ
- ٢- ذكوان بن عبد القيس

^١ ابن هشام: السيرة النبوية، (ص ٤٠/٢) مرجع سابق

^٢ المرجع نفسه (ص ٤١/٢)

^٣ ابن هشام: السيرة النبوية (ص ٤٣١/١ - ٤٣٣) المرجع السابق

٣- عبادة بن الصامت

٤- يزيد بن ثعلبة

٥- العباس بن عبادة بن نضلة

٦- أبو الهيثم بن التيهان من الأوس

٧- عويم بن ساعدة.^١ من الأوس

وتلت بعد هذه البيعة، بيعة العقبة الثانية في موسم الحج السنة الثالثة عشرة من النبوة حيث قدم بضع وسبعون نفسا من المسلمين من أهل يثرب، جاءوا ضمن حجاج قومهم من المشركين، فلما وصلوا، جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات سرية أدت إلى أن اتفق الفريقان أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق، وها هو كعب يصف كيف تم هذا الاجتماع فيقول: خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق. قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ فيها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام و جابر سيد من ساداتنا، و شريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم ممن معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا، و شريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا، ثم دعونا إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة. قال فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيبا. قال فقمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي، إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع من بني سلمة. فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له.^٢

وتمت البيعة في تلك الليلة وعاد أهل يثرب إلى بلادهم حاملين ميثاق رسول الله ﷺ على الطاعة والنصرة والحرب. وهذه البيعة مهدت الطريق للصحابة للهجرة إلى المدينة.

^١ ابن هشام: السيرة النبوية (ص ٤٣١/١ - ٤٣٣) المرجع نفسه

^٢ ابن هشام: السيرة النبوية - ١ / ٤٤٠ (المرجع السابق)

المطلب السادس: هجرة النبي ﷺ إلى المدينة

منذ أن أعلن الرسول الدعوة ظل يتعرض لشتى أنواع المضايقات، هو ومن أسلم، فكان الرسول دائماً يفكر في طلب الحماية خارج مكة عندما استعصت عليه مكة فكانت هجرة الحبشة وهجرة الطائف وأخيراً هجرة المدينة^١

فلم تكن فكرة الهجرة إلى يثرب مفاجئة بالنسبة للمسلمين في مكة فثمة استعداد ذهنية ومادية سبقت وهيات له، فقد كان لهم إخوة غادروهم منذ مدة طويلة من الزمن إلى ديار بعيدة هي الحبشة، ومن جانب الأخذ بالأسباب، فإنه لم يغيب عن تفكير الرسول ﷺ ضرورة إعداد دار الهجرة لتقبل المهاجرين القادمين من مكة، ولم يكن هناك ما هو أفضل وأسمى من الإعداد النفسي والروحي والعقدي، وهكذا تجلت واحدة من مهام مصعب بن عمير رضي الله عنه أن يصنع من يثرب داراً للإسلام، بأن يكون الدين هو السيد والحكم فيها، معياراً للحياة يتغلغل إلى كل جزئيات التفكير والسلوك عند المسلمين هناك. فإذا ما وقع مثل هذا التحول في حياة القوم، فإن الأمر عندها أيسر ما يكون. أما الخبز والماء والمأوى فإنها ستكون أهون من ذلك، لقد أصبحت الأحضان دافئة لأن يستقبل الأخ أخاه وكأنهما على شوق وانتظار منذ زمن، وهكذا تيسرت الأمور للنقلة النوعية الجديدة في حياة المسلمين في مكة ويثرب^٢

ولما تبين لمشركي قريش أن الاتفاق قد وقع حقيقة بين الرسول ﷺ وأهل يثرب وأدركوا أن المسلمين في مكة مغادرون لا محالة زاد ضغطهم لهم، فنالوا ما لم ينالوه من قبل من أذى حتى ضاق بهم الأمر، فاستأذنوا الرسول بالخروج، فقال: "قد أخبرت بدار هجرتكم، وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها"^٣ فخرج جميع الصحابة إلى المدينة خفية حتى لحقهم رسول الله بالمدينة. ولم يبق من المسلمين في مكة إلا بعض المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة وعلي بن أبي طالب الذي فدى رسول الله ﷺ بنفسه فنام على فراش رسول ﷺ وأمره رسول الله ﷺ كذلك أن يرد الودائع إلى أهلها. وكل ذلك بتقدير الله تعالى وتدبيره وعنايته وحفظه لنبيه ﷺ وأصحابه.

عن عائشة أم المؤمنين، أنها قالت: كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها.

^١ أحمد: مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية- دراسة توثيقية تحليلية (ص ٢٣٩) مكتبة الرشد، رياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م

^٢ موفق: سالم نوري، فقه السيرة النبوية قراءة سياسية دعوية، (ص ١٥٣) دار ابن كثير، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٦م

^٣ الصلابي محمد علي: السيرة النبوية (ص ٣٨٣) المرجع السابق

قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث.
قالت: فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند رسول
الله ﷺ أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: "أخرج عني من
عندك" قال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي، وما ذاك فذاك أبي وأمي؟ قال: إن الله قد
أذن لي في الخروج والهجرة. قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال:
الصحبة.

قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر
يومئذ يبكي! ثم قال: يا نبي الله إن هاتين راحلتين كنت أعددتكما لهذا. فاستأجرا
عبدالله بن أريقط رجلاً من بني الدئل بن بكر، وكانت أمه من بني سهم بن عمرو،
وكان مشركاً، يدلهما على الطريق، ودفعاً إليهما راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما
لميعادهما^١.

خرج رسول الله ﷺ في مسيرة محفوفة بالمخاطر وقد أهدرت قريش دمه وجعلت لمن
يأتي به مائة الإبل. دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر غار الثور فمكثا فيه ثلاثة ليال حتى
انقطع أمل المطاردين عن اللحاق بهما فخرجا في طريقهما إلى المدينة بعناية الله تعالى.

ويمكن أن نوجز أهم مظاهر التخطيط الإلهي والتنفيذ النبوي في الهجرة إلى المدينة
مع ذكر الدروس في النقاط التالية، وهي مبسطة في كتب السيرة، ولذا يكتفي الباحث
إليها بإشارات فقط:

١. وجوب الهجرة على المسلمين أفراداً وجماعات إذا وجدوا أنهم يفتنون في دينهم
وأن فتنتهم هذه قد تؤدي بهم إلى الهلكة
٢. إظهار حقيقة التداخل العميق بين التوكل ولأخذ بالأسباب، فالنبي ﷺ أخذ
بالأسباب كافة في هجرته بما يجعله بعيداً عن قبضة المشركين، فمع عمق توكله
حرص على الأخذ بالأسباب كافة فالتوكل محلها القلب والأسباب محلها
الجوارح ولا تقاطع في الأخذ بالإثنين معاً
٣. الأمل والثقة بنصر الله سبحانه وتعالى، فلم يفقد النبي الكريم روح الأمل خلال
هذه الرحلة الصعبة ولو للحظة واحدة

٤. حرص النبي الكريم على الصحبة الصالحة، سواء كان في الهجرة أم في
مختلف مراحل حياته، فقد بدأت دعوته بصحبة أبي بكر، وخطى كل خطوة
إلى جانب صاحبه، لعله بذلك يعلمنا على ضرورة اختيار الصحبة الصالحة؛
لما لهذه النصيحة من أثر كبير في حياة المسلم من تقويته وإعانتته على الحق.
٥. توضيح أن القائد العظيم يعيش معاناة شعبه وأصحابه تماماً، فعندما يهاجرون
يهاجر هو الآخر، وعندما يُطاردون من الكفار، يتعرّض هو أيضاً للمطاردة،
وعندما يتعبون يتعب تماماً مثلهم، وبالتالي فهو لا يعيش في رغد الحياة وفي

^١ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر السيرة النبوية، ص ٢٣٣-٢٣٤ مرجع سابق

العيش الكريم بمنعزلٍ عنهم كما نرى الكثير من النماذج التي تفعل ذلك في واقعنا المعيش.

المبحث الثالث: الدعوة في المدينة إلى ما قبل الحديبية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التمهيد للدعوة في المدينة قبل الهجرة

المطلب الثاني: وضع الأسس والقواعد لنجاح الدعوة والدولة

المطلب الثالث: غزوات الرسول والسرايا وأثرها على الدعوة

المطلب الأول: التمهيد للدعوة في المدينة قبل الهجرة

فمنذ أيام العقبة الأولى بعدما تمت البيعة، بعث رسول الله ﷺ مع المبايعين مصعب ابن عمير، يعلمهم الدين ويقرأهم القرآن، فكان يسمى بالمدينة "المقرئ" وكان يؤمهم في الصلاة. وقد اختاره رسول الله ﷺ عن علم بشخصيته من جهة، وعلم بالوضع القائم في المدينة من جهة أخرى، حيث كان "رضي الله عنه" بجانب حفظه لما نزل من القرآن يملك من اللباقة والهدوء، وحسن الخلق والحكمة، قدرا كبيرا، فضلا من قوة إيمانه، وشدة حماسه للدين، ولذلك تمكن خلال أشهر أن ينشر الإسلام في سائر بيوتات المدينة، وأن يكسب للإسلام أنصارا من كبار زعمائها، كسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير، وقد أسلم بإسلامهما خلق كثير من قومهما^١

حقا لقد نجح سفير رسول الله ﷺ في المدينة نجاحا فعلا في شرح تعاليم الدين الجديد وتعليم القرآن الكريم وتفسيره، وتقوية الروابط الأخوية بين أفراد القبائل المؤمنة. ولا يخفى هذا النجاح باعتبار العدد الذين بايعوا الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية وما جرت بينهم وبين الرسول من اتصالات سرية، أدت إلى اتّفاف الفريقين على أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة، حيث الجمرة الأولى من منى، وأن يتم هذا الاجتماع في سرية تامة في ظلام الليل، وإضافة إلى جهد السفير، فإن الرسول ﷺ بذل كل ما يملك من جهد لتعبئة الطاقات الإسلامية في المدينة ولم يكن هناك أي تقصير من ناحية الجهد البشري الممكن في بناء القاعدة الصلبة التي تقوم على أكتافها الدولة الجديدة، واستمر هذا الجهد لسنتين كاملتين من الدعوة والتنظيم^٢ وأثرت هذه التعبئة في نفوس الأنصار، وشعروا بأنه قد آن الأوان لقيام الدولة الجديدة، كما يقول جابر ابن عبد الله رضي الله عنه وهو يمثل هذه الصورة الرفيعة الرائعة "حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويتردد في جبال مكة ويخاف^٣. فهذا القول منه وأمثاله لم يكن مجرد النطق بمفردات الحروف، فإنهم قاموا حق القيام لتحقيق مراد الله ورسوله في المدينة.

^١ سلمان العودة: الغرياء الأولون، (ص ١٨٥) دار ابن الجوزي، الدمام السعودية، ط/٣، ١٤١٢ هـ

^٢ منير الغضبان: التحالف السياسي في الإسلام: دار السلام، ط/٣، ١٩٨٨ م، ص ٧١

^٣ منير الغضبان: التحالف السياسي في الإسلام، (ص ٧١) المرجع نفسه

المطلب الثاني: وضع الأسس والقواعد لنجاح الدعوة والدولة

أقام رسول الله ﷺ بعد وصوله المدينة يقيم الأسس والدعائم التي تعينه على أداء رسالة ربه في جو الأمن والأمان، فبدأ أول ما بدأ ببناء مركز الدعوة ومكان ربط الخلق بخالقها – وهو المسجد. ونشر الأخوة والوداد بين المهاجرين والأنصار ثم نظم العلاقات بين بقية سكان المدينة والمسلمين، وكتب في ذلك كتاباً أوردته مصادر التاريخ. فلنا وقفة مع هذه الأمور الثلاثة وأثرها في الدعوة إلى الله.

١- المسجد:

لما وصل النبي ﷺ المدينة، وكان يوماً تاريخياً أغر، وكانت البيوت والسكك ترتج بأصوات التحميد والتقديس، والناس مسرورون، وكل منهم يتمنى أن ينزل الرسول ﷺ عليه، وكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته وطلبوا منه النزول عليهم، فكان يقول لهم: خلوا سبيلها فإنها مأمورة^١ فلم تنزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم فبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت قليلاً، ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها، والموضع يومئذ مريد لغلامين من بني النجار – سهل وسهيل ابني عمرو.

بادر أبو أيوب – خالد بن زيد – إلى رحله، فأدخله بيته فنزل رسول الله ﷺ عليه حتى بنى مسجده ومسكنه، فعمل في البناء رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه فقال قائل المسلمين:

لئن قعدنا والنبي يعمل ** لذاك منا العمل المضلل
وهكذا تم بناء المسجد النبوي .

المسجد واحة من واحات الإيمان ودعامة لكيان الأمة الإسلامية ونواة مجتمعاتها، وقد أخذ المسجد دوره المهم منذ أن أسس الرسول أول مسجد في المدينة إلى عهد الخلفاء الراشدين، واستمر إلى أن بدأت الدولة الإسلامية تتعرض للانحيار. فكان المسجد بادئ ذي بدء مكاناً للعلم حيث كانت حلقات العلم، ويتبادل المسلمون فيه ميراث النبوة من مصادره الأصلية، كما كان منطلق الجيش لنشر الإسلام والفتوحات الإسلامية، إذ جعله الرسول ﷺ المكان الذي تبنى فيه دولته الإسلامية العظيمة.

فكان المسجد في عهد النبوة والخلفاء بمثابة المدرسة والمحكمة ومكان الاجتماع والتشاور في أمور المسلمين، وبالتالي كان أثره عظيماً في تسيير

^١ ابن هشام: السيرة النبوية (ص ٤٩٤/١) المرجع السابق

حياة المسلمين وتوجيهها، لقد قام المسجد في عهد النبوة بدوره الدعوي الكامل في كل مجالات الحياة: من تعليم الصحابة أمور دينهم إلى تسيير الجيوش وعقد الاتفاقات واستقبال الضيوف والوفود وإدارة القضاء وشؤون الدولة حتى أنه لم يكن هناك أمر يتم خارج المسجد إلا ما ندر. واستمر المسجد في أداء هذه المهام في عصر الخلفاء الراشدين.

كان مسجد رسول الله ﷺ مجمع الصحابة في تعلم الوحي والقرآن، فكانوا يتلقوا كتاب الله أكثر ما يكون ذلك في المسجد وفي الصلوات حتى كان ابن مسعود يقول بأنه أخذ سبعين سورة من في رسول الله ﷺ. وكان إذا ألمّ بالأمة أمر نودي بالصلاة جامعة فيجتمعون في المسجد ويخاطبهم ويأمرهم وينهاهم ويوجههم ويرشدهم. وفيه يتم حل الخصومات والقضاء على المشكلات. فكان يجوز في المسجد كل فضيلة ونهى فيه عن كل ما يخل بالمروءة حتى لا يصير المسجد مظنة التهمة، فلذا نهى عن إنشاد الضالة والتقاط اللقطة في المساجد ونهى فيها عن البيع والشراء ورفع الأصوات المنكرة والغوغاء لأنها أحب البلاد إلى الله سبحانه وتعالى: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أحب البلاد إلى الله مساجدها^١.

٢- الأساس الثاني الذي دعم به الرسول ﷺ دعوته وبناء الدولة هي: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. فكانت من أهم برامج إصلاح وتنظيم الدولة والحكم. وهي لا شك خطوة لا تقل أهمية عن اتخاذ المركز للدعوة. هذه المؤاخاة أخذت صورة جديدة غير التي كانت في العهد المكي. فقد علمنا أن مبدأ التآخي قائم منذ بداية دعوة الرسول ﷺ، والمسلم إنسان اجتماعي لا يمكن أن يعيش كالواحة في الصحراء فكان منذ الوهلة الأولى أمر الإسلام بتقوية العلاقات والتآلف بين أبناء المجتمع ونهى عن كل ما يؤدي إلى التباغض بين المسلمين. فقال عليه الصلاة والسلام: " لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام"^٢

وقال رسول الله ﷺ "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"^٣

^١ مسلم أبو الحسين بن الحاج بن مسلم القشيري: صحيح مسلم (رقم ٦٧١) المرجع السابق

^٢ البخاري محمد بن اسماعيل بن مغيرة: صحيح البخاري (ص ١ / ٣٠٥٩) المرجع السابق

^٣ البخاري محمد بن اسماعيل بن مغيرة: صحيح البخاري (ص ١ / ١١٢٦) المرجع السابق

فهذه المؤاخاة التي عقدها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ترتبت عليها حقوق وواجبات أخص من الحقوق والواجبات العامة بين المؤمنين كافة.

قال الدكتور الصلابي: "سأهم نظام المؤاخاة في ربط الأمة ببعضها ببعض، فقد أقام الرسول ﷺ هذه الصلة على أساس الإخاء الكامل بينهم، هذا الإخاء الذي تذوب فيه عصبية الجاهلية، فلا حماية إلا للإسلام وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمروءته وتقواه".^١

وقد جعل الرسول ﷺ هذه الأخوة عقداً نافذاً لا لفظاً فارغاً، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر. وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة وتملاً المجتمع الجديد بأروع الأمثال، وهذا واضح جلي في قصة عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنهما.

فعن أنس رضي الله عنه قال قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فأخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك دلني على السوق فربح شيئاً من أقط وسمن فراه النبي ﷺ بعد أيام وعليه أثر من صفرة فقال النبي ﷺ مهيم يا عبد الرحمن قال يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار قال فما سقت فيها فقال وزن نواة من ذهب فقال النبي ﷺ أولم ولو بشاة^٢

استمرت الأخوة التي شد الله بها أزر دينه ورسوله حتى آتت ثمارها في كل أطوار الدعوة طوال حياته ﷺ وامتد أثرها حتى وفاته حتى وقت مبايعة الصديق رضي الله عنه ولم يحدث الأنصار صدعا في شمل الأمة، مستجيبين في ذلك لشهوات السلطة وغريزة السيطرة. ولذلك فإن سياسة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار نوع من السبق السياسي الذي اتبعه رسول الله ﷺ في تأصيل المودة وتمكينها في مشاعر المهاجرين والأنصار الذين سهروا جميعاً على رعاية هذه المودة وذلك الإخاء، بل كانوا يتسابقون في تنفيذ بنوده.^٣

سجل التاريخ أن هذه المآخاة أدت إلى التوارث بين المهاجرين والأنصار، لأنها تولدت منها المحبة والبذل السخاء، ولم يرجع أمر التوارث إلى وضعه الطبيعي المنسجم مع

^١ الصلابي محمد علي: السيرة النبوية - ص ١/ ٤٧٥) المرجع السابق

^٢ الغزالي، أبو حامد محمد: فقه السيرة (ص ١٩٣-١٩٤) دار القلم، دمشق - سوريا، ط ٤، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م. أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، ٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً، وكان على مذهب الأشاعرة في العقيدة، وقد عُرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية في علم الكلام، كان له أثر كبير وبصمة واضحة في عدة علوم مثل الفلسفة، والفقه الشافعي، وعلم الكلام والتصوف، والمنطق، وترك عدداً من الكتب في تلك المجالات. انظر الأعلام للزركلي

^٣ الصلابي محمد علي: السيرة النبوية، نقلاً عن د/عبد المنعم السيد (ص ٣١١)

الفطرة البشرية على أساس صلة الرحم إلا بعدما ألف المهاجرون جو المدينة وعرفوا مسالك الرزق فيها، ونالوا من غنائم بدر الكبرى بما كفاهم.^١ وتم الرجوع بعد نزول قوله تعالى: وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَهِدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾^٢ فهذه الآية نسخت التوارث بموجب نظام المؤاخاة^٣ وقد أكد هذا الكلام ترجمان القرآن عبد الله بن عباس في تفسير قوله تعالى: وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾^٤ " وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ " قال: ورثة، " وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ " قال: كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه؛ للأخوة التي أخی النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت "ولكل جعلنا موالى" نسخت، ثم قال: "والذين عقدت أيمانكم فأتوهم نصيبهم" من النصرة والرفادة والنصيحة.^٥

ومما لا شك فيه أن هذا المبدأ دعم دعوة النبي ﷺ وقادها إلى النصر، إذ فوت الروابط والصلات وانبتت عليه الثقة والمناصرة والمؤازرة، والنصوص القرآنية والأحاديث ساعدت في تحقيق هذا المبدأ.

ومن أبرز الأمثلة في ذلك قوله تعالى: وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣٣﴾^٦ قال ابن كثير: قد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار وغيره: أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلاً من اليهود مرّ بملاً من الأوس والخزرج، فسأه ما هم عليه من الاتفاق والألفة، فبعث رجلاً معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعث وتلك الحروب، ففعل، فلم يزل ذلك دأبه، حتى حميت نفوس

^١ الصلابي محمد علي: السيرة النبوية، المرجع السابق (ص ٣١٦) المرجع السابق

^٢ سورة الأنفال الآية ٧٤، ٧٥

^٣ الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد التاريخ الإسلام ٢٥/٤ المرجع السابق

^٤ سورة النساء الآية ٣٣

^٥ البخاري محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري كتاب التفسير، رقم ٤٥٨، المرجع السابق

^٦ سورة آل عمران الآية ١٠٣

القوم، وغضب بعضهم على بعض، وتناوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول: "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟" وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضي الله عنهم.^١

وامتن الله على رسوله وهو يقول تبارك وتعالى: وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾^٢ ومدح الله الأنصار على سعة قلوبهم وإيثارهم للمهاجرين على أنفسهم فقال: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾^٣

٣- نظم العلاقة بين بقية سكان المدينة.

بعدما وثق النبي ﷺ قواعد المجتمع الإسلامي الجديد، وصار المسلمون أمة واحدة مستقلة عن الآخرين، وانتظم لهم نظام اجتماعي من التعريف بالواجبات وذكر المنهيات، والحقوق الاجتماعية والنظم السياسية والروابط الإخوانية، وفوق ذلك كلها وحدة العقيدة فكان من أهم المهام بعد ذلك سنّ قوانين المعاملة بين بقية سكان المدينة الجدد أو الدولة الإسلامية الجديدة. وكان قصده في ذلك توفير الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء مع تنظيم المنطقة في وفاق واحد.^٤ فسن النبي ﷺ في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تعهد في ذلك العالم المليئ بالتعصب والأغراض الفردية والعرقية.

وكان في المدينة طائفتان أخريان سوى المسلمين تختلفان عنهم في العقيدة والدين، والمصالح والحاجات والعواطف والميول. وهم المشركون واليهود. فكان من الحكمة أن يعقد النبي بين المسلمين ميثاقا، وفيما بينهم وبين المشركين وفيما بينهم وبين اليهود ميثاق آخر. فكتب بذلك كتابا قرر فيه:

أ- يتلخص ميثاق التحالف الإسلامي فيما يلي:

- أن المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس.

^١ ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل: تفسير القرآن العظيم (ص ١ / ٤٧٨) دار الفكر، بيروت- لبنان (د. ت)

^٢ سورة الأنفال الآية ٦٣

^٣ سورة الحشر، الآية ٩

^٤ المباركفوري صفي الرحمن: الرحيق المختوم، (ص ٢٠٣) المرجع السابق

- وأن أداء ديّتهم وفداء أسيرهم بين المؤمنين يكون حسب العرف السابق.
- وأنهم ينصرون المؤمنين في الفداء والدية.
- وأنهم يقومون ضد المفسد والباغي والظالم كيد واحدة ولو كان ولد أحدهم.
- وأنه لا يقتل مؤمن مؤمنا بكافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن .
- وأن ذمة الله واحدة فيجبر عليهم أدناهم.
- وأن من اتبع المسلمين من اليهود فله النصر والأسوة.
- وأن سلم المسلمين واحدة.
- وأن من قتل مؤمنا قصدا يقتص منه، إلا أن يرضى ولي المقتول، ويجب على المؤمنين أن يقوموا ضد القاتل .
- وأنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثا أو يؤويه.
- وأنهم إذا اختلفوا في شيء فإن مرده إلى الله ورسوله^١
- ب-وأما المشركون فكانوا على وشك الانهيار، حيث أسلمت أغليبتهم مع ساداتهم وكبرائهم، فلم يكن في استطاعتهم الوقوف في وجه المسلمين، فأخذ النبي ﷺ أنه لا يجبر مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن" فانتهى ما كان يخشى منهم.
- ج- وأما اليهود فقد تم الاتفاق بينهم وبين النبي ﷺ على هذه الأمور:
- أنهم أمة مع المؤمنين، ولهم دينهم وللمسلمين دينهم. وعليهم نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.
- وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وعلى من دهم يثرب، كل يدافع عن جهته.
- وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم
- وأن المرء لا يؤخذ بإثم حليفه
- وأن النصر للمظلوم
- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين
- وأن يثرب حرام لأهل هذه الصحيفة.
- وأن ما يكون بينهم من حدث أو اشتجار فإن مرده إلى الله ورسوله.
- وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها.
- وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم.^٢

^١ ابن هشام: السيرة النبوية (ص ٥٠٢-٥٠٣) مرجع سابق

^٢ ابن هشام: السيرة النبوية: (ص ٥٠٣-٥٠٤)

وبهذا الميثاق انتظم المسلمون والمشركون واليهود وصارت المدينة وضواحيها دولة وفاقية، عاصمتها المدينة ورأسها رسول الله ﷺ، والكلمة النافذة والسلطان الغالب فيها للمسلمين، وبذلك أصبحت المدينة عاصمة حقيقية للإسلام.

المطلب الثالث: غزوات الرسول والسرايا وأثرها على الدعوة

بعدما نجح الرسول ﷺ في تثبيت الدولة الجديدة في يثرب – التي أضحت تسمى مدينة رسول الله – أو المدينة – اختصارا انفتحت أمامه الفرص لنشر الإسلام على ضواحي المدينة وما وراءها. لكن قد لا يتم ذلك حتى يعقد اتفاقات ومواثيق مع من خارج المدينة من القبائل وقاية من الإغارة، والأمر الثاني هو أن قريشا لا زالت تشكل عقبة أمام هذه الفرص السامية ومن الدلائل على ذلك كتابهم إلى عبد الله بن أبي بن سلول وكان إذ ذاك مشركا بصفته رئيس الأنصار قبل الهجرة – فمعلوم أنهم كانوا مجمعين عليه وكادوا يجعلونه ملكا على أنفسهم لولا أن هاجر الرسول ﷺ وآمنوا به – كتبوا إليه وإلى أصحابه المشركين يقولون لهم: إنكم آويتم صاحبنا، وإننا نقسم بالله لنقاتلنه أو لنخرجنه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم^١ فلم يتوان ابن سلول بعد بلوغه هذا الكتاب أن يعزم على إنفاذ هذا المطلب من قريش لأنه كان يحقد على النبي ﷺ لما يراه أنه استأبله ملكه. يقول عبد الله بن كعب: "فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن معه من عبدة الأوثان يعني الكتابة، اجتمعوا لقتال رسول الله ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم، فقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ وما كانت تكيدكم بأكثر ما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم، فلما سمعوا ذلك من النبي تفرقوا^٢ امتنع عبد الله بن أبي عن إرادته وتراجع لكنه بعد ذلك الحين انتهزها لإيقاع الشر بين المسلمين. وكان يضم معه اليهود أحيانا، ليعينوه على ذلك.

ومن حين هذه الحادثة اطمأن الرسول ﷺ إلى ما يسميه علماء السير بسنة التدافع فقام بحركة السرايا. فكان ذلك جليا بعد رسم دستوره مع سكان المدينة، فقام بحركة السرايا والبعوث والغزوات، فهذه السنة متعلقة تعليقا وطيدا بالتمكين لهذا الدين. وقد أشار الله تعالى إليها في كتابه العزيز، وجاء التنصيص عليها في قوله تعالى: وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ

^١ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، دار الكتاب العربي - بيروت، كتاب الخراج والإمارة، باب في خبر النضير

(رقم ٣٠٠٤)

^٢ المرجع نفسه، (رقم ٣٠٠٤)

النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ وفي قوله تعالى: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥٢﴾^١

يبلغ عدد هذه البعوث والسرايا قبل غزوة بدر الكبرى ستا وهي: غزوة ودان أو الأبياء في صفر في السنة الثانية^٢ وسرية عبيدة بن الحارث وكان بعد عودته ﷺ من غزوة ودان^٣ ثم سرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر ليعرضوا لقافلة تجارية لقريش قادمة من الشام^٤ وبعده غزوة بواط وكان ذلك في ربيع الأول من السنة الثانية^٥ وفي جمادى الأولى كانت غزوة العشيرة وبعدها غزوة بدر الأولى.

ويجب الانتباه إلى أن هذه الحركات التي سیرت قبل بدر نجد أن أفرادها كلهم من المهاجرين ليس فيهم واحد من الأنصار، يقول ابن سعد رحمه الله: "والمجمع عليه أنهم كانوا جميعاً من المهاجرين ولم يبعث رسول الله أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بهم بدرًا"^٦ ومن حكمة ذلك: أحياء قضية المهاجرين في أنفسهم أولاً، وإحيائها على المستوى الخارجي وإنهاك اقتصاد قريش ومحاصرتها، واستعادة بعض الحقوق المسلوبة، وإضعاف قريش عسكرياً، وتدريب الصحابة على إتقان فنون القتال، ورصد تحركات قريش، وإرهاب العدو الداخلي في المدينة وما حولها، واختبار قوة العدو، وبسط هيبة الدولة في الداخل والخارج^٧

تلت هذه البعوث والسرايا غزوة بدر الكبرى وهو الفرقان الذي قويت به شوكة المسلمين وأصبحوا مرهوبين في المدينة وما جاورها. وارتفع نجم الإسلام والمسلمين، ولم يعد المتشككون بالدعوة الجديدة والمشركون في المدينة يتجرءون على إظهار كفرهم وعداوتهم للإسلام؛ لذا ظهر النفاق والمكر والخداع. ووقعت بعد بدر مواقع كثيرة. أشهرها غزوة أحد والأحزاب وخيبر ومؤتة وحنين وتبوك.

وسوف نختصر الحديث عن أثر هذه الغزوات على دعوة رسول الله ﷺ لأن لكل حادثة سبباً ولكل وقعة عظة وعبرة وهذه الغزوات ذاتها نوع من أنواع الدعوة، لأنها قوة

^١ سورة البقرة، الآية ٢٥١

^٢ سورة الحج، الآية ٤٠

^٣ حامد أحمد طاهر: غزوات الرسول (ص ٤٨) دار النشر والتوزيع (د ت)

^٤ حامد أحمد طاهر: غزوات الرسول (ص ٤٨) المرجع نفسه

^٥ ابن هشام: السيرة ٢ النبوية ١٦٠ - وابن الأثير: الكامل في التاريخ، (ص ١١٣/٢) دار صادر، بيروت، (د ت)

^٦ ابن كثير: البداية والنهاية (ص ٣٤٢/٣) - الواقدي، محمد بن عمر: المغازي، (ص ١٢/١ - ١٣) عالم الكتب بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

^٧ ابن سعد محمد بن منيع: الطبقات الكبرى (ص ٦/٢) دار صادر - بيروت ط ١ - ١٩٦٨ م

^٨ أبو فارس محمد: غزوة بدر الكبرى، (ص ١٤ - ٢٤) دار الفرقان، عمان، ط ١ ١٩٨٤م

وحماية الدعوة عن عدوان المعتدين، ومنع الصدود عن سبيل الله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وقال تعالى:

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾^١

وأبرز آثار هذه الحركات العسكرية على الدعوة هي:

١- بسط هيبة الدولة في الداخل والخارج: فقد استطاعت تلك السرايا والغزوات أن تلفت أنظار أعداء الدعوة والدولة الإسلامية إلى قوة المسلمين وقدرتهم على ضرب أية حركة مناوئة سواء في الداخل أو الخارج، حتى لا يحدث أحد نفسه بمهاجمة الدولة الإسلامية التي لا يتوقف جيشها ليل نهار.

٢- قمع كيد وأفاعي اليهودية والقبائل الوثنية المحيطة بالمدينة وجعل الجميع يرهب قبل أن تحدثه نفسه بغزو المدينة أو مناصرة أحد من الأعداء عليها.

٣- أتاحت تلك الحماية العسكرية على المدينة للبناء التربوي والعلمي للصحابه أن يستقيم يقوى، فتوالت التشريعات، فتعلموا أحكام دينهم وحفظوا كتاب ربهم وتربوا على منهج عال من مربيهم ورسول ربهم. وبنى بذلك رسول الله ﷺ المجتمع المثالي والدولة التي أضحت أعظم نموذج عرفه العالم.

كانت قيادة الدعوة الإسلامية منذ هجرتها إلى المدينة مشغولة بالتقويم والتمكين للدولة الجديدة وشغلها الشاغل هو حماية الدولة الجديدة من الإغارة من خارجها وداخلها. فلم تكن هناك بعوث دعوية رسمية منذ هجرة الرسول إلى المدينة حتى تم الصلح بين المسلمين وقريش في الحديبية وذلك في ذي القعدة من سنة ست للهجرة.

فقد كانت الدولة الناشئة فريسة طمع لكل قوة، خاصة قريش واليهود حتى مع العهود والبندود الاتفاقية التي ارتضى عليها سكان المدينة منذ هجرة المسلمين إليها. ويبلغ عدد الغزوات عدا الكبرى^٢ ثماني عشرة غزوة خاضها رسول الله ﷺ من خلال ست سنوات قبل صلح الحديبية.

فهذه القوة التمكينية التي بناها خلال هذه المقاومات العسكرية لعبت دورها بعد الصلح كما سيأتي في المبحث التالي.

^١ سورة البقرة، الآية ١٩٠

^٢ الغزوات الكبرى هي: غزوة بدر وأحد وأحزاب

المبحث الرابع: الدعوة في المدينة وداخل جزيرة العرب وخارجها بعد صلح الحديبية.

ويشتمل على خمسة مطالب

المطلب الأول: دواعي وأسباب الصلح

المطلب الثاني: أثر هذا الصلح على الدعوة

المطلب الثالث: حملات دعوية بعد الصلح

المطلب الرابع: نموذج من رسائل رسول الله ﷺ إلى الأمراء والملوك

المطلب الخامس: لمحات دعوية في غزوة فتح مكة

المطلب الأول: دواعي وأسباب الصلح

كان الصلح الذي عقد بين المسلمين وقريش في الحديبية منطلق خير ونجاح للدعوة النبوية، ولذا سماه الله سبحانه وتعالى فتحا عظيما، لأنه فتح أمام النبي ﷺ والمسلمين فرصة اتصال بالعالم الخارجي وأتاح للصحابة فرصة إظهار قدراتهم ومهاراتهم الدعوية. وهذه نكتة لطيفة انبنى عليها رأي رسول الله ﷺ حيث كان ينظر إلى ما وراء المعاهدة من الفتح العظيم من وراء ستر رقيق، وكان يعطي المشركين كل ما سألوه من الشروط التي لم يحتملها أكثر أصحابه ورؤوسهم وهو ﷺ يعلم ما في ضمن هذا المكروه من محبوب.

ففي يوم الاثنين الأول من ذي القعدة سنة ست بعد الهجرة^١، خرج الرسول ﷺ من المدينة بأصحابه متوجها إلى مكة لأداء العمرة - وسبب خروجه أنه ﷺ رأى في منامه أنه قد دخل مكة مع أصحابه محرما مؤديا للعمرة وقد ساق الهدى وطاقوا وحلق بعضهم وقصر بعضهم. فبشر أصحابه ففرحوا بها فرحا عظيما. فلما أخبرهم رسول الله ﷺ بذلك تهيأوا لتلك الزيارة العظيمة واستنفر رسول الله ﷺ أهل البودي والأعراب ليخرجوا معه؛ لأنه كان يخاف أن تصده قريش عن البيت الحرام لكن أبطأ كثير من الأعراب. خرج رسول الله ﷺ في ألف وأربعمائة^٢ ويقال ألف وخمسمائة ولم يخرج معه بسلاح، إلا سلاح المسافرين السيوف في القرب.

ولما علم رسول الله ﷺ أن قريشًا قد خرجت تعترض طريقه، وهو لم يقرر المصادمة، رأى أن يغير طريق الجيش الإسلامي تفاديا للصدام، فسلك بهم طريقا وعرا بين شعاب شق على المسلمين السير فيها حتى خرجوا إلى أرض سهلة ثم تهادوا حتى نزلوا بالحديبية. حاول رسول الله ﷺ إفهام قريش وإقناعهم أنه لا يريد حربا معهم ولم يخرج لذلك، وإنما يريد زيارة البيت الحرام وتعظيمه وهو حق للمسلمين كما هو حق لغيرهم، وذكر لهم الضرر الذي وقع على قريش من استمرار الحرب، واقترح عليهم أن تكون بينهم هدنة إلى وقت معلوم حتى يتضح لهم الأمر، وإن أبوا فلا مناص من الحرب ولو كان في ذلك هلاكه.

لما رأت قريش أن الموقف حرج، أسرعت إلى بعث سهيل بن عمرو لعقد الصلح بينها وبين المسلمين قال الزهري: قالوا له: " انت محمدا فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فو الله لا نتحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدا... فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا

^١ ابن القيم الجوزية: زاد المعاد ٢١١/١ مرجع سابق

^٢ البخاري محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية (رقم ٤١٥٤ و ٤١٥٢)

الرجل فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله تكلم فأطال الكلام وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح. وتم عقد المعاهدة على هذه البنود:

- ١- باسمك اللهم
- ٢- هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو
- ٣- واصطلحا على وضع الحرب على الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض.
- ٤- على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجا أو معتمرا أو يبتغي من فضل فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو الشام يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله.
- ٥- على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه.
- ٦- وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال .
- ٧- وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخله، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه (فتواثبت خراعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم).
- ٨- وأنت ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب، والسيوف في القرب ولا تدخلها بغيرها.
- ٩- وعلى أن هذا الهدى ما جئناه ومحله فلا تقدمه علينا.
- ١٠- أشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين فمن المسلمين: أبوبكر، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن سلمة، وعلي بن أبي طالب كاتب المعاهدة رضي الله عنهم أجمعين.

ومن المشركين: مكرز بن حفص، وسهيل بن عمرو^١

يقول د/محمد الديك: "عقدت هذه المعاهدة في الوقت الذي كان فيه المسلمون بمركز القوة لا الضعف، وكان باستطاعتهم ألا يقبلوا شروطها التي اغتاظ منها كثير من الصحابة، ولكن ما كان لهم أن يخرجوا عن طوع رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وقد تمادى رسول قريش على رسول الله في مفاوضاته، وكان فردا بين

^١ الصلابي: السيرة النبوية ص ٦٦٠ - ٦٦١ نقلا من كتاب المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي د/محمد الديك، ص ٢٧٠ - ٢٧١

جيش المسلمين، فلم ينله أذى، ولم يتمادَ عليه المسلمون بالقتل (لأن السفراء لا تقتل) ولكن رسول الله يرضيه، ويسعه بالحلم واللين، حتى يصل إلى الغاية التي ينشدها الإسلام، وهي حقن الدماء، وإحلال السلام، ورجاء أن يعقل القوم الحق، وأن يراجعوا المواقف، ويسمعوا كلام الله^١. ونقطة مهمة أيضا لا بد للداعية أن يراعها، الثبات على ما اقتنع على صوابه وإن خالفه الجماعة، فهذا أبو بكر في قضية بعث جيش اسامة ومسألة جمع القرآن وحروب الردة وغيرها ففي كل هذه المواقف خالف رأي أكثر الصحابة ولكنه ثبت على رأيه لأنه رأى ببعد النظر خير مئال رأيه. وهذا ما يسمى العلماء بفقه المآلات.

وبهذه المعاهدة دخلت الدعوة طورا جديدا بصورة أخرى في الانتشار والاتصال بالناس.

المطلب الثاني: أثر هذا الصلح على الدعوة

كان لهذا الصلح أثر هائل في سير الدعوة الإسلامية، فقد وجد المسلمون فرصة اللقاء بعمامة العرب ودعوتهم إلى الله، فدخل الناس في الإسلام بكثرة وبلغ عددهم في عامين ما لم يبلغ خلال تسعة عشر عاما. وقد جاء كبار قريش ونخالتها أمثال عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة طائعين يشهدون "أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويبايعونه على الإسلام، ويبدلون له كل ما يملكون من غل ونفيس ويفدونه بالنفوس والأرواح والمواهب والقدرات، وقد قال رسول الله ﷺ حينما جاؤا: إن مكة قد ألقت إلينا أفلاذ كبدها^٢.

ويظهر كذلك أثر الأمن في نيل غايات سامية فلم تتل الدعوة هذا المنطلق إلا بعد اطفاء نار الحرب بين الفريقين عند ذلك استطاع الرسول ﷺ أن يحمل دعوته الى بقية العالم. وما كان يرمي الرسول ﷺ إلا إلى توفير قدر من الحرية للناس ليختاروا ما يريدون، وهذا مطلب الإسلام إلى يومنا هذا وقد كان منطق النبي ﷺ يقول خلوا بيني وبين الناس مما يدل على أن الإسلام أحرص ما يكون على الحرية والأمن والسلام.

ومنه تعزيز كيان الدعوة واعتراف المشركين بها. وقد كان في سعي قريش للصلح وتفاوضهم مع المسلمين وبعث مندوبها سهيل بن عمرو لذلك، اعترافا منها بكيان الإسلام، وبأن المسلمين أصبحوا قوة تضاهي قوة قريش وأن لهم الحق في زيارة البيت الحرام

^١ المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي ص ٢٦٨ - ٢٦٩

^٢ المباركفوري: روضة الأنوار، ص ٢٤٩، مرجع سابق

كغيرهم من العرب وفي ذلك دعاية للإسلام وتعزيز لجانبهم، ولهذ أثر قوي في نفوس القبائل التي تأثرت بموقف قريش الجمودي الرافض للإسلام حيث كانوا يرون أنها الإمام والقوة، فتنازلها كان تمهيدا لاتساع الإسلام وسطوته.

ومن أثره كذلك كسب الدعوة الإسلامية أنصارا جددا للدعوة، وما أن كتبت وثيقة الصلح حتى كسب المسلمون إلى صفهم قبيلة عظيمة انضمت إلى عهدهم وهي قبيلة خزاعة، روى الإمام أحمد رحمه الله: فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن مع رسول الله ﷺ وعقده وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم^١ ومبادرة خزاعة للتحالف مع المسلمين علنا دون هيبة قريش كسب عظيم للمسلمين ولا ننسى أن نقض العهد قبل أوانه بسبب هذه القبيلة حيث نقضته قبيلة بني بكر مع حليفاتها قريش فكان ذلك سببا في فتح مكة. وتأثر بعض المشركين بما رأوا من المسلمين أثناء عقد الصلح من انضباط وتضحية وتلاحم في صفوفهم. فهذا عروة بن مسعود يرجع إلى قريش وهو يقول: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا... وأنه قد عرض عليكم خطة رشدا فاقبلوها^٢

المطلب الثالث: حملات دعوية بعد الصلح

تم الصلح وأمن المسلمون جانب قريش فلم يبق إلا غدر اليهود، لذا لم يتوان جيش المسلمين في إخضاع اليهود شمال الحجاز في خيبر ووادي القرى وغيرها. وبنصر المسلمين في هذه الحملات العسكرية انفتحت أمام رسول الله ﷺ ساحة الدعوة خارج حدود الجزيرة العربية.

اتخذ رسول الله ﷺ منهاجا آخر ووسيلة أخرى في نشر الدعوة الإسلامية عن طريق إرساله عددا من الرسل والمبعوثين إلى أمراء الجزيرة العربية وإلى ملوك العالم المعاصر خارج الجزيرة آنذاك، وتعد هذه الخطوة نقطة تحول مهمة في تاريخ الاسلام، وهذه الخطوة تنبئ عن عالمية الإسلام، وأنه ليس دين العرب فحسب إنما شرف الله العرب بحضانة مهده ورعاية أساسه، فحري بهم أن يحملوا رايته إلى العالم والبشرية جمعاء. ويشير المنهج النبوي في دعوة الزعماء والملوك إلى ما يجب أن تكون عليه وسائل الدعوة، فإلى جانب دعوة الأمراء والشعوب، اختار الرسول ﷺ أسلوبا جديدا

^١ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد الشيباني: المسند، ٣/٣٢٥ المرجع السابق

^٢ البخاري، محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد، رقم ٢٧٣٢ المرجع السابق

من أساليب الدعوة، وهو مراسلة الملوك ورؤساء القبائل، وكان لإرسال الرسائل إلى الملوك والأمراء أثر بارز في دخول بعضهم الإسلام وإظهار الود من البعض الآخر، كما كشفت هذه الرسائل مواقف بعض الملوك والأمراء من الدعوة الإسلامية ودولتها في المدينة.

روى ابن سعد في طبقاته: أنه لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتاباً، فقبل إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ رسول الله ﷺ يوماً خاتماً من فضة نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، وختم به الكتب. فخرج ستة نفر في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع، وكان كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم.^١

المطلب الرابع: نموذج من رسائل رسول الله ﷺ إلى الأمراء والملوك

أظهر الرسول ﷺ في إرساله بالرسائل وبعثه بالسفراء لإبلاغ رسالة الإسلام منهجاً دعوياً ينطبق مع الوقائع حتى في عصرنا الحاضر. ويدل هذا الموقف من رسول الله على حسن سياسته وقوة عزمته وحرصه على إبلاغه رسالة الإسلام. نظم الرسول سفاراته لأكابر الملوك والأمراء المعاصرين بعد النصر المعنوي الذي حققه في صلح الحديبية، وهذا التمثيل السياسي كان حادثاً فريداً ودليلاً جيداً على ما تجيش به نفس الرسول ﷺ من سُمُو في الشجاعة وقوة في الإيمان برسالته، ولم يكن الإسلام يومئذ قوة يخشى بأسها، فيدعوا قيصر وكسرى إلى اعتناق دعوته. ولكن الرسول يعلم علم يقين أنه أرسل للبشرية بشيراً ونذيراً، وكما كانت الغزوات النبوية سبيلاً للذود عن الإسلام ووسيلة لتأييد كلمة التوحيد كذلك كانت السفارات النبوية سبيلاً لأداء رسالته وإبلاغ صوته إلى الملوك والأمراء الذين يحكمون العالم القديم يومئذ.

ولقد بعث النبي ﷺ كتبه وسفراءه إلى ثمانية من أولئك الملوك والأمراء وهم:

- ١- قيصر هرقل حاكم قسطنطينية.
- ٢- قيروس أو المقوقس حاكم مصر (جريج بن متى)
- ٣- كسرى خسرو ملك فارس
- ٤- أصحمة بن الأبجر النجاشي ملك بلاد الحبشة.
- ٥- هوزة بن علي صاحب اليمامة في نجد

^١ ابن سعد الطبقات الكبرى (ص ٢٣/٢) المرجع السابق

- ٦- جيفر وأخيه عباد ابني الجلندي صاحبا عمان
 ٧- الحارث بن أبي شمر الغساني النصراني عامل قيصر على بلاد الشام
 (صاحب دمشق)
 ٨- المنذر بن ساوى صاحب البحرين

ونص كتاب الرسول ﷺ كما رودت في الروايات الصحيحة كما يلي إلى هؤلاء الملوك والأمرء:

كتابه ﷺ إلى هرقل :

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك إثم الأريسيين، قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَئًْا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾^١

وكتابه ﷺ إلى كسرى :

وقد أرسلها النبي ﷺ مع عبد الله بن حذافة - رضي الله عنه - كما ذكر الواقدي، وكان فيها "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم ، فإن أبييت فعليك إثم المجوس"^٢

وكتب ﷺ إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية : بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم

^١ سورة آل عمران، الآية ٦٤

^٢ مسلم ، أبو الحسين بن حجاج : صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير - باب كتاب النبي إلى هرقل، رقم ٢٣٧٠، ومحمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (ص ١٠٧-١٠٩) دار النفائس، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

^٣ الواقدي: المغازي، ومحمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (ص ١٣٩-١٤١) دار النفائس، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

القبط: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٠٥﴾

وكتب ﷺ إلى ملك عمان: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما^٣.

وكتب النبي - ﷺ - إلى صاحب اليمامة هوزة بن علي

وأرسل به مع سليط بن عمرو العامري: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوزة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك"^٤.

وكتب إلى المنذر بن ساوي كتابا آخر أما بعد فإني قد بعثت إليك قدامة وأبا هريرة فادفع إليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك والسلام^٥.

وكتب النبي - ﷺ - إلى النجاشي

أرسل به عمرو بن أمية الضمري: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت به فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاتة عن طاعته، وإن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وإني

^١ سورة ال عمران، الآية ٦٤

^٢ محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (ص ١٣٥-١٣٧) دار النفائس، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

^٣ محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة المرجع نفسه ص ١٦٣

^٤ محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة المرجع السابق (١٥٦-١٥٧) المرجع السابق

^٥ أحمد بن علي بن أحمد بن حنيفة الأنصاري: المصباح المضيء في كتاب النبي الأُمي ورسله إلى ملوك الأرض، دار النشر / عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٥هـ، ص ٢٩٣) المرجع السابق

أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى^١.

ويلاحظ أن كل ملك خوطب حسب عقيدته ومقام ملكه وما آمن له. وهذا من حكمة الدعوة حيث روعي فيه ما يمتاز به هؤلاء الملوك، فخاطب هرقل والمقوقس وهما يؤمنان بالمسيح باسم أهل الكتاب وكلمهما بالرسالة والقرآن خلاف ما كتبه إلى كسرى الذي يعبد الشمس والنار. وهكذا خص بقية الملوك بما يناسبهم.

المطلب الخامس: لمحات دعوية في غزوة فتح مكة

كان فتح مكة في شهر رمضان سنة الثامنة من الهجرة. وسبب تحرك النبي ﷺ أن ناسا من بني بكر كلموا أشراف قريش في أن يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح، وكانت خزاعة قد دخلت في عهد المسلمين حين الصلح. أجابت بني بكر إلى طلبهم وخرج حشد من قريش متنكرين متتقبين، فيهم صفوان بن أمية، مكرز بن حفص، وحويطب بن عبد العزى، فالتقوا مع بني بكر في مكان اسمه الوثير، وبيتوا خزاعة، وقتلوا منهم عشرين رجلا. عند هذا خرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا من خزاعة، وقدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بما أصابهم. فقال النبي ﷺ "نصرت يا عمرو بن سالم^٢ لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب^٣".

بعثت قريش إثر هذه الحادثة أبا سفيان إلى رسول الله ﷺ لتمكين الصلح وإطالة المدة لكن لم يدرك مرامه، وعلى ذلك طلب أبو سفيان من كبار الصحابة ليتوسطوا بينه وبين رسول الله ﷺ فلم يفعلوا. فرجع خائبا. وبنقض قريش أحد بنود الصلح التي تمت في الحديبية عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة وتأييد كفارها.

والجدير بالذكر هنا، أن رسول الله ﷺ أخذ بمبدأ السرية المطلقة والكتمان في القرار الذي أراد أن يتخذه على قريش فلم يدر حتى أقرب الناس إليه وجهته في ذلك، ولاذ إلى الله تعالى ودعا أن يرفع عن مسامع قريش خروجه حتى يباغتهم. وفي هذا موعظة وعبرة للدعاة في كل زمان، أن يأخذوا بالحيلة البشرية أولا ثم تمام التوكل والاستسلام لله تعالى. فبعد ما كتم الرسول قراره عن الناس اعتصم بالله تعالى وبتوقيفه تعالى كشف له أمر

^١ محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (ص ٩٩-١٠٠) دار النفائس، بيروت، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

^٢ ابن هشام: السيرة النبوية ٤/٤٤ المرجع السابق

^٣ ابن هشام: السيرة النبوية ٤/٤٤، المرجع نفسه

كتاب حاطب بن أبي بلتعة الذي كتبه إلى المشركين يخبرهم بما أَراده رسول الله من حربهم.

وأسمى درس في هذا الفتح العظيم، عفو رسول الله لكفار مكة وصفحه عن جميع ما أوقعوه عليه من الأذى، فالرسول خرج على رأس عشرة آلاف من أصحابه إلى البلد الذي عامله بمنتهى القسوة وأجبرته هو وأتباعه المخلصين أن يخرجوا ويتخذوا مأوى وسط الغرباء، وهو الذي وضع حياته وحياة أتباعه المخلصين على كفه ومضطهديه القدامى القساة المتعجرفة قلوبهم الذين ألحقوا الإنسانية بالعار والقسوة، الرجال والنساء وحتى الأموات الذين بلا حياة كانوا الآن تحت رحمته تماماً، لكن في ساعة نصره نسي كل ما عاناه من شرور وعفا عن كل جرح أنزلوه به وامتد عفو العام ليشمل كل سكان مكة^١

قال سيد أمير علي في "روح الإسلام" إن جماهير المدينة المهزومة مثلوا أمامه فخطبهم قائلاً ماذا تظنون أنني فاعل بكم اليوم؟ (إن قومه كانوا يعرفونه جيداً منذ أيام الطفولة) فأجابو: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم وأدمنت عينا النبي ﷺ وقال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء^٢.

فهذه المواقف الرفيعة المدهشة من رسول الله ﷺ تركت في قلوب الأعداء أثراً لم يجدوا خياراً أفضل من أن يستسلموا لله رباً وبمحمد ﷺ رسولاً. ومما زاد الموقف أثراً في قلوب الناس هو أن الرسول ﷺ كان في ذلك الحين في مركز القوة، فلو أُرِدَ أن ينال منهم وينتقم لفعل، ولكن همه أعلى وأعلى من ذلك، فإنما يريد لهم الهداية والنجاة. ففي هذه عبرة ودرس لكل معتبر وخاصة الدعاة، فلم يقطر دماً ولم يسلب مال أحد ولم يجبر أحد، وإنما مالت قلوب الناس إليه وأنته مكة جميعها مؤمنة لحسن اختياره للمنهج والمعاملة الملائمة للمقام.

وموقف آخر لرسول الله ﷺ لا يقل عن السابق، رده مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة قبل أن يسلم فقد أراد علي بن أبي طالب أن يكون المفتاح لبني هاشم مع السقاية، لكن النبي ﷺ دفعه إلى عثمان بن طلحة و رده إليه قائلاً "اليوم يوم بر ووفاء". وكان ﷺ قد طلب من عثمان بن طلحة المفتاح قبل أن يهاجر إلى المدينة فأغلق له القول و نال منه، وقال: يا

^١ أحمد النديبات:الرسول الأعظم موقع مكتبة صيد الفؤاد (ص ٥٣)

^٢ أحمد النديبات:الرسول الأعظم موقع مكتبة صيد الفؤاد (ص ٥٣)المرجع نفسه

"عثمان لعلك ترى هذا المفتاح يوما بيدي، أضعه حيث شئت"، فقال: لقد هلك قريش وذلت، فقال: "بل عمرت و عزت يومئذ". ووقعت كلمته من عثمان بن طلحة موقعا^١.

أعطى له رسول الله ﷺ مفاتيح الكعبة قائلا له: "هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء"^٢

و مما يتحف الدعاة وهو مليئ بالدروس والعبر، ما أخبر سهيل بن عمرو عن نفسه بعد إسلامه، لما دخل رسول الله ﷺ مكة وظهر انقحمت بيتي و أغلقت علي بابي، وأرسلت إلى ابني عبدالله بن سهيل أن أطلب لي جوارا من محمد وأصحابه، فليس أحد أسوء أثرا مني، و إني لقيت رسول الله ﷺ يوم الحديبية بما لم يلحقه أحد، و كنت الذي كاتبته مع حضوري بدرا وأحدا، و كلما تحركت قريش كنت فيها، فذهب عبدالله بن سهيل إلى رسول الله ﷺ و قال: يا رسول الله تؤمنه؟ فقال: نعم هو آمن بأمان الله فليظهر، ثم قال رسول الله ﷺ لمن حوله: "من لقي سهيل بن عمرو فلا يشد النظر إليه فليخرج، فلعمري إن سهيلا له عقل و شرف وما مثل سهيل يجهل الإسلام، ولقد رأى ما كان فيه أنه لم يكن له بنافع" فخرج عبدالله إلى أبيه، فقال سهيل برا صغيرا وكبيراً. فكان سهيل يقبل ويدبر وخرج إلى حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة^٣

وأعطى رسول الله ﷺ صفوان بن أمية أمانا بطلب عمير بن وهب وبعد ذلك تألفه رسول الله ﷺ إلى الإسلام حتى أسلم وذلك في تخيره له في الإسلام أربعة أشهر، ثم أعطاه من المال العطايا الكبيرة التي لا تصدر من إنسان عادي، أعطاه أولا مائة من الإبل مع عدد من زعماء مكة، ثم أعطاه ما في شعب من الغنم، فقال ما طابت نفس أحد بهذا إلا نفس نبي. ثم أسلم مكانه^٤. وصفوان بنفسه يقول والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي.

الصحابة قوم اصطفاهم الله لصحبة رسول الله ﷺ وقد كانوا معه في جميع هذه المراحل التي مرت بها الدعوة مؤازرين ومناصرين ومتعلمين، فمن خلال هذه الفترة تلقوا دروسا التي قاموا بتطبيقها طوال حياتهم وبه تركوا أثرا وبصمة كبيرة بقيت على جبين التاريخ، فما من واحد منهم ذكرنا كان أو أنثى ألا وقد أصبح مرآة للاحقين ومنازةً يهتدى به في ظلام الجهل والغواية، فالكل منهم وجد نوره من رسول الله ﷺ فبأيهم اقتديتم اهتديتم، وإنما يتفاوتون في الفضل والأسلوب فرضي الله تعالى عنهم وجعل الفردوس متقلبهم ومثواهم.

^١ الواقدي: المغازي (ص ٨٣٨/٢) المرجع السابق

^٢ ابن هشام: السيرة النبوية ص ٦٢/٤ المرجع السابق

^٣ الواقدي: المغازي (ص ٨٤٦-٨٤٧) مرجع سابق

^٤ مسلم بن حجاج: صحيح مسلم، كتاب الفضائل رقم ٢٣١٣ (ص ١٨٠٦)

فاختيار منهج عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير وتطبيقهما لما تعلماه من حياة نبي الهدى ﷺ ما يوضح لنا المزايا التي يتصف بها كل صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ ومنها ننتخب ما يلائم مع الواقع الذي نعيشه.

الفصل السادس: واقع الدعوة في ولاية بلاتو ومشاكلها

ويحتوي على أربعة مطالب

المبحث الأول : انتشار الإسلام في ولاية بلاتو

المبحث الثاني: الصحوة الإسلامية في ولاية بلاتو في العصر الحاضر

المبحث الثالث: الدعوة في ولاية بلاتو

المبحث الرابع: التعليم في ولاية بلاتو

المبحث الأول : انتشار الإسلام في ولاية بلاتو

ويحتوي على ثلاثة مطالب

المطلب الأول : ولاية بلاتو وظهور الإسلام فيها

المطلب الثاني: أبرز الطاقات التي ساهمت في نشر الإسلام فيها.

المطلب الثالث: جهد الجماعات والمنظمات الإسلامية وحركاتها في نشر الإسلام في ولاية بلاتو

المطلب الأول : ولاية بلاتو وظهور الإسلام فيها

كانت بلاتو جزءا من المنطقة التي يسيطر عليها حامل لواء جهاد الشيخ عثمان بن فوديو إلى منطقة بوشي. واتسعت دائرة حكم هذا العملاق المعروف بـ "يعقوب بوشي" جنوبا حتى حوت ولايتي بلاتو وبنوى، وشمالا حتى حوت ولاية غمبي. ولم يكن لولاية بلاتو ذكرا إلا في أيام المستعمرين بعد أن اكتشفوا فيها المعادن. فسموا منطقة بوشي بـ "بوشي بلاتو" ثم أطلق على المنطقة "Bauchi Province" على لسانهم. فهذه المعادن المكشوفة في بلاتو ساعدت على سرعة نمو البلاد خاصة المراكز التي تجنى فيها هذه المعادن فاستوطن الناس فيها وتناسلوا وجلبوا الأرزاق. وفي مقدمة هذه المراكز نبوغا وازدهارا نراغوتا وجوس وباركن لادي وغيرها وبطبيعة الحال صارت مراكز تجارية في نفس الوقت. وكانت تابعة لمنطقة بوشي ويسيطر عليها حكام معينون من قبل يعقوب بوشي قبل اقتحام المستعمرين.

وفي سنة ١٩٢٦م اقتطع المستعمرون منطقة بلاتو من بوشي رغبة تقليل وتخفيف سيطرة يعقوب وقصر سلطته. فكانت المنطقة في ذلك الوقت تشمل ما يسمى اليوم ولايتي بينوى ونسراوى. ثم ارتقت الى رتبة الولاية سنة ١٩٦٧م، وسميت ولاية بينوى- بلاتو حتى سنة ١٩٩٧م عندما انفصلتا عن الأخرى فصارت كل ولاية مستقلة.

وفي سنة ٢٠٠١م اقتطع جزء كبير من ولاية بلاتو وسميت بولاية نسراوى حيث المسلمون هم الأغلبية، ومن ثم زيد عدد الحكومات المحلية في بلاتو إلى سبع عشرة. وهي كالآتي:

- ١- بسا ٢- بوكوس ٣- بانكشن ٤- باركن لادي ٥- جوس الشمالية ٦- جوس الجنوبية
- ٧- جوس الشرقية ٨- ريوم ٩- منجو ١٠- كانكى ١١- كانم ١٢- قونفن ١٣- شندم
- ١٤- ميكنغ ١٥- لانتن الشمالية ١٦- لانتن الجنوبية ١٧- واسي.

ويرجع تاريخ وصول الإسلام إلى بلاتو إلى ما قبل جهاد الشيخ عثمان بن فوديو، وذلك عن طريق الدعاة من قبيلة فلّاتيّة [مشهور بـ فلّاني بلغة هوسا] وتجار المسلمين الهوسا الذين يزورون هذه المنطقة بحركات تجارية ونشاطات دعوية^١.

وتذكر روايات أخرى أن الإسلام دخل أيام حركة التجديد حيث حمل يعقوب بوشي راية الجهاد من الشيخ ابن فوديو، وبعد عودته من سكتو مقر خلافة الشيخ أقام في إنكل وهي

^١ - Moddibo M Sani: Proliferation of Muslim Organization . PhD Dissertation in the Department of Religious Studies, University of Jos (p٨٥) ٢٠١١

قرية قريبة من بوشي وجعلها مركز إمارته. وبعدما استقر له الأمر توجه بجنوده إلى بلاد "حابي" [Habe تعني الوثنيين بلغة الفلاتية] التي تشمل ولاية بلاتووما وراءها من بينوى ونسراوى جنوبا. ونتيجة هذه الحركات العسكرية ودخول المسلمين البوادي ومراكز المعادنية تطورت إمارة بوشي واتسعت حدودها وعلم سكان هذه الأماكن بالإسلام. وظلت هذه البلاد تحت إمارة بوشي ومنها يأتي تعيين الأمير على الأماكن المفتوحة وهذه الأماكن شملت واسي وما حولها وهي الآن بين الحكومات المحلية في ولاية بلاتو.

وفي حدود سنة ١٩٠٢م اقتحم المستعمرون هذه المراكز المعدنية وحاولوا بكل ما يستطيعون قمع بروز الإسلام في هذه الأماكن عن طريق المبشرين النصارى فمؤلّوهم وضمنوا لهم مطالبهم إلى أن أسسوا كنائس فيها ومع كل كنيسة مدرسة^١، وهذه الحملة التنصيرية في المنطقة كانت في سنة ١٩٠٧.

وبإعطاء المستعمرون قيادة التعليم وثقافتهم الغربية للمبشرين النصارى، ضيق هذا التصرف الطريق على أبناء المسلمين، فلا يتحصّل أحدهم على هذا النوع من المعرفة والثقافة ولو على نفقة نفسه إلا من رضي بتغيير اسمه من اسم يرمز الإسلام إلى اسم نصاراني أو وثني أعجمي قبل أن يقبل في المدرسة. أو أنه لا يُظهر أي أثر أو سمة تدل على شخصيته المسلمة فيكون قبل انتهائه من المدرسة قد حورب فكريا حتى لا يعرف عن دين الإسلام إلا مجرد اسمه، وهم الذين يتصدّرون في محاربة دين الإسلام ومحاولة نبشه من قواعده. والأمر الآخر الذي لا يقل عن الأول هو جعل لغة الإنجليزية لغة رسمية لكل من يتولى لهم أي مسؤولية أو ينوب عنهم في أي عمل، فقدموا مساندات بالدعايات المدعمة بالتعليم والتطبيب والتوظيف الموسومة بمحاربة الجهل والمرض والفقر "وكان حظ المسلمين فيها ضئيلا لخوفهم أن يقعوا ضحية للغزو الفكري أو التنصيري، فهم لا يثقون بالمستعمرين لأنهم هم الذين مهدوا الطريق للمبشرين النصارى وفوّضوا إليهم زمام التعليم والتطبيب إبان مغادرتهم.

ليس هناك معدلان قياسية صحيحة لعدد المسلمين في ولاية بلاتو ولا يبعد أن يكون السبب عدم وجود إثبات مقياس واحد معتبر لرصد النتيجة لكن الإحصائيات الموجودة تدل على أن النسبة المؤية للمسلمين تتراوح بين ٢٠-٢٥% نسمة^٢. ونصف هذا العدد من قبيلة

^١ Ishaka H Bala, "Islamic Organizations in Plateau State and the Challenges of Globalizations: A case - Study of the Southern Senatorial Zone" M A Dissertation in the Department of Religious Studies, University of Jos (p ٤٢)

^٢ "S" (p٨). Ajayi S" ١٩٦٣, London: Longmans, (١٨٩١- ١٨٤١) Christianity in Nigeria
^٣ <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/nigeria>

هوسا- فلاتي وقليل من قبيلة يوربا وكانوري والنصف الآخر من أصل سكان الولاية، وينتسبون إلى قبائل بوغوم وجكن وبادا وبيم وأيروغي وجاروا وقليل من أنغس ورون كليري وهذه القبائل مبعثرة في بلاد كنم وواسي ومنجو وبسا وشندم وكونفن وجوس الشرقي. وأكبر عدد من المسلمين يسكنون في جوس الشمالي ثم كنم وواسي، ولا يعني هذا أنه ليس هناك مسلمون منتشرون في بقية الحكومات المحلية الباقية إلا أنه ليس لهم نفوذ كبقية الأماكن المذكورة. وهناك تنسيق بين جميع هذه الجماعات المسلمة تحت مظلة جماعة نصر الإسلام، التي هي المعتبرة شرعا لدى الحكومة وهي التي تحت رئاسة صاحب الفضل سلطان مسلمي نيجيريا سلطان سعاد أبوبكر الثالث.

فجدير بالمسلمين أن يتحدوا وينشئوا حركات إصلاحية من الجماعات وحتى من قبل الأفراد لتوعية الناس ورسم طرق النجاة لهم ضد مكر القوى التنصيرية والسياسية. وهذا أحد أسباب إيجاد جماعة نصر الإسلام وباقي الجماعات والمنظمات.

المطلب الثاني: أبرز الطاقات التي ساهمت في نشر الإسلام في ولاية بلاتو .

إذا أردنا للدعوة أن تنتشر وتتغلغل إلى ربوع الأرض لا بد أن تكون هناك حركة فعالة من قبل الأشخاص أو الجماعات امتثالاً لكلام الرب تبارك وتعالى: وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٤﴾^١ وقوله عز وجل: وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾^٢ فشأن ولاية بلاتو ليس بعيداً عن ذلك، إذ قام كثير من العلماء في تعليم الناس هذا الدين الحنيف وبذلو الغالي والنفيس في نصرته، وكانت معظم هذه الحركات تحت مظلة منظمات وجمعيات أو جماعات إسلامية أنشئت لهذا السبب. وذلك أن العلماء أو الأفراد الذين قاموا بأعمال الدعوة ينتسبون إلى جمعيات أو منظمات معينة ويقدمون أعمالهم حسب دستور جمعياتهم. وكان لكل جمعية توثيق مع الحكومة. فالحكومة عندما تنظر إلى شأن المسلمين وما لهم أو عليهم فإنما تخاطب في ذلك رئاسة المسلمين، وقد كانت هذه السلطة ترجع إلى إمارة سكتو أحفاد الشيخ عثمان ابن فوديو فـ"السلطان" [صار رمزا لإمارة المسلمين] وهو الذي يمثل الرئاسة العامة لجماعة نصر الإسلام التي تشعبت منها بقية الجماعات والمنظمات الإسلامية في الدولة.

^١ سورة آل عمران، الآية ١٠٤

^٢ سورة التوبة، الآية ١٢٢

فولاية بلاتو ظفرت بمنظمات وجماعات ساهم أعضاؤها وأبنائها في خدمة الإسلام، وكل يدلو بدلوه في الجانب الذي يختاره في خدمة المسلمين والإسلام في الولاية. وأشهر هذه الجماعات التي ستكون محور حديث هذا المبحث هي: جماعة نصر الإسلام وجماعة أنصار الدين وجماعة نور الدين ومنظمة فتیان الإسلام وجماعة إزالة البدعة وإقامة السنة وغيرها.

والجدير بالذكر هنا أن الاستعمار البريطاني لنيجيريا كان السبب المباشر في تكوين هذه الجماعات وإنشاء المنظمات، ليكون لمسلمي نيجيريا صوت ويد على من سواهم. يقول محمد الثاني مدبو في البحث الذي قدمه عن الفرق في ولاية بلاتو بالتصرف: اكتشفت الدراسة أن هذه الجمعيات الدينية تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

١- حركات جماعية مبنية على أساس الطرق الصوفية راغبة في نشر الإسلام وإصلاح المجتمع.

٢- جمعيات ليس لها أي انتماء إلى طائفة أو فرقة من فرق المسلمين الموجودة سابقا.

٣- حركات وجمعيات خيرية لأصحاب الحرف وأثرياء المسلمين راغبة في توعية المسلمين وتمكينهم في جوانب مختلفة مادية وصحية وتكنولوجية^١.

فلكل من هذه التقسيمات الثلاثة ما اشتغلت به من الأعمال ، فالقسم الثاني يركز اهتمامه على تصويب البدع والمآخذ الموجددة في معتقدات الصوفية خاصة طريقة التجانية، وهذا ما يحدث الصراع بينهما في غالب الأوقات، ويلجئون الى التفسير والتكفير، وبطبيعة الحال فإنه يوجد بينهم ذلك مشاكل، وزاد الأمر شناعة لما كان المنكرن لهذه المنكرات يفقدون الأسلوب المناسب في إنكار المنكر وإرشاد المخطئ إلى الصواب.

وسيتعرض الباحث الكلام إلى بعض هذه الجمعيات والمنظمات مع ذكر ما تضمنه دستورها والخدمات التي يقدمونها للإسلام والمسلمين في ولاية بلاتو والجوانب التي ساهموا فيها.

تَجَمَّع بعض هذه الجمعيات التي تقدم ذكرها مثل أنصار الدين ونوائر الدين وجماعة نصر الإسلام وغيرها أهدافاً وغايات عن تأسيسها إلا أن وسائلهم في إنجازها متباينة ولكن أهم أهدافهم أنهم يسعون :

^١ - Moddibo M Sani: *Proliferation of Muslim Organizations in Plateau State* . PhD Dissertation in the Department of Religious Studies, University of Jos (p ١٠)

- ١- لجعل كلمة الله هي العليا والدفاع عنها.
 - ٢- الدفاع عن المسلمين وورغباتهم ورفع معنوياتهم.
 - ٣- تهذيب أخلاق المسلمين ليعيشوا عيشة مثالية فيسعدوا في دنياهم وأخراهم.
- وبقية الأهداف والغايات التي يعملون لنيلها حسب ما هو مرسوم في دستورهم المتبع
تتلخص في النقاط التالية:

- ١- تعليم أبناء المسلمين مبادئ الدين خالية من أهواء المبشرين النصارى.
- ٢- بث تعليمات إسلامية صحيحة.
- ٣- إشباع مطالب المسلمين المعاصرة.
- ٤- الموازنة بين العلوم الدينية والمادية.
- ٥- إرجاع الإسلام إلى عزّه وسمعته السابقة.

فبلغت الأنظار إلى هذه الأهداف يخرج المتأمل بأن هذه الجمعيات أسست لقمع مضرات ثقافة الإنجليز والمستعمرين البريطانيين في محاولاتهم لطمس مآثر الإسلام وإفساد أخلاق المسلمين عن طريق الغزو الفكري، فلا يبقى في المسلمين أثر الإسلام إلا في العبادات الظاهرة كالصلاة والصيام والحج. وحماية الناشئين المسلمين عن كارثة التنصير. وهل نجحت الجمعيات في هذه المسؤولية التي تحملها؟ الجواب أنهم بذلوا جهدا تجاه ذلك ولا زال المجال متسعاً وتحديات أخرى تظهر في أوقات مختلفة، فالأمر يرجع للعزم والمداومة، ولا شك أن الجهود المبذولة تظهر خاصة في جانب إنشاء المدارس والتعليم ومحاولة تمكين المسلمين على الاعتماد على النفس ماديا ومعنويا.

فيجدر بنا في هذا الصدد دراسة هذه الجمعيات واحدة تلو الأخرى إظهارا لأعمالهم وجهودهم في خدمة الإسلام رفع معنويات المسلمين في نيجيريا بصفة عامة وخاصة ولاية بلاتو.

المطلب الثالث: جهد الجماعات والمنظمات الإسلامية وحركاتها في نشر الإسلام في ولاية بلاتو

سبق تقدّم توطئة لهذا المطلب وقد كانت حركة الدعوة في ولاية بلاتو ولا تزال بيد الجمعيات والهيئات الإسلامية، وقلّ أن تجد عالما أو داعية إلا وهو ينتسب إلى جماعة معينة أو جمعية خيرية ما، ترغب في خدمة الإسلام، وهي موثقة كذلك لدى الوزارة المعنية بذلك عند الحكومة. فجماعة نصر الإسلام هي المندوبة التي تنسق مع الحكومة أمور المسلمين وتتكلم بلسانهم وتدافع عن حقوقهم وورغباتهم في جميع المستويات.

فحري بالباحث في هذا الصدد أن يكشف النطاق عن أعمال هذه الجماعة عن طريق ذكر أهم الأشياء عنهم ودورهم في بناء الدعوة الإسلامية في نيجيريا عامة، وولاية بلاتو خاصة. ثم يتلوها بقية الجماعات والمنظمات.

١- جماعة نصر الإسلام:

تعتبر جماعة نصر الإسلام من أوائل الجماعات التي أنشئت في شمال نيجيريا ويرجع تاريخ تأسيسها إلى أيام المرحوم سردونا أحمد بللو رغبة في توحيد صف المسلمين وبناء قوة حاسمة للإسلام والمسلمين في نيجيريا.

كان الأعضاء الذين تشاورو في إنشائها منذ ١٩٦٠م من الموظفين في مختلف المؤسسات الحكومة والملوك والأمراء وجهابذة العلماء في شمال نيجيريا آنذاك. فقد رأى سردونا برأيه الثاقب أن يكون للأمة المسلمة في نيجيريا منظمة تراقب وتدير أمور المسلمين، وتكون المنظمة مركزا تجمع لمسلمين بغض النظر عن اختلاف طوائفهم وليقوموا بتوعية إخوانهم المسلمين عن مضررات عادات و تقاليد المستعمرين السيئ و إرشادهم الى تعاليم الإسلام الصحيحة. ولتحقيق هذا المرام كوّن المرحوم لجنة شملت كبار الشخصيات من ذوي الهيئات في الحكومة ومن لهم معرفة بالإسلام ومن أمراء القوم وملوكهم وهذا التركيب ساعد في إقناع العامة وموافقتهم على القرارات التي تصدر من اللجنة. والأعيان من أعضاء اللجنة: الشيخ أبو بكر محمود جومي والحاج خضر بنجي والحاج أبوبكر النفاتي والحاج أبوبكر إمام والحاج أحمد طالبي والحاج أحمد جوطي وعلي عقيل والحاج محمود سلغا والحاج رباطو يول والشيخ ناصر كبرا وسلطان سكتو المرحوم أبوبكر الثالث وغيرهم^١. ومركزها الرئيسي في ولاية كدونا ولها فروع في جميع ولايات نيجيريا وأبوجا العاصمة.

أسست جماعة نصر الإسلام فرعها في ولاية بلاتو سنة ١٩٦٧م تحت قيادة المرحوم الشيخ أحمد العربي الذي هو رئيسها الأول^٢. وبعد التمكين تحولت الرئاسة إلى أمراء القطاعات والحكومات المحلية ورئيسها الحالي هو أمير واسي الحاج الدكتور محمد ثمبو هارون. لجماعة نصر الإسلام فروع في جميع حكومات ولاية بلاتو. يقول الأمين التنفيذي

^١ Aminu S Abdullahi. "Jama'atu Nasril Islam, Its Educational and Cultural Activities in Jos (since inception ١٩٦٧-١٩٩٠) B A Project in the Department of Religious Studies, University of Jos (p٦١)

^٢ حوار مع مالم أمين سادس عبدالله محرر جماعة نصر الإسلام فرع حكومة جوس المحلية ولاية بلاتو - ٢٠١٥/٧/٢٦

والمرشد العام للجماعة، الشيخ عبد العزيز يوسف: لجماعة نصر الإسلام فروع في جميع الحكومات المحلية في الولاية تقريرا، ولها لجان مختلفة تقوم بمهام شتى^١

تسعى الجماعة لتحقيق هذه الأهداف:

- ١- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وجلب الأتباع للإسلام عن طريقها.
- ٢- تجديد وتأسيس الأخلاق الإسلامية بين المسلمين وتطوير فكر الدين فيهم
- ٣- تعزيز المحبة بين مسلمي نيجيريا والعالم بأسره
- ٤- ممارسة تعاليم الإسلام السامية على ضوء تعليم الكتاب والسنة
- ٥- تأسيس المدارس حيث يتلقى الطلاب علوما مختلفة
- ٦- إنشاء مستشفيات ومستوصفات على مختلف المراتب لرعاية صحة الأمة.
- ٧- تجهيز ندوات ومؤتمرات ومهرجانات ثقافية لبث التعاليم الإسلامية وجعلها ملبية لشؤون الناس اليومية .
- ٨- تطوير الوحدة والتآلف بين المسلمين بغض النظر عن اختلاف منظماتهم وجماعاتهم.^٢

كما يلاحظ في أهداف الجماعة اعتناؤها الشديد بالدعوة وإرشاد الناس إلى الدين الحنيف، يقول الأمين التنفيذي فرع ولاية بلاتو ما نصه: "جماعة نصر الإسلام هي الجمعية الوحيدة التي تحمل الدعوة إلى غير المسلمين في بلاتو وذلك عن طريق زيارتهم في أدينتهم ودورهم وإقامة مجالس الدعوة في ساحاتهم لشرح الإسلام لهم وعقد الحوار معهم عما أشكل عليهم من أمر الإسلام. واستمرت هذه حتى ظهور جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة حيث قامت بتكفير بعض الطوائف المسلمة [الذين يصدر منهم بعض الخرافات] بما فيهم العلماء المنتسبين إلى جماعة نصر الإسلام"^٣ وبظهور الصراعات والحروب الأهلية في بعض القرى في الحكومات المحلية التابعة للولاية توقفت عملية زيارة غير المسلمين في أماكنهم. ومن مسؤوليات الجماعة كذلك، أنها الواسطة أو المنسق بين الحكومة والمسلمين وبقيّة المنظمات الإسلامية. وهي كذلك تقوم نيابة عن المسلمين إذا ألمّ بهم أمر أو نزلت بهم نازلة مما لا تتدخل الحكومة فيها. وتنبو عن المسلمين كذلك في قضايا السلم والتعايش بين المسلمين وأديان أخرى في نيجيريا^٤.

^١ الشيخ بن عبد العزيز يوسف جماعة نصر الإسلام فرع ولاية بلاتو ٢٢/٧/٢٠٠٩

^٢ Jama'atu Nasril Islam (J N I). The Constitution of Jama'atu Nasril Islam np. nd

^٣ الشيخ عبد العزيز يوسف: جماعة نصر الإسلام ، فرع ولاية بلاتو ١٥/١٠/٢٠١٥

^٤ - الشيخ عبد العزيز بن يوسف ، المرجع نفسه

وعندما سئل عن إنجازات جماعة نصر الإسلام منذ إيجاد فرعها في بلاتو قال: استطاعت جماعة نصر الإسلام منذ وجود مركزها في جوس عاصمة بلاتو التي منها تفرعت مراكز أخرى في المنطقة المعروفة ببينوي بلاتو سابقا قبل انفصال ولاية بينوي عنها واختراع ولاية نساوي منها بلاتو أن تؤسس في جميع حكومات المحلية حيث يوجد مكتب للمسلمين ، وهي المنظمة الثالثة بعد جماعة أنصار الدين ونور الدين التي أنشأت مدرسة ابتدائية نظامية منذ سنة ١٩٦٨ تدعى [Islamiyyah Pilot Primary School] ، وأخرى في جوس الجنوبية ١٩٦٩. وتقع المدرسة على شارع بوتشي وأسست كذلك في سنة ١٩٧٤ مدرسة ثانوية باسم " مدرسة ثانوية لذكرى ساردونا في حيّ "فرن غدا جوس" وتوالت بعدها مدارس في منغو وباركن لادي وكرغوي وواسي وبسا كلها تابعة للجماعة. ثم ارتفعت مدرستها لتربية المعلمين والدعاة الموجودة في جوس إلى رتبة الدبلوم انتسابا لمعهد التربية والتعليم تحت جامعة أحمد بللو زاريا. ولم تقتصر الجماعة على إنشاء المدارس فقط إنما كان لها أعمال غير ذلك مثل بناء المساجد في جميع الحكومات المحلية^١.

وفي جانب التحديات، اشتكى الكثيرون من قلة المال لدى الجماعة لعظم تكاليفها، والأمر الآخر أنها مع كونها "أمّا" لبقية الجمعيات والمنظمات الدينية تعاني من أن بعض هذه الجمعيات لا تتفق معها في تسيير أمور المسلمين وجمع كلمتهم. وذكر كذلك أنها تنقصها أدوات تسيير الأعمال الإدارية في مكاتبها، ووسائل اتصالها معطلة والآلات الموجودة في المكاتب لأداء أعمالها قديمة لا تتوافق مع نظام العولمة وثقافة اليوم. وكثير تأسّفه على ضعف الأمن وأثره على نظام الدعوة التي تقوم بها الجماعة في ولاية بلاتو وكذلك اللا - مبالاة التي تعامل بها من جهة الحكومة وضرب لذلك مثلا وهو عدم وجود المستشار لشؤون الإسلام عند والي جوس ولا يخصص من الولاية أي تمويل لرعاية شؤون المسلمين أو مدارسهم^٢. لكن في وقت متأخر فاز حزب سياسي آخر وتولى زمام الحكم في بلاتو وبدأت الأمور تتحسن في بعض الجوانب خاصة في اعتبار مسلمي بلاتو أنهم جزء معتبر في بلاتو. ولجماعة نصر الإسلام فضل في ذلك.

٢- جماعة أنصار الدين:

أسست جماعة أنصار الدين لحماية أبناء المسلمين الناشئين الذين يدرسون في مدارس المستعمرين المسيحيين التي أسست قبل نيل نيجيريا الحرية^٣. وذلك أن أبناء المسلمين

^١ - الشيخ عبد العزيز بن يوسف ، المرجع نفسه

^٢ - الشيخ بن عبد العزيز يوسف ، المرجع نفسه

^٣ وذكرنا انهم تركو زمام التعليم ابان مغادرتهم في أيدي المسيحيين

يُغزّون فكريا مما أدى إلى ارتداد كثير منهم عن الإسلام قبل التخرج من تلك المدارس، وليس هناك مدارس تؤهلهم للعمل مع الحكومة سواها فكانت الأولوية للمسيحيين في جنوب نيجيريا مما أيقظ همم المسلمين إلى ضرورة إيجاد مدارس تدرس باللغة الإنجليزية تلك الثقافة المطلوبة للعمل مع الحكومة مع إبقاء تربية أبنائهم الإسلامية.

كان بدء هذه الجمعية في لاغوس يوم ٢١ ديسمبر ١٩٢٣م^١ واختيارهم هذا الاسم يرجع إلى علاقة تاريخية مع سيرة رسول الله ﷺ، وينبئ ذلك عن حماسهم في الدفاع عن الإسلام وجعل رايته ترفرف على الدوام. تسموا باسم أنصار الدين لذكرى دور المسلمين الأول في يثرب [المدينة المنورة] أيام هجرة المصطفى ﷺ إليهم فأووه ونصروه وأكرموه واتبعوا النور الذي أنزل معه.

فتحت الجماعة فرعها في منطقة بلاتو سنة ١٩٤٨م^٢، بسبب الكارثة التنصيرية التي تواجه أبناء المسلمين في المدارس المتوارثة عن المستعمرين المبنية على العقيدة النصرانية والثقافة الغربية، ومن الأسباب التي تولدت منها فكرة إنشاء الجمعية كذلك، بث روح نصره الدين وإنشاء ساحة علمية يجتمع فيها المسلمون لمناقشة مشكلاتهم وتحدياتهم والعمل على مكافحتها وحلها حلاً دقيقاً علمياً ثقافياً بعيداً عن التطرف والجمود. فأسمى أهداف الجمعية هو الاستقامة والثبات مع كلمة التوحيد، كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ودعوة الناس إليها.

ورد في قانون الجمعية الأهداف التالية التي تسعى لإنجازها، وتتمثل في ثلاثة عناصر: التربية والتعليم، والتجديد ثم نصره الدين والدعوة إليه.

تسعى الجمعية في جانب التربية والتعليم لتحقيق هذه الأمور:

- ١- إنشاء وتمويل المؤسسات والمعاهد التعليمية.
- ٢- تشجيع أبناء المسلمين على التعلم والقراءة
- ٣- إنشاء مكتبات علمية لفائدة أبناء الجمعية ثم العامة
- ٤- الدخول في مشروعات أخرى تعين التربية والتعليم

وفي جناح التجديد تتخذ الجمعية السعة في:

^١ - "Reform Movement in West Africa" ٩، ٣ National Teachers Institute. Islamic Religious Studies Cycle

Kaduna: N T I (p٦٥)

^٢ Moddibo M Sani: *Proliferation of Muslim Organizations in Plateau State*. PhD Dissertation in the (p١١٩) Department of Religious Studies, University of Jos

- ١- تطوير جوانب الدين والتربية والتعاملية بين المسلمين.
 - ٢- إزالة كل نوع المنكرات التي تسرّب إلى الدين وتقوية الأخوة الدينية بين المسلمين.
- ويذكر الدستور في جانب الدعوة ونصرة الإسلام أهداف التالية :

- ١- حمل رسالة الإسلام ونشر علوم القرآن الصحيحة بين الناس.
- ٢- القيام بترجمة القرآن الكريم والكتب الدينية إلى لغات ممكنة ونشرها بين المسلمين.
- ٣- إبعاد الإسلام من كل أنواع الحيل والكيد والطغيان والكشف عن المفاهيم الخاطئة ثم اتخاذ طرقاً ممكنة في حماية المسلمين عن الردة.
- ٤- إنشاء المجالات والجرائد لنشر الإسلام.
- ٥- بناء مساجد في أماكن تحددها الجمعية بين وقت وآخر^١.

علمًا بأن تسعين ونيفاً في المائة من أبناء الجمعية من قبيلة يوربا فمنهج دعوتهم يختلف عن طريقة الدعوة والوعي الموجودة المتألف عليها في شمال نيجيريا، فيروي محمد الثاني مودبو في مقابلة أجراها مع إمام الجمعية ما نصه: أعمال جمعية أنصار الدين مذكورة في دستورها ومع ذلك فإن الحركات الدعوية لدينا في ولاية بلاتو تقام أثناء الحفلات والمواسم الإسلامية المشهورة: كعيد الفطر وعيد الأضحى، وحفلة مولد النبي ﷺ وقيام حفلة ليلة القدر ونصف شعبان وليلة صفر وليلة عرفة وفي مناسبة خطب الجمعة ومجالس التفسير التي تقام في شهر رمضان^٢.

فخلال مجهودات الجمعية أنجزت إنجازات كثيرة منها أنها أول منظمة إسلامية أسست مدرسة نظامية إسلامية سنة ١٩٥٨ في جوس عاصمة ولاية بلاتو. وتقع المدرسة في شارع كاشم إبراهيم في جوس، ويدرس في المدرسة أبناء المسلمين وغير المسلمين علوم الثقافة واللغة الإنجليزية ويتخصص أبناء المسلمين في علوم الدين الإسلامي. ومركز الجمعية حيث مسجدتها الجامع تقع وراء محطة الحافلات في تامنوس ولها كذلك فصول مبنية في مركزها حيث يقام فيها تعليم الكبار والذين لهم صعوبة في قراءة القرآن^٣.

٣- جماعة نور الدين :

هذه الجماعة كالتى سبقت من المنظمات التي ابتدعها المسلمون المنتسبون إلى قبيلة يوربا. وأكبر هدف لإنشائها هو تطوير معرفة الإسلام وتقاليده وبحث تعاليمه بين الناس.

^١ Ansaru-Deen Society of Nigeria, *Constitution of Ansar Ud Deen* (Adson) np. Nd (p٤- ٥)

^٢ Moddibo M Sani: *Proliferation of Muslim Organizations in Plateau State*. PhD Dissertation in the Department of Religious Studies, University of Jos (١٢٢- ١٢٣)

^٣ Moddibo M Sani: المرجع نفسه (١٢٣- ١٢٢)

انشأت فرعها في ولاية بلاتو سنة ١٩٥٣ بأعضاء من قبيلة يوربا ومن ثم بدأت تشارك في الأمور الدينية والاجتماعية في الولاية. لخص أمين الجمعية مهام أمورها التي تسعى وراءها كما يلي: أسست هذه المنظمة لتعليم أبناء المسلمين علوم الثقافة العصرية من خلال مناهج إسلامية، لأن أبناء مؤسسيها أيام التأسيس يدرسون في مدارس النصارى وتؤثر فيهم العقيدة النصرانية وعاداتها المنكرة، فأرادوا قمع ذلك وإحلال علوم وأفكار إسلامية سليمة محلها^١.

لقد وضعت الجماعة دستورا تسيّر عليه لإنجاز برامجها، وجاء في الدستور في المادة الرابعة، أهم أهداف الجماعة وهي:

- ١- إنشاء وبناء معاهد علمية حيث يتعلم الطلاب الإسلام وبقية العلوم الثقافية العصرية.
- ٢- إنشاء مكاتب لفائدة أعضاء الجمعية وطلابها والعامّة.
- ٣- تطوير الجوانب العلمية لطلاب العلم بين أعضاء الجمعية والعامّة
- ٤- تشجيع الأفراد والجماعات التي تسعى لتطوير العلم والإسلام.
- ٥- إزالة كل نوع من المنكرات والفساد وإثبات الأخوة الإسلامية بين المسلمين.
- ٦- تأسيس مؤسسات إعلامية لنشر العقيدة الصحيحة ومحاسن الإسلام
- ٧- القيام بترجمة القرآن والكتب الإسلامية إلى لغات مختلفة ومن ثم نشرها بين الناس.
- ٨- مساعدة الطلاب المسلمين المنتسبين للجمعية في مختلف المعاهد والجامعات في نيجيريا وخارجها رغبة في إدراك أعلى المراتب العلمية، دينيا وثقافيا، ومن ثم تكوين الفرد المثالي لإصلاح المجتمع.
- ٩- تجهيز محاضرات ومعارض ومؤتمرات وندوات علمية.
- ١٠- القيام بتلك الأعمال المذكورة حسب الحاجات والظروف لتحقيق أهداف الجمعية.
- ١١- توعية المجتمع وحمائته من الأوبئة والأمراض ثم توسعة مجالات الوقاية فيها^٢.

ولقد ساهمت الجماعة في نيل مرامها عن طريق إنشاء مدارس على مختلف الطبقات وخصصت قسما لتحفيظ القرآن في مدارسها وهي التي تتصدروتنولى برامج عقد المناكحات وحفلات أخرى لأتباعها. وتقوم بتفسير القرآن الكريم في رمضان أسبوعيا في مركزها إضافة الى دروس المساجد وغيرها من الأعمال.

وتُعد من أهم إنجازاتها إنشاء مراكز في حكومات محلية أخرى في الولاية مثل محلية منجو وجوس الجنوبية وباركن لادي وبسا و بانكشن. وقال شيخ عبد الرحيم السنوسي

^١-حوار مع عبد العزيز زكريا اوجو، يوم ٢٢/٧/٢٠٠٩ في جوس

^٢ Nuru-Ud-Deen Society of Nigeria: The Profile of Nuru-Ud-Deen Society of Nigeria. Nd np.

إمام الجامع التابع للجمعية: أذكر، أن من مهام الجمعية تنمية التربية والتعليم ورفع شأن المسلمين في بيئتهم. فقد بنت الجمعية مدرستها الأولى على شارع لاسيس ما كنجو في جوس منذ سنة ١٩٥٣ وبنت مدرسة أخرى في لارنتو جوس سنة ١٩٥٧. وللجماعة مساجد ومدارس أخرى على مستويات مختلفة تدرّس فيها علوم شتى وتجهز التلاميذ لتخصصات عديدة، الأمة تنتفع بعلومها.^١ وقريبا بنت الجمعية مستوصفا في شارع أديبايو ومسجدا جامعاً هائلاً في مربع نسرأوا في جوس. ولا زالت على درب إنشاء الأعمال في مختلف مكاتبها في ولاية بلاتو.

٤- جماعة نواثر الدين :

كانت جماعة نواثر الدين ثلاثة الجمعيات الإسلامية وجودا بعد أنصار الدين ونور الدين في جوس. فهي كسابقتها أنشئت أول ما أنشئت في جنوب نيجيريا ثم تفرعت في ولايات نيجيريا.

ظهر مركز الجمعية فرع جوس – ولاية بلاتو سنة ١٩٥٤م ولها أهداف كما يلي:

١- تطوير مبادي الدين الإسلامي.

٢- تطوير الجوانب العلمية والأخلاقية والاجتماعية في مجتمع المسلمين.

٣- بناء المساجد والمدارس ومعارض الكتب والمجلات والمكتبات والمطابع ومحلات أخرى ورعاية هذه المرافق لفائدة المسلمين وتطوير بيئتهم.

يقول أستاذ عبد الرحمن أحد أعضاء الجمعية: عن أعمال الدعوة لدى الجمعية أنها تقام تحت إشراف الأعضاء الكبار والإدارة والشباب. وتقيم الجمعية محاضرات أسبوعية لأبنائها، ولجنة الدعوة تجهز محاضرات عامة سنويا وتقيم مجالس التفسير في رمضان وتقوم بالوعظ والإرشاد في ولائم النكاح وخطب الجمعة ومناسبات أخرى.^٢

ويقول أمين الجمعية وهو يشرح إنجازات الجمعية: أنها سجلت نجاحا هائلاً في الولاية ونجحت كذلك في هداية غير المسلمين إلى الإسلام مع تأثيرها على المسلمين سياسياً وأخلاقياً واجتماعياً. وبنت الجمعية مدرستها الأولى في لارنتو جوس ومسجدا جامعاً لصلاة الجمعة ومستوصفا على طريق سركن منجو وكلها في جوس عاصمة ولاية بلاتو.

^١ حوار مع الإمام عبد الرحيم سنوسي (إمام جامع نور الدين، جوس) يوم، ٢٢ / ١٠ / ٢٠١٥

^٢ Nuru-Ud-Deen Society of Nigeria: The Profile of Nuru-Ud-Deen Society of Nigeria. Nd np(p٤)

٥- منظمة فتيان الإسلام :

يذكر المحققون أن منظمة فتيان الإسلام ثاني المنظمات والجمعيات التي وجدت في شمال نيجيريا، وسبب تأسيسها يرجع إلى أمرين مهمين:

أولهما: حاجة المجتمع إلى إزالة المنكرات التي تشيع بين الشباب في ولاية كانو آنذاك.

وثانيهما: تخلي المسلمين عن مبادئ الدين واهتمامهم بالجوانب السياسية والمادية التي تعود على المجتمع الإسلامي بآثار سيئة^١. ويذكر الحاج تجاني أمين المنظمة على مستوى الدولة رأيا ثانيا ويقول: إن سبب تأسيس المنظمة الحد من نفوذ القاديانية [أحمدية] الذي تسرب إلى ولاية كانو في الستينات، فأسست المنظمة لتوعية الأمة من زيغهم وضلال معتقداتهم وليأخذوا بحجز الشباب عن الوقوع في خطورة هذه العقيدة^٢.

تم إنشاء فرع المنظمة في ولاية بلاتو سنة ١٩٦٨ والذين تولوا الإنشاء هم:

مالم علي بابا والحاج ثاني طن كورا يوسف والحاج إسحاق غومنا والحاج ثاني شرو [شريف] وغيرهم.

أهداف منظمة فتيان الإسلام كما هو مدون في دستورها:

- ١- إيجاد تعاليم صحيحة مثالية للأمة.
- ٢- إيجاد توجيهاً أخلاقية وروحية للمسلمين .
- ٣- تطوير الفضائل والمزايا الإسلامية.
- ٤- تشجيع المسلمين على تعلم اللغة العربية والتكنولوجيا الحديثة.
- ٥- تقديم الخدمات الاجتماعية للعامة على معتقد إسلامي.
- ٦- القيام ببناء مساجد ومدارس وامتلاك مقبرة والعناية بها وبقية الشعائر المقدسة.
- ٧- القيام بالدعوة لنشر الأمن والتعايش السلمي بين شعب نيجيريا.
- ٨- تنظيم أنشطة إسلامية مثل الحفلات وحلقات الدراسية الحرة وإقامة مؤتمرات وندوات.
- ٩- دعم التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم
- ١٠- تربية شباب المسلمين على المبادئ الإسلامية^٣.

^١ Moddibo M Sani: *Proliferation of Muslim Organizations in Plateau State*. PhD Dissertation in the Department of Religious Studies, University of Jos

^٢ حوار مع الحاج تحاني شيخ يوم ٢٠٠٩/٧/٥ في جوس

^٣ Fityanu Islam. "The Amended Constitution of Fityanu Islam of Nigeria" np ١٩٩٩ (p٢)

أما عن شؤون الدعوة، فقد قال أمير المنظمة فرع ولاية بلاتو أن لهم لجنة للدعوة تحت رئاسة أمير الدعوة تقوم بشؤون الدعوة نيابة عن المنظمة حسب تقرير قانون الجمعية. فهم يقومون بحركات دعوية عن طريق المؤتمرات والندوات العلمية وتساعدهم على سهولة إجراء أعمالهم هيئة الإغاثة التابعة للجمعية^١.

وقد قدمت المنظمة أعمالا في مختلف الجوانب قال عنها سكرتيرها: لقد سجلت منظمة فتيان الإسلام نجاحا باهرا في ولاية بلاتو خصوصا في التربية الروحية لشباب المسلمين، ومن خلال مجهوداتها بنت مدارس ابتدائية وثانوية في جوس، ومحل الإصلاح الأخلاقي في قرية منجو، إضافة إلى العديد من الذين أسلموا على يد المنظمة. وتقوم المنظمة بتعليم الصناعة التي من خلالها تعلم العديد من الشباب حرفا وأعمالا مختلفة يعتمدون عليها اليوم في إقامة حياتهم. وللمنظمة فروع في الحكومات المحلية في بلاتو لا تقل عن عشرة^٢.

وهو على ثقة أن الجمعية ستستمر على هذا الدرب حتى تفوق غيرها من المنظمات والجمعيات في خدمة المجتمع.

٦- جمعية طلاب المسلمين في نيجيريا :

قد لا يستغني أي كاتب أو باحث عن معرفة دور الجمعيات والمنظمات الإسلامية التي لعبت دورا مثاليا في تقويم الشباب وبث روح حماية الإسلام عن عدوان المسيحيين المبشرين وأهم هذه الجمعيات هي جمعية الطلاب المسلمين المشهور بـ [Muslim Student Society of Nigeria (MSSN)].

يرجع تاريخ إيجادها سنة ١٩٥٤م عندما اجتمع بعض طلاب من مثنودس بويز حي سكول [Methodist Boys High School] وقوينز كوليج (Queens College) وكنغس كولج [Kings College] في لاغوس. لرسم الحلول لمواجهة الضغوط التي تواجه طلاب المسلمين في هذه المدارس قال د. أدبييتي: دعانا إلى تأسيس الجمعية أمران:

الأول: إيجاد مكان للقاء الطلاب المسلمين لمناقشة أمريتهم.

والثاني: أن عددا من أبناء المسلمين وقعوا ضحية التنصير في مدارسهم، فاتخذنا قرارا لفظي بإيقاف هذه الكارثة، وكان بعضنا يجتمع أسبوعيا، فدعونا طلابا من مدارس ثانوية أخرى في لاغوس آنذاك، ولقد أدت فطنة هؤلاء الطلبة وبُعد نظرهم إلى تأسيس هذه

^١ حوار مع الحاج عثمان علي ٢٠٠٩/٧/١٥

^٢ حوار مع الحاج عثمان علي في جوس يوم ٢٠١٦/٧/١٥ المرجع نفسه

الجمعية. وتدرجيا انتشرت هذه الفكرة وتفرعت في مدارس عديدة طوال السنوات، وقد شملت جميع ولايات نيجيريا الآن^١. فمتى كان وصولها ولاية بلاتو وفي أية مدرسة كانت بدايتها، أمرٌ لا زال تحت الحوار ولكن الأغلبية تقول إنها وصلت سنة ١٩٧٠م. وليس الغرض من هذا البحث تحقيق من جاء بهذه الفكرة إلى بلاتو لكن ماذا أنجزت منذ وصولها؟ تقوم جمعية الطلاب بتنفيذ أهدافها وأعمالها على مراتب أربعة،

ا- مستوى الحكومات المحلية ويدخل تحت هذه مدارس ثانوية حكومية وأهلية

ب - مستوى الولاية، وتحتها معاهد وجامعات وبقية مؤسسات علمية فوق الثانوية

ج - مستوى المنطقة وهي عبارة عن اجتماع عام للطلاب المسلمين من المنطقة الشمالية التي تشتمل على ولايات شمال نيجيريا التسع عشرة (١٩) وأبوجا. ومنطقة جنوبية التي تضم سبع عشرة (١٧) ولاية

د- مستوى الدولة وهو بمثابة الأمير العام وتحتة أميراً المنطقتين وهما على مرتبة نائب أول ونائب ثانٍ

والمركز الرئيسي للجمعية كان في زاريا قبل انتقاله إلى أبوجا.

أما عن الأهداف والغايات التي تسعى الجمعية لإنجازها فهي كالتالي:

١- بث روح الأخوة الإيمانية بين المسلمين لتحقيق سلامة وسعادة الإنسانية في الدارين.

٢- تشجيع الأمة الإسلامية على الحكم بشريعة الله تعالى.

٣- الحث على قراءة القرآن وتعلم اللغة العربية فهي لغة العالم الإسلامي.

٤- تطوير وتمكين الطلاب المسلمين والحفاظ على حقوقهم وسعادتهم.

٥- توفير الطاقة الفعالة للدعوة الإسلامية في نيجيريا والعالم برمته.

٦- نصر المظلوم في أي واد كان.

قال أمير الجمعية لولاية بلاتو: إن هذه الغايات المرسومة تتابع من طرق شتى، فإن الجمعية تولت ولا تزال تتحمل مسؤولية تدريس المواد "الإسلامية" في المدارس

^١- ٢٠١٠، ٢٤th January, Sunday Trust, News paper

الحكومية التي ليست لها مدرسون هذه المادة. ومن ضمن برامجها أنها تجهز مهرجانا سنويا تقام فيه ندوات ومؤتمرات وحلقات علمية وتقوم فيها بزيارة المستشفيات والسجون وتقديم ما تيسر من التبرعات والأمتعة لهم وغيرها من الأعمال، إضافة إلى حلقات التفسير في رمضان وخدمات استشارية تقوم بها. وبرامج الجمعية تضم جميع المنتسبين إلى الإسلام بغض النظر عن الفروق الطائفية التي بين المسلمين اللهم إلا الشيعة^١

من إنجازات الجمعية تقوية شعور المسلمين بأنهم جسد واحد على اختلاف مدارسهم على حد قول رسول الله ﷺ، "إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"^٢. وقد رفعت الجمعية الروح المعنوية لأبنائها خاصة في جانب الأخلاق والعلاقات الاجتماعية زيادة إلى العديد من غير المسلمين الذين يدخلون في الإسلام نتيجة جهود الجمعية وحسن معاملاتها مع غير المسلمين في ميدان طلب العلم خاصة في الجامعات. وتأمل الجمعية تأييد هذه الأعمال مع تقديم المساعدة من أثرياء المسلمين وأصحاب الهمم أن يبذلوا ما في وسعهم في مساعدة الجمعية لبلوغ القمة في إنجاز أعمالها النبيلة^٣.

٧- جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة :

كانت حركة جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة من الحركات الإصلاحية الوحيدة والكبرى في نيجيريا وغرب إفريقيا. وهي حركة إحياء الدين وامتد تأثيرها ونفوذها إلى النيجر وتشاد والكاميرون وغانا والسودان. وهدفها الأسمى كما يدل عليه اسم الجمعية هو إزالة البدع والخرافات والمنكرات التي في معتقدات الطرق الصوفية التي سبقت شيوعها في نيجيريا عشرات السنين وإبدالها بما ثبت عن رسول الله ﷺ. بهذا اختلفت هذه الحركة عن بقية الحركات والمنظمات السابقة الذكر. تأسست هذه الجمعية نتيجة مجهودات المرحوم الشيخ أبوبكر محمود جومي والذي حققه طالبه إسماعيل بن إدريس بن زكريا وأعوانه وهو الذي كان رئيس مجلس علمائها الأول بعد تأسيسها سنة ١٩٧٨م. وكان أهم وسيلة الجمعية القيام بالوعظ والإرشاد وبناء المدارس وتوعية الناس عن المنكرات الموجودة في

^١ (Moddibo M Sani in the Department of Religious Studies, University of Jos (p ١٤٤)

^٢ مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، دار الجيل بيروت، (باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) حديث رقم ٦٧٥١. مسلم بن الحجاج: ٢٠٦هـ-٢٦١هـ، هو مصنف كتاب صحيح مسلم الذي يعتبر ثاني أصح كتب الحديث بعد صحيح البخاري، وهو أحد كبار الحفاظ، ولد في نيسابور، طلب الحديث صغيراً، وكان أول سماع له سنة ٢١٨ هـ، وعمره آنذاك اثنتا عشرة سنة. وكانت له رحلة واسعة في طلب الحديث، أثنى عليه علماء عصره ومن بعدهم، واعترفوا له بإمامته وبالتقدم والإتقان في علم الحديث. أخذ الحديث عن أحمد وإسحاق بن راهوية وأبي زرعة الرازي وغيرهم، وتلمذ البخاري أيضاً، له مصنفات أخرى غير صحيحه في علم الحديث وعلم الرجال.

^٣ Moddibo M Sani: *Proliferation of Muslim Organizations in Plateau State*. PhD Dissertation in the Department of Religious Studies, University of Jos (p ١٤٥)

التصوف [طريقة التجانية] وإظهار هذه الخرافات، خاصة ما يتضمنه كتاب "جواهر المعاني" وأمثال ما يسمونه صلاة الفاتح وإقام حفلة مولد النبي ﷺ واجتماعهم لتسمية المولود يوم عقيقته والدعاء الجماعي بعد الصلوات الخمسة [وربط التولية والتمائم] وغيرها من الأشياء التي يعتقدونها أهل الطريقة التجانية الصوفية.

ومنذ تأسيسها بدأت بالدعوة إلى إقامة السنة وطلب العلوم الشرعية والمادية إذ بهما يسعد العبد في الدارين. ومن أهم خصائصهم أنهم لا يصلون وراء الصوفية ولا يأكلون ذبائحهم ولا يتناكحون منهم لا اعتقاد كفرهم لكن بمرور الزمان والدهور وازدهار العلوم والوعي الديني الخالي عن العاطفة والانفعال خرج منهم فصيل، وأضحوا يعاملون الصوفية على أنهم طائفة مسلمة مبتدعة لهم بالإسلام علاقة ولهم بدع منكرة نبتعد عنها.

وللانتفاء الى الجمعية فليس هناك شروط يتقيد بها الراغب فيها سوى المواظبة على الصلوات في مساجدهم وأن لا يظهر منه شيء من تصرفات تناقض انتماؤه الى الجمعية والتزامه بقوانينها.

جاء في دستور جماعة إزالة البدعة الأهداف التالي:

توحيد كلمة المسلمين كما قال الله تعالى: **وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا^١** وقول رسول الله ﷺ: **"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"**^٢.

- ١- توعية الناس ضد المنكرات التي تقام باسم الدين
- ٢- توعية المسلمين أن هناك كتباً كتبها علماء السوء لإفشاء الفساد في الدين.
- ٣- إقناع المسلمين أن الرسول ﷺ بلغ الرسالة كما أمره ربه عز وجل.
- ٤- البيان للناس أن كل من ادعى النبوة أو قال بأن الرسول الله ﷺ يزوره عياناً، أن يعتبروه كاذباً لأن كلامه هذا يشير إلى أن رسول الله ﷺ لا زال على قيد الحياة وقد فند القرآن ذلك بقوله تعالى: **"إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ"**^٣ وأثبت النبي ﷺ أنه سيموت

^١ سورة آل عمران، الآية ١٠٣

^٢ البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة: صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، (باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً) حديث رقم ٢٤٤٦. البخاري (شوال ١٩٤هـ - شوال ٢٥٦) أحد كبار الحفاظ الفقهاء من أهم علماء الحديث وعلوم الرجال والجرح والتعديل والعلل، له مصنفات كثيرة أبرزها كتاب الجامع الصحيح، المشهور باسم صحيح البخاري، الذي يعد أوثق الكتب الستة الصحاح والذي أجمع علماء أهل السنة والجماعة أنه أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وقد أمضى في جمعه وتصنيفه ستة عشر عاماً، رحل كثيراً في طلب الحديث وسمع من قرابة ألف شيخ، وجمع حوالي ستمائة ألف حديث اشتهر شهرة واسعة وأقر له أقرانه وشيوخه ومن جاء بعده من العلماء بالتقدم والإمامة في الحديث وعلومه، حتى لقب بأمير المؤمنين في الحديث (انظر المقنع في علم الحديث لابن الملقن ص٥٦، طبعة دار الفواز للنشر)

^٣ سورة الزمر، الآية ٣٠

وقد مات، وخرج أبوبكر بعد وفاة النبي ﷺ وقال: " ألا أن من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت"^١.

ومركز جماعة إزالة البدعة الرئيسي في جوس ولاية بلاتو ولها مراكز فرعية في جميع ولايات نيجيريا وأبوجا وتقريباً وجميع المحليات حيث المسلمين، ويسجلون وجودهم ببناء أو إيجاد مسجد للصلوات الخمس ومسجد جامع مهما صغر حجمه. ورعاية هذه المساجد تكون تحت لجنة من المنتسبين إلى الجماعة ويقومون بجمع التبرعات على الأقل مرتين في الأسبوع غير المطالب التي ترسلها المراكز إلى هذه المساجد للقيام بأعمالها.

أما عن إنجازات فرع الجماعة لولاية بلاتو فمنها:

- ١- محاربة البدع، فأصبح الناس أشد وعياً بالبدع والخرافات من ذي قبل، والحركة اليوم من أكبر الحركات الإصلاحية لا في بلاتو ونيجيريا فحسب بل في غرب إفريقيا ككل حيث لها فروع في النيجر والكامرون وتوغو والسودان وغانا وتشاد.
- ٢- في جانب التربية والتعليم، لها مدارس مبنية في جميع فروعها في الولاية تسمى ملجأ السنة يدرس فيها أبناء المسلمين على مستوى الابتدائية وتحفيظ القرآن الكريم وتقوم في هذه الفصول أيضاً دراسة في أيام مختارة من الأسبوع النساء.
- ٣- أنشأت في سنة ٢٠٠٨م مدرسة الدراسات الإسلامية العالية في مربع سركن منجو وأخرى في شارع زاريا إضافة إلى التي بنتها في حكومات باركن لادي ومنجو، مدارس ابتدائية وثانوية. ولا تكاد تزور أي حي في جوس إلا وجدت فيها على الأقل مدرسة ابتدائية تابعة لها.
- ٤- وتملك الجماعة كذلك مستشفى يدعى "مستشفى السنة" يقع في حي أنغون ريمي جوس.

- ٥- وضمن الحكومات المحلية السبع عشرة (١٧) في ولاية بلاتو لها مراكز فرعية في أربع عشرة منها. ونتيجة محاربتها البدع والخرافات، قد نبذ عديد من أتباع الطرق الصوفية عقيدتهم الباطلة وانضموا إلى حزب السنة، إضافة إلى البدع في المناكحات والعقيقة التي تم الإصلاح فيها إلا قليلاً^٢.

وأكبر ما أخذ على جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة أنها لم تستطع أن تصلح بين فرقتيها المتنافرتين وفشلت جميع المحاولات في الإصلاح بينهما. وهكذا ظلت كل طائفة تستمر

^١ البخاري، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: صحيح البخاري، المرجع السابق، (باب من انتظر حتى تدفن) حديث رقم ١٣٢٥ المرجع السابق

^٢ مالم لون عمر نائب رئيس مجلس العلماء التابع لجماعة إزالة البدعة وإقامة السنة، فرع سابون لاي جوس ٢٠١٦/١٢/١١

بأعمالها مع أن الخلاف لم يتسرب إلى معتقد الجماعة إلا أنهما ترميان بعضهما بأمر مشينة. عسى الله أن يوفق بينهما.

يلاحظ بعد تتبع ما تسعى وراءه هذه الجمعيات والمنظمات في ولاية بلاتو أنه يدل على أن أهدافهم وغايتهم متقاربة ويشير ذلك إلى أن المشكلة في ولاية بلاتو معروفة لدى جميع الجماعات إلا أن طريقتهم مختلفة، والسؤال هو: لماذا لا زالت هذه المشكلات إلى الآن؟ لعل الجواب يكون:

- أن المشكلة الواحدة تحل بأفكار متباينة في نفس الوقت
- وليس هناك تنسيق بينهم لحل ما بينهم من مشكلات
- قلة الإخلاص وحميتهم لأحزابهم وجماعاتهم
- عدم الطاقة السياسية في تنفيذ العمل

ولسائل أن يقول أليس إذا كثرت الأيدي على عمل ألا يؤدي إلى سرعة إنجازه؟ يرى الباحث أن لو كانت طرق الحل متفقة بين جميع المعنيين لأدى ذلك إلى سرعة إنجازه ولكن الكل يعمل على حدة فلا يزيد العمل إلا سوءا. فعلى سبيل المثال جميع هذه الجمعيات لها مدارس على مستويات مختلفة لكن ليس من بين هذه المدارس ما يدخل بين العشرة الأوائل في الجودة وقوة في المعدل في الولاية بينما للمسيحيين أعداد من المدارس حاز هذه المنقبة بل للأسف أن عددا كبيرا من المسلمين يفضلون إرسال أبنائهم إلى مدارس غير المسلمين للمستوى الذي حازتهم مدارسهم. ونفس الشيء يقال في المستوصفات والمستشفيات التي تحت إدارة المسلمين. اذن فأكبر مشكلة للمسلمين عدم الاتحاد، والقرآن قد حث كثيرا على اجتماع الكلمة ودم التفرق، قال تعالى "وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" ^١ وقال "وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" ^٢ والآيات كثيرة في ذلك. ولنتعلم من تاريخ الرعيل الأول، فأول شيء قام به الرسول ﷺ في المدينة بعد هجرته إليها هو إزالة الفارق بين المهاجرين والأنصار وسماهم في وثيقة المدينة "أمة من دون غيرهم" وقال الله تعالى محذرا عن التفرق والمنازعة: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

^١ سورة آل عمران ، الآية ١٠٣

^٢ سورة النساء ، الآية ١١٥

وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ^١ وقال ﷺ عن ما شجر بين الأوس والخزرج "وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"^٢ فلما استقام هذا المبدأ بينهم سخر رسول الله هذه الطاقة في بناء الأمة فلم يرى المهاجر أي علة من أن يكون تحت قيادة أو إمارة الأنصاري في الغزوات والفتوحات ولا العكس ولم يجد عبد الله أي موجدة في تعليمه لبلال كلمات الأذان ليصبح بلال مؤذن رسول الله ﷺ. فالغاية هو همهم. فلو تأخذ كل جماعة مشكلتين من مشكلات الأمة وتأخذ غيرها أخريين وسارت الأمور هكذا، وأفرغت قصارى جهدها ووظفت مهارتها وحكمتها لحلت المشكلات واحدة تلو الأخرى بكل إحكام ورزانة. ولنا في رسول الله ﷺ أسوة، فهو الذي يعرف أصحابه وقدراتهم وملكاتهم فهناك يمنع أبا زر عن طلب الإمارة ويسند الإمارة إلى غيره ويلح أن يكون الخلافة لأبي بكر ويؤمر أسامة بن زيد على جيش فيه كبار الصحابة ويبيعث معاذاً على اليمن ويرسل مصعباً إلى يثرب ويأتي كلهم بالنتيجة المرجوة لأن الكل ملائم في مهمته. فمعنى هذا هو أن يأخذ كل الأفراد من المهارة والخبرة التامة والخلفية المناسبة ولتكتاف الأمة بعد ذلك في رفع هذه المشروعات بحيث نفضلها على ما ليس مصدره منها وتتعاون في إصلاح ما يفسدها، يكون النتيجة أفضل وأفضل. ولنسترشد ببعض الآثار عن رسول الله ﷺ قال "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أمين وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح"^٣ وقال لعبد الله بن زيد في قصة الأذان: ألقه على بلال فإنه أندى صوتاً منك^٤ وقال لأبي زر لما طلب من النبي أن يستعمله على ولاية: يا أبا زر إنك ضعيف وإنها أمانة إنها يوم القيامة خزي وندامة^٥ وقدم الخليفة الراشد ابو بكر خالد بن الوليد على ابي عبيدة في قيادة الجيش والتدبير العسكري كل هذا من باب اختيار من هو أليق وأكثر تناسبا للمهمة.

فمع المآخذات التي لاتخلو الجمعيات الإسلامية في بلاتو منها والقصور في مجهوداتها وقلة القدرات التمويلية للقيام بأمورها الأساسية وفقد التنسيق المناسب بينها، إلا أن الأمة

^١ سورة الأنفال، الآية ٤٦

^٢ سورة ال عمران، الآية ١٠٣

^٣ الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى: سنن الترمذي، باب مناقب معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبي و أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، رقم الحديث ٣٧٩٠. الترمذي، أبو عيسى ٢٠٩هـ - ٢٧٩هـ مصنف كتاب الجامع المعروف بسنن الترمذي، حافظ للحديث، ولد في مدينة ترمذ، ثم ارتحل لطلب الحديث فذهب إلى العراق =الحجاز وغيره وحديث عن جمع كبير من المحدثين، وأصبح ضريحاً في كبره بعد رحلته وكتابه العلم، وتوفي في في بلدة ترمذ رحمه الله. انظر: قوت المغتذي للسيوطي المقدمة ص ١٢ ووفيات الأعيان لابن خليكان ج٤، ص ١٠٤

^٤ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني: المنهاج شرح صحيح مسلم

^٥ مسلم بن حجاج: صحيح مسلم، رقم: ٤٨٢٣

انتفعت بهذا القليل ولا يلامون بعدم القيام إلا أن يقال بأن جهودهم غير كافية، ولعل هذه الجهود أدت إلى الإيجابيات التي تعيشها ولاية بلاتو في الزمن الحاضر.

المبحث الثاني: الصحوة الإسلامية الحديثة في ولاية بلاتو

و يشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : الوعي الديني

المطلب الثاني : العناية بالدراسات الدينية وعلوم التكنولوجيا

المطلب الثالث : الوعي السياسي

مدخل:

لا تبعد أسباب الصحوة ويقظة المسلمين في ولاية بلاتو من المعاناة والويلات والأزمات التي تعاقبت على الولاية منذ عودتها إلى الحكم الديمقراطي في ١٩٩٩م. ويتناسب مع الوضع في بلاتو، قول مهدي العطار حينما قال عن الصحوة: هي الظاهرة الاجتماعية التي تعني عودة الوعي للأمة وإحساسها بذاتها واعتزازها، بدينها وبكرامتها واستعلانها السياسي والاقتصادي والفكري وسعيها للنهوض بدورها الطبيعي في بناء حضارة الإنسان باعتبارها خير أمة أخرجت للناس^١ ومن وجهة نظر خاصة يرى الباحث أن هذا الوصف يلائم مبدأ الصحوة الإسلامية. واليقظة التي نشأت في ولاية بلاتو يقظة المسلمين لمواكبة التحديات التي طال ما كانت تواجهها من وجوه معيشية مختلفة، دينية وفكرية وسياسية واقتصادية وغيرها. ويحسن النظر في بعض هذه العناصر في ولاية بلاتو مع التركيز على المناطق التي يغلب عليها الإسلام

المطلب الأول : الوعي الديني

انطلاقاً مما كان عليه حال المسلمين قبل ظهور المنظمات والجمعيات الإسلامية في ولاية بلاتو من تقهقر وتراجع خاصة في جوانب التربية والتعليم والفقه في الدين وكثرة الخلاف الناشئ عن الجهل بمبادئ الدين وأهم تعليماته، فالأمة في حاضرها في بلاتو خير مما كانت سابقاً، والتي تدل على فطنتها إلى ضرورة الانتقال من حال إلى أفضل. فأمل المسلمين في بلاتو لم يتغير بالصدفة إنما حدث نتيجة إدراكهم أنه لا بد من القيام ببعض الجهود والحركات التي يصلحون بها مستقبلهم، وذلك على حد قول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ

لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ^٢ لا شك أن حركات الدعوة أحدثت تغييرات إيجابية في حياة الأمة في بلاتو. ويرى الكثيرون أن الصحوة الدينية المشاهدة في ولاية بلاتو لها علاقة قوية بضغط عظم على المسلمين خاصة الذين من قبيلة هوسا-فلاني وهم أغلبية مسلمي جوس الشمالية وهي مقر الحكم. وهذه الكثرة في العدد تشكل امام الذين بأيدهم السلطة من الوثنيين والمسيحيين مجابهة وتحديات فيستعملون ما بيدهم من السلطة للتكيل بالمسلمين، مما أدى المسلمين للدفاع عن أنفسهم من الطغيان والنقمة من جهة أصحاب السلطة واستمرت الاشتباكات والإضطرابات المختلفة في مختلف السنوات ولا زالت ولاية بلاتو بين وقت وآخر تعاني من مشكلات الظلم من حكامها وعدم التسوية بين

^١ حسين سعيد الحسنية: مقالات في الصحوة ، موقع صيد الفوائد www.saaaid.net

^٢ سورة الرعد، الآية ١١

الرعية ودعم قبيلة لاستئصال الأخرى، واشتد هذا الضغط على المسلمين طوال عهد الوالي جونا ديفد جنغ (٢٠٠٧-٢٠١٥م) وخلال هذا الوقت قتل أعداد كثيرة في صراعات مختلفة في الولاية والجدير بالذكر منها المذبحة التي تبعت انتخابات ٢٠٠٧م وأخرى في ٢٠٠٨م و٢٠١٠م وكذلك الذي حصل في يلون شاندم و دوغو نحواء وباركن لادي وغيرها. فإنها حملات متعددة لكسر شوكة المسلمين وقمع نفوذهم وتضعيف قوتهم وعددهم دينيا وسياسيا واقتصاديا. ويؤكد هذا الكلام نقل جونا جنغ المراكز والمكتبات الحساسة للحكومة من جوس الشمالية حيث إن المسلمين أغلبية إلى جوس الجنوبية وطوال عهده وعدم إجراء الانتخابات في جوس الشمالية طوال عهد ملكه خشية أن يظفر بها المسلم. واستطاعوا نيل كثير من أغراضهم، للسلطة التي بيدهم وهم الفئة الموظفة لدى الحكومة ويستعملون مناصبهم ضد غيرهم، ولا يكاد مسلم يرتقي إلى أي منصب حساس في عمل الحكومة إلا وضعوا له عوائق يقع فيها فيسقط دونه. فمع كثرة عدد المسلمين في جوس لم ترسم الحكومة الولائية أي خطوة لإيجاد التوازن ولو نسبيا بين سكانها على مختلف قبائلهم وأديانهم، إنما هو ضغط متعمد على المسلمين دائما. وحيث ترشح الحكومة الفدرالية مسلما على منصب سياسي نيابة عن ولاية بلاتو وهو من مواليدها وأبنائها وسكانها خرجوا إلى الطرق يظاهرون لعدم رضاهم به، ويمكن القول بأن الصراعات والاشتباكات التي حصلت في سنة ٢٠٠١م والتي نتجت في ٢٠٠٢م، و٢٠٠٧م و٢٠٠٨م و٢٠١٠م إلى غير ذلك من اضطرابات بين سكان البلد نجمت من سوء نية الوالي، إضافة إلى الظلم الذي يتعمده على المسلمين.

فهذه الكراهية الظاهرة والحدق على المسلمين وانتشار المخدرات بين الشباب وفشو الجهل وقلة الأعمال الصناعية وفقداء البعض للأزمة الاقتصادية وقلة المجالات في أعمال الحكومية والحرف المهنية أدى إلى فقر مدقع وبؤس مترب بين الرعية، فلما بلغت هذه السلبات ذروتها أفاقنا الأمة وعادت إلى وعيها ورشدها بما فيها من علمائها والمتقنين بينهم فقاموا بتوعية مستمرة مع اتخاذ السبل لحجز المشكلات واستئصالها من جذورها. فاتخذ العلماء منصات الوعظ ومنابر الجمعة وأقاموا نوادي ومؤتمرات علمية في موضوعات توظف في الأمة روح الهمة والحماسة وتوجههم إلى ما فيه صلاحهم. وأسست الجمعيات الإسلامية لجان الشباب للدعوة والإرشاد، يقومون بنشاطات الدعوة ويزورون مختلف أحياء المسلمين ليبينوا لهم مضرات البطالة والمخدرات والجهل بالدين، وبجانب آخر قام المثقفون بتعليم أبناء المسلمين صناعات وحرفاً مختلفة ومساعدة أبناء الفقراء الأذكياء على دراسة علوم شتى. فهذه الحركة لعبت دورا هائلا في

الصحة الإسلامية في ولاية بلاتو. وتبرز ثمرات هذه اليقظة في عناصر دينية كثيرة منها:

- ازدهار المدارس الدينية على مراتب مختلفة بين المسلمين ورغبة الطلاب فيها لإشتمال مناهجها على الدروس الدينية والعلوم وغيرها
- كثرة المساجد وإقامة شعائر الإسلام المختلفة بين المسلمين
- العناية الزائدة بتعليم البنات والنساء تخصصات علمية مختلفة
- التزام النساء والفتيات بالحجاب والحشمة عند الخروج
- الحفاظ على الكليات الخمسة كما أشاد بها الإسلام [الدين والنفس والنسب والعرض والمال]
- ندرة الزواج من غير المسلمين عكس ما كان الحال من قبل
- إزالة محلات الخمر والمخدرات والقمار وغيرها من الانحراف الأخلاقي في أحياء المسلمين وقلة مشاركة الأبناء المسلمين فيها
- إنشاء المسلمين لمستشفيات ومستوصفات وصيدليات عكس ما كان الحال من قبل
- طرح التعامل بالربا وغيره مما أدى إلى افتتاح بعض البنوك لأقسام المصارف الإسلامية
- محاولات جبارة من جميع النواحي الممكنة في منع المخدرات وجميع أنواع المسكرات بين المسلمين
- محاولات جبر العلاقات مع المواطنين والتعايش السلمي بين متبعي أديان أخرى للسير على درب التقدم

وعلامات تدل على نضارة حال المسلمين في بلاتو أفضل مما كان ماضيا في عهد الوالي جونا جنغ لأن الوضع السياسي الحالى تحت الوالي سيمون باكو لالونغ فكّون حكومة تضامنية ومخالطة أبناء القبائل والأديان المختلفة في سياسة ولايته ساعدت في استقرار الأمن في البلاد والتعايش السلمي بين أتباع الديانات المختلفة. ولما أمن الناس أفسح المجال للدعوة الإسلامية وتهيأت الفرص أمام المسلمين لإبراز محاسن دينهم من جديد على سكان بلاتو، وليعيد التاريخ نفسه مثلما وقع بعد صلح الحديبية في عهد رسول الله ﷺ. قال الله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ

أَمَّا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾^١ وصدق
الناظم عندما قال :

ما حك جلدك مثل ظفرك # فتول أنت جميع أمرك^٢

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

دواؤك فيك وما تشعر # ودواؤك منك وما تبصر

أتحسب أنك جرم صغير # وفيك انطوى العالم الأكبر

فأنت الكتاب المبين الذي # بأحرفه يظهر المضر

فما حاجة لك من خارج # وفكرك فيك وما تصدر^٣

المطلب الثاني : العناية بالدراسات الدينية وعلوم التكنولوجيا

لم يكن الجهل من سمة المسلمين في شمال نيجيريا، فقد كان لهم تاريخ قديم في طلب العلم والتعلم، والمشهور عندهم تعلم القرآن وكتابته على الألواح وحفظه، وهذا كان دأبهم منذ دخول الإسلام إلى شمال نيجيريا، فالمجهول لديهم آنذاك هي اللغة الإنجليزية وما يصحبها من ثقافة أصحابها المغاير لعادات وتقاليد تعارفوا عليها وألفوها. وعندما قدم المستعمرون إليهم نوع تعليمهم تتأقلا في قبوله لاختلاف عاداتهم ودينهم عن الإسلام السائد بين سكان شمال نيجيريا وعدم الثقة بخفايا نيتهم، ومما زاد الطين بلة أن المسلمين في جنوب نيجيريا الذين سبقت إليهم هذه الثقافة تسبب في ارتداد العديد من أبنائهم عن الإسلام لاصطحابها مع فكر التنصير. يذكر عبد الوهاب محمد جامع في مقالته في مجلة معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا ما نصه "أن أحد زملائي في زمرة الأدبية الكمالية الابتدائية في الورن المسمى تاج الدين محمود لما التحق بعد الإبتدائية بالثانوية من نوع المدارس ذات الثقافية التنصيرية لم يلبس غير قليل حتى تنصر وأمثاله كثير ومن لم يبدل دينه يجبر على تغيير اسمه المتصل بالإسلام إلى اسم عادي أو يضاف إليه اسم من اسمائهم مثل

^١ سورة النور، الآية ٥٥

^٢ الإلوري ادم عبد الله: الإسلام اليوم وغد في نيجيريا، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠١٢م (ص ٢٨)

^٣ الإلوري ادم عبد الله: المرجع نفسه (ص ٢٨) المرجع السابق

(سَمِيْث [Smith] جُورْج [Geoge] بِيْتْس [Peters] وغيرها)^١ ولتوقّي هذه الظاهرة امتنع المسلمون في شمال نيجيريا عن قبول هذه الثقافة للاعتقاد أن التعلم في مدارسهم حرام للتجربة الظاهرة التي في متناول أيديهم عن الفساد الذي حدث نتيجة تلك الثقافة. فقد ظهر للمسلمين منذ قرابة سنة ١٨٤٠م أنهم إن وضعوا أبناءهم في أيدي النصارى المبشرين لا يعودون إليهم إلا بدين غير الذي خرجوا به^٢ فالتعليم في تلك الحقبة من الزمن يعني دراسات نصرانية وآداب النصارى وغيرهما مما اثبتته الواقع آنذاك. لكن مع ظهور الكارثة التنصيرية التي اشتملت عليها هذه الثقافة توغل فيها المسلمون بتوقّ وحذر شديد، مقدرين فيها قاعدة أصولية تقول "الضرورات تبيح المحظورات" صارت القضية ضرورة للمسلمين في نيجيريا لأنها تمثل التعليم الذي ورثته الدولة من المستعمرين ولم يكن من السهل تغييره بالكلية حتى في مناطق المسلمين والولايات التي هم الأغلبية فيها، لأن اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية في الدولة ولا بد أن يتضمن الشهادات العلمية على الأقل مستوى الثانوية لغة الإنجليزية والرياضيات ليكون الفرد مؤهلاً لحجز المناصب الحكومية الفدرالية. فحامل شهادة القرآن وعلوم الدين فحسب ولم تكن له معرفة بشيء له علاقة باللغة الإنجليزية مع شهادة معتبرة تدعمه، فإنه لا مستقبل له في الحصول لأعلى الوظائف الحكومية اللهم إلا أن يكون مدرسا في نوع المدرسة التي تخرّج منها. وجعلت وزارة التعليم فرع ولاية بلاتو في الأشهر الماضية من هذه السنة على أوراق ومستندات لمعلمي مدارس الابتدائية فصلّوا اثرها معلمي التربية الإسلامية غير الذين يحملون شهادة معاهد التربية الحكومية. أما غير ذلك من خريجي المدارس الإسلامية أو العربية فلم يعتبروا. ففي مقابلة مع أمثال من لحقهم هذه الاضطهادات سابقا ولاحقا قام المفكرون المسلمون بإنشاء المدارس الأهلية على نوع ثقافة الغربية العصرية وتسجيلها مع وزارة التعليم مع الحفاظ على الأخلاق والقيم الإسلامية فيها. وهذه من التحديات التي أوجدت بسببها الجمعيات الإسلامية المختلفة [كما أشار إليه الباحث سابقا] وإضافة إلى هذا فإن شمال نيجيريا تحاول اللحاق بالجنوب في التقدم والتمدن والتقنية والعلوم ليكون هناك نوع من التوازن في المجالات والفرص التي تأتي من الحكومة والمشاريع العالمية المختلفة. وازدهار العلوم والتكنولوجيا الحديثة وعولمة المعارف جعلت الرغبة أكد

^١ ELESIN Abdulwahab Jamiu, *Legitimization of "Boko type of Education" within the Framework of the Shari'ah Principle of 'Ad-daruratu Tubihu Al-Mahzurat*, Journal of The Nigeria Association of Teachers of Arabic and Islamic Studies Tetfund Supported Production vol. ١٥ (٢٠١٢)

^٢ Babs Fafunwa, *History of Education in Nigeria*, Nigeria Ibadan, NPS Education Publishers Limited, reprint ٢٠٠٤, (p. ٦٧-٦٨)

فالباحث في هذا المطلب يركز على العناية التي أعطاها مسلمو ولاية بلاتو لعلوم الثقافة العصرية المشتمل على جوانب معرفية مختلفة وتخصصات عديدة بما فيها من العلوم الاجتماعية وعلوم التكنولوجيا والعلوم الإنسانية وتدرس في نيجيريا بلغة الإنجليزية لا غير.

و قبل أن نترك هذا المبحث نشير إلى حديث محمد الثاني مدبّو حيث قال: العلم لدى المسلمين صنفان: تعلّم القرآن الكريم المحض و تعلّم مواد علمية أخرى، والكل يرمي إلى نيل الفلاح في الآخرة والحظ في الدنيا^١. يبدأ أبناء المسلمين حضور المدارس القرآنية منذ نعومة أظفارهم وغالبا يكون هذا في بيوت أو مساجد مخصصة لهذا الغرض وإلا ففي عُرف يتبرع بها بعض المحسنين من حجرات بيتهم، وهذا الشكل من التعلم يستمر حتى يكبر الطالب أو الطالبة فينقطع عنها ليلحق بمدرسة نظامية قد يتضارب وقت حضورها مع هذه. وهناك شكل آخر يقال لها "تسنغيا" (Sangaya) حيث يقيم المعلم وطلابه قريبا من قرية أو مدينة، ويعيشون على تبرعات الناس لطلاب المدرسة بفضل طعامهم عند تردد التلاميذ على بيوتهم. و يبدأ التلميذ حضور هذا النوع منذ سنّ الرابعة أو الخامسة ويستمر فيها حتى ينهي تلاوة القرآن مع كتابته حسب سرعة ترتيله للآيات التي يكتبها على لوحه، وغالبا ما تكون سن الإكمال في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمر الطالب^٢. وبعد ذلك له خيار أن يستمر إلى حصول الدرجات التالية :

١- درجة أَلَرَمَّ (Alaramma) بمعنى "الحافظ "

٢- درجة غوني (Gwani) بمعنى "المتقن "

٣- درجة غنغن (Gangaran) بمعنى "المتمكن "

يقول مالم عمر أبوبكر أحد كبار المعلمين في المدارس القرآنية: هناك أزدهار واسع للمدارس القرآنية في ولاية بلاتو منذ سنة ١٩٦٠م إلى ٢٠٠٨م^٣ ونقل مدبّو عن سليمان أن هناك خمسين (٥٠) مدرسة من هذا النوع في سنة ١٩٦٠م في إقليم بلاتو^٤ لكن الإحصاء في سنة ٢٠١١م يدل على أن هناك ثلاثمائة وستين (٣٦٠) مدرسة وثمانين (٨٠) تسنغيا^٥

^١ Moddibo M Sani ، (ص٩٧) مرجع سابق

^٢ Moddibo M Sani ، (ص٩٨) المرجع السابق

^٣ مالم عمر أبوبكر مشرف مدرسة ، يوم ٧ / ٤ / ٢٠١٧

^٤ Moddibo M Sani ، (ص٩٨) المرجع السابق

^٥ حيث يتخيّم المعلم وطلابه قريبا من قرية أو مدينة، ويعيشون على تبرعات الناس لطلاب المدرسة بفضل طعامهم عند تردد التلاميذ على بيوتهم

بطلاب تبلغ ٢٦٦,٠٠٠ نسمة^١. لكن المشاهد في ولاية بلاتو في هذه السنوات المتأخرة يرى أن هذا النوع من المدارس قد تقلص لأسباب منها:

- أن سياسة الحكومة لا تساعد على توسع أمثال هذه المدارس بل تعتبرها إضاعة لحقوق الأولاد وحرمانهم من حنان الأم وتربية الآباء
- عدم الاعتبار من قبل الحكومة لحاملي شهادات المدارس القرآنية من هذا النوع وإبعادهم عن الوظائف الحكومية أو عدم الترقية إلى مراتب أعلى ابتداء
- ازدهار مدارس قرآنية نظامية في أقطار عديدة في بلاتو مع نتائج إيجابية تحصل عليها في حفظ القرآن وتجويده خاصة في المسابقات القرآنية والتي كان لولاية بلاتو سمعة هائلة على المستوى الدولي والعالمي.
- اضطراب الأمن في بلاتو في سنوات ماضية
- تأثر الحياة المادية في نفوس الناس وعدم ضمان مستقبل طيب لطلاب هذا النوع من المدارس

وردة فعل لما سبق أنشأ المسلمون مدارس نظامية ثقافية إسلامية، ولمقاومة تحديات التنصير وفكرة العلمانية التي يواجهون بها، وكانت المدارس تدرس فيها جميع المواد المقررة من وزارة التربية والتعليم مع المحافظة على مبادئ الإسلام وأدابه.

يقول عبد الرحمن وكنهام : إن تشكيل المدارس الإسلامية بدأ نتيجة دخول نوع تعليم الغرب وثقافة المستعمرين التي تحدت نظام التعليمي القرآني المؤلف لدى المسلمين^٢. ولا شك أن دخول نظام التعليم الانجليزي أدى إلى تشكيل نظام التعليم المؤسسات والجمعيات الإسلامية والمنظمات الدينية، وهذا لحماية معالم الإسلام من التعطيل والتحريف فوضعت في برامجها التعليمية مواد العلوم التكنولوجية، فهي الآن ترتدي زي العصر بمثابة نظامها وتركيبها. ويلبس تلاميذها زيا ذا وسامة إسلامية إلى المدرسة. تقطن جمعيات الإسلامية إلى ضرورة إنشاء مدارس ابتدائية على هذا الشكل وبدأت البلاد تزدهر بها حتى اقتحمها الحكومة في السنة ١٩٧٤م وتولت أداء رسوم المدرسين وحملت تكاليف الإدارة المدارس، وفي النصف الأخير من الثمانيات رفعت الحكومة قرار منع اجراء مدارس أهلية في بلاتو وأرجعت المدارس إلى أصحابها بعد قلبها إلى نظام العلمانية المحض. واثّر ذلك بدأ الأفراد والطوائف بناء المدارس على النظام الحكومي مع مزجها بالدين وصارت المنافسة شديدة فنشأت مدارس كثيرة ولا زالت، ولم يقتصر المسلمون على تأسيس مدارس ابتدائية فقط،

^١ Moddibo M Sani ، (ص٩٨) المرجع السابق

^٢ عبد الرحمن وكنهام : *The Ink of Scholars: The Islamic Tradition of Education in Nigeria*. Lagos : Macmillan ١٩٧٨ (p ١٧)

فقد بنو على مر الزمان مدارس على مختلف المستويات، إبتدائية وثانوية وجامعية. وأول مدرسة ثانوية على هذا الضرب في ولاية بلاتو كانت في سنة ١٩٨٨م باسم "كلية الدراسات الإسلامية" (College of Islamic Studies)^١ وبعدها تلت جهود من جوانب مختلفة . يقول رئيس جمعية مدراء المدارس الإسلامية^٢: تزداد عدد المدارس الأهلية في السنوات المتأخرة لأسباب:

- ١- وعي الأمة بأن العلم والمعرفة أوثق طريقة لضمان مستقبل الناشئين
- ٢- المدارس الحكومية لا تتسع لاستيعاب أبناء الشعب الذين يزداد عددهم على مرّ السنين ولم يكن للحكومة أي رغبة في توسعة المدارس أو انشاء مدارس جديدة. والأمر الآخر هو أن مستواها التعليمي [مدارس الحكومة] يتراجع على الدوام.
- ٣- ثقة المسلمين وشعورهم بالكفاءة على إدارة المدرسة باستغنائهم عن مدارس المسيحية فكريا وأيديولوجيا.
- ٤- إختصاص الفريقين (المسلمون وغيرهم من شعب بلاتو) بالسكنى منفصلا عن الآخر بعد الحرب الأهلية في جوس سنة ٢٠١٠م.

وإضافة إلى هذه فقد استغل الأثرياء فرصة شدة حاجة الناس إلى العلم والمعرفة فبنو مدارس ومعاهد اكتسابا وهي أدنى كذلك في المستوى وجودة التأصيل فكان ضررها على الأمة أكثر، وهذا ما أشار إليه مالم يحيى عندما يقول: "تضاعف عدد البائسين لسبب الأزمة التي نجمت الحرب الأهلية في جوس، ولاتطيب نفوسهم أن يروا أبناءهم خارج المدرسة فأرسلوهم إلى أمثال هذه المدارس الضعيفة المتدنية في المستوى اذ لا خيار لهم غيرها ومدارس الحكومية معطلة وأسوأ في المستوى"^٣ وعدد المدارس التي في حرز المسلمين في جوس الشمالي فقط في فبراير ٢٠١٥م ثمانين (٨٠) مدرسة^٤ وقد ارتفع إلى ١٢٤ مدرسة تقريبا في يوليو ٢٠١٨م^٥ وهكذا يزداد العدد في بقية المحليات والقرى حيث المسلمون أكثر نفوذا

وقد يقال إن التشقيق والانفصال في المعمرات والأحياء بين المسيحيين والمسلمين نتيجة اضطراب الأمن في جوس ساعدت في إيجاد التنافس بين المسلمين وغيرهم في جوانب معيشية كثيرة. وأخذ جانب التعليم الحظ الأكبر في هذا التنافس، وقد ساعد ذلك في تهيج أبناء المسلمين للعزم والجد في مقابلة تحديات الحياة وانكباب شديد على درب العلم

^١ حوار مع مالم موسى ساغاي ومنشئ ورئيس كلية الدراسات الإسلامية ٢٠١٥/٥/٥ في جوس

^٢ حوار مع مالم آدم عمر ناصر ٢٠١٧/١/١٦ وعمره ٥٥ سنة، في جوس

^٣ مالم يحيى سلي أكاوو، نائب مدير مدرسة حياة الإسلام سابقا ٢٠١٧/١/١٨ في جوس

^٤ Minutes of Meeting, Association of principals of Islamic Private Schools, held on ١/٢/٢٠١٥

^٥ حوار مع مالم آدم عمر ناصر: رئيس مدراء المدارس الإسلامية الثقافية، يوم الإثنين ٢٠١٨/٨/٢٦م

والمعرفة فيقطعون مسافات عميقة لنيل درجات علمية جامعية مختلفة ليعودوا الى ديارهم وهم مؤهلون لمقاومة ظروف الحال ونوائب الدهر. ويلعب هذا الازدهار دورا رائعا للمسلمين في السياسة.

المطلب الثالث : الوعي السياسي

ولاية بلاتو تعتبر دار السلم والأمن وتوصف " بدار السلام والسياحة" يطيب لكل سائح أن يزورها لطيب هوائها وحسن طبيعتها وكثرة مواقع السياحة والنزهة فيها، يقصدها القاصي والداني طوال مواسم السنة ويؤثر الحُكّام والعمال والأثرياء قضاء أجازاتهم فيها. وليس هذا فقط بل يبنون بيوت الترفيه والراحة فيها لأغراض متباينة. ظل شعب بلاتو يعيشون في أمن وطمأنينة حتى سبتمبر عام ٢٠٠١م حينما شهدت جوس عاصمة الولاية صراعات واضطرابات أمنية لها علاقة بالسياسة والعصبية والدين والتي انتقلت الى باقية الحكومات المحلية الا قليلا. ومن وقتئذ تتابعت الغارات على مواقع المسلمين بين وقت وآخر. فهذه الحوادث أثرت على المسلمين بصفة سلبية سياسة واقتصادية فهي أعظم الأسباب التي أدت إلى ضرورة ايجاد زعامة متحدية للمسلمين ويكون لها نوع من السلطة تحمل مسؤولية تتبع حقوق المسلمين وما لهم في شئى أماكنهم وبمختلف مراتبها وعناصر الحياة ومحاولة أخذها وضمانها لهم، علما بأن أغلبية شعب بلاتو غير مسلمين فهم إما مسيحيون من أو عباد أوثنان، والمسلمون يشكلون بين ٢٧% و ٣٠% فقط من سكانها، ويعني ذلك أن نفوذ هؤلاء سياسيا، يكون أقوى نسبيا خاصة في النظام الديمقراطي الذي يحكم بالأغلبية، فلا بد للمسلمين ليكون لهم حركة حسية ايجاد قوة يقفون وراءها لأخذ حقوقهم ويواجهون إزاءها مشكلاتهم ويرسمون لها حلولاً. فهذه الفكرة أدت إلى ما يسمى اليوم بـ"مجلس العلماء والشيخوخ". فهذه العصبية من الوكلاء من جميع الطوائف المنتسبة الى الإسلام قامت بتلك المسؤولية المذكورة. قال محرر المجلس: دعت أسباب كثيرة لتأسيس مجلس العلماء والشيخوخ منها أن حقوق المسلمين اللازمة على الحكومة كمواطنين اشتملت على حقوق سياسية واجتماعية لا تصلهم، فعلى سبيل المثال فإن المسلمين يعاملون معاملة الأجانب في مدينة هم أسسوها وبيدهم اقتصادها تجاريا ويمنعون من الوثائق والمستندات اللازمة للمواطنين خاصة المنتسبين إلى قبيلة هوسا وفلاتية^١. ولا تكاد تنصّب الحكومة الفدرالية مسلما من جوس الا أبدوعدم الرضى عن طريق تهيج ابناء قبيلتهم -

^١ حوار مع قانوني أول عبدالله محرر مجلس العلماء والشيخوخ ،مركز جماعة نصر الإسلام ولاية بلاتو. يوم ٢٧/٧/٢٠١٠

سرا طبعا- لمظاهرات على الطرق والشوارع مثلما فعلوا في قضية الحاج مختار محمد عند ترشيحه لرئاسة مشروع "نافيف"(NAPEP) فرع ولاية بلاتو، و ابراهيم الدسوقي عند تعيينه وزير الأنباء^١. وطول عهد الوالي جونا جنغ (Jonah Jang) ٢٠٠٧-٢٠١٥م أبى أن يقيم انتخابات في جوس الجنوبية والشمالية خوفا من أن يظفر بهما المسلمون، علما بأن أغلب سكانها مسلمون وهم جاهزون مشمرون في طلب حقهم يوم الانتخاب. فإذا التفتنا للماضي نرى أن جميع المناصب التي صوّت لها في انتخابات سنة ١٩٦٧م و ١٩٨٠م في الجمهورية الأولى والثانية طفر بها المسلمون من قبيلة هوسا وفلاتية لكن للأسف الشديد خسر المسلمون أحد هذه الكراسي في انتخابات ١٩٩٩م ومن ثمّ عزم المجلس وقام بتوعية المسلمين ذكورهم وإناثهم على أهمية ايجاد الوكلاء الذين يتكلمون بصوت المسلمين ويتصدرون للدفاع عن حقوقهم سياسيا، فكل هذا من أسباب تأسيس مجلس العلماء والشيوخ^٢.

يتكون المجلس من وكلاء من جميع جمعيات ومنظمات إسلامية في بلاتو تحت رئاسة امام البلد وهو طبعا عضو من جماعة نصر الإسلام ويكون له وزيران وسكرتير من باقي الجمعيات الأخرى في البلد. فلجماعة نصرالإسلام وكيلان وجماعة إزالة البدعة وإقامة السنة وكيلان بقسميها على حدة وباقي الجمعيات ينوب عن الكل وكيل واحد.

وأهداف المجلس هي الدفاع عن حقوق المسلمين دينيا وسياسيا واجتماعيا في ولاية بلاتو وإيجاد ساحة تجمع المسلمين على اختلاف طوائفهم لمناقشة قضاياهم والتحديات التي تواجههم من نواحي سياسية واجتماعية واقتصادية .

يذكر أمين المجلس (السكرتير) أن المجلس قد أنجز أعمالا كثيرة ظهر تأثيرها للقاصي والداني، فاستطاع عن طريق التوعية وبعث الوكلاء إلى جميع أحياء المسلمين ومساجدهم من يقومون بتوعية الناس وبيان حقيقة ما يجري في سياسة الرعية لدى الحكومة وأهمية استيراد المناصب السياسية التي خسرتها في إنتخابات سنة ١٩٩٩م. فقد نتجت هذه الاستراتيجية أثراً إيجابيا حيث ظفر المسلمون في الانتخابات التي تلتها. ومن إنجازات "المجلس" كذلك أنه جمع تبرعات ومساعدات كثيرة للذين ابتلوا بالخسارة في الصراعات التي شهدتها ولاية بلاتو^٣.

^١ أول عبدالله محرر مجلس العلماء والشيوخ، المرجع نفسه

^٢ أول عبدالله محرر مجلس العلماء والشيوخ، المرجع نفسه

^٣ أول عبدالله محرر مجلس العلماء والشيوخ، المرجع نفسه

ويقوي هذا الادعاء أن انتخابات سنة ٢٠١٥م سجل المسلمون نجاحا باهرا في بلاتو لأنهم وقفوا ضد مراد الوالي في تولية ولي عهده على غير رضى الرعية، وتمكنوا كذلك من المناصب التي كانت لهم سابقا بالإضافة إلي مناصب أخرى التي حازوا عليها. وهكذا تم مثل هذا النصر للمسلمين في كنم وواسي وبسا وغيرها.

وجدير بالذكر أن المجلس في هذه السنوات المتأخرة بدأت تضعف لنتابع وفيات كبار أعضائها، فقد مات الأمير الأول والثاني، ويطلب الوكلاء من جمعيات أخرى ضمن المجلس الارتقاء الى كرسي الرئاسة. والأمر الآخر هو أنهم لا يظهرون الجد في الطلب للمسلمين من السياسيين حقوقهم اللازمة كما لا يكفي ما يرى منهم من الإنكار عند منع حقوقهم. وفوق ذلك يتهمهم العامة أن حمسهم على العمل يقوم فقط في موسم الانتخابات، وحتى يلفت المجلس النظر في سيره يبقى تأثيرها بين العامة ضعيفة.

المبحث الثالث: الدعوة في ولاية بلاتو

ويحتوي على مطلبين

المطلب الأول: حالة الدعوة في ولاية بلاتو

المطلب الثاني: التحديات التي تواجه الدعوة في ولاية بلاتو

المطلب الأول: الدعوة في ولاية بلاتو

يحسن افتتاح هذا المحور بقول البروفيسور محمد زين الهادي العرمانى حيث قال: "لم يفرق المسلمون الأوائل بين الدعوة والعلم والعمل فكانت الدعوة تمارس من خلال العلم وسط العمل والمهنة المختلفة، كما لم يتخصص أناس للدعوة والآخرين للعلم، كما كانت الدعوة لا تنفك عن السلوك العام حيث كان سلوك الفرد المسلم أو الجماعة المسلمة دعوة"^١ فهذا القول يبين لنا أن الدعوة سجية من سجايا المسلم حيث يصحبها معه أينما كان، وقد قال رسول الله ﷺ "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"^٢ وقال "بلغوا عني ولو آية"^٣ فمن هذا المنطلق نقول إن الدعوة في ولاية بلاتو بدأت بدخول الإسلام المنطقة، ويرجع ذلك إلى أيام جهاد الشيخ عثمان بن فوديو بعد أن تسلّم يعقوب أحد جماعة بن فوديو راية الجهاد إلى منطقة بوتشي التي اشتملت على بلاد "حابى" (غير مسلمين) بما فيها ولاية بلاتو الحالية، فمن هذه الحركة بدأ الأسلام ينتشر ويتسرب إلى ربوع المنطقة. ولقد لعبت في انتشار الدعوة في هذه المنطقة عوامل عديدة، منها: التجارة والتدين ونصب أمراء المسلمين على الممالك والمناكحات المتبادلة بين قبائلها وتأسيس مدارس قرآنية وبناء الطرق والمواصلات القطارية.^٤ فبناء الطرق والمواصلات القطارية أدت إلى تيسير حركات الناس من مكان إلى آخر. فبهذه المواصلات اكتشفت أماكن اقتصادية عديدة وبنيت طرق الوصول إليها، وهذا بين سنة ١٩١٣م و١٩٢٧م. فخلال هذه الفترة على سبيل المثال، ركبّت سكة حديدية قطارية للتواصل بين جوس-بلاتو وزاريا، وأخرى من بُورتاكوت إلى كدونا شرقاً حتى تتواصل مع جَنُغِر ونَراغوتا وبُكُرو وجوس في ولاية بلاتو. وكانت جوس وقتئذٍ مَورداً للمعادن يقصدها المعدنون المسلمون، بيد أن سكان هذه الأماكن في ذلك الوقت وثنيون، وليسوا من قبيلة هوسا، لكن هذه الأماكن أضحت تتسمى بأسماء المسلمين من قبيلة هوسا، وأسلم الكثيرون منهم على يد هؤلاء المعدنيين المسلمين.

ودور منظمات وجمعيات الدعوة الإسلامية لا تقل عما ذكرنا، فإنها أسست بهدف نشر الدعوة والتجديد وتوجيه المسلمين إلى صلاح الدنيا وفلاح الآخرة. فخصصت هذه المنظمات والجمعيات برامج دعوية مستمرة أثمرت ثماراً طيباً.^٥ وهناك القليل من العلماء الذين لم يعملوا تحت أية جمعية، بذلوا أوقاتهم كذلك في تعليم الناس الدين، والصدع بالحق،

^١ محمد زين الهادي العرمانى: معالم الدعوة في المنهج النبوي، (ص ٥) الراسيات للإنتاج الإعلامي، ط ١ (بدون تاريخ)

^٢ مسلم: أبو الحسين بن حجاج: صحيح مسلم رقم ١٨٦ المرجع السابق

^٣ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي: سنن الترمذي، (رقم ٢٦٦٩) دار إحياء التراث العربي - بيروت

^٤ محمد ثاني عبدالقادر ١٩٦٠ - ١٩٠٠ Islam In Non-Muslim Area of Northern Nigeria

^٥ الكلام عن دور الجماعات والمنظمات الإسلامية في الدعوة مهمل في الفصل الثاني من هذا البحث

ويتنقلون في الريف والقرى يقومون فيها بخدمات إنسانية، وهذا النوع من العمل الطوعي استمر بشكل واسع إثر الحقبة الاستعمارية، فهي نفس الاستراتيجية التي استعملها المستعمرون في الوصول إلى قلوب الناس بعدما اقتحموا بلادهم.

فلتحقيق مراد الله من خلق البشر جعل لهم الدين وأنزل إليهم الكتب في صحبة الرسل لهدايتهم وإصلاح أحوالهم ومآلهم فمن اتبعه هدي ومن حاد عنه غوى. ولم تكن الدعوة إلى الإسلام قائمة على الإكراه أبداً، بل قامت على الإقناع وإيضاح المحجة بالدليل وإنارة الطريق للناس كي يدخلوا في دين الله عن قناعة وانسراح صدر واطمئنان البال. قال تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ^(١٥٦) يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: أي لا تُكره أحد على الدخول في دين الإسلام فإنه واضح جلي، دلائله وبراهينه لا تحتاج إلى أن يكره أحد بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرها محسوراً ^١ فإن دل هذا المعنى على شيء فإنما يدل على سماحة الإسلام ويسر دعوته وقيامه على الدليل الواضح البعيد عن القسر والإكراه. فمنذ دخول الإسلام في منطقة بينوى-بلاتو إلى الوقت الحاضر، ليس هناك أي خبر يفيد بقهر المدعوين، طوال سنوات حكم المسلمين للمنطقة.

ومما اشتهرت به ولاية بلاتو دهاليزها العلمية واحتشاد الطلاب على العلماء لتلقي ما عندهم من العلوم والفقه، ولم تُعرف حلقات المساجد إلا في أوائل التسعينيات، وأشهر الكتب التي تدرس في هذه الحلقات كتاب رياض الصالحين للإمام النووي الموطأ للإمام مالك بن أنس الأدب المفرد للإمام البخاري، بلوغ المرام للإمام ابن حجر العسقلاني، عمدة الأحكام للإمام عبد الغني بن سرور المقدسي. وفي جانب الفقه المالكي تدرس للمبتدئ كتاب قواعد الصلاة ثم كتاب الأخضري لعبد الرحمن الأخضري ثم رسالة أبي زيد القيرواني وفي هذا الترتيب أيضاً كتاب العشماوي ومقدمة العزبة. وأضيف إلى قائمة الدروس متأخراً كتاب أحكام الجنائز وصفة صلاة النبي ﷺ كأنك تراه وكتاب أخطاء المصلين.

وبتقوية نفوذ جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة في شمال نيجيريا وقبول الناس لدعوتها، زیدت العناية بإنشاء المدارس الأهلية لتعليم الدين وتربية الناشئين منذ صغرهم، وهذا

^١ سورة البقرة الآية ٢٥٦

^٢ ابن كثير: أبو الفداء اسماعيل، تفسير القرآن العظيم (ص ٣٣٣) مكتبة دار الفحاء، دمشق، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

الجهـد ساعـد كـثيـرا فـي تـرسـيـخ مـبـادئ الإـسـلام فـي قـلوب النـاشـئـين و تحـفـيـظـهـم القـرآن الكـريـم. فـبـازـد هـار الجـمـعيـات الإـسـلامـيـة انـدرج أكـثـر هـذه المـدارس تـحتـها، حـتـى و لو كـانـت المـدرسة لا زال تـحت حـيـازة صـاحبـها إلا أن انـتمـاءه إلـى جـمـعيـة ما له أثـر إـيـجابـي عـلى ثـقة النـاس بـه و انـجـذابـهـم إلـيـه خـاصـة إذا كان ولاؤه للطائفة الدينية التي يريدون.

لم يجد الـاهـتـمـام بالأيتـام اهتمـاما ملائـما من قـبل المؤسـسات و الجـمـعيـات الدـعوـية، فرعاية الأيتـام وإطعام الأكباد الظائمة والجوعى له أثـر قـوي فـي التـأثـر عـلى المصابين، لكن بعد الحروب والإشتباكات التي عايشها ولاية بلاتو في السنوات الماضية والتي لم تخدم ناراها بالكلية، بدأ الأفراد والجماعات وأصحاب أعمال الإنسانية بين المسلمين ينتبهون لها، ويبنون بيوت رعاية الأيتام ومساعدة الأرامل إلا أن الجهد لا يزال ضئيلا قياسا مع ما يرى من النصرانيين في نفس الولاية. ومن جوانب تخفيف البؤس عن الأيتام جمع التبرعات والمساعدات لهم في موسم العيدين وتوزع عليهم.

كانت عناية المنظمات والمؤسسات الدعوية والجماعات الإسلامية كما سبقت الإشارة إليها (في الفصل الثاني من هذا البحث) في التعليم وإنشاء المدارس والمعاهد العلمية، ويضاف إلى ذلك إقامة مخيمات دعوية بين وقت وآخر وخطب الجمعة ودروس التفسير في رمضان ولقاءات عامة في المناسبات والمواسم.

ثم إن هذه المحاولات من قبل المؤسسات الدعوية لم تعط النتيجة المطلوبة ولا يبعد السبب من أمور، منها أن الدعوة مفتقرة دائما إلى الحكمة، فإذا لم يوجد التوازن بين العمل الدعوي وانتخاب الأسلوب الملائم لإنجازه يفشل، قال تعالى: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى

بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٨﴾ ١ فمن البصيرة توظيف كل ما يساعد على تيسير العمل بسهولة وأقل تكلفة، وليس مجرد رغبة وشغف للعمل. فبالأسلوب يمكن إنجاز العمل في الوقت المناسب بأقل عناء، ويدخل تحت معنى الأسلوب اتخاذ الوسائل اللازمة الموجودة والمناسبة، فلكل زمان ما يناسبه، والدعوة قابلة للتغيير والتحديث، فيلزم الداعية لنجاح عمله أن يوظف فيه الخبرات والوسائل الملائمة المناسبة والعلم بالحال والمحل. وتروى الدراسة أن مما يعيق الدعوة الإسلامية في ولاية بلاتو، قلة استخدام الوسائل الإعلامية المعاصرة، فهناك ثروة هائلة في الاتصال المرئي والمسموع من فضائيات وهواتف نقالة ومواقع الإلكترونية مما لو سخرت في طريق الدعوة لكان

١ سورة يوسف الآية ١٠٨

الوصول إلى الغاية أسرع وأسرع، لكن للأسف، أكثر الدعاة في المؤسسات الدعوية في بلاتو لا يعيشون هذا العصر، فإنهم لا زالوا يعيشون في القرن الماضي فأنا أعرف مؤسسة ما عندهم حتى البريد الإلكتروني (e-mail address) باسم المؤسسة الذي لا يكلف شيئاً ناهيك عن موقع الانترنت، مع ما للإنترنت من مميزات يؤهله لتقديم أدوار عالمية في الدعوة من ارتباط ملايين الهيئات والمنظمات والأفراد في شبكة واحدة عالمية، فمن التساهل وضعف العزم أن لا يواكب الدعاة مطية التقدم والحضارة. فالمؤسسة التي لا تملك العدد اللازم من الحواسيب للأعمال الإدارية داخل مكاتبها أو الطابع لاستخراج المعلومات المطبوعة ولا تستطيع تكفل رسوم الموظفين شهرياً، فلا بد من حصول الفشل في مسار الدعوة عندها. وليس إلا أن الشباب والناشئين لا يُعطون الفرصة في هذه المؤسسات، والحال أنهم يتوقعون للحصول على نفس النتائج حصلت عليها المؤسسات التي تفاعلت مع التغيير والحضارة.

وبالمقارنة فإن معظم المؤسسات الكنيسية إن لم يكن الكل ييثون برامجهم التبشيرية عبر مواقع الانترنت وقبل ذلك في الإذاعات، ينشرون فيها ديانتهم المسيحية. وهل تعلم أن عدد المواقع التي تهاجم الاسلام سواء بطريق مباشر وغير مباشر في نيجيريا تتعدى مائة؟ وهل تعلم أن جهود المسلمين في الدفاع عن الإسلام إعلامياً جهود قليلة وفردية؟ فإذا أردنا نجاح الدعوة في ولاية بلاتو فلا بد من نبذ استخدام الوسائل القديمة التي لا تلائم عصر التقنية والعولمة الحديثة، أو استعمالها في المواضع التي تليق بها فقط. وثانياً، لا بد من وجود مشاريع فعالة قوية، وإيجاد تبرعات لدعم الدعوة، ومن ثم العمل نحو إنشاء مواقع إسلامية مختلفة على الإنترنت تقدم الإسلام بصورة جذابة.

ونعترف بما قدمه خريجو جامعات ومدارس خارجية خاصة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والأزهر الشريف وجامعة إفريقيا العالمية بالسودان والجامعة الإسلامية بالنيجر وغيرها من الجامعات، فآثارهم في الولاية ملموسة في جوانب عديدة في التعليمات والدعوة ودروس المساجد وما إلى ذلك من أعمال الدعوة والدورات العلمية التي يقيمونها في أوقات مختلفة. وكانت عادة تلك البلاد خاصة المملكة العربية السعودية تشجيع الطلاب وتبادل المؤلفات وحث العلماء خاصة الذين تدرّبوا عليهم للاستقرار في ممالكهم ويشجعون البعثات التعليمية للسفر إلى هذه البلاد والممالك. وخريجو هذه الجامعات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم يرجع إليهم فضل إنشاء دروس المساجد والحلقات العلمية المختلفة خارج الداهاليز الموجودة سابقاً، ونشر علوم الإسلام الأخرى غير فقه المالكية والنحو والبلاغة، وتقوية جوانب التعبير بالعربية لدى الطلاب وتعريفهم بأدبها وبلاغتها. وجذور

هذه الخيرات هي المدارس الثانوية العليا التي أسست في بلاتو خاصة في جوس، والجدير بالذكر منها مدرسة الإيمان ومدرسة البيان والمدرسة المشهور بفوق المسجد وكلية معلمي اللغة العربية والإسلامية تحت جماعة نصر الإسلام وكلية الدراسات العليا التابعة لجماعة إزالة البدعة وإقامة السنة وغيرها.

المطلب الثاني: التحديات التي تواجه أعمال الدعوة في ولاية بلاتو

إن بناء الحضارة العظيمة وإحداث التغيير في سيرة الحياة البشرية وتحويل وجهة الأمة إلى طريق البناء والإعمار يبدأ من نقطة أساسية، وهي تغيير الأنفس وإصلاح القلوب وتنبيه العقول ثم يتدرج الإصلاح من بعد ذلك ويكتمل البناء. يقول الحق تبارك وتعالى: **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ^١ وغاية كل داعية أن يحدث التغيير في حياة مدعوّه عن طريق استمالاته نحو الهدف المعين وإقناعه به إقناعاً يطمئن به قلبه وينشرح له صدره ويصبح إيماناً يحرك العواطف والأفكار، وضبط السلوك ويشدّ الهمم ويقوي الإرادة، ويشهد تاريخ الأديان أنه ما قام دين ولا مذهب ولا انتشرت فكرة وما ساد مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة. فالدعوة حياة كل شيء تدعى إليه الأمم والشعوب سواء هذا الأمر حق أو باطل. ولو كان حقاً يقوم بنفسه وينتشر -لأنه الحق- لما فرضت علينا الدعوة إلى الحق ولما كان هناك حاجة إلى المرسلين وورثتهم من العلماء العاملين المرشدين الناصحين. فهو أمر لا ينكره أحد ولا أظن يغفله الدعاة لا في ولاية بلاتو ولا غيرها من الأماكن ولا يدعون الجهل به بل أعتقد أنهم يقولون في الدعوة ويصفونها بأفضل وصف، لكن السؤال هو لماذا اجتذاب الناس إلى الإسلام في بلاتو ضعيفة مع جهود الدعوي التي سبق وصفها في المطلب السابق؟ ولماذا كان تأثير كلامهم على الناس ضئيلة؟ لا شك أن هناك مشكلة أو سبب يتأدى منها الفشل، فمن أين الخلل؟ وما هي هذه المعوقات؟ وكيف حصلت؟ لا شك أنه بؤرود هذه التساؤلات يقف الداعية متحيراً مختبراً نفسه. فهنا يمكن القول بعد الدراسة الفاحصة بتقسيم معوقات الدعوة في ولاية بلاتو إلى قسمين:

^١ سورة الرعد، الآية ١١

١. ما يخص أفراد الدعاة:

أ. **قلة الإخلاص واتباع الهوى:** الأخلاص روح العمل وطريق نجاحه ولا يقبل الله من عبد عملاً لم يخلص نيته لله سبحانه فيه، قال تعالى: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴿١٠٦﴾ ومحاولة تضيق ما هو واسع واستعجال النتائج مع استغلال طوع الأتباع في محاربة بعض السنن الدينية وهم لا يشعرون، وذلك في إدارتهم إلى ما يخالف مبدأ رسول الله بعد غرس التعصب الأعمى لجماعتهم وطائفتهم في قلوبهم.

ب. **أزمة عقل الداعية:** تكمن اشكالية أزمة عقل الداعية ابتداء بطبيعة المادة العلمية التي تغذى بها عقله فهو إما أن يكون مؤهلاً تأهيلاً أكاديمياً أو لا يكون، فإذا كان مؤهلاً فما طبيعة التأهيل، هل الداعية مؤهل لقيادة الحراك الإجتماعي أم لا، هل له قدرة على معرفة المطلوب في حينه؟ هل له فطنة بالواقع وفقه ما يجري حوله من المستجدات؟ فبالنظر في المادة العلمية التي اعتمد عليها بعض الدعاة في ولاية بلاتو والمناهج الدراسية في كليات الدراسات الإسلامية العليا تجد مضمونها يحتاج إلى تطوير ومراجعة وإضافة معلومات جديدة عصرية ليُعدّ الطالب أو الداعية لمواجهة تحديات العولمة والمستجدات في العصر الرقمي الحديث، فالمناهج العلمية والمقررات الدراسية المستعملة منذ السبعينيات هي نفسها، اللهم إلا بعض الإضافات التي حصلت نتيجة رفض بعض جامعات نيجيريا اعتبار الشهادات المحصل عليها بعد التخرج من هذه المدارس المذكورة، فأضيفت إلى مناهجها ومقررتها الدراسية مواد تدرس باللغة الإنجليزية، واللازمة للحصول على القبول في الجامعة.

والأمر الآخر هو أن رتبة العلمية لدى فئات من الذين يمارسون أعمال الدعوة دنية أو مفتقرة إلى تقنية حديثة، فتجد أحدهم يعيش في غير عصره وأفكاره وعاطفته غير ملائمة لزمانه لأنه يعتمد كثيراً على معلومات تاريخية ويريد إنزلها على الواقع كما هي بيد أن الغرض من دراسة التاريخ أن يكشف لنا سير السنن وطبيعة الأمور وحركات المجتمع وسقوط الأمم ونهضها، والاعتبار بالماضي، وقد ضرب الله بها المثل كثيراً، والإشكالية تأتي عندما يغرق عقل

^١ سورة البينة، الآية ٥

الداعية في هذه الحقائق التاريخية ويرى نفسه أسيراً أمام الماضي والحال أن المراد استفادته من هذا الماضي للنهوض بواقعه الذي يعيشه بعدما استمد فكره من سنن الكون.

ج. عدم الكفاءة العلمية وقوة الشخصية

من الإشكالات التي تواجه أعمال الدعوة أن كثيراً من الدعاة لا تتوافر فيهم الكفاءة العلمية فهم إما أشخاص يحملون الشهادة الثانوية أو أنهم تخرجوا بمعدلات علمية ضعيفة أو متدنية فلم يجدوا أمامهم أكثر من فرصة التعليم الشرعي، لقلة رغبة الطلاب فيه لأن الحكومة فصلت بين العلوم الطبيعية وأعطته ميزة أعلى في الوظائف والرواتب والمناصب على حساب العلوم التي اصطلح على تسميتها بالأخرى وبالتالي يحجم الطلاب النجباء ذوو الكفاءة من الانخراط والدخول في التخصصات الشرعية وتركوا المجال لأصحاب المعدلات المتدنية وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى أن يكون المخرجات التعليمية ضعيفة، وفاقد الشيء لا يعطيه كما قيل. وكثيراً ما تجد الداعية لا يتقن القراءة ولا يمارس اللغة التي منها يقرأ النص والمعلومات التي يترجمها للمستمعين إليه ويلحن لحناً غير مغتفر وهو يقرأ القرآن أو الحديث.

د. سوء اختيار نوع الخطاب الدعوي

ومن مآخذ الخطاب الدعوي أن يكون غير مواكب لتطورات العصر وظروفه وحاجة الأزمان وطبيعة الأماكن، فكل مقام مقال، فمن سوء اختيار الخطاب الدعوي أن يخاطب المثقفين أو المفكرين بما يخاطب به العوام فلا بد للداعية أن يختار لكل مقام مقال. فهو بمثابة الطبيب الذي يعالج الداء فيجب عليه معرفة المرض والمريض وطبيعة المرض قبل وصف الدواء. فإذا كانت وظيفة الداعية هي استمالة المدعو نحو هدفه الذي يدعو إليه فيلزمه أن يختار ما يسهل له الوصول إلى الغاية، فالآية: **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴿١١﴾ دعتنا للبحث في وسائل التغيير وآلياته وطرائقه قبل البحث عن التغيير في حد ذاته.

هـ. الابتعاد عن الحكمة والموعظة الحسنة وعن المجادلة بالحسنى: فأن الله تعالى لما أمرنا بالدعوة لم يطلق كلمة الدعوة بدون تقييدها بكلمة "الحكمة" بقوله: أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢﴾

وقوله تعالى "أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي" ﴿١٤﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿١٤﴾

فالحكمة تقتضي وضع الأشياء في المواضع المناسبة لها. فليس من الحكمة في الدعوة تكفير المبتدع، البدعة المتخرجة من الملة قبل قيام الحجة عليه. لأنه معذور حتى تقام له الحجة، أما إذا أسرع الداعية إلى التفسير والتبديع والتكفير فقد أغلق على نفسه الباب بمصراحيه إلى الوصول إلى ذلك الرجل المفسق أو المبتدع أو المكفر. فإنه مع الكفر البواح الظاهر من فرعون على سبيل المثال، فإن الله يأمر رسوله باللين في الكلام معه ومجادلته بالحكمة، لعله يهتدي كما في الآية الماضية. ولنسمع حوار الجانبين كما حكاه القرآن، قال تعالى: فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ

^١سورة النحل، الآية ١٢٥
^٢سورة طه، الآية ٤٢-٤٤

مُبِينٌ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَاتِّبِعْهُ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ ١ فقد جمع الطرفين المقام وتجادب الحديث بينهما، فلم يقف موسى وأخوه هرون في معزل عن فرعون ويكفرونه، إنما حاولاه وحاولا إقناعه.

ومن الأخطاء المتفشية بين الدعاة، محاولتهم النصح على خطأ أو الإساءة التي تصدر من ذوي الهيئات والرؤساء على المنابر على رؤوس الخلائق، فهذه الصنعة إساءة وليست من الحكمة، فبدل أن يتوب الخاطئ ويؤوب، تأخذ العزة بالإثم ويتمادى في غيّه ويستمر في عصيانه لأنه يشعر أنه فضح، فلا تسكن نفسه حتى ينتقم من الذي فضحه- إلا من رحمه الله-، فمثل هذه هفوة دعوية على المسيئين مما أنهض بالصوفية من جديد خاصة في جوس عاصمة ولاية بلاتو حركت حماسة الشباب الطريقة التيجانية، فهي حركة كادت أن تطمس في ولاية بلاتو قبل بضع سنوات، لكن لكثرة ذكرهم من الطائفة الثانية وتبديعهم وتفسيقهم أيقظ ذلك حميتهم وانفجروا والآن قاموا ضد الطائفة الثانية فلا ترى ولا تسمع إلا ردة فعل ويفخمون مناسباتهم والمواسم المختصة بفرقتهم خاصة عيد مولد الشيخ أحمد التيجاني، ولا تراهم الآن إلا ومعهم ما يرمز إلى انتمائهم إلى طائفتهم من تعليق صور الفوتوغرافية الشيخ أحمد التيجاني على الأعناق وعلى جدران البيوت وعلى السيارات وما إلى ذلك إشعاراً بأنهم ينتمون إلى هذه الطريقة. وهذه السقطة الدعوية كسرت جسر التواصل بين الفريقين فالذين كانوا سابقاً لا يرون بأساً في الصلاة خلف غيرهم وعقد عقود الزواج بمن ليس من طائفتهم انقطعوا عنه وأصبحت الأمور فوضى. فلنجاح الدعوة لا بد من إعادة النظر في الأسلوب والوسائل المتخذة لإيصال الدعوة إلى المستهدفين.

و. اصدار الفتاوى الإرتجالية: أخذت السوقة والروبيضة زمام الفتوى ، فكان أمر الدين والكلام بموقف الشريعة على قضية دينية أو حكم شرعي أمراً يجرؤ عليه كل واحد، وأكبر دليل عنده، هو أنه مسلم، ولكنه نفس الرجل الذي يرجع في قضية المرض إلى الطبيب الخبير، والمشكلة الاقتصادية إلى المتخصص فيها، أما ما يُمْتُّ بصلة الدين، فهم رجال ونحن رجال! . وقسم آخر يعتمدون في أمر دينهم على الانترنت، فلا يرجعون إلى "العلماء الذين يستنبطونه منهم" في مسائل الدين، بل يأخذون كلما وجدوا مما قاموا ببحثه عبر الانترنت بغض النظر عن الموقع وأهلية من كتب في الصفحة التي يعتمدون عليها، وهذا لا شك قد سبب ولا زال يسبب

١ سورة الشعراء ، الآية ٣١-٣٠

للأمة البلبلة والفوضى والاضطراب في قضاياها ومصالحها. فهؤلاء الحديثوا
الأسنان سفهاء الأحلام أخذوا يخوضون في الفتيا في أمور لو عرضت على الخليفة
عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر، يا ليتهم عرفوا المهلكة وعظيم ما يحملونها
على أنفسهم، فأجراً الناس على الفتوى أجرئهم على النار- نسأل الله العافية

ز. **ضعف المستويات المعيشية للدعاة:** عدم تأمين احتياجاتهم من سكن لائق وعيش
كريم وتأمين صحي وغير ذلك من الأمور حتى يبقى الداعية في مكانة رفيعة لا
يضطر معها للإستجداء من أحد كما يقال "النم الجائع لا يفكر". والعادة السائدة في
مجتمع شمال نيجيريا أنهم يشجعون العلماء من الزواج بأكثر من واحدة، بل إنما
يعابون ويزدرون بأي عالم بارز يملك زوجة واحدة فقط، ولا تحديد لعدد الأبناء
طبعاً، مع أنهم لا يؤمنون له تكاليف بيته ولكنهم يعيرونه ببقاء على واحدة. اضطّر
لهذا التعبير كثير من الدعاة في الزواج من الثانية وعجزوا معها من تحمل مسؤولية
إعطاء أبنائهم النوع الجيد من التعليم لعدم القدرة على إرسالهم إلى مدارس ذات
مستويات عالية، والحال أن مدارس الحكومة معطلة وفاشلة. وهم مع شغلهم بتلبية
رغبات أمتهم التعليمية لا يسعهم الوقت لتعليم أبنائهم إلا مع المشقة إذ الوقت قد لا
يتوافق مع التعليم. فتجد الداعية لكفالة مستقبل أبنائه مضطر إلى الدخول على
الحكام وأرباب السياسة لا للنصيحة وتقويم عوجهم، لكن طمعاً فيما يناله من كريم
عطائهم وجودهم، فلا يستطيع مع ذلك الإنكار عليهم مهما ظهر فسادهم وجورهم،
لأن قوام عيشه بيدهم. فالتفرغ للدعوة يحتاج إلى دعم مادي يساعد الداعية على
عمله وإلا تبقى المشكلة مستمرة.

٢. ما يخص الجماعات والمنظمات الإسلامية

وأما الجماعات والمنظمات الدعوية في ولاية بلاتو فتتلخص أبرز المشكلات التي
تواجهها مع تنوعها وتفاوتها في الضعف والقوة والأسباب والمظاهر إلى التالي

١. **السعي وراء المصلحة الشخصية والمادية والمعنوية** مثل حب الظهور من
أفراد العلماء تحت جماعة أو منظمة على الآخر والتطلع إلى الرئاسة
والمناصب، والتأييد الأعمى لزعيم ما أو الدفاع عن آرائه حتى بالباطل. وذلك
يحدث فتناً بين الدعاة أنفسهم وبينهم وبين غيرهم، فينشغلون بالصالح على
حساب الدعوة وعن تحقيق أهدافهم العليا.

٢. **التعصب الطائفي بين الأحزاب والفرق التي تنتسب إلى الدعوة الإسلامية.**
لا يختلف اثنان أن ولاية بلاتو مركز ديني مهم في نيجيريا، ليس لدى المسلمين فحسب، بل حتى لدى المسيحيين، ففيها المركز الدولي لجمعية المسيحيين- نيجيريا، كما هي المركز الدولي لجماعة إزالة البدعة وإقامة السنة. والعلاقة التي بين فرق المسلمين من الصوفية والدعوة السلفية تحت شعار جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة ليس كذاك، ويؤدي سوء التفاهم هذا كثيرا إلى الشجار والخلافات بين الطائفتين قادة واتباعاً، فيرتبط مع هذا لاشتباك الإنشغال بالتصالح بينهما على حساب الدعوة، والتلاعب بهم على أيدي الذين يتربصون بهم الدوائر من غير المسلمين الذين يعملون مع الشرطة، ويصل الأمر بين الأتباع إلى طور الإقتتال وكل يتبجح بأنه يدافع عن حزبه.

٣. **سوء التدبير من قبل المؤتمنين على القيام على المؤسسات وصرف الأموال**
على مصالح شخصية فضلا من صرفها (الأموال) في تنمية المدارس والمشاريع

الخيرية وسد حاجات المعلمين العاملين الباذلين عرق جبينهم في خدمة المؤسسة، فتجد المدير أو الأمير وحده هو المستقبل وهو المتصرف وهو الحفيظ الأمين.

٤. **حاجة الجمعيات والمنظمات إلى برامج عملية قابلة للتطبيق:** فمن المآخذ على المنظمات في ولاية بلاتو أن بعضها عبارة عن شعائر وبرامج جذابة رائعة لكن ينقصها التطبيق بل تجد أنها مجرد آمال ليس هناك أية خطة مرسومة لنيلها. فلو نأخذ "مجلس العلماء والشيخوخ" كمثال، نجد أن فكرة إيجادها فكرة قيمة، وأمضى مآلاً بالنسبة للمسلمين في ولاية بلاتو، خاصة وحدة جوس الشمالية التي أنهكتها الاضطرابات الأمنية منذ السنوات، صار لهم رمز الإتحاد والتآلف، ويقوم المسلمون بالموافقة على كل ما صدر منهم مما يخص المسلمين، لكنه فضل أن يستغل أعضاء المجلس تلك الثقة في توحيد صفوف المسلمين والسعي وراء مصالحهم، جعلوا حب الظهور والرئاسة تكاد تفتك بالمجلس. وقلّ ما تعقد جلسة لمناقشة قضايا وتحديات المسلمين منذ الانتخابات الدولية لعام ٢٠١٥م، وزاد الأمر شناعة بوفيات كبار أعضائه.

٥. **عدم وجود خطة استراتيجية:** هذه النقطة لا تقل عن سابقتها فإن المؤسسات الدعوية في بلادنا في الأغلب الأعم تفتقر إلى استراتيجية عليا تقسم فيها البرامج الدعوية مثلا على عشرين عاما والعشرين على خمسات والخمسات على أعوام

وتقيم التجربة فيها سنة بعد سنة، وينظر فيها إلى المخرجات الدعوية وعلى ضوءها تقيم المدخلات والعمليات .

إن عدم الاعتماد على خطة استراتيجية عليا في مجال الدعوة سيجعل الدعوة حبيسة الإرتجال والتخطيط العشوائي. نعم لا مانع بل يجب النظر بين حين وآخر في الظروف المستجدة وأخذها بعين الاعتبار، وتطوير الخطة في الجانب المعتبر منها- على وفق هذه المعطيات، لكن يجب أن تكون هناك سياسة عليا ومجلس أعلى لا تتغير فيه التخطيط بتغيير الأشخاص. وتوضح فيه الخطط بتوافق العلماء المفكرين من أعضاء المجلس وليس من أشخاص آخرين.

٦. **وجود الغلاة من بين أعضاء أو أتباع الطوائف الدينية.** فهذا موجود بين جميع الفرق الدينية مما يؤدي إلى التناحر الشديد والتكفير فهؤلاء لا يصلون خلف الآخرين ولا يأكلون ذبائحهم ويستبيحون أعراسهم وأموالهم ويفرقون بين الرجل وأهله. ويضاف إلى هذه ظهور جماعة أخرى في شمال نيجيريا تدعو إلى الاعتزال الكامل لكل وسائل الحياة المعاصرة حتى الضرورية منها، لما يرون فيها من صلة بالكفار

٧. **توسيد الأمور إلى غير أهلها،** وهذا علم من أعلام نبوة رسول الله ﷺ فالمناصب والرئاسة تعطى إلى غير مستحقيها طلبا لأعراض الدنيا فهذه تؤدي للفشل والرقود.

٨. **ضعف التمويل:** تعاني مشروعات الدعوة من عدم تبني الدولة لها-باعتبارها مشروعات فردية- وبالنظر إليها على أنها قضية روحانية وأن الدين عموما خيار شخصي لا يؤثر في سياسة الدول ولا في خياراتها. وهذا بلا شك يعد مشكلة عند المنظرين والفكرين والسياسيين والدوليين، وصناع القرار، لأنه - وبلا شك- يعتبر الدين محركا أساسيا للشعوب وعاملا بارزا من عوامل قيادة الحراك الاجتماعي، ومن المعلوم أن الحراك الاجتماعي يتحكم فيه عوامل عدة أبرزها العامل الديني فإذا كان هناك فهم مغلوط للدين فإن الحراك سيتجه اتجاهات سلبية مما يؤثر على المخرج العام للمجتمع. وهذا الفكر أضحى واضحا لدى الممسكين بزمام قيادة الأمة في ولايات نيجيريا خاصة الولايات التي شهدت الاشتباكات والصراعات الأهلية مثل بلاتو وكدونا وترابا. وأدهى من ذلك الولايات التي اقتحمتها جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد (بوكو حرام) وهي ولايات برنو ويوبي وأدماوا. فلو قامت الحكومة بتمويل المؤسسات الدعوية وستكون لها سيطرة عليها وتستطيع حجزها خلال الحدود التي تريدها

وتقيم حسب الظروف مصاريفها المالية لكن غياب المؤسسة الدينية الرسمية عن ساحة العمل وعدم قدرتها على قيادة الحراك الإجتماعية وعدم تبنيها لسياسة واضحة للدعوة وعدم قدرتها على التغلغل في ثنايا المجتمع أفقدتها الهيبة وجعل من منظمات العمل الفردي بديلا لها وهي التي قد لا تعرف منابعها ولا جهات تمويلها مما أفقدها السيطرة علي الإشراف على المادة العلمية والخطبة المنبرية والخطاب الوعظي، وقد أدى ذلك إلى اختطاف الخطاب الإسلامي من جهات غير مأمونة مثل الشيعة وبوكو حرام التي تسعى إلى هدم المؤسسة الدينية الرسمية المعروفة لدى الشعب. وهذا لا يعني منع أو تحريم المؤسسات الدعوية المحلية أن تشارك في الخطاب الدعوي وأن تساند في حمل أعباء الدعوة لكن لا تترك لها العنان بالكلية بدون رصد أعمالها وخطابها الدعوي خوفا من الفتك بالمجتمع وتفكيك نسيجه من خلال العبث بعقيدته. لكنه يوقظ همّة الحكومة بأن هذه إحدى طرق حل مؤقت للمشكلات الدينية الطارئة التي ترتفع بين حين وآخر. فلنتساءل، هل يمكن أن تنجح الدعوة الإسلامية مع هذه المشاكل والمعوقات التي سردناها؟ أجل، ونوضح ذلك عند حديثنا عن التطبيق مع الخطط التي يجب اتخاذها

المبحث الرابع: حالة التعليم في ولاية بلاتو

وفيه مطلبان

المطلب الأول: التعريف بالعلم وأهميته

المطلب الثاني: تحديات التعليم في ولاية بلاتو

المطلب الأول: التعريف بالعلم وأهميته

العلم هو اكتساب المعرفة، والقدرة على تطوير تفكير الفرد وحُكمه على الأمور، سواءً كان ذلك من خلال المؤسسات التعليمية أو غيرها، وهو كذلك اكتساب المهارات الخاصة بأمورٍ مُعيَّنة كالمهن مثلاً، أو الدِّراسات التي تمنح الفردَ درجةً أو مستوىً مُعيَّناً من التعليم، والعلم هو النتيجة التي يُنتجها التَّدريب أو الدراسة. والعلم معرفة الشيء على حقيقته، ولا يكون العلم إلا بعد جهد تدرك به هذه المعرفة.

ويطلق العلم على معانٍ كثيرة كالعلم العقائد، و علم اللغات، والتراجم، والأنساب، وعلوم الطبيعة كالرياضيات والكيمياء والفيزياء أو العلوم الحديثة كالحاسب الآلي والانترنت، وأي علم آخر يجتهد الإنسان لمعرفته. ولا يُعدّ التعليم بأنّه فقط العلم الذي يتلقاه الإنسان في المدارس والجامعات، والذي يكسب من خلاله المعلومات عن طريق مناهج مُحددة، ومُعلِّمين مُدربين على ذات الطريقة من التدريس والعمل؛ بل هو العملية المستمرة لاكتشاف الحقائق والإمكانات، وكيفية التعامل مع الأمور الحالية لا التَّخطيط للمستقبل فقط، والعمل مع الناس، ومُشاركتهم مُختلف الأمور، لتطوير قدرات الأفراد والمُجتمعات، وجعلهم أكثر احتراماً وحكمةً، وتطوير فهمهم، وتمكينهم من العمل وجعلهم أكثر فُدرةً على التعامل مع المَوَاضيع المُختلفة، وأكثر تَعاوناً على مُساعدة أنفسهم والآخرين، يعيشون الحياة التي يستحقون.

وقد اهتم ديننا الحنيف بالعلم أعظم اهتمام، يقول الله عز وجل في أول ما نزل: أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥

ففي هذه الآيات المحكمات أمر للنبي ﷺ ولكل فرد من أمته أن يقرأ ويتعلم أي علم يكون له ولغيره نفع في دينه ودنياه. وقد رافق هذا الأمر بيان سماوي آخر عن مكانة العلماء، ومآثرهم في مواضع عديدة من القرآن الكريم ومنها قوله سبحانه: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

١ سورة العلق الآيات ١-٥

إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُوتُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ وقوله عز وجل: قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾

وقوله عز من قائل: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٠﴾ ففي هذه الآيات إشارة واضحة إلى أن الذين يشهدون بالوحدانية المطلقة هو الله عز وجل وملائكته وأولو العلم وفيها دلالة بأن العلماء يتميزون بعلومهم ومعارفهم، وبإدراكهم عن الذين لا يعلمون.

لم تكن البداية ما نزل فقط في هذا الكتاب المعجز هي التي تتحدث عن العلم وقيمته وأهميته في قوله سبحانه وتعالى: {اقرأ}، بل كان هذا منهجاً ثابتاً في هذا الدستور الخالد، فلا تكاد تخلو سورة من سوره من الحديث عن العلم، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. والمفاجأة الكبرى! عند إحصاء عدد المرات التي جاءت فيها كلمة (العلم) بمشتقاتها المختلفة في كتاب الله تجد بلا مبالغة- أنها قد بلغت ٧٧٩ مرة، أي بمعدل سبع مرات - تقريباً- في كل سورة! وهذا عن كلمة (العلم) بمادتها الثلاثية (ع ل م)، إلا أن هناك كلمات أخرى كثيرة تشير إلى معنى العلم ولكن لم تُذكر بلفظه؛ وذلك مثل: اليقين، والهدى، والعقل، والفكر، والنظر، والحكمة، والفقه، والبرهان، والدليل، والحجة، والآية، والبيئة، وغير ذلك من معانٍ تدرج تحت معنى العلم وتحث عليه. أما السُنَّة النبوية فإحصاء هذه الكلمة فيها يكاد يكون مستحيلاً. واليكم إشادة نبوية عن أهمية العلم:

يقول الرسول ﷺ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جَرِّهَا وَحَتَّى الْحَوْتَ فِي جَوْفِ الْبَحْرِ يَصْلُونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ^٤. ويقول: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين^٥

ويقول ﷺ من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة^٦ وهذه الفضيلة لا تختص بطلب العلم الشرعي - لمكانة هذا العلم وكونه أول العلوم التي

^١ سورة ال عمران، الآية ١٨

^٢ سورة الزمر، الآية ٩

^٣ سورة المجادلة، الآية

^٤ النووي، يحيى بن شرف، رياض الصالحين، بتحقيق ماهر ياسين الفحل، موقع رقم ١٣٨٧ دار الفكر المعاصر بيروت لبنان دار الفكر دمشق سورية ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م

^٥ ابن حنبل المسند رقم ١٦٨٤٩

^٦ مسلم بن حجاج: صحيح مسلم، رقم ٧٠٢٨

يجب أن يعرفها المسلم لأنها منوطة بأمر دينه- فحسب، بل إن هذه الفضيلة تمتد إلى كل علم يكون للمسلم ولغيره فيه نفع في معيشتة وحياته اليومية ما لم يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية، إن العلوم الدنيوية ضرورة لتنمية معاش المسلمين يقول الله عز وجل: هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا^١. ويقول: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^٢ ويقول أيضا: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ^٣

ويقول سبحانه: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ^٤ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ^٥

وقد قال الرسول ﷺ في تأبير النخل "أنتم أعلم بأمر دنياكم".^٦ فعمارة الأرض والانتفاع بجميع ما خلقه الله لنا ولأجلنا لا يكون إلا عن علم راسخ بمعرفة علوم الصناعة والزراعة وعلم راسخ في الاقتصاد والتجارة وطرق تنميتها واستثمار الوسائل العصرية الحديثة في خدمة الإسلام والدفاع عن حياض الأمة ، فالأمم التي تقدمت في ميادين العلم المختلفة لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بعد نجاحها في إدارة مؤسساتها وانضباط سلوك العاملين فيها. والشعوب التي فشلت في ميادين التنمية ما كانت لتصل إلى هذا الفشل إلا بعد فشلها في إدارة دوائرها ومؤسساتها التنموية وعدم استثمار الوسائل بطريقة مثلى. إن حاجة الشعوب المسلمة إلى العلم الشرعي تمتد بالضرورة إلى حاجتها لعلوم ومعارف أخرى كعلم الحاسب، والطب، وعلم الصناعة والتقنية وغيرها، بل يجب أن تكون هذه العلوم محل عناية المسلم واهتمامه في عصرنا الحاضر لأنها لم تعد مجرد حاجة بل أصبحت ضرورة قصوى في وقت تخلف فيها المسلمون عن غيرهم من الأمم. يقول الله عز وجل : وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِّن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ^٧

^١ سورة هود، الآية ٦١

^٢ سورة البقرة، الآية ٢٩

^٣ سورة الجمعة، الآية ١٠

^٤ سورة الملك، الآية ١٥

^٥ محمد صادق النجدي أضواء على الصحيحين، (ص ٤٠٤/١) مؤسسة المعارف الإسلامية. الطبعة: الاولى ١٤١٩

^٦ سورة الأنفال، الآية ٦٠

أضف إلى ذلك كل علم نافع تحتاج له الأمة الإسلامية في حاضرها ومستقبلها للدفاع عن عقيدتها وشريعتها.

ونحن نعلم علم اليقين أنَّ سلف هذه الأمة قد اهتم بالعلوم الشرعية وما يتفرع عنها وفي الوقت نفسه اعتنوا بعلوم ومعارف أخرى كعلم الطب و الجراحة و علم الرياضيات وعلوم الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من العلوم التي كان لها دور كبير في بلوغ الحضارة الإسلامية مرحلة ازدهارها.

إنَّ المسلم يجب أن يعرف أنَّ كل ما يتعلَّمه من العلوم والمعارف والفنون ولا يتعارض مع الشريعة الإسلامية وقواعدها يعتبر مأموراً به ومشجعاً عليه وله أجر عند الله تعالى فمن يتعلَّم صناعة الأسلحة لتدافع بها الشعوب المسلمة عن دينها وأوطانها أفضل ممن لا يعرفها، والذي يتعلم علم الطب ويعالج مرضى المسلمين أرفع درجة ممن لا يقدم شيئاً للأمة، ومن لديه خبرة ومعرفة بتقنية العصر (الكمبيوتر والإنترنت) ويجيد فن استخدامها والاستفادة منها في الذب عن الإسلام، ويساهم في إيصال كلمة الحق إلى الآفاق في عصر العولمة خير من غيره وهكذا، يقول الرسول ﷺ "إنَّ هذا الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر. وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر، مغلاقاً للخير"^١

المطلب الثاني: تحديات التعليم في ولاية بلاتو

لا شك أن لكل ساحة ميزتها ولها محاسنها ومساوئها ومن خلالها تظهر عقبات وتحديات نبوغها وتخلفها، فولاية بلاتو كونها جزء من جمهورية نيجيريا الفدرالية تتمتع بخيرات ومحاسن على قدر عناية الحكومة المسؤولة عن التعليم، ففيها واحدة من أفضل الجامعات جودة في المنتجات في نيجيريا فهي الثالثة والعشرين من بين المائة وخمس عشرة جامعة في نيجيريا في إحصاء العام ٢٠١٧م^٢ وفي نفس السنة قدم قرابة ثلاثين ألف راغبين طلباً للحاق بالجامعة، وإن المجال لا تسع لأكثر من ثمانية آلاف طالب. وفي مستوى الابتدائية والثانوية، ترتفع نسبة المعلمين والمتعلمين بمر الدهور في الولاية وتضاعفت إلى جانب

^١ ابن ماجه سنن: ابن ماجه، رقم ٢٣٨. أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربيعي القزويني هو إمام في علم الحديث، ولد سنة ٢٠٩ هـ وتوفي ٢٧٣ هـ. سمع من شيوخ البلاد مثل محمد بن مثنى بن دينار العنزي الملقب بالزمن وأبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير وجبارة بن المغلس وهشام بن عمار ومحمد بن رمح وداود بن رشيد وعلقمة بن عمرو الدارمي وأزهر بن مروان ومحمد بن بشار وعمرو بن عثمان بن سعيد وغيرهم من كبار الأئمة وعلماء الحديث. انظر سنن ابن ماجه، بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، ج ٢، ص ١٥٢٠-١٥٢٦

ذلك عدد المدارس الأهلية المفتوحة لإشباع حاجات الناشئين إلى التعليم، لأن مدارس الحكومية لتسع للعدد الغفير من الأبناء الذين يريدون اللحاق بالمدارس الابتدائية والثانوية، ومع تقرير وزارة التربية بالزامية التعليم الإبتدائي إلى المستوى الإعدادي يزداد العدد كثيرا في كل عام.

وعدد المتخرجين من الجامعات سنويا يتزايد وتضيّق الهوة التي بين الأمية والمعرفة، ومن العوامل التي تساعد على هذا التحصيل طمع الناس في المناصب السياسية لما فيها من خيرات عاجلة، التنافس القبلي والإقليمي وأمل السيطرة على القبائل والأديان بعضها بعضا. ويمكن تلخيص الجوانب الحسنة في مسيرة التعليم في ولاية بلاتو بما يلي:

- ١- أصبح التعليم ضرورة اجتماعية بعد أن كان ترفا وميزة لفئة معينة
- ٢- ازداد اهتمام المجتمع بالتعليم والمشاركة فيما يدفعه نحو النهضة
- ٣- رفع التعليم مستويات الناس، فأضحى من في الطبقة الدنيا في المجتمع يعيش في احترام
- ٤- أزال التعليم كثيرا من الفوارق والأمراض الاجتماعية التي كانت تؤثر سلبياً على المجتمع
- ٥- جعل التعليم أفراد الأمة يشعرون بالاعتزاز بذواتهم، ويقدرّون إمكاناتهم وحقيقتهم في الوجود

هذه بعض الأمثلة للجوانب الإيجابية للنهضة التعليمية ويمكن أن يضاف إليها كثير من النقاط الأخرى

فعلى الرغم من الاعتراف بالإنجازات التعليمية على مستوى الفرد والمجتمع، وسعي الشعب لإزالة الأمية من مجتمعاتها، فالأمر الطبيعي أن تكون البدايات بسيطة ومتواضعة، ثم تقوى وتشتد ولكن المشاهد أن نوعية التعليم أيام الاستقلال وما بعدها كانت أفضل مما هي عليه الآن، وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان، وبالأخصّ مدارس الحكومة. وقد نسب الباحثون الأسباب إلى:

أولاً: الحاجة إلى العناية الفعالة للتربية والتعليم من جهة الحكومات على مستوياتها، فالقسط الوسط للتعليم في الميزانية المصروفة للدولة النامية حسب تقرير يونسكو أن لا يقل عن ٢٦%، لكن الإحصائية تدل على أن الميزانيات المخصصة للتعليم في ولاية بلاتو وغيرها من الولايات لا تزال غير كافية وبعيدة عن التكافؤ مع الميزانيات العسكرية والإدارية،

وعلى سبيل المثال، فميزانية التعليم لعام ٢٠١٧م وعامين قبلها (أدنى من ٢٦%) إنها تمثل ١٦,٩٥% فقط. فالتعليم في بلادنا متخلف ويحتاج إلى اهتمام عاجل

ثانيا: النظر الخاطئ إلى العلم واعتباره وسيلة لرفع المستوى المادي، دون اعتباره غاية قائمة بنفسها فالكل يسعى إلى الحصول إلى الشهادة وترتب على ذلك قلة الاهتمام بالجودة وأصبح تخريج المتخرجين عند الجامعات استثمارا فقط، وانصرف المعنيون بأمر التعليم عن القيام على مبدأ المعيار السابق إلى مجرد تكثير عدد المتخرجين، وعليها كثرت المدارس والجامعات الأهلية في جميع الولايات مع افتقارها إلى الجودة.

ثالثا: إهمال المجتمع جانب التربية، تولي المجتمعات على كافة أشكالها اهتماماً وعناية ورعاية بالتعليم دون اهتمام بالقيم والأخلاق، وذلك من منطلق أن التعليم هو أساس تقدم الأمم ومعيار تفوقها في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. وضربت بالجانب الأخلاقي والتربية عرض الحائط، متغافلة عن ضرورة التربية الروحية التي تنمو منها الأخلاق ومن ثم تنمية المواطنين الصالحين الذين يعملون لرفع سمعة وطنهم بين الدول.

رابعا: تطوير التعليم ورفع جودته هدف لا يزال يصطدم بتدني أجر المعلم ، تلك المعضلة التي ترتبط ارتباطا شريطيا بتحسين أو سوء التعليم فالمعلمون في نيجيريا هم الأكثر معاناة من حيث تدني الدخل وسوء الظروف التعليمية داخل المدارس بدءا بكثافة أعداد الطلاب داخل الفصول الدراسية مروراً بافتقار المدارس إلى الوسائل التعليمية المتطورة كالمعامل والمختبرات والحاسبات الآلية وانتهاء بتركيز البرامج التعليمية المدرسية على الكم لا الكيف. وقد قامت هيئات وجمعيات المعلمين على مختلف طبقاتهم بإضراب عن العمل للفت أنظار الحكومة إلى مطالباتهم وسد الخلل والمشاكل الموجودة في هيكل التعليم في نيجيريا، لكنها إلى يومنا هذا لم تحصل على نتيجة مرجوة فأغلب مواثيق الحكومة تظل مجرد حبرٍ على ورق دون إنجاز.

خامسا: مستوى المعلم اجتماعيا صار متخلفاً لأن المجتمع أضحي يقيم الأمور تقويما ماديا فقط، والمستوى المادي للمعلم متخلف والتحسينات التي تزداد عليه تحبو حبوا بالمقارنة مع ارتفاع مستويات المعيشة والغلاء التي تضرب المجتمع النيجيري بشكل عام وولاية بلاتو بشكل خاص، فأصبحت مهنة التعليم من المهن المحققة في المجتمع، وهذه حقيقة لا تنكر، على الرغم من كل ما يقال من كلام إنشائي في مناسبات تكريم المعلم فإن هذا المدح غير عملي والإشادة الباردة بالمعلم ودوره في المجتمع ليست إلا من قبيل معالجة خلل موجود

في النظرة العامة السائدة تجاه مهنة التعليم. ولو سألت معلما أو مدرسا سؤالا بسيطاً: هل يحب لولده أن يمتحن مهنة التعليم في مستقبل حياته؟ لكان الجواب بالقطع: لا. نهيك عن المعلمين في جانب العلوم الدينية الذين لا اعتبار لهم لدى الحكومة وليس لهم أي أعداد حكومية تضمن لهم مستقبلهم وقد كشف البحث أن أكثر من ٧٠% من معلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية من المثقفين (غير القائمين في الدهليز) لا يتخصص أبناؤهم في الدراسات الإسلامية أو اللغة العربية. فهذه دلالة يجب أن يقف المرء عندها ويحللها تحليلاً يكشف له عن أسبابها ودوافعها ونتائجها. وعندما يشعر المعلم أنه أصبح مهاناً ومنحدرًا في المجتمع ويعيش هذا الشعور فهل يلام على قلة إخلاصه وموت طموحه نحو تقديم الأفضل؟!!

سادساً: الفقر، فمع ما تعانيه مدارس الحكومة من الإهمال واللامبالاه من الحكومة، خاصة مستوى الابتدائية والثانوية من عدم وجود كراسي ومقاعد للتلاميذ وأبنية مناهج ومعلمين موتى الطموحات، مستغرقين في الإضراب وعطل عن العمل ستة أو ثمانية أشهر لعدم وفاء الحكومة بجانب الاتفاقية بينهم، ومع ذلك تجد هذه المدارس مليئة بالتلاميذ لأن الظروف الاقتصادية تركتهم بلا خيار سوى ذلك، ورغم توصيات المؤتمرات العلمية الدولية للدول النامية بالاعتناء بتعليم شعبها وتحسين الحال في مدارس ومع تقرير الزامية التعليم الابتدائي إلا أن العذر لا يزال واحداً: قلة المال!

هذه لمحات حول مشكلة التعليم عموماً في ولاية بلاتو، أما مدارس اللغة العربية والدراسات الإسلامية التي هي محور هذه الرسالة، فإن حالها أدهى وأمر. فليس هناك مدرسة دينية واحدة كيفما كانت مستواها على نفقة الحكومة وليس هناك دعم بأي شكل يأتيها من الحكومة. فهي كلها مدارس اما على نفقة الأثرياء المحسنين أو على فضل جماعات إسلامية أسست بغرض تعليم أبناء المسلمين على رسومات قليلة لا تذكر ولا هي تكفي لقوامه حاجات المدرسة وإيجاد ضروراتها، نهيك عن أن تكفي لسد حاجات المعلمين العاملين فيها.

والجانب الثاني لهذه المشكلات هو أنه ليس هناك مناهج موحدة في المدارس الإسلامية العربية في مستوى الابتدائية وهذا يمس جميع المواد المدرسية في هذا المستوى بيد أن العناية القصوى في هذه المستوى هي الجودة إلى تلاوة القرآن وحفظه وتعلم الخط والقراءة، إلا أن كل مدرسة ترسم لتلاميذها ما تراه مناسباً لمستواها حسب مهارة الموكلين بذلك.

أما العلاقة بين المعلمين والطلاب فكانت احتراماً متبادلاً ومنتظماً، يتفق مع العلاقات الاجتماعية السائدة آنذاك، فقد كان للمعلم مكانته الخاصة، لأنه المثقف وقامت العلاقة بينه وبين طلابه على الرهبة والهيبة والاحترام إلى درجة أنهم كانوا يغيرون طريقهم إذا لمحوه من بعيد حتى لا يراهم. وهذا الأمر ظل واقعا حقيقياً حتى وقت قريب. أما الآن، فقد بدأ ثمة خلل أو اضطراب يشوب تلك العلاقة بين المعلم والطالب، وهو ما انعكس على العملية التربوية برمتها، فأصبحت العلاقة اليوم تميل إلى علاقة غير رسمية تفتقر إلى الحدود التي كانت سابقاً، اضمحلت وتدهورت هذه العلاقة واستبدلت بعلاقة يشوبها التوتر وعدم الثقة والتشنج وربما الضغينة والكراهية، وأحياناً يصل الأمر إلى العراك بالأيدي!، فلماذا تغيرت مواصفات الأستاذ والطالب واستبدلت بمواصفات جديدة هدامة، هذه كلها علامات استفهام يثيرها كل من يتابع العد التنازلي لعلاقة الأستاذ البناءة مع الطلاب.

فما هي أسباب هذه الظاهرة؟

- ١- عدم إيمان الطالب بالكفاءة العلمية والمعرفية لأستاذه
- ٢- لجوء بعض المدرسين إلى استخدام العنف في تصحيح أخطاء الطلاب
- ٣- سعة الفجوة الثقافية والسلوكية بين المدرس والطالب
- ٤- ضعف أهلية المدرّس للخوض في العملية الدراسية، ما يجعله يغطي على ذلك بمثل هذا التصرف
- ٥- التحفظ والحذر في التعامل مع الآخرين، ومحاولة تجنب ما يتوقعه من أخطاء يمكن أن تصدر عنهم
- ٦- الطمع وعدم احترام العلم
- ٧- الفهم الخاطئ عن الآخر
- ٨- الإستغناء عن المعلم لتوافر الكتب والطرق الاتصالية الأخرى
- ٩- أن المعلم لم يعد هو مصدر المعلومات الوحيد، فالتطور والوسائل التقنية المتاحة للطلاب، جعلت الطالب يحتاج من المعلم فقط علامة النجاح ليجتاز المرحلة.

وفي ظل واقع كهذا وتحاشياً لانتشار هذه الظاهرة واتساع الفجوة ما بين الطالب والمعلم، نقوم بالبحث عن حلول لمعالجة هذه الظاهرة وتعميق العلاقة بين المعلم وطلابه وبين المدرسة والأسرة ومن ثم رفع معنويات المعلم، وتفعيل دور المرشد الاجتماعي في توطيد العلاقات الجيدة في المحيط المدرسي: فدونكم حلولاً من منهج الصحابة الكرام في ساحة التعليم والعلاقات الاجتماعية مسترشداً بمنهج الصحابي

عبد الله بن مسعود، وهو الذي استغرق حوالي خمسة عشر (١٥) عاما في مسجد الكوفة يدرس، ومن خلال هذه المدة برزت عبقريته وموهبته وطبّق في الواقع ما تعلمه من النبي ﷺ وتأثر به طلابه. نلتقط من منهجه هذه النقاط ليكون حلولا لمشكلة المدارس الإسلامية والحلقات العلمية في حاضر ولاية بلاتو.

الفصل السابع: التعريف بالصحابيين عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير رضي الله عنهما

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : التعريف بالصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

المبحث الثاني: في علم ومناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

المبحث الثالث: التعريف بالصحابي مصعب بن عمير رضي الله عنه

المبحث الرابع: في جهاد ووفاء ومناقب مصعب بن عمير رضي الله عنه

المبحث الأول : التعريف بالصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وتحتة أربعة مطالب:

المطلب الأول : نسب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

المطلب الثاني : إسلام عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

المطلب الثالث: صفات عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

المطلب الرابع: التعريف بآل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

المطلب الأول : نسب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

اتفق أهل السير والتراجم أن اسمه: عبد الله بن مسعود بن غافل (بمعجمة وفاء) بن حبيب بن شمش بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم (تيم) بن سعد بن هذيل الهذلي بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار^١.

وكان أبو مسعود بن غافل قد حالف في الجاهلية عبد الله بن الحارث بن زهرة^٢، أما نسبه من ناحية أمه فهي: أم عبد بنت عبد ودّ بن سواء بن قريم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن هزيل^٣.

فاجتمع أبواه في صاهلة بن الحارث وما بعده.

وأما هند بنت عبد الحارث بن زهرة بن كلاب^٤.

مات أبوه في الجاهلية وأسلمت أمه وصحبت النبي ﷺ لذلك كان ينسب إلى أمه أحيانا فيقال: (ابن أم عبد). كان هذا الصحابي الجليل يكنى بأبي عبد الرحمن كما يدعى أحيانا بـ"ابن أم عبد". فعن يعلى بن عبيد قال: أخبرنا الأعمش عن زيد بن وهب وحدثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمة أن عبد الله بن مسعود كان يكنى أبا عبد الرحمن^٥. وكان يعرف أيضا بأمه ويدعى "ابن أم عبد"^٦. وعن علقمة قال: قال عبد الله (يعني ابن مسعود) كُتّاني رسول الله ﷺ بأبي عبد الرحمن قبل أن يولد لي^٧. فهو ليس من نسيب القوم ولكن الإسلام رفع شأنه وأظهر سمعته وارتقى به أعلى منازل يتمناها واحد من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد^٨.

^١ - ابن سعد، محمد بن المنيع البصري: الطبقات الكبرى (ص ٣/ ١٥٠) دار صادر، بيروت - لبنان ط ١١، ١٩٦٨ م
^٢ - ابن عبد البر يوسف بن عبد الله: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، (ص ٣٠٢) دار الجيل، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤١٢ م
^٣ - ابن سعد، محمد بن المنيع البصري: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت - لبنان ط ١١، ١٩٦٨ (ص ٣/ ١٥٠)
^٤ - ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج ٣/ ص ١٥٠) المرجع السابق

^٥ - ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج ٣/ ص ١٥٠) المرجع السابق. **أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة الربيعي القزويني** هو إمام في علم الحديث، ولد سنة ٢٠٩ هـ وتوفي ٢٧٣ هـ. سمع من شبوح البلاد مثل محمد بن مثنى بن دينار العنزي الملقب بالزمن وأبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير وجبارة بن المغلس وهشام بن عمار ومحمد بن رمح وداود بن رشيد وعلقمة بن عمرو الدارمي وأزهر بن مروان ومحمد بن بشار وعمرو بن عثمان بن سعيد وغيرهم من كبار الأئمة وعلماء الحديث. انظر سنن ابن ماجة، بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، ج ٢، ص ١٥٢٠-١٥٢٦

^٦ - أبو محمد، اسحاق ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة (ص ١٨٤ - ١٨٥) المكتب الإسلامي، ط ١١، ١٤١٢-١٩٩٢ م
^٧ الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، المستدرک - حديث رقم ٥٣٦٨ م ٣١ ٣٥٤١
^٨ - ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد: مُصنّف ابن أبي شيبة، (ص ٢٨٣/٦) دار الفكر بيروت-لبنان، (بدون تاريخ)

المطلب الثاني: إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

كان إسلام عبد الله بن مسعود مبكرا جدا، بل كان يُعتبر سادس ستة دخلوا في الإسلام كما قال عن نفسه: لقد رأيتني سادس ستة ما على الأرض مسلم غيرنا^١. فهذا يدل على سبقه إلى الإسلام وكان دخوله في الإسلام عند لقائه مع النبي ﷺ وأبي بكر كما يروى لنا عن نفسه رضي الله عنه قال: كنت غلاما يافعا أرى غنما لعقبة بن أبي معيط، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر فقالا: يا غلام، هل عندك من لبن تسقينا؟ فقلت "إني مؤتمن ولست ساقيكما" فقال النبي ﷺ: هل عندك من شاة حائل، لم يَنْزَ عليها الفحل؟ قلت نعم، فأتيتهما بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح الضرع ودعا ربه فحفل الضرع، ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقعرة فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربت ثم قال للضرع! "أقلص" فقلص، فأتيت النبي ﷺ بعد ذلك فقلت: علمني من هذا القول فقال: "إنك غلام مُعَلَّم"^٢.

يدل القصة أنه كان حَدَث السن عندما أسلم، ويدل كذلك أنه يحمل فطرة سليمة. فلقد أدرك بفطرته أن هناك شيئا يجوز وهناك شيء لا يجوز، فهو لم يسقي النبي ﷺ وأبأبكر من لبن في حوزة لأنه مؤتمن عليه. وهذا من الصفات الحميدة التي عرف به العرب في الجاهلية فهو مع صغر سنه يأبى أن يخون أمانة انتمنه عليه عقبة (صاحب الغنم)

يقول الكاتب خالد محمد خالد: لقد انبهر عبد الله بن مسعود حين رأى رسول الله ﷺ يدعو ربه، ويمسح ضرعا لا عهد له باللبن بعد، فإذا هو يعطي من خير الله ورزقه لبنا خالصا سائغا للشاربين. وما كان يدري يومها أنه إنما يشهد أهون المعجزات وأقلها شأنًا، وأنه عن قريب سيشهد من هذا الرسول الكريم معجزات تهز الدنيا وتملؤها هدى ونورا^٣.

^١ - الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري: المستدرک، رقم ٥٣٦٨ (ص ٣٥٤/٣) مؤسسة قرطبة - القاهرة (بدون تاريخ)

^٢ - ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد الشيباني: مسند أحمد بن حنبل رقم ٤٤١٢ (ص ٤٦٢/١) مؤسسة قرطبة - القاهرة (بدون تاريخ)

^٣ - خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، (ص ١٨٠ - ١٨١) دار الفكر بيروت (د. ت)

وكان إسلام هذا الشاب العملاق قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم^١. قال الدكتور الصلابي بعد سرد قصة إسلامه ما نصه: كان مفتاح إسلامه كلمتين عظيمين: الأولى قالها عن نفسه "إني مؤتمن" والثانية كانت من الصادق المصدوق حيث قال له: "إنك عليّ معلم" ولقد كان لهاتين الكلمتين دور عظيم في حياته، وأصبح فيما بعد من أعيان علماء الصحابة رضوان الله عليهم. ودخل عبد الله في ركب الإيمان، وهو يمخر بحار الشرك في قلعة الأصنام، فكان من أولئك السابقين الذين مدحهم الله في قرآنه العظيم. وقال عنه ابن حجر: "أحد السابقين الأولين، أسلم قديما وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه^٢".

وذكر ابن اسحاق أن إسلام بن مسعود بعد اثنتين وعشرين نفساً^٣. وليس بين ما قاله ابن اسحاق وقول عبد الله بن مسعود عن وقت إسلامه تضارب، فإن عبد الله بن مسعود أخبر بما ظهر له وقت إسلامه وهي فترة الدعوة السرية، فلا يلزم أن يعرف جميع من قد آمن وقتئذٍ، ومعلوم أيضا أن أبابكر بمجرد إسلامه أكبّ على الدعوة خاصة بين طبقة رجال الأعمال ورجال المال في مكة إذ هو من أشهر تجّارها فكان فور دعوته استجاب له صفوة من خيرة الخلق، وهم: عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة. فكان هؤلاء الأبطال الخمسة من ثمار الصديق، دعاهم إلى الإسلام فأجابوه، وجاء بهم إلى الرسول ﷺ فرادى فأسلموا بين يديه.

وقوّى صاحب كتاب "دولة الرسول من التكوين إلى التمكين" أن عبد الله بن مسعود في الدفعة الثالثة من الذين أسلموا^٤. ويقوى القول بتأخر إسلامه عن بعض من ذكر سابقا، ما ذكره الذهبي في "السير" عن زيد بن وهب قال: قال عبد الله: إن أول شيء علمته من أمر رسول الله ﷺ: قدمت مكة مع عمومة لي أو أناس من قومي نبتاع منها متاعا،

^١ - ابن سعد، محمد بن المنيع البصري: الطبقات الكبرى (١٥٠/٣) المرجع السابق

^٢ - ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة (ص ٢٣٣/٤) دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

^٣ - الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، (ص ٢٩٢) المرجع السابق

^٤ - كامل سلامة الدقس: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين (ص ٢١٢) ط ١/ دار عمار، عمان (د. ت)

وكان في بغيتنا شراء عطر، فأرشدونا إلى العباس، فأتينا إليه وهو جالس إلى زمزم، فجلسنا إليه، فبينما نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا، أبيض تعلوه حمرة، له وفرة حعدة إلى أنصاف أذنيه، أشم، أقنى، أذلف أدعج العينين، براق الثنايا، دقيق المسربة خشن الكفين والقدمين كثّ اللحية عليه ثوبان أبيضان كأنه القمر ليلة البدر، يمشي على يمينه غلام حسن الوجه، مراهق أو محتلم تفقوهم امرأة قد سترت محاسنها حتى قصد نحو الحجر فاستلم ثم استلم الغلام واستلمت المرأة، ثم طاف بالبيت سبعا وهما يطوفان معه، ثم استقبل الركن، فرفع يده وكبر، وقام ثم ركع، ثم سجد ثم قام، فرأينا شيئا أنكرناه لم نكن نعرفه بمكة، فأقبلنا على العباس، فقلنا يا أبا الفضل إن هذا الدين حَدَثَ فيكم، أو أمر لم نكن نعرفه؟ قال: أجل والله ما تعرفون هذا، هذا ابن أخي محمد بن عبد الله، والغلام عليّ بن أبي طالب والمرأة خديجة بنت خويلد امرأته، أما والله ما على وجه الأرض أحد نعلمه يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة، قال ابن أبي شيبة: لا نعلم روى هذا إلا بشر الخصاف وهو رجل صالح^١.

فهذه الرواية على فرض صحتها لا تدل على أن هذا هو وقت إسلام ابن مسعود، فهو لم يُسلم حتى لقيه الرسول وأبو بكر في غنم عقبة بن أبي معيط ولا يكون الرسول قد أظهر هذا الدين بالصلاة عند البيت وهو لم يكن قد عرضه على الناس قبل ذلك. وغيره ممن آمن قبل أمثال أبي بكر ومن أسلم على يده قد عرضوا الإسلام أيضا على غيرهم. والله أعلم.

^١ - الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء (ص ٢٩٢) المرجع السابق

المطلب الثالث : صفات عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

يمكن الكلام عن صفة ابن مسعود من جهة صفته الخَلقية ونعته الخَلقية.

أولاً: أما عن صفاته الخَلقية الجسدية

فكان خفيف اللحم، قصيراً، دقيق الساقين، شديد الأدمة (شديد السواد) وكان لا يغيّر شبيهه (لا يصبغ شعره، فعن هبيرة بن بريم قال: كان شعر عبد الله بن مسعود تبلغ ترقوته فرأيتَه إذا صلى يجعله وراء أذنيه^١.

وعن المسيب قال: رأيت ابن مسعود عظيم البطن أحمر (دقيق) الساقين^٢

وقال زيد بن وهب: رأيت بعينَيَّ عبد الله أثرين أسودين من البكاء وكان من أجود الناس ثوباً، ومن أطيب الناس ريحاً^٣. وعن طلحة قال: كان عبد الله يُعرف بالليل بريح الطيب، وكيف لا يكون نظيفاً وهو صاحب القرآن ويعي ويفهم ويحاول تطبيق مضمونه وضمن ما نزل من القرآن قوله تعالى: وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ^٤.

ثانياً: أما عن صفاته الخَلقية رضي الله عنه:

فقد نعتَه حذيفة رضي الله عنه فقال: إنه أشبه الناس هدياً ودلاً برسول الله ﷺ من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع ولا أدري ما يصنع في أهله، لعبد الله بن مسعود والله لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أنه من أقربهم وسيلة يوم القيامة^٥.

ما أعظم ما قيل عن رجل أكثر من تشبيهه بسيد الأنام محمد ﷺ في خلقه، وأثنى قوم عليه وهم عند علي بن أبي طالب فقالوا: يا أمير المؤمنين ما رأينا رجلاً كان أحسن خلقاً ولا أرفق تعليماً ولا أحسن مُجالسة ولا أشد ورعاً من عبد الله بن مسعود فقال علي : نشدكم الله إنه لصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم. فقال اللهم إني أشهدك، اللهم إني أقول مثل ما قالوا وأفضل^٦.

^١ - ابن سعد: محمد بن المنيع البصري الطبقات الكبرى (١٣/ ١٥٦) المرجع السابق

^٢ - ابن سعد: محمد بن المنيع البصري الطبقات الكبرى (١٣/ ١٥٦) المرجع السابق

^٣ - الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد سير أعلام النبلاء: (ص ٢٩٣/٣) المرجع السابق

^٤ - سورة المدثر الآية : ٦

^٥ - ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: أحمد بن علي: الإصابة في معرفة الصحابة، (ص ٤ \ ٢٣٥) دار الجيل، بيروت،

١٤١٢ - ١٩٩٢ م

^٦ - ابن سعد: محمد بن المنيع البصري : الطبقات الكبرى (ص ١٣ \ ١٥٤) المرجع السابق

وكان ورعا، وأشد ما يخشاه رضي الله عنه هو أن يحدث بشيء عن رسول الله ﷺ فيغير شيئا أو حرفا منه. يقول عمرو بن ميمون "اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة، ما سمعته يحدث فيها عن رسول الله ﷺ. إلا أنه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه: قال رسول الله ﷺ، فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدّر على جبهته، ثم قال مستدركا: قريبا من هذا قال الرسول" ^١ انظر إلى الحيلة والحذر من ابن مسعود وهو من أقرب واحد من رسول الله ﷺ، فكيف بالذي يملأ فاه بقال رسول الله ﷺ ويوالي أصح الرواية أم لا، ناسيا أو متناسيا ما تواتر عن النبي ﷺ "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَفْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" ^٢

وعن تميم بن حرام قال: جالست أصحاب رسول الله ﷺ فما رأيت أحدا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة، ولا أحب إلي أن أكون في مسلاخه (صورته) من ابن مسعود" ^٣.

المطلب الرابع : التعريف بآل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

والد عبد الله اسمه: مسعود بن عافل بن حبيب بن شمش بن فار، وينتهي نسبه إلى أبي عبد الرحمن الهذلي، حليف بني زهرة. وكان والد ابن مسعود قد حالف في الجاهلية عبد الله بن الحارث ابن زهرة .

وأمه "أم عبد" ويقال "ابن أم عبيد" ترجم لها ابن حجر في "الأصابه" بأم عبيد. قال: روى وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن مصعب بن يزيد قال: فرض عمر للناس، المهاجرات في ألفين ألفين منهن أم عبيد". ولها أيضا الصحبة، كما أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حينما ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه ^٤. فهي أم عبيد بن سود بن قريم بن صاهلة الهذلية، وقال ابن الكلبي: هي أم عبد بنت عبد ود بن سود ^٥.

^١ - ابن سعد: محمد بن المنيع البصري: الطبقات الكبرى (ص ١٣ ١٥٤) المرجع السابق

^٢ - البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، رقم ١٢٩١ المرجع السابق

^٣ - البخاري : محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير، رقم ٢٠٢٠ المرجع السابق

^٤ البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري , حديث رقم ٣٧٦٣ المرجع السابق

^٥ - ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة (ص ١٨ ٢٥٦) المرجع السابق

وامراته زينب بنت معاوية وقيل بنت أبي معاوية وقيل بنت عبد الله بن معاوية بن عتاب ابن الأسدي بن غاضرة بن حطيظ بن قسي وهو ثقيف، روت الحديث عن النبي ﷺ وعن زوجها عبد الله وعبدالله بن عمر بن الخطاب^١.

وذكر ابن حزم أن لها ثمانية أحاديث^٢.

وأبناء عبد الله بن مسعود ثلاثة كما قال النووي وهذا ما نصه: وكان لابن مسعود ثلاثة بنين : عبد الرحمن، وبه يكنى، وعتبة، وأبو عبيدة، واسم أبي عبيدة عامر، وقيل اسمه كنيته^٣.

وتدل القرائن على أن له بنات لكن أسماءهن غير معروفة عند أكثر الرواة. فمما يدل على أن له بنات ما قاله أبو طيبة: مرض ابن مسعود فعاده عثمان، فقال ما تشتهي؟ فقال ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال رحمة ربي، قال: ألا أمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال ألا أمر لك بعتاء؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال يكون لبناتك، فقال: أتخشى على بناتي الفقر، إني أمرتهن أن يقرأن في كل ليلة سورة الواقعة^٤.

وذكر ابن سعد أن ابن مسعود كتب في وصيته: بسم الله الرحمن الرحيم: إن حدث به حدث في مرضه هذا إن مرجع وصيته إلى الله وإلى الزبير بن العوام وابنه عبد الله بن الزبير إنهما في حل وبل مما وليا وقضيا، وأنه لا تزوج امرأة من بنات عبد الله إلا بإذنها لا تحظر عن ذلك زينب^٥.

فهتان الروايتان و غيرهما من الروايات تدل أن لابن مسعود أبناءً إنثاءً لكن أسماءهن غير معروفة، اللهم إلا ما ذكره الطبراني في المعجم الكبير، امرأة باسم "سارة بنت عبد الله بن مسعود" أنها حدثت عن أبيها قال: بينما هو يمشي وراء رسول الله ﷺ إذ همزه أصحاب أو بعضهم فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لعبد الله في الموازين يوم القيامة أثقل من أحد كأنهم عجبوا من خفته^٦.

فسارة هي الوحيدة التي وفق لها الباحث عن الاسم والله أعلم.

١- المزني، أبو الحجاج يوسف: تهذيب الكمال مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ط١، (ص ١٨٨/٣٣)

٢- ابن حزم: أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، (المكتبة الشاملة) ص ١٧٨

٣- النووي: يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات (ص ٤٠٠) موقع المشكاة، المكتبة الشاملة الإصدار الأخير

٤- النووي: يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات (ص ٤٠٠) المرجع السابق

٥- ابن سعد: محمد بن المنيع البصري الطبقات الكبرى (ص ١٥٧/٣) المرجع السابق

٦- ابن سعد: محمد بن المنيع البصري الطبقات الكبرى المرجع نفسه

المبحث الثاني: علم ومناقب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول : علم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

المطلب الثاني : مناقب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

المطلب الثالث : حكم ومواعظ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

المطلب الرابع: مرض ووفاة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

المطلب الأول : علم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

لحظات المصير لا تنسى، وفترات التحول في حياة المرء لها رنين الذهب ولمعان اللآلئ، فمنذ اللحظة الأولى مع الإسلام والذي كان عطش النبي ﷺ سببه وهو في الفلاة يرمى الغنم، فارتوى هذا الصحابي بنور الإيمان والعلم مع هذا اللقاء. وكانت الأمانة مفتاح سره في عهده الجديد.

طلب منه الرسول ﷺ لبنا ليشرب وصاحبه، فرفض وقال: إني مؤتمن. أعجب الحبيب المصطفى ﷺ رده، وطلب منه شاة صغيرة لم تنجب من قبل، ومسح ضرعها ففاض اللبن وشرب مع الصديق حتى ارتوى. القلب العقول واللسان السؤل وسيلة النجباء والحكماء، ادهشته المعجزة التي رآها بعينه، وهفا إلى الكلمات المباركة التي أجرت اللبن من ضرع ضامر لم ينشط. فهيجته إلى طلب العلم من النبي المصطفى ﷺ ورجاه أن يعلمه تلك الكلمات، نظر إليه النبي ﷺ وقال له: "إنك غلام معلم". أحرف وجيزة لكلمات بسيطة حملت كل علوم الدين ونور الحكمة وصبته في عقل وقلب هذا الصحابي الجليل. فصار أحد مصابيح الهدى ومرجعا للفقهاء وخازنا القرآن. فقال بعد أن أسلم مبينا أثر دعوة المصطفى ﷺ: أخذت من فيه ﷺ سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد^١.

وقال أيضا: "والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، وفيما نزلت، ولو أعلم أحدا تبلغه الإبل أعلم بكتاب الله مني لأتيته"^٢.

لقد انتهز هذا الصحابي هذه الفرصة فلم يتركها تفلت عنه. فمنذ لقائه الأول مع الرسول ﷺ أرجع الشاة إلى صاحبها ولازم الرسول ﷺ حتى لكأنما هو من أهله. قال أبو موسى الأشعري: لقد رأيت النبي ﷺ وما أرى إلا ابن مسعود من أهله^٣.

بل كان يخبر عن نفسه قال: قال لي رسول الله ﷺ: إذكك علي أن ترفع الحجاب وأن تسمع سوادي حتى أنهاك^٤. (يعني الإذن بيني وبينك أن ترفع الستارة وما أشبهها، "وأن تسمع سوادي" أي تسمع قراءتي)

١- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الكبير، رقم ٨٤٤٢ مكتبة العلوم والحكم - الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م

٢- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص ١١/ ٣٠٤) المرجع السابق

٣- ابن سعد: محمد بن المنيع البصري، الطبقات الكبرى، (ص ٣/ ٣٠٢) المرجع السابق

٤- أبو يعلى: أحمد بن علي بن المثنى: مسند أبي يعلى، (ص ٤٤/ ١) <http://www.ahlalhdeth.com>

فكان يحضر إذا غاب الصحابة ويسمع إذا شغلوا حتى صار عالما متقنا يشار إليه في معرفة كتاب الله. فعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي خذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل^١.

وقد شهد له أفذاذ من الصحابة بالعلم كما سبقهم إلى ذلك رسول الله ﷺ فعندما بعثه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة مع عمار بن ياسر وكتب إليهم: إني قد بعثت إليكم بعمار بن ياسر أميرا وعبد الله بن مسعود معلما^٢.

وقال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أيضا: "كنيف ملء علما"^٣.

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن قوم من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود فقال: أما ابن مسعود فقرأ القرآن وعلم السنة وكفى بذلك^٤.

وروى الذهبي في "السير" أن أبا موسى الأشعري قال: لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر فيكم، يعني بذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^٥.

ولنبوغه وحفظه وملازمته للرسول ﷺ حدث عنه من الصحابة أمثال: أبو موسى، وأبو هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وعمران بن حصين، وجابر وأنس وأبو أمامة. وروى عنه من التابعين علقمة والأسود ومسروق، وعبيدة وأبو وائلة، وقيس بن أبي حازم، وزر بن أبي حبيش، والربيع بن أبي خثيم، وطارق بن شهاب وزيد بن وهب، وولده وأبو عبيدة وعبد الرحمن وأبو الأحوص عوف بن مالك وأبو عمر الشيباني وخلق كثير^٦.

وروى عنه القراءة أبو عبد الرحمن السلمي وعبيدة بن نضيلة، وطائفة.

قال الذهبي: اتفقا له في الصحيحين على أربعة وستين، وانفرد له البخاري بإخراج واحد وعشرين حديثا، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثا، وله عند باقي الرواة بالمكرر ثمانية وأربعون حديثا^٧.

^١ - البخاري محمد بن اسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٤٩٩٩ المرجع السابق

^٢ - ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله: الإستهيعاب في معرفة الأصحاب (ص ١ ٤١ ٣٠) المرجع السابق

^٣ - الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، رقم ٩٧٣٥، (ص ٩ ٤٩ ٣٤) المرجع السابق

^٤ - ابن عبد البر، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله: الإستهيعاب في معرفة الأصحاب (ص ١١ ٣٠٢)

^٥ - الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، رقم ٩٨٧١، المرجع السابق

^٦ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، (٣/ ٢٩١) المرجع السابق

^٧ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، المرجع نفسه

ولما ولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عمارا على الكوفة وسيّر معه عبد الله ابن مسعود معلما ووزيرا. لم يتوان ابن مسعود في أداء مهمته التعليمية. وكان أهل الكوفة يجلسون إليه ويأخذون عنه أكثر مما يأخذون عن غيره من الصحابة. وقد قام رضي الله عنه بالكوفة يأخذ عنه أهلها الحديث والتفسير والفقه، وهو معلمهم ومؤسس طريقتهم في الاعتداد برأي حيث لا يوجد النص^١.

يقال : إن العلم زرعه ابن مسعود وسقاه علقمة^٢.

ومما يدل على علمه وسعة معرفته لكتاب الله وتفسيره ما ذكره الشعبي قال : ذكروا أن عمر بن الخطاب لقي ركبا في سفر له فيهم عبد الله بن مسعود فأمر عمر رجلا يناديهم: من أين القوم؟ فأجاب عبد الله: قبلنا من الفج العميق فقال عمر أين تريدون؟ فقال عبد الله: البيت العتيق. فقال عمر البيت العتيق إن فيهم عالما، وأمر رجلا فناداهم: أي القرآن أعظم؟ فأجاب عبد الله: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ^٣

فقال: أي القرآن أحكم؟ قال ابن مسعود: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان".

فقال عمر: نادهم: أي القرآن أجمع؟ قال ابن مسعود: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ^٤ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^٥. قال عمر: نادهم أي القرآن أخوف؟ فقال ابن مسعود: لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ^٦. فقال عمر: نادهم أي القرآن أرجى؟ فقال ابن مسعود: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ^٧. فقال عمر: نادهم أفياكم ابن مسعود؟ قالوا ألهم نعم^٨.

ولقد صدق علي بن أبي طالب حين سئل عن عبد الله بن مسعود فقال " علم القرآن وعلم السنة ثم انتهى وكفى به علما^٩.

١- محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون (ص ٢١١٢) المكتبة الشاملة الإصدار الأخير

٢- ابو عمر الأزدي: alahnaf.almuntada.com اطلعت عليه ٦-٩-٢٠١٧

٣- سورة البقرة : آية ٢٥٥

٤- سورة الزلزلة : آية ٧-٨

٥- سورة النساء : آية ١٢٣

٦- سورة الزمر : آية ٥٣

٧- السيوطي، جلال الدين عبد الله بن أبي بكر: الإتقان في علوم القرآن، (ص ٣٨٢/٢) دار الكتب العربي، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م،

٨- الذهبي: : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء (ص ٣٠٩/٣) المرجع السابق

فما أروع وأعدل هذه الإجابات التي جاءت من رجل عاش حياته في خدمة القرآن وتعليمه، فقد تعلم القرآن من فم رسول الله ﷺ علماً ومعنى وفقهاً وتفسيراً ويشهد لذلك ما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي، حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن أنهم كانوا لا يجاوزون عشر آيات حتى يعلموا ما فيهن من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل جميعاً^١.

فلا غرابة أن قال لما رشح أمير المؤمنين عثمان بن عفان زيد بن ثابت لنسخ المصاحف قال: يا معشر المسلمين! أعزل عن نسخ المصاحف ويولّاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب أبيه^٢. وذكر الذهبي أيضاً في "السير" برواية إلى أبي وائل قال: خطب ابن مسعود على المنبر فقال: غلّو مصاحفكم، كيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد، قرأت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، وإن زيدا ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان^٣. فما أحسن ما قاله الذهبي بعد ذكر أحاديث إنكار ابن مسعود تولية زيد على نسخ المصاحف "إنما شق على ابن مسعود لكون عثمان ما قدمه على كتابة المصحف، وقدم في ذلك من يصلح أن يكون ولده، وإنما عدل عنه عثمان لغيبته عنه بالكوفة ولأن زيدا كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فهو إمام في الرسم وابن مسعود في الأداء، ثم إن زيدا هو الذي ندبه الصديق لكتابة المصاحف وجمع القرآن، فهلا عتب على أبي بكر؟ وقد ورد أن ابن مسعود رضي الله عنه أخيراً تابع عثمان والله الحمد. وزاد "وفي مصحف ابن مسعود أشياء أظنّها نسخت، وأما زيد فكان أحدث القوم بالعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ عام توفي على جبريل^٤.

فرحم الله هؤلاء الأعلام وجزاهم خيراً.

^١ - ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد: المصنف، (٢٣٧/٦) مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر - دار الفكر (المكتبة الشاملة الإصدار الأخير)

^٢ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء (ص ٣٠٩/٣) المرجع السابق

^٣ - النسائي، أحمد بن شعيب: سنن النسائي، (رقم ٥٠٧٩) دار المعرفة ببغروت ط/٥، ١٤٢٠هـ

^٤ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء (ص ٣٠٦/٣) المرجع السابق

المطلب الثاني : مناقب عبدالله بن مسعود

يكفي ابن مسعود شرفاً وجاهاً أن كان من أصحاب خير المرسلين وإمام المتقين، محمد ﷺ، وليس هذا فحسب، فقد كان من السابقين الأولين إلى الإسلام الذين خلد الله ذكرهم في محكم آياته وأدام الثناء عليهم من الذين جاءوا من بعدهم. قال تعالى في ذكر فضلهم وخلود الثناء عليهم " وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ " وقال: ^١ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠١﴾ ^٢.

فهذا الصحابي الجليل ذو مناقب وفضائل متميزة وثناء عريض، نال أكثره من رسول الله ﷺ. وكيف لا، وقد خدم رسول الله ﷺ منذ أيامه الأولى من هذا الدين حتى قال رسول الله ﷺ: ^٣ "إِنَّكَ عَلِيٌّ أَنْ تَرَفَعَ الْحَبَابُ، وَتَسْمَعَ سَوَادِي حَتَّى أَهْكَ". وفي رواية بزيادة "أَنْ تَرَفَعَ السِّتْرَ وَأَنْ تَسْمَعَ سَوَادِي"^٤. وقال: تمسكوا بعهد ابن مسعود. وفي السطور التالية ذكر بعض من مناقب هذا الصحابي رضي الله عنه

أولاً: أثبت رسول الله ﷺ أن قراءته على نحو ما أنزله الله.

فعن عاصم عن زر عن عبد الله أن رسول الله ﷺ مرَّ بين أبي بكر وعمر، وعبد الله قائم يصلي، فافتتح سورة النساء يسجلها (يقرأها قراءة مفصلة) فقال ﷺ: "من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد"^٥. وفي رواية أبي معاوية وغيره عن الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر وهو بعرفة، فقال: جئت يا أمير

^١ - سورة التوبة : آية ١٠٠

^٢ - سورة الحشر : آية ١٠

^٣ - أبو يعلى: أحمد بن علي بن المثنى: مسند أبي يعلى، (ص ١٤٤/٥) <http://www.ahlalhdeth.com>

^٤ - أبو نعيم احمد بن عبد الله الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ص ١٢٦١)، دار الكتاب العربي ، بيروت ط ٤١ ١٤٠٥ هـ

^٥ - ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد الشيباني، المسند ، رقم ٤٢٥٥ ، المرجع السابق

المؤمنين من الكوفة وتركت بها رجلا يملئ المصاحف عن ظهر قلب، فغضب عمر وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرجل فقال: ومن هو ويحك؟ فقال: ابن مسعود. فما زال يطفئ غضبه ويتسرى عنه حتى عاد إلى حاله ثم قال: ويحك! والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه، وسأحدثك: كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في الأمر من أمر المسلمين وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه فإذا رجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله ﷺ يسمع قراءته، فلما كدنا أن نعرفه قال رسول الله ﷺ "من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد". قال ثم جلس فجعل رسول الله ﷺ يقول له: "سل تعطه". فقلت: والله لأغدون إليه فلا بأسه، قال: فغدوت فوجدت أبا بكر قد سبقني^١

ما أروع هذه المنقبة لرجل فقير أجير، نازل الجسم، يكاد الجالس يوازنه طولاً وهو قائم، جعل منه إيمانه ومعرفته لكتاب الله وإماماً من أئمة الخير والهدى والنور. لقد صدق رسول الله ﷺ حيث قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين.^٢

وجدير بالذكر بعد هذا أنه:

ثانياً: يطيب لرسول الله ﷺ أن يسمع القرآن من عبد الله بن مسعود

دعا رسول الله ﷺ عبد الله يوماً وقال له: اقرأ عليّ القرآن يا عبد الله قال: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقال ﷺ "إني أحب أن أسمع من غيري" قال ابن مسعود فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى قوله تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا^٣ فقال النبي ﷺ: "حسبك" قال ابن مسعود: "فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان"^٤.

ثالثاً: تزكية الرسول لعبد الله بن مسعود بالحفظ:

كان عبد الله بن مسعود ممن زكّى رسول الله ﷺ قراءتهم وأمر من كان متعلماً للقرآن أن يقرأ أو يستمع قراءته، قال رسول الله ﷺ "استقروا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل"^٥.

^١ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد الشيباني، المسند، حديث رقم ١٧٥ المرجع السابق

^٢ محمد بن يزيد، ابن ماجه، سنن ابن ماجه، (ص ٧٩١) دار الفكر بيروت (بدون تاريخ)

^٣ - سورة النساء : الآية ٤١

^٤ - البخاري: محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري حديث رقم الحديث ٥٠٥٠

^٥ - الذهبي: شمس الدين ابو عبد الله بن محمد، سير أعلام النبلاء (ص ٥٠٣) المرجع السابق

يقال نال هذه المنقبة لشدة ملازمته لرسول الله ﷺ وحرصه على التعلم فهو من قال عنه رسول الله ﷺ "إنك غلام معلم" وهو يقول عن نفسه "أخذت من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد".^١

رابعاً: ومن مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه شهد جميع المشاهد مع رسول الله ﷺ وهاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام. قال ابن عبد البر: شهد بدرًا والحديبية وهاجر الهجرتين جميعاً: الأولى إلى أرض الحبشة، والهجرة الثانية من مكة إلى المدينة فصلى إلى القبلتين.^٢

يقول عن نفسه يحكي إحدى مواضع يوم بدر "انتهيت إلى أبي جهل وهو صريع وهو يذب الناس بسيفه فقلت: الحمد لله الذي أخزأك يا عدو الله، قال: هل هو إلا رجل قتله قومه، فجعلت أتناوله بسيف لي فأصبت يده فندر سيفه فأخذه فضربته به حتى برد، ثم خرجت حتى أتيت النبي ﷺ وكأنما أقل من الأرض فأخبرته فقال: "الله الذي لا إله إلا هو" قال: فقام معي حتى خرج يمشي معي حتى قام عليه، فقال: الحمد لله الذي أخزأك يا عدو الله، هذا كان فرعون هذه الأمة".^٣

خامساً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه أول صادق بالقرآن، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعتُ قریش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يُسمعهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، فقالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه، فقال: دعوني فإن الله سيمنعني، فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقریش في أنديتها حتى قام عبد الله عند المقام رافعاً صوته: "بسم الله الرحمن الرحيم: الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان".^٤

فاستقبلها فقراً بها، فتأملوا فجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد، ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا فجعلوا يضربونه في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه فقالوا: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً. فقالوا: حسبك قد أسمعهم ما يكرهون".^٥

^١ - ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص ٣٠٢ / ٣) المرجع السابق

^٢ - ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله، (ص ٣٠٣ / ٣) المرجع نفسه

^٣ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله بن محمد، سير أعلام النبلاء (ص ٣٠٢ / ٣) المرجع السابق

^٤ - سورة الرحمن . الآية ١-٤

^٥ - خالد محمد خالد: رجال حول الرسول، (ص ١٨٢) دار الفكر بيروت، المرجع السابق

يا له من موقف من هذا الرجل الضعيف القوي، قوي بإيمانه ويقينه ولا يخاف في الله لومة لائم فحاله على حد قول القائل:

إن عذبوا الجسم فالإيمان معتصم * بالقلب مثل اعتصام الليث بالعظم

سادسا: ومما تميز به عبد الله بن مسعود بين الصحابة أن رسول الله ﷺ قرّبه وجعله له خادما، فابن مسعود صاحب نعلي رسول الله ﷺ كان يدخلها في يديه عندما يخلعهما النبي ﷺ وهو أيضا صاحب وسادة النبي ﷺ ومطهرها. أجاره الله من الشيطان فليس له سبيل عليه، وابن مسعود صاحب سر رسول الله ﷺ الذي لا يعلمه غيره لذا كان اسمه صاحب السواد وأعطى له ما لم يعط لغيره حين قال: "اذنك علي أن ترفع الحجاب" ^١ فكان له أن يطرق باب النبي ﷺ في أي وقت من الليل أو النهار. يقول أبو موسى الأشعري: لقد رأيت النبي ﷺ وما أرى ابن مسعود إلا من أهله ^٢.

سابعا: ومن مناقب عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ شهد له بالجنة وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : اسناد الحديث حسن جيد ^٣، قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا علي بن عبد العزيز قال: حدثنا حذيفة بن عقبة قال: حدثنا سفيان الثوري عن منصور عن هلال بن يساف عن ابن ظالم عن سعيد بن زيد قال : كنا مع رسول الله ﷺ على حراء فذكر عشرة في الجنة: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم.

ثامنا: ومن فضائل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في نحف جسمه ودقة ساقيه : لهما أثقل في الميزان من جبل أحد .

أورد ابن سعد الحديث أن عليا رضي الله عنه يقول : أمر النبي ﷺ ابن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه بشيء منها، فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه فضحكوا منها، فقال النبي ﷺ: ما تضحكون؟ لرجل عبد الله يوم القيامة في الميزان أثقل من أحد ^٤.

^١ - مسلم : أبو الحسين بن حجاج : صحيح مسلم (حديث ٢١٦٩) المرجع السابق
^٢ - ابن سعد: محمد بن المنيع البصري الطبقات الكبرى (١٥٤١٣) المرجع السابق
^٣ - ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص ٣٠٢١١) المرجع السابق
^٤ - ابن سعد: الطبقات الكبرى (ص ١٥٣١٣) المرجع السابق

وفي رواية أخرى بإسناده إلى صاحب القصة نفسه قال: كنت أجتني لرسول الله ﷺ من الأراك قال: فضحك القوم من دقة ساقني فقال النبي ﷺ مم تضحكون؟ قالوا: من دقة ساقه، فقال: هي أثقل في الميزان من أحد.^١

فليس العبرة عند الله بحُسن الهيكل ولا جمال المنظر وإنما العبرة بما وقر في القلب من الإيمان واليقين الذي تحمله الجسد. رُبَّ رجل عظيم الهيكل لا يزن عند الله جناح بعوضة. ورُبَّ رجل نحيل الجسم يزن ما لا يخطر على بال أحد لحسن خُلقه وصدق إخلاصه. قال رسول الله ﷺ: لا ينظر الله إلى صوركم ولا أموالكم ولكن إنما ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم^٢.

تاسعا: ومن مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه بعد وفاة رسول الله ﷺ شهد المشاهد العظيمة. منها: أنه شهد اليرموك بالشام وكان على النفل وسيّره عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة معلما ووزيرا لعمار بن ياسر وقال: فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي^٣.

وقال عنه رسول الله ﷺ: لو كنت مؤمرا أحد من غير مشورة لأمرت ابن أم عبد^٤.

وقال فيه رسول الله ﷺ: رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد، وسخطت لأمتي ما سخط لها ابن أم عبد^٥.

وحاصله أنه رضي الله عنه تكلم عند النبي ﷺ "فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا وبالقرآن إماما، ثم قال: رضيت لكم ما رضي الله ورسوله وكرهت لكم ما كرهه الله ورسوله. فعند ذلك قال فيه رسول الله هذا الحديث.

عاشرا: كان عبد الله بن مسعود من الصحابة القريبين إلى النبي ﷺ، ومما يدل على قربهِ من رسول الله ﷺ وفضله على غيره، ما روي عنه حيث قال: كنت أستر رسول الله ﷺ إذا اغتسل وأوقظه إذا نام وأمشي معه في الأرض وحشاً^٦.

الحادي عشر: ضمن له رسول الله ﷺ إجابة دعوته: قال سمع دعاءه "سل تعطه". والقصة كما أخرجها أحمد قال: حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم

١- ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد الشيباني، المسند، رقم ٣٩٩١ المرجع السابق

٢- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجه، (ص ١٦٩١٤) دار الفكر (بدون تاريخ)

٣- ابن الأثير: أسد الغابة: ١٦٤١٢ المرجع السابق

٤- ابن عبد البر: أبو يوسف بن عبدالله، الإستيعاب في معرفة الأصحاب (ص ٣٠٢١١) المرجع السابق

٥- الحاكم: أبو عبد الله النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، رقم ٥٣٨٧ (ص ٣٥٩١٣) المرجع السابق

٦- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: المطالب العلية، باب فضل ابن مسعود، (ص ١١٤٠٢) موقع جامع الحديث المكتبة الشاملة الإصدار الأخير

عن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه وهو بعرفة. وفي رواية أخرى بسند: وحدثنا الأعمش عن حيثة عن قيس بن مروان أنه أتى عمر رضي الله عنه فقال: جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة وتركت بها رجلاً يملئ المصاحف عن ظهر قلبه. فغضب وانفتح حتى كاد يملأ ما بين شعبي الرجل فقال: ومن هو ويحك؟ قال: عبد الله بن مسعود، فما زال يطفأ ويسري عنه غضبه حتى عاد إلى حاله التي كان عليها ثم قال: ويحك والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه وسأحدثك عن ذلك، كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر رضي الله عنه الليلة وذلك في أمر من أمر المسلمين وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه، فإذا برجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته فلما كدنا أن نعرفه قال رسول الله ﷺ: "من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد قال: ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله ﷺ يقول "سل تعطه" قال عمر رضي الله عنه: قلت والله لأغدو إليه فلأبشره. قال: فغدوت إليه لأبشره فوجدت أبا بكر رضي الله عنه سبقني إليه فبشره ولا والله ما سبقته إلى خير قط إلا وسبقني إليه. قال أحمد واسناداه صحيحان والاول على شرط الشيخين.^١

وكفى هذا الصحابي العملاق شرفاً ووجاهة أنه واحد من الذين إختارهم الله سبحانه وتعالى لصحبة خير خلقه وإمام رسله وسيد خلقه محمد ﷺ. وقد نعتهم الله بخير نعت وغفر لهم مساوئهم وأخطاءهم ما قل منها وكثر. ومع هذا فعبد الله بن مسعود من أقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ حبا وخدمة ودلاً وسمتاً، فرصي الله عنه وعن بقية صحابة رسول الله ﷺ.

المطلب الثالث : حِكم ومواعظ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

كان الصحابي عبد الله بن مسعود يملك قدرة كبيرة على التعبير والنظر بعمق للأمور. فقد أعطي من الحكمة حظاً وافراً تجذب كلماته إذا تكلم المسامع وتشرئب إلى كلامه العقول. قال تعالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا^٢.

١- ابن حنبل: أبو عبدالله أحمد الشيباني : المسند، رقم ٤١٦٥ المرجع السابق

٢- سورة القرة : الآية ٢٦٩

فله عبارات وإشارات ومواظت تدل على حكمته وخشيته وورعه وزهده وله فإسة يدرك ذلك من تأمل كلامه.

ويحسن في هذه العجالة ذكر بعض الحكم المأثورة عنه رضي الله عنه.

أ- يقول في إآترام العلم : لو أن أهل العلم صانو العلم ووضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم. سمعت نبيكم ﷺ يقول: من جعل الهموم همأً واحداً، همَّه المعاد كفاه الله سائر همومه، ومن شعبتة الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك.^١

ب- ومن مواظته عن القرآن الكريم يقول: كل آية في كتاب الله خير مما في السماء والأرض.^٢ وقال أيضاً " من أراد العلم فليتبوأ من القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين.^٣ وقال: إذا سمعت الله يقول " يا أيها الذين آمنوا". فأوعها سمعك فإنه خير ما يأمر به أو شر ما ينهى عنه.^٤ فأين طلبه العلم من هذه الكلمات العميقة من ابن مسعود رضي الله عنه؟! يحزنك أن تجد تقصيراً ظاهراً من بعض طلاب العلم والدعاة في تدبر القرآن، واستنباط معانيه وهداياته، فتجد الواحد منهم يذهب بعيداً في قصص وأخبار ليقرر قضية معينة، ولو تدبر كتاب الله، لوجدها فيه. ومن حكمه قوله: ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بآله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يخالون.^٥

إنها وصية مختصرة بليغة، تحكي ما ينبغي أن يكون عليه صاحب القرآن من الهدي الحسن، والسمت الصالح، الذي هو ترجمة عملية لأثر القرآن عليه، فإن خلا من ذلك، فما الفرق بينه وبين الذي لم يكرمه الله بحفظ القرآن في صدره

إن هذه الموعظة حلقة في سلسلة طويلة من تربية السلف لأتباعهم على قضية كبرى كانت تشغلهم، ألا وهي قضية: العمل بالعلم، والخوف من اتصاف صاحب العلم بما عاب الله به اليهود الذين لا يعملون بعلمهم، كما قال سفيان بن عيينة رحمه الله: "من فسد من علمائنا، ففيه شبهة من اليهود، ومن فسد من عبادنا، ففيه شبهة من النصارى"^٦

^١ - ابن ماجه: سنن ابن ماجه (حديث ٣٢٩) المرجع السابق

^٢ - ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم (ص ١٩٦١) المرجع السابق

^٣ - ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم (ص ١٩٦١) المرجع نفسه

^٤ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله بن محمد، سير أعلام النبلاء (ص ٣١٣) المرجع السابق

^٥ - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (ص ٢١/١) المرجع السابق

^٦ - ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩٧/١) المرجع السابق

وقال: والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله^١

ج- وفي الورع: عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود كان يقول في دعائه: خائف مستجير، تائب، مستغفر، راغب راهب^٢ وقال: "لو سخرت من كلب، لخشيت أن أكون كلباً، وإني لأكره أن أرى الرجل ليس في عمل آخرة ولا دنيا^٣.

وقال: حبذا المكروهان الموت والفقر، وأيم الله ما هو إلا الغنى والفقر ما أبالي بأيهما ابتدأت: إن كان الفقر إن فيه لصبر وإن كان الغنى إن فيه للعطف لأن حق الله في كل واحد منهما واجب^٤.

ومن مواظبه ما رواه الطبراني في المعجم الكبير قال: حدثنا محمود بن محمد الواسطي ثنا وهب بن بقية ثنا خالد عن إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود أنه يجيء كل يوم خميس يقوم قائماً لا يجلس فيقول: لا تفتنوا الناس فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة فيقول: هما اثنان وأحسن الهدي هدي محمد وصدق الحديث كتاب الله وشر الأمور محدثاتها وكل محدث ضلالة، إن الشقي من شقي في بطن أمه وإن السعيد من وعظ بغيره ألا فلا يطولن عليكم الأمد ولا يلهينكم الأمل فإن كل ما هو آت قريب وإنما بعيد ما ليس آتياً وإن من شرار الناس تطاول النهار خفية الليل فإن قتل المؤمن كفر وإن سبابه فسوق ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ألا إن شرار الروايا الكذب وأنه لا يصلح من الكذب جد ولا هزل ولا أن يعد الرجل صبيه ولا ينجزه ألا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الصادق يقال له: صدق وبر وإن الكاذب يقال له: كذب وفجر وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن العبد ليصدق فيكتب عنه الله صديقاً وإنه ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ألا هل تدرون ما العضه؟ هي النميمة التي تفسد بين الناس^٥

وفي رواية أخرى قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق عن معمر بن برقان قال قال عبد الله بن مسعود، كل ما هو آت قريب ألا إن البعيد ما ليس بآت لا

^١ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم (ص ٢٠٠/١) المرجع السابق

^٢ ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد: المصنف (ص ٢١٩/٢١) المرجع السابق

^٣ هناد بن السري الكوفي: الزهد، (ص ٣٣٠/١) دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

^٤ - هناد بن السري الكوفي: الزهد، المرجع نفسه

^٥ الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، رقم ٨٥٢٢، المرجع السابق

يعجل الله لعجلة أحد ولا يخف لأمر الناس ما شاء الله، لا ما شاء الناس، يريد الله أمرا ويريد الناس أمرا، ما شاء الله كان ولو كره الناس لا مقرب لما باعد الله ولا مبعد لما قرب الله ولا يكون شيء إلا باذن الله أصدق الحديث كتاب الله واحسن الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

قال معمر : وقال غير جعفر بن برقان عن ابن مسعود : وخير ما ألقى في القلب اليقين وخير الغنى غنى النفس وخير العلم ما نفع وخير الهدي ما اتبع وما قل وكفى خير مما أكثر والهوى وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع فلا تملوا الناس ولا تسأموهم، وإن لكل نفس شيطانا وإقبالا، ألا وإن لها سامة وادبارا، ألا وشر الروايا الكذب ألا وإن الكذب يقود إلى الفجور وإن الفجور يقود إلى النار ألا وعليكم بالصدق وإن الصدق يقود إلى البر وإن البر يقود إلى الجنة واعتبروا ذلك إنهما ألفان التقيا يقال للصادق : صدق حتى يكتب صديقا ولا يزال الكاذب يكذب حتى يكتب كذابا ألا وإن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا أن يعد الرجل منكم صبيه ثم لا ينجز له ولا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم قد طال عليهم الأمد وقست قلوبهم وابتدعوا في دينهم ن فإن كنتم لا محالة سائلينهم فما وافق كتابكم فخذوا وما خالفه فاهدوا عنه واسكتوا^١

ومن مواعظه: ما دمت في صلاةٍ فأنت تقرر باب الملك، ومن يقرر باب الملك يُفتح له^٢ ومن مواعظه في حفظ اللسان: أخبرنا ابن مسكين أخبرنا عمرو بن الربيع أخبرنا يحيى بن أيوب عن ابن زحر عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله بن مسعود قال ما خلق الله شيئا بطول سجن أحق، من لسان^٣

أخبرنا ابن أبي عمر أخبرنا سفيان عن ابن أبي خالد عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود أن عبد الله بن مسعود أوصى ابنه عبد الرحمن فقال يا بني إني أوصيك بتقوى الله وأمسك عليك لسانك وابك من خطيئتك وليسعك بيتك^٤

ومن مواعظه رضي الله عنه في الزهد قوله: والله الذي لا إله غيره، ما يضر عبداً يصبح على الإسلام ويمسي عليه ما أصابه من الدنيا^٥.

^١ الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، رقم ٨٥٢٣، المرجع السابق

^٢ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: صفة الصفوة بتحقيق: محمود فakhوري - د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة - بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٩ - ١٩٧٩

^٣ ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو، الزهد، (ص ٢٦) دار الريان للتراث - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨

^٤ ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو، الزهد، (ص ٣٠) المرجع السابق

^٥ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد الشيباني: الزهد (ص ١٥٩) موقع جامع الحديث المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير

الله أكبر! إنه الفرح بالهداية لهذا الدين الذي تهون عند فقده كل مصيبة! خاصة إذا تذكر الإنسان أثر هذه الشهادة العظيمة (لا إله إلا الله) في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا، فأمرها ظاهرٌ، وأمّا في الآخرة فيوضح ذلك قول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾ فهل تصوّرت ماذا يعني أن يهديك الله لقول هذه الكلمة والعمل بمقتضاها؟

إنّ هؤلاء الكفار لو جاؤوا بسبيكة ذهبية بحجم الكرة الأرضية، لم تنفعهم ولم تنقذهم من العذاب! بينما لو جاؤوا بـ (لا إله إلا الله) لنفعتهم، فتبين بهذا أنّ هذه الكلمة التي ينطقها الطفل الصغير -من أطفالنا- خيرٌ من سبيكة ذهبية بحجم الكرة الأرضية! بل أعظم!. ولهذا كان نبيّنا ﷺ حريصاً أن يسمعها من عمّه أبي طالب، ولكن سبق القدر بموته على الكفر، والله الحكمة البالغة، والمشية النافذة!.

فما أحوالنا! ونحن في عصرٍ كثرت فيه الشكوى من المنعصات أن نستذكر هذه الموعظة من ابن مسعود^١: والله الذي لا إله غيره، ما يضرُّ عبداً يصبح على الإسلام ويمسي عليه ما أصابه من الدنيا»، فالدنيا أمدّها قصير، وعمرُ أحدنا فيها أقصر من أن نملاّه بالمنعصات؛ ولهذا كان الإمام أحمد رحمه الله يسلي نفسه بنحو هذا المعنى فيقول: «إذا ذكرت الموت، هان عليّ كلّ أمر الدنيا، إنما هو طعامٌ دون طعامٍ، ولباسٌ دون لباسٍ، وإنّها أيامٌ قلائل^٢.

فرضي الله عن أعلام الهدى وأرضاهم وجعل الجنة مثلبهم ومثواهم

المطلب الرابع : مرض و وفاة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

عاش عبد الله ابن مسعود طويلاً حتى ناف على الستين وهو في خدمة هذا الدين الذي أكرمه الله به. فقد عاش حياته المبكرة يخدم النبي ﷺ ويدخل عليه متى شاء. وهو صاحب سواك ونعلي رسول الله ﷺ. ولم يفتر في خدمة هذا الدين حتى بعد وفاة رسول الله ﷺ.

^١ سورة ال عمران، الآية ٩١

^٢ الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله بن محمد: سير أعلام النبلاء (ص ٢١٥/١١) المرجع السابق

فكل نفس لا بد ذائقة الموت. فها هو أنس بن مالك يقول: دخلنا على عبد الله بن مسعود نعوده في مرض فقلنا: "كيف أصبحت أبا عبد الرحمن؟" قال: "أصبحت بنعمة الله، قلنا: كيف تجدد يا أبا عبد الرحمن؟ قال: "أجد قلبي مطمئن بالإيمان". قلنا له: "ما تشتهي أبا عبد الرحمن؟ قال: "أشتكي ذنوبي وخطاياي". قلنا: ما تشتهي شيئا؟ قال: "أشتي مغفرة الله ورضوانه". قلنا: ألا ندعوا لك طبيبا؟ قال: "الطبيب أمرضني" وفي رواية أخرى: "الطبيب أنزل بي ما ترون"^١.

ويذكر أن مرضه كان شديدا حتى أداه إلى الجزع والشكاية. وفي ذلك روى علقمة عن عبد الله قال: مرض مرضا فجزع فيه، قال: فقلنا له ما رأيك جزعت في مرض ما جزعت في مرضك هذا.^٢

وفي هذا المرض وصّى ببعض الأمور إلى الزبير وابنه عبد الله فقال فيه: هذا ما أوصى عبد الله بن مسعود، إن حدث به حدث في مرضه، إن مرجع وصيته إلى الزبير بن العوام وإلى ابنه عبد الله بن الزبير، وإنهما في حل فيما وليا من ذلك وقضيا من ذلك، لا حرج عليهما في شيء منه، وإنه لا تزوج امرأة من بناته إلا بعلمهما ويحجر ذلك عن امرأته زينب بنت عبد الله الثقفي.^٣

وكان فيما أوصى في رقيقه: إذا أدى فلان خمسمائة فهو حر.^٤

ومن وصيته أنه أمر أن يكفن في حلة بمائتي درهم.

سَلَّمَ عبد الله ابن مسعود الروح إلى بارئها بعد ما أنجز ما شاء الله أن ينجزه من التعليم والدعوة وذلك سنة اثنتين وثلاثين (٣٢) بالمدينة المنورة في آخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ودفن بالبقيع. وصَلَّى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه.^٥

^١ - ابن أبي الدنيا : المحتضرين، (ص ٣٦١) موقع جامع الحديث <http://www.ahlussunnah.com>

^٢ - ابن سعد: محمد بن المنيع البصري، الطبقات الكبرى، (ص ١٥٦ \ ٣) المرجع السابق

^٣ - ابن سعد: محمد بن المنيع البصري، الطبقات الكبرى، (ص ١٥٦ \ ٣) المرجع السابق

^٤ - ابن سعد: محمد بن المنيع البصري (ص ١٥٦ \ ٣) المرجع نفسه

^٥ - ابن سعد: محمد بن المنيع البصري، الطبقات الكبرى، (ص ١٥٦ \ ٣) المرجع نفسه

المبحث الثالث: التعريف بالصحابي مصعب بن عمير رضي الله عنه

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: نسب مصعب بن عمير رضي الله عنه

المطلب الثاني: صفات مصعب بن عمير

المطلب الثالث: التعريف بأل مصعب بن عمير رضي الله عنه

المطلب الأول: نسب مصعب بن عمير رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل، مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ابن كلاب العبدي بن مرة^١

ويكنى أبا عبد الله^٢ وأبا محمد، وهو من فضلاء الصحابة وخيارهم ومن السابقين إلى الإسلام. ويدعى: مصعب الخير والمهدي^٣ والمقرئ.

وقبيلته بنوا عبد الدار بطن من بطون قريش، وفيهم السدانة - وهي الحجابة - ودار الندوة، وهم حملة اللواء في الحرب ومنهم بنو شيبية. وأعيان الصحابة منهم: صاحبنا مصعب ابن عمير وشيبية بن عثمان وبرة بنت عبد العزى والنضر بن الحارث وقتيلة بنت الحارث وغيرهم رضي الله عنهم.

كانت أمه تتمتع بقوة فذة في شخصيتها، فهي غنية كثيرة المال تحبه حبا عميقا، وهي شديدة الكلف به تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقها ويبيت وقعب الحيس^٤ عند رأسه من الترف فلم يمنعه فقد هذه كلها أن يعتصم بعقيدته، اعتصام اللبث بالعظم. فرضي الله عنه وأرضاه.

أخى الرسول بينه وبين أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما. وكفى تزكية الرسول له حيث قال لقد رأيت مصعبا هذا وما بمكة فتى أنعم عند أبويه منه، ثم ترك ذلك كله حبا لله ورسوله^٥. وهذا يدل على ثقته واستقامته فلم يزد ضغوط المعيشة وضيق الحال إلا قربته إلى الله، فهم حقيقة معنى قوله تعالى: ﴿لَمْ أَحْصِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^٦ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ^٧.

ونال بهذه الصفة الحميدة رضا الله ومحبة رسول الله ﷺ وقيل أنه فيه نزلت قوله تعالى: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٥٢﴾ رضي الله عنه وأرضاه

^١ ابن سعد، محمد بن منيع البصري: الطبقات الكبرى، (ص ١١٦/٣) دار صادر، بيروت - لبنان ط ١، ١٩٦٨م وابن حجر، أحمد العسقلاني: الإصاية في تمييز الصحابة (ص ١٠١/٦) دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

^٢ ابن سعد: ابن سعد، محمد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى، المرجع نفسه

^٣ طاهر المقدسي: البدء والتاريخ (ص ٣٥٠/١) موقع شبكة الإسلامية المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير

^٤ القدح الضخم فيه طعام خليط من اللبن والسمن والعسل.

^٥ ابن سعد: ابن سعد، محمد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى (ص ١١٧/٣) المرجع السابق

^٦ سورة العنكبوت، الآية ١-٣

^٧ سورة النازعات، الآية ٤٠-٤١

المطلب الثاني: صفات مصعب بن عمير رضي الله عنه

كان مصعب الخير رقيق البشرة، ليس بالطويل ولا القصير، كان أنعم فتى عند أبويه بمكة، فهو غرة فتيان قريش وأوفاهم بهاءً شئاً وجمالاً شباباً، كان أعطر أهل مكة ولم يظفر بالتدليل أي فتى من قريش مثله، فكان المدلل المنعم، وإلى جانب أناقة مظهره كان زينة المجالس والندوات على الرغم من حداثة سنه فأبي ندوة من أندية الشباب لم تظفر بظهور مصعب فيها فلا تعتبر ولا تعد، فهو لؤلؤة ندواتها ومراة شباب مكة. وهو الذي انسلخ من هذه كلها بعد أن حرّمته ذلك أمه وخيرته بين هذا الظل الزائل والعقيدة التي اعتنقها جديداً، فآثر الله ورسوله واختار الآخرة.

يقول فيه والد عامر بن ربيعة "كان مصعب بن عمير لي خدنا وصاحباً منذ يوم أسلم إلى أن قتل- رحمه الله- بأحد، خرج معنا إلى الهجرتين جميعاً بأرض الحبشة وكان رفيقي من بين القوم فلم أر رجلاً قط كان أحسن خلقاً ولا أقلّ خلافاً منه".^١

وكان عازماً جازماً في عزمه، وهذا ظاهر في دعوته بين الأنصار وإصراره على عقيدته مع حرمانه المرتع ومتاع الدنيا فإنه الذي قال لما أرادت أمه أن تحبسه ثانياً عندما زار مكة وبدأ برسول الله قبل زيارتها. أرسلت إليه قائلة "يا عاق أتقدم بلداً أنا فيه ولا تبدأ بي؟ فقال: ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله ﷺ، فلما سلم على رسول الله ﷺ وأخبره بما أخبره ذهب إلى أمه فقالت: إنك لعلّ ما أنت عليه من الصبابة بُعداً. قال: أنا على دين رسول الله ﷺ، وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله، قالت: ما شكرت ما رثيتك مرة بأرض الحبشة ومرة ببثرب، فقال: أفرّ بديني أن تفتنوني. فأرادت حبسه فقال: لأنّ أنت حبستني لأحرصن على قتل من يتعرض لي. قالت فاذهب لشأنك. وجعلت تبكي، فقال مصعب: يا أمّاه إني لك ناصح وعليك شفيق فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله".^٢

وكان يُعرف كذلك بسعة الصبر والتحمل والاحتساب، قال سعد بن أبي وقاص: كنا قوماً يصيبنا شظف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ، فلما أصابنا البلاء اعترفنا ومررنا عليه فصبرنا وكان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة وأجوده حلة مع أبويه، ثم لقد رأيتُه جهد في الإسلام جهداً شديداً حتى قد رأيت جلده يتحشق كما يتحشق جلد الحية.^٣ وفي رواية "وأن جلده ليتطاير كما يتطاير جلد الحية".

^١ ابن سعد: محمد بن المنيع البصري، الطبقات الكبرى، (ص ١١٧/٣) المرجع السابق

^٢ ابن سعد: محمد بن المنيع البصري، الطبقات الكبرى (ص ١١٨/٣ - ١١٩) المرجع السابق

^٣ ابن الأثير علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري: أسد الغابة (ص ١٠١٦) دار إحياء التراث العربي بيروت / لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ -

١٩٩٦ م

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنا لجلوس مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ طلع علينا مصعب بن عمير وما عليه إلا بردة له مرقوعة بفرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو فيه اليوم^١.

فما أصبره على تحمل المصائب وما أجلده في إقدامه على الحق والتمسك بهذا الدين، فإن شظف العيش وكدر الحال لم يزعجه عن عقيدته، وإن كان ليحتسب جميع ذلك على الله تعالى. يجدر هنا ذكر قول خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله عز وجل فوق أجرنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها وإن مصعب بن عمير مات ولم يترك إلا ثوبا كان إذا غطوا رأسه خرجت رجلاه وإذا غطوا به رجله خرج رأسه^٢. هجر ثوبا بالياً وعيشاً فانياً وارتقى إلى جوار ربه حيث عيشة راضية في جنة عالية وقطوفها دانية ولا يسمع فيها لاغية. وهذا شأن أصحاب الهمم العالية لا يغترون بمنازل دانية وظلال زائلة ومراتع بالية لأن همهم سمت فوق السماء فلا يرضون إلا المعالي من الأمور فرضي الله عنه وأرضاه.

المطلب الثالث: التعريف بآل مصعب بن عمير رضي الله عنه

كان مصعباً من خيار القوم بمكة فهو من سلالة هاشم بن عبد مناف، قال رسول الله ﷺ إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشماً من قريش واصطفاني من بني هاشم^٣.

فأبوه: عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب. وأمه: خناس بنت مالك بن المضرب بن وهب بن عمرو بن حجير بن عبد معيص بن عامر بن لؤي^٤، كانت ثرية وهي تحبه وتبدي له ذلك في شؤونها فتصرف عليه وتكفيه مؤونته وتكسوه أحسن الثياب وأرقه، وتلبسه الحضرمي من النعال، ولذا كانت تهاب إلى حد الرهبة، فلذلك لم يخف من شيء حين أسلم من خوفه من أمه. فلما علمت بإسلامه حبسته واحكمت عليه الغلق. لم يقف الباحث على غير ما سبق من ترجمتها ولم يذكر أهل السير والتراجم أنها أسلمت أم لا.

^١ ابن الأثير: علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، أسد الغابة (ص ١٠١٧) المرجع السابق

^٢ المرجع نفسه (ص ١٠١٧)

^٣ الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي: سنن الترمذي، رقم ٣٦٠٦ المرجع السابق

^٤ لم يقف الباحث على شيء من ترجمته

^٥ ابن سعد: محمد بن المنيع البصري، الطبقات الكبرى (ص ١١٦/٣) المرجع السابق

وزوجه: حمنة بنت جحش بن ريان بن يعمر بن صيرة بن مرة. أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها. تزوجها بعد استشهاد مصعب طلحة بن عبيد الله فولدت له محمد السجاد وعمران. وهي ممن شهدت أحداً فكانت تسقي العطشى وتحمل الجرحى وتداويهم^١ وحين رجعت إلى المدينة نعى لها النبي ﷺ أخاها عبد الله فاسترجعت، ونعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت، فلما نعى لها زوجها مصعب بن عمير ولولت. فقال: إن زوج المرأة منها ليمكن^٢. عرف عن حمنة اجتهادها في العبادة. روى أحمد في مسنده أن النبي ﷺ رأى حبلاً ممدوداً بين ساريتين في المسجد، فقال "لمن هذا؟" قالوا لحمنة بنت جحش، فإذا عجزت تعلقت به. فقال: لتصل ما طأقت، فإذا عجزت فلتقعد^٣. فهي وأختها أم حبيبة بنت جحش من النساء الاتي اشتهرن بالاستحاضة بين الصحابيات ابنته: زينب بنت مصعب بن عمير، لها صحبة لأن أباه قتل يوم أحد، وعاشت حتى تزوجت بعبد الله بن عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي. ولم يعقب مصعب ابن عمير إلا منها رضي الله عنها^٤ وتزوج زينب عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فولدت له محمدا ومصعبا وغيرهما.

^١ ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري: أسد الغابة (ص ١٣٣٣) المرجع السابق

^٢ ابن كثير، محمد بن إسماعيل بن عمر: السيرة النبوية، (ص ٩٣/٣) المرجع السابق

^٣ ابن حنبل، أحمد: مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم ١٢٩١٥، مؤسسة قرطبة، القاهرة (بدون تاريخ)

^٤ ابن الأثير: علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، أسد الغابة (ص ١٣٦١/١) المرجع السابق

المبحث الثاني: إسلام وجهاد وفاة مصعب بن عمير

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: إسلام مصعب بن عمير رضي الله عنه

المطلب الثاني: جهاد مصعب بن عمير للنفس وشظف العيش

المطلب الثالث: جهاد مصعب بن عمير بالسنان رضي الله عنه

المطلب الرابع: وفاة مصعب بن عمير رضي الله عنه

المطلب الخامس: مناقب مصعب بن عمير رضي الله عنه

المطلب الأول: إسلام مصعب بن عمير رضي الله عنه

أسلم مصعب مبكرا في أوائل تاريخ دعوة رسول الله ﷺ. سمع بالنبى ﷺ واجتماعه بالصحابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وذلك في وقت كان لاهم لقريش ولا حديث لها إلا عن محمد ودينه الجديد الذي كان أساسه الكفر بما كان يعبد قريش من الأصنام والأوثان. فمصعب كان أكثر الناس استماعا لهذا الحديث، ذلك أنه كان بالرغم من حداثة سنه، هو زينة المجالس والندوات، تحرص كل ندوة على أن يكون بين شهودها، ذلك أن أناقة المظهر ورجاحة العقل كانتا من خصال ابن عمير التي تفتح له القلوب والأبواب. فصحت نفسه ذات مساء إلى دار الأرقم حيث كان الرسول يلتقي بأصحابه ويتلو عليهم القرآن، وعندما دخل وجالس القوم واستمع إلى نور الهدى من في من أنزل عليه القرآن لم يتمالك قلبه إلا الاستسلام لكلام رسول الله ﷺ والإيمان به.

يصف لنا الكاتب خالد محمد خالد هذا الموقف فيقول: "لم يكد مصعب يأخذ مكانه، وتنساب الأيات من قلب الرسول متألفة على شفتيه، ثم آخذة طريقها إلى الأسماع والأفئدة؛ حتى كان فؤاد "ابن عمير" في تلك الأمسية هو الفؤاد الموعود، ولقد كانت الغبطة تخلعه من مكانه، وكأنه من الفرحة الغامرة يطير. ولكن الرسول بسط يمينه المباركة الحانية حتى لامست الصدر المتوهج، والفؤاد المتوثب، فكانت السكينة العميقة عمق المحيط ... وفي لمع البصر كان الفتى أسلم وآمن يبدو ومعه من الحكمة ما يفوق ضعف سنه وعمره، ومعه من التصميم ما يغير سير الزمان^١

فلم يكن أمامه أي تحد أكبر من أمه التي كان يهابها، لقوة تأثيرها وإنفاقها عليه. فقرر أن يكتنم إسلامه عن أهله حتى يجعل الله له من أمره مخرجا.

وظل يتردد على دار الأرقم، ويجلس إلى رسول الله ﷺ، وهو قرير العين بإيمانه، وبتفاديه غضب أمه التي لا تعلم عن إسلامه خبرا.

ولا زال هذا حاله ويصلي خفيا حتى أبصره عثمان بن طلحة وهو يصلي، ومرة أخرى رآه يدخل خفية إلى دار الأرقم، فأفشى ما كان يكتنمه مصعب إلى أمه، الخبر الذي أفقدها صوابها، فأخذته فأحكمت عليه الوثاق وحبسته، وظل رهين محبسه حتى سمع بإخوانه المؤمنين خرجوا مهاجرين إلى الحبشة، فغافل أمه وحراسته واحتال لنفسه ومضى مهاجرا

^١ خالد محمد خالد: رجال حول الرسول (ص ٣٣) دار الفكر بيروت (بدون تاريخ)

إلى الحبشة. فلما سمعت بخروجه حلفت ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حتى يرجع إليها. فكانت تقف للشمس حتى تسقط مغشيا عليها.

وهكذا مضى وظل على إيمانه وعاد إلى مكة ثم هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة.

ولقد منعه أمه حين يُست من رده كل ما كانت تفيض عليه من النعم وحاولت حبسه مرة ثانية بعد رجوعه من الحبشة، فآلى على نفسه لئن فعلت ليقتلن كل من تستعين به على حبسه، وإنها لتعلم صدق عزمه فودعته باكية مصرة على الكفر وودعها باكية مصرا على الإيمان، فقالت اذهب لشأنك لم أعد لك أما.

وهكذا صمد أمام إغراءاتها وتهديداتها حتى تخلت عنه وتمادى في التمسك بعقيدته ودينه وظل مؤمنا مطيعا برا أميناً شجاعاً حتى أكرمه الله بالشهادة في غزوة أحد، ووقف الرسول عليه وأخوته الشهداء ويقول: "انتهوهم فزورهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه السلام"^١

المطلب الثاني: جهاد مصعب بن عمير للنفس وشظف العيش

هذا الصحابي المقدام الجليل، كان مجاهدا بارزا لا يخاف أمام أي عقبة في انتصار الحق ونصرة أهله، ولم يتمكن له هذا حتى جاهد نفسه وزهد فيما عند الناس ونبذ الدنيا وآثر الآخرة وعمل لما بعد الموت فوفقه الله بالثبات والتمكين. فإن جهاده ليس قاصرا على خروجه في بدر وأحد فحسب بل بدأ منذ يومه الأول في هذا الدين. بدأ منذ أن تخلى عن الأصنام والأوثان وشهد الشهادتين واتبع محمدا ﷺ. بدأ جهاده يوم أن انقطع عنه النفقة والعطاء من قبل أمه التي جعلت منه زهرة ولؤلؤة ندوات شباب مكة تلبسه أجمل وأحسن الثياب ويلبس أعلى ما يكون من النعال ويأكل ما شاء وأراد، وما اطمأنت له نفسه بشيء من الطعام، لكنه ترك كل هذا واختار الله ورسوله. اختار شظف العيش بيقين أن الجنة دار المتقين، اختار ما عند الله لأنه كان يعرف أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. فهذا أروع جهاد قدمه هذا العملاق، وهو الأساس الذي أجلب له تلك البصمات الأخرى التي سجلها التاريخ عنه رضي الله عنه. نال هذا الموقف بالصبر واليقين. فإنه أيقن أن الذي جاء به محمد حق فاتبعه، وصبر على جميع ما أصابه من الأذى والتعذيب والفاقة في

^١ ابن الأثير: علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري أسد الغابة (ص ١٠١٧) المرجع السابق

سبيل دينه فأظهر الله شأنه، فأمره على حد قول الله تعالى: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾^١ لنسمع إلى أمير المؤمنين وهو يقص حادثة صبر مصعب على الفاقة: فعن محمد بن كعب القرظي قال: حدثني من سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إنا لجلوس مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ طلع علينا مصعب بن عمير وما عليه إلا بردة له مرقوعة بفرو، فلما رآه رسول الله ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو فيه اليوم. ثم قال رسول الله عليه وسلم كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلة وراح في حلة ووضعت بين يديه صحفه ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة! قالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ولنكفي المعونة! فقال رسول الله ﷺ: أنتم اليوم خير منكم يومئذ. فما أروع وأعظم هذه التضحية حتى رق له قلب رسول الله ﷺ لما يرى فيه من ضيق العيش، وما يعانيه من الفاقة وشغف العيش، لكن مصعبا ظل راسخا في إيمانه ويقينه وثقته بالله. وفي هذا درس مؤثر للشباب على أن مقياس الرجولة والرقى ليس الغنى وجمال المنظر فقط وإنما المقياس الجهاد والإخلاص والصبر والمثابرة وهذا جلي في حال مصعب، بل قال خباب بن الأرت: هاجرنا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله، نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره في دنياه شيئا، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة، فكنا إذا وضعناها على رأسه تعرت رجلاه، وإذا وضعناها على رجله برزت رأسه، فقال لنا رسول الله ﷺ: اجعلوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجله من نبات الإذخر.^٢ فإن مصعبا لم يأكل من أجره شيئا في حياته لكن الله خلد ذكره وجعله أنموذجا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. فالابتلاء تمحيص للمؤمنين وتركية لنفوسهم ولاتزال بهم حتى تتركهم يمشون على هذه البسيطة وما عليهم خطيئة.

ومن مجاهدته رضي الله عنه، هجرته إلى الحبشة الأولى ورجوعه هناك مع إخوته المؤمنين في الكرة الثانية، يفعل كل هذه فرارا بدينه بعيدا عن الفتنة وامتنالا لأمر رسول الله ﷺ، ويرجع بعد مدة من الزمن إلى مكة، ثم أرسله الرسول ﷺ معلما وداعيا في المدينة المنورة، وأسلم على يديه أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وكفى بذلك شرفا وأثرا في الإسلام. ويأتي الكلام عن سفارته في المدينة المنورة في بابه إن شاء الله. وكما برع في الصبر والحلم فهو كذلك أنموذجا في الشجاعة والجلد.

^١ سورة السجدة، الآية ٢٤

^٢ ابن سعد: محمد بن المنيع البصري، الطبقات الكبرى (ص ١٢٠/٣)

المطلب الثالث: جهاد مصعب بن عمير رضي الله عنه بالسنان

كان مصعب عبقرية شجاعا مقداما، يغشى المخاطر ولا يعبأ، فيها هو يخوض معركة بدر ويحمل اللواء كما حمل القرآن والدعوة إلى المدينة فيكتب الله النصر المبين، وهناك تبرز مواقف عقيدة اللواء من مصعب بن عمير يظهر ذلك بجلاء عندما وقع أخ لمصعب في الأسر، فمر به مصعب، ورجل من الأنصار يشد وثاقه، فقال مصعب: شدّ يديك به فإن أمه ذات مال لعلها تفديه منك، فقال أخوه: يا أخي هذه وصاتك بي؟ فقال مصعب: إن الأنصاري أخي دونك.^١ فإنه حق له ولكل من يسمع أن وشائج العقيدة أقوى وأوثق من رباط أخوة النسب فيا له من درس، لو نأخذه منه رضي الله عنه.

ويخرج مصعب مع رسول الله ﷺ والمسلمين في غزوة أحد ويحمل اللواء أيضا في براعته ويدافع عن رسول الله ﷺ دفاع الأبطال. ويتجه المشركون نحو اللواء بعد مخالفة الرماة أمر الرسول ﷺ. فحمل اللواء عاليا، وكبر ومضى يصول ويجول، وكل همّه أن يشغل المشركين عن رسول الله ﷺ، وثبت باللواء فأقبل إليه ابن قميئة من المشركين وهو فارس، فضرب على يده اليمنى فقطعها ومصعب ثابت ويردد قوله تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ^٢ ثم يحمل اللواء بيده اليسرى، فقطعها الشقي، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره فقتل رضي الله عنه وسقط على الأرض.^٣

وقع حلية الشهادة وكوكب الشهداء، وقع بعد أن خاض في استبسال عظيم، معركة الفداء والإيمان، مات وقلبه حافل ولسانه لا ينقطع عن ترداد صدقه برسالة محمد ﷺ وصدقه الله جل في علاه حيث جعل كلماته الأخيرة قرآنا يتلى بعد أن كملها فقال تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ^٤

وبعد انتهاء المعركة المريعة وقف الرسول عليه وعلى أصحابه، فقال: " أشهد أنكم أحياء عند الله، فزوروهم وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليه أحد إلا ردوا عليه إلى

^١ ابن هشام، السيرة النبوية موقع الإسلام (ص ١٩٦/٣) المرجع السابق

^٢ سورة آل عمران: الآية ١٤٤

^٣ ابن سعد: محمد بن المنيع البصري، الطبقات الكبرى، (ص ١٢٠) المرجع السابق

^٤ سورة آل عمران/ ١٤٤

يوم القيامة.^١ فما أروع هذا الموقف من هذا الجندي العبقري، فقد ذهب إلى ما قدّم، وترك بصمة يعجز عنها الرجال، فرضي الله عنه وأرضاه.

المطلب الرابع: وفاة مصعب بن عمير رضي الله عنه

عاش مصعب بن عمير عيشة حميدة، حياة يتمناها كل مؤمن صادق الإيمان، حياة مليئة بالعبر والعظات لأولي الأبصار. وكان حتف هذا الشهيد يوم معركة أحد. حمل مصعب اللواء نيابة عن القائد الأعظم، محمد ﷺ، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب فأقبل ابن قميئة، وهو فارس، فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ^٢ فأخذ اللواء بيده اليسرى فحنا عليه ابن قميئة فضرب يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ^٣، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء. قال عبد الله بن الفضل: قتل مصعب وأخذ اللواء ملك في صورته، فجعل النبي ﷺ يقول له في آخر النهار: تقدم يا مصعب، فالتفت إليه الملك وقال: لست بمصعب، فعرف النبي ﷺ أنه ملك أيد به. فبعد المعركة تفقد أصحابه الذين شرفوا بالشهادة. قال عبيد ابن عمير وقف النبي ﷺ على مصعب بن عمير وهو منجفع على وجهه [أي مصروع] يوم أحد شهيدا، وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ فقرأ رسول الله ﷺ: مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا^٤ ثم قال: إن رسول الله ﷺ يشهد عليكم أنكم شهداء عند الله يوم القيامة، ثم أقبل على الناس فقال: {أيها الناس انتوهم فزوروهم وسلموا عليهم فو الذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه السلام^٥

^١ أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (ص ١ / ٥٥) دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥ هـ

^٢ سورة الأحزاب، الآية ٢٣

^٣ ابن سعد، محمد بن المنيع البصري: الطبقات الكبرى (ص ١٢٠) المرجع السابق

مات مصعب ولم يكن عليه إلا نمرّة، قال خباب: فكان إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه وإذا وضعناها على رجله خرج رأسه فقال لنا رسول الله ﷺ: اجعلوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجله من الإذخر^١

وكان عمره يوم أن مات أربعين سنة أو يزيد شيئاً.^٢

المطلب الخامس: مناقب مصعب بن عمير رضي الله عنه

اشتهر مصعب بين أهل السير والتراجم بأنه أول سفراء الإسلام فقد اختاره رسول الله ﷺ لهذه المهمة، أن يكون سفيره إلى المدينة يفتّح الأنصار الذين آمنوا وبايعوا الرسول ﷺ عند العقبة، ويدعو أهل يثرب إلى دين الله ويؤدّد المدينة ليوم الهجرة العظيم.

يقول الكاتب خالد محمد خالد: كان في أصحاب الرسول يومئذ من هم أكبر منه سناً وأكثر جاهاً، وأقرب من الرسول قرابة... ولكن الرسول ﷺ اختار مصعب الخير وهو يعلم أنه يكل إليه بأخطر قضايا الساعة ويلقي بين يديه بمصير الإسلام في المدينة التي ستكون دار الهجرة ومنطلق الدعوة والدعاة والمبشرين والغزاة، بعد حين من الزمان قريباً^٣

حمل ابن عمير هذه المهمة مستعيناً بعد الله بما أنعم الله به عليه من عقل راجح وخلق كريم، ونزل أول ما نزل على أسعد بن زرارة وكان يأتي الأنصار من دورهم وقبائلهم يدعوهم إلى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن فيسلم الرجل والرجلان حتى ظهر الإسلام وفشى في دور الأنصار والعوالي إلا دوراً من أوس^٤

وعاد إلى الرسول ﷺ في موسم الحج التالي لبيعة العقبة الأولى على رأس وفد عدد أعضائه سبعين مؤمناً ومؤمنة وبايعوا الرسول الكريم ببيعة العقبة الثانية.

ومن مناقبه رضي الله عنه أنه أول من جمع الجمعة.

^١ ابن سعد، محمد بن المنيع: الطبقات الكبرى (ص ١٢٠/٣) المرجع السابق

^٢ المرجع نفسه (ص ١٢٠/٣)

^٣ خالد محمد: رجال حول الرسول (ص ٣٦) المرجع السابق

^٤ ابن سعد: محمد بن المنيع الطبقات الكبرى (ص ١١٨/٣) المرجع السابق

ذكر ابن سعد أن مصعبا كتب إلى الرسول ﷺ يستأذنه أن يجمع بهم، فأذن له وكتب إليه: "انظر من اليوم الذي يجهر فيه اليهود لسبتهم فإذا زالت الشمس فازدلف إلى الله فيه بركعتين واخطب فيهم". فجمع بهم مصعب بن عمير في دار سعد بن خيثمة.^١

ويكفيه وسامة وشرف كذلك أنه نائب القائد الأعظم في غزوتي بدر وأحد. كان لواء رسول الله ﷺ الأعظم لواء المهاجرين، فلم يجد رسول الله ﷺ بين صفوف المجاهدين المؤمنين في بدر سوى مصعب فيقع الخيار عليه فيتقدم ويحمل اللواء. وليس هذا الخيار صدفة، فإنه نفس من حمل اللواء يوم أحد. وقد مرّ بنا في الكلام عن جهاده، كيف صان لواء رسول الله ﷺ إلى أن خرج آخر نفس من أنفاسه رضي الله عنه وأرضاه.

ولا زال الكلام في ثنايا جهاده الفذ، وبشهادته واستشهاده في موقع الوغى نال شرف التزكية من الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ. قال عبيد بن عمير رضي الله عنه: وقف رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير وهو منجفع على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** ﴿٣٢﴾^٢

وفي رواية أخرى قال عبيد بن عمير مرّ رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير حين رجع من أحد، فوقف عليه وعلى أصحابه فقال: أشهد أنكم أحياء عند الله، فزوروهم وسلموا عليهم، فو الذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة.^٣

هذا غيض من فيض من مناقبه عليه رحمة الله والرضوان، فقد قدّم وسعه في خدمة هذا الدين من تعليم ودعوة وجهاد وزهد ونصيحة وتضحية، فلو تأسى الشباب ببعض مواقفه لحسن حالهم ولنال هذا الدين شرفه وقوته وأثره في قلوب الذين يؤمنون به. فرحم الله مصعب بن عمير.

^١ ابن سعد: محمد بن المنيع الطبقات الكبرى، (ص ١١٨/٣) المرجع نفسه

^٢ سورة الأحزاب الآية ٢٣

^٣ ابن الأثير: علي بن محمد الجزري، أسد الغابة، (ص ١١٦) المرجع السابق

^٤ أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (ص ١/ ٥٥) دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥ هـ

الفصل الثامن: منهج الصحابة رضي الله عنهم في الدعوة إلى الله

وفيه مبحثان

المبحث الأول: منهج عبدالله بن مسعود في الدعوة

المبحث الثاني: منهج مصعب بن عمير في الدعوة

المبحث الأول: منهج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الدعوة

وتحتة ثلاثة مطالب

المطلب الأول: منهج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الدعوة

المطلب الثاني: منهج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في التعليم

المطلب الثالث: منهج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في التعامل مع الخلاف

المطلب الأول: منهج عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه في الدعوة

ما روى لعبد الله ابن مسعود وقفات كثيرة في الدعوة، فهو أشبه ما يكون معلما أكثر من أن يكون داعيا وهل التعليم إلا من الدعوة! ولعل السبب في ذلك شدة ملازمته وخدمته لرسول الله ﷺ ودخوله وخروجه معه في السفر والحضر. فهو صاحب السواك. كان يلج على رسول الله ﷺ ويلبسه نعليه ويمشي أمامه ويستتره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام حتى نال عند رسول الله ﷺ حيث قال "إذنك علي أن ترفع الحجاب و أن تسمع سوادي حتى أنهاك"^١

فكانت أعمال الدعوة التي يقوم الرسول ﷺ بها يصحب معه عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، فإذا لم يذكر له وقفات كثيرة في الدعوة فلا غرابة إذ قيل: إذا طلع الفجر اطفأت القناديل. وقد يلمح من قول حذيفة بن اليمان في وصفه لعبد الله بن مسعود من بين صحابة رسول الله ﷺ أنه لا يعرف من هو أقرب سمّا ولا دّلا برسول الله ﷺ منه. قال حذيفة "إن أشبه الناس هديا ودلا وسمّا بمحمد ﷺ عبد الله بن مسعود من حين يخرج إلى أن يرجع، لا أدري ما يصنع في بيته، ولقد علم المحظوظون من أصحاب محمد ﷺ أن عبد الله ابن مسعود من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة"^٢. إن عبد الله بن مسعود لم يترك شيئا مما كان يعمل ويهدي إليه رسول الله ﷺ إلا أخذ به وجعله دأبه. فهذا أرقى ما يُنعت به أي إنسان. ويشمل هذا الاقتداء بتعاليمه ﷺ وشماله ودعوته، وإرشاداته منذ بداية يومه إلى دخوله بيته ﷺ فكان ابن مسعود يتتبعها ويعمل بها. وأكبر مهام الرسول ﷺ وأعظم مسؤوليته إبلاغ الدعوة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ^٣ ومعلوم أنه اتخذ وسائل ومناهج مختلفة في إبلاغ هذه الرسالة وهي الدعوة المشتملة على الحكمة والموعظة الحسنة والحوار والتفاهم مع المخالف بالحنى. قال تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ^٤

فهى نفس المنهج الذى اتبعه ابن عبد فى دعوته. فكان حازما جازما فى أمر دعوته وصميما على الحق لا ترحزه الأعاصير.

^١ - الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، رقم ٨٤٤٩، المرجع السابق

^٢ الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، رقم ٨٤٨٧، المرجع السابق

^٣ - سورة المائدة : الآية ٦٧

^٤ - سورة النحل : الآية ١٢٥

تحدث يوماً أصحاب رسول الله على من رجل يُسمع قریش كتاب الله في نادیهم، فما سمعوها قط یجهر لها به. فما وجد هذا التحدي أيّ صحابي سوى عبد الله بن مسعود قالوا إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه، فقال: دعوني فإن الله سيمنعني، فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقریش في أُنديتها، حتى قام عبد الله عند المقام رافعا صوته "بسم الله الرحمن الرحيم* الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝" ١ فاستقبلها فقراً بها، فتأملوا فجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد ثم قالوا إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا فجعلوا يضربونه في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغه، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه. فقالوا "هذا الذي خشينا عليك" فقال: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غدا فقالوا حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون". ما أعظم موقف هذا الداعية الصمام الصادح بالقرآن ولا يألو، فقد برهن بهذا الموقف أنه داعية مثالي يهون كل شيء أمامه في سبيل دعوته. وأنه يستطيع أن يضحي بحياته ما دامت دعوة رسول الله تنال غايتها. فلم يردعه تهديد إخوانه بأذى قریش، إنما زاده ذلك صلابة وحباً للخير فكان كقول القائل:

إن عذبوا الجسم فالإيمان معتصم * بالقلب مثل اعتصام الليث بالعظم.

فقد ترك بهذا الموقف درسا لكل داعية أن يرى نفسه مؤهلاً للقيام بمسؤولية الدعوة قبل غيره، فهذا عبد الله مع أنه ليس له حسب ولا نسب رفيع بين الصحابة، أدرك أن الرفعة تُنال بهذا الدين وليس بالحسب ولا بالنسب ولا بشيء من حظوظ الدنيا. فالأكرم على الله الأتقى. فالصحابة قوم اجتباهم الله فحملهم مسؤولية الدعوة وفهموا هذه الحقيقة فصاروا لا همّ لهم سوى أن يرتقي الإسلام وتنتصر دعوته.

ومن منهجه أنه كان يقيم درسا دعوياً في كل خميس كما أثر عنه: فعن أبي عبيدة عن ابن مسعود أنه يجيء كل يوم خميس يقوم قائماً لا يجلس فيقول: لا تفتنوا الناس فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة فيقول: هما اثنان وأحسن الهدى هدى محمد وأصدق الحديث كتاب الله وشر الأمور محدثاتها وكل محدث ضلالة إن الشقي من شقي في بطن أمه وإن السعيد من وعظ بغيره ألا فلا يطولن عليكم الأمد ولا يلهينكم الأمل فإن كل ما هو آت قريب وإنما بعيد ما ليس آتيا وإن من شرار الناس تطاول النهار خفية الليل فإن قتل المؤمن كفر وإن سبابه فسوق ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ألا إن شرار الروايا الكذب وأنه لا يصلح من الكذب جد ولا هزل ولا أن يعد الرجل صبيه ولا ينجزه ألا وإن الكذب

١- سورة الرحمن: الآية ١-٤

يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الصادق يقال له : صدق وبر وإن الكاذب يقال له : كذب وفجر وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن العبد ليصدق فيكتب عند الله صديقاً وإنه ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ألا هل تدرون ما العضه ؟ هي النميمة التي تفسد بين الناس^١ ومن فقه هذا الداعية أن يتخير الوقت المناسب لسامعيه، إذ من طبع الإنسان الملل، فلو يكثرهم بها في كل حين لمؤوا وقد يضعف همته بمللهم وعدم حضورهم، ولعله يحاكي في ذلك رسول الله ﷺ في خروجه إلى قباء في كل سبت.

ومن منهجه رضي الله عنه أنه كان يختار الموضوع المناسب لكل مقام يقوم فيه أو يلقي فيه تلاميذه، لذلك كان من أكثر الصحابة مواعظ، بالإضافة إلى ما منحه الله من الحكمة، فما روي من مواعظه يصعب حصرها^٢. فمنها:

"عليكم بالعلم؛ فإنَّ أحدكم لا يدري متى يُفْتَقَرُ إلى ما عنده، عليكم بالعلم قبل أن يُقبَضَ، وقبضُه: ذهاب أهله"^٣ حينما تستمع إلى هذه الوصية من هذا الصحابي الجليل الذي عمّر بعد وفاة النبي ﷺ وبعد وفاة وزيريه وخليفتيه: أبي بكر وعمر، وهو الذي شعر بمرارة فقد معلّم الناس الخير، وبلوعة فقد أعلم هذه الأمة بعد نبيّها، وفي الوقت ذاته يستشعر معناها؛ لأنه عاش حتى احتاج الناس إلى علمه، بل قال يوماً عن نفسه -متحدثاً بفضل الله عليه -: "لقد قرأت على رسول الله ﷺ بضْعاً وسبعين سورةً، ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني أعلم بكتاب الله، ولو أعلم أن أحداً أعلم مِنِّي، لرحلت إليه"، قال الراوي: فجلست في حلق أصحاب محمد ﷺ فما سمعت أحداً يردُّ ذلك عليه، ولا يعيبه^٤. فإذا استشعرت هذا كلّهُ، وقعت هذه الوصية من ابن مسعود موقعها من نفسك.

هذه الوصية -بالعناية بالعلم حال الصِّغَر- تلتقي تماماً مع موقف عمليّ وقع لابن عباس رضي الله عنهما، يترجم فيه هذه الوصية؛ إذ يقول رضي الله عنهما: لما توفي رسول الله ﷺ قلت لغلام من الأنصار: يا فلان، هلمّ فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنّهم اليوم كثيرٌ! فقال: واعجباً لك يا بن عباس! أترى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فتركت ذلك، وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فاتيه وهو قائلٌ، فأتوسّد ردائي على بابه، فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا بن عمّ رسول الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فاتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقُّ أن آتيك، فأسأله

^١ الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، رقم ٨٥٢٢، المرجع السابق

^٢ أشرنا إلى بعض منها تحت المطلب: حكمه ومواعظه

^٣ الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الكبير، رقم ٨٨٤٥ المرجع السابق

^٤ مسلم : ابو الحسين بن حجاج :صحيح مسلم (رقم ٢٤٦٢) المرجع السابق

عن الحديث، قال: فبقي الرجل حتى رأيته وقد اجتمع الناس عليّ، فقال: كان هذا الفتى أعقل منّي" ^١

إنّ هذا النموذج من الشباب المثبّطين، أو الذين لا ينظرون لأبعاد الأمور يفوّتون على أنفسهم وعلى غيرهم فرص البناء والتحصيل العلمي، والسبب؟ وجود الأكابر في حياتهم! وأنّ الناس لن يحتاجوا لهم في وجودهم! والسؤال الذي ينبغي أن يسأله هؤلاء أنفسهم: هؤلاء الأكابر، ألم يكونوا يوماً من الدهر صغاراً مثلكم؟! ثم صاروا كباراً واحتاج الناس إلى علمهم؟ فالله الله أيّها الشباب، ضعوا القطن في آذانكم ولا تستمعوا لهذه المقولات التي لا تُنتج إلا جيلاً من الكسالى والبطّالين، فاعلموا أنكم وإن كنتم اليوم صغار قوم، فستكونون كبار قوم آخرين، وسيحتاج الناس إلى علمكم. ومن أقواله في الصلاة: "ما دمت في صلاةٍ فأنت تقرر باب الملك، ومن يقرر باب الملك يُفتح له" ^٢

ومن هو الملك الذي نقرر بابه في كلّ صلاةٍ؟ إنّه ربُّ العالمين، الذي بيده خزائن السموات والأرض! إنّه الله الذي بيده صلاح القلوب والأحوال! لكن الله تعالى لحكمةٍ بالغَةٍ قد يؤخّر إجابة دعوة الدّاعي، فيحصل له من الخير في هذا التأخير ما لا يتأتّى له لو قضيت حاجته بسرعة! فيحصل له من الإخبات والإنابة، ولذّة مناجاة خالقه، وغير ذلك من المصالح القلبية ما لم يخطر له على بال، ومن أدمن القرع، يُوشك أن يُفتح له، لكن ما هي حقيقة هذا الفتح؟ أهى واجبة الدعاء فحسب؟ لا، ولكن قد يدفع الله عنه شرّاً أعظم، أو يدّخر الله له ذخراً يوم القيامة، وأقلُّ المكاسب -وما هو بالقليل- أن يكتب الله لك أجرها، تجده أحوج ما تكون؛ إذا كانت الحسنة بالدنيا كلّها، يوم يقرأ كلّ عاملٍ ما قدّم. ومن أعظم الفتوح التي يعطاها الدّاعي: أن يحبّب الله له مناجاة ربّه، والتلذّذ بدعائه، والأنس بالقرب منه، فتلك التي لا يعادلها نعمةٌ، ولا فوقها مصيبةٌ حين يفقدها العبد بعد ما وجدها.

"إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنّه قاعدٌ تحت جبلٍ يخاف أن يقع عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرٍّ على أنفه، فقال به هكذا" ^٣، قال أبو شهابٍ بيده فوق أنفه. ما أروع هذا التشبيه الذي يحكي حال المؤمن مع الذنب، وخوفه وشفقته من أثره! ويحكي حال الفاجر والمنافق، الذي لا يبالي في أيّ أودية المعاصي نزل، ولا أيّ ذنب اقترف، والعياذ بالله! وهذا الشعور إذا ساور الإنسان، فهو - بلا ريبٍ - علامة إيمان وخوفٍ؛ إذ ليس من شرط

^١ الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد: سنن الدارمي بتحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، (باب الرحلة في طلب العلم،

رقم ٥٧٠) دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧

^٢ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: صفة الصفوة (ص ١٥٦/١) المرجع السابق

^٣ البخاري محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، رقم ٦٣٠٨ المرجع السابق

الإيمان ولا والولاية في الدين العصمة من الذنب صغيراً أم كبيراً، بل الشرط عدم الإصرار على الذنب، قال تعالى في صفة أهل الجنة التي عرضها السموات والأرض: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾

ومن مواظبه في باب العلم قوله - رضي الله عنه "إذا أراد الله بعبدٍ خيراً سَدَّه، وجعل سؤاله عمّا يعينه، وعلمه فيما ينفعه"^٢ صدق رضي الله عنه، فإنَّ من علامة توفيق الله لعبده أن يسدّه في أقواله وأفعاله، فليست العبرة بكثرة قوله وفعله، بل العبرة بالسداد، وهو الصواب، ولا يكون صواباً إلا إذا كان خالصاً على السنة النبوية. ومن علامات توفيق الله لطالب العلم: أن يوفق للسؤال عمّا يعنيه وينفعه، ويُبْعِدُه عما لا يعنيه؛ ولهذا كان بعض السلف يقول: "ولا أحبُّ الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في الدِّين وفي الله عز وجل، فالسكوت أحبُّ إليّ، لأنِّي رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدِّين إلا ما تحته عمل"^٣

وقال ابن وهبٍ تلميذ مالك، قال لي مالك: أدركت أهل هذه البلاد وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي في الناس اليوم، قال ابن وهبٍ: يريد المسائل^٤

والمشاهد في واقع بعض طلاب العلم، خاصة ممَّن هم في بواكير الطلب، وبداية التحصيل، من يُرْهَق نفسه بتتبُّع الغرائب، ويترك السؤال عن الأصول والقواعد والمهمَّات من العلم الذي يتعلَّاه، ويكثر السؤال عمّا لا يعينه، فيفوته خير كثير، بل ربما حُرِم الوصول، وتحرير الأصول، وهذا غلطٌ وخطأٌ في المنهج، وها هي وصيّة ابن مسعودٍ رضي الله عنه ماثلة، وكلام السلف في هذا كثير جداً، ومن قرأ في كتاب الإمام الفقيه أبي عمر بن عبد البرّ «جامع بيان العلم وفضله»، رأى عجباً من أحوال السلف في هذا الباب، وأدرك سرّاً من أسرار بركة علمهم. نسأل الله أن يرزقنا التأسّي بهم قولاً وعملاً وسلوكاً.

فلم يكن جرأة ابن مسعود في ميدان الدعوة لنيل منزلة دنيوية أو جاه، فكما ترك بصمة باهرا في مجال الدعوة كذلك ظهر أثره في مجال التعليم.

^١ سورة آل عمران، الآية ١٣٥-١٣٦

^٢ ابن بطة العكبري: الإبانة الكبرى لابن بطة، ١/ ٣٥٥ رقم ٣٤٧ موقع جامع الحديث، المكتبة الشاملة الإصدار الأخير

^٣ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله ١٦٨/٣، رقم ١١٠١، موقع جامع الحديث المكتبة الشاملة الإصدار الأخير

^٤ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله ٣٥٨/٣ رقم ١٢٤٢ المرجع السابق

المطلب الثاني: منهج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في التعليم :

كان أول مشهد عبد الله بن مسعود مع رسول الاسلام وصاحبه أبي بكر هو في شأن معجزة أجراها الله على يد رسول الله ﷺ وعبدالله ينظر بتعجب فطلب إلى رسول الله ﷺ أن يعلمه ذلك الشيء الذي قرأ حتى أفاض ضرع الشاة الحائل باللبن فأجابه رسول الله ﷺ في كلمة موجزة المبني لكن معجزة المعنى، قال له "إنك غلام معلم" فبهذه العبارة الوجيزة خلق الله منه عالما وحبرا ينفع الله بعلمه الأولين والآخرين.

فمنذ تلك اللحظة تخلى ابن مسعود عن رعي الغنم فأكبّ على رعي ما عند النبي ﷺ من النبوة والمعجزات ويغذي عقله وروحه به حتى أضحي وهو من هو في معرفة كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، قال فيه عمر بن الخطاب "كنيف ملء علما"^١ وقال علي بن ابي طالب عنه "أما ابن مسعود فقرأ القرآن وعلم السنة وكفى بذلك"^٢ وبما وهبه الله به من العلم والمعرفة أخذ عنه العديد من الصحابة الرواية أمثال أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وعمران بن حصين وجابر وأنس وأبو أمامة وغيرهم رضي الله عن الجميع.

فالذي حاز هذا المرتقى فلا بد أن له منهجية فعالة في أداء تعليماته لطلابه وتلاميذه يختلف به عن أقرانه. كانت ملازمته لرسول الله ﷺ اكتسبه معرفة خير منهج وأعدل طريق وأسمى وسيلة في التأثير على الطلاب وإبلاغ المعلومات اليهم بسهولة، فقد خدم رسول الله ﷺ ولازمه حتى يظن أنه من أهل بيته لكثرة دخوله عليه وخروجه ﷺ. فكان مرآة للذين جاءوا من بعد جيل الصحابة من التابعين في معرفة سمّت الرسول ودله. ولقد قام بجهد كبير في تخريج القراء والعلماء من مدرسته أقرأهم القرآن وعلمهم بأحكامه وربّاهم على اتباع سنة النبي ﷺ، وقد أشار قيس بن مروان إلى مثابرة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في تعليم الناس القرآن الكريم حيث شكاه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه "جنّت يا أمير المؤمنين من الكوفة وتركت بها رجلا يملئ المصاحف عن ظهر قلب. فغضب عمر وانفتح وكاد يملأ ما بين شعبتي الرجل، فقال ومن هو ويحك؟ فقال: ابن مسعود. فما زال يظفي غضبه ويتسرى عنه حتى عاد إلى حاله، ثم قال: ويحك! والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه"^٣ ويتلخص منهج عبد الله بن مسعود في التعليم في هذه النقاط.

^١ - ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبدالله ، الإستيعاب في معرفة الأصحاب (ص ٣٠٤/١) المرجع السابق

^٢ - المرجع نفسه (ص ٣٠٤/١)

^٣ ابن سعد: محمد بن المنيع البصري، الطقات الكبرى (ص ١١٧٥) المرجع السابق

١- التدرج في التربية والتعليم:

قال علقمة بن قيس: "قرأت القرآن على ابن مسعود في سنتين"^١ وهو أكبر تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه قدرا وفهما وعلماء، وهذا يعني أن المعلم القدوة أخذ بالمنهج النبوي في تعليم القرآن كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي "كنا لا نتجاوز عشر آيات حتى نتعلم ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به"^٢ الأمر الذي ورّثه الصحابة في تعليمهم لطلابهم كما كان المقرئ أبو عبد الرحمن السلمي يفعل، حيث كان يُعلم الطلاب خمس آيات. لم تكن تحديد عدد الآيات مقصدا إنما الفكرة الكامنة في تحديد الآيات هي التدرج في حفظ القرآن والتربية على معانيه وأحكامه وآدابه. لقد كانت تلك الأجيال على قدر عالٍ من قوة الذاكرة وسرعة الحفظ وحب العلم، إلا أن المنهجية المتبعة هي التدرج في الحفظ بغرض التحقيق من تأثيره على سلوك وسمت الحافظ. وكذلك كان منهجه في التوجيه والإرشاد والموعظة "كان عبد الله بن مسعود يخطب كل خميس على رجليه فنشتهي أن يزيد"^٣ ومع اشتياقهم إلى المزيد لا يزيدهم إلا التزاما بالمنهجية.

٢- التوجيه التربوي:

لم يكن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مقرئاً فحسب بل كان موجهاً مؤثراً، وهذا دأب أقرانه أيضاً من الصحابة فهو منهج تربواً عليه ولا تكاد تفصل بين الإقراء والتربية في تعليمهم. فكان رضي الله عنه مربياً عجبياً، نقل عنه تلاميذه الكثير من التوجيهات التربوية التي ينتفع بها الناس. وما ذكره الباحث عنه في كلامه عن حكمه ومواعظه كان من هذا الباب.

٣- الاعتناء بالطاقات المتميزة والطلاب النجباء.

كان مسجد الكوفة حيث حلقة ابن مسعود يغص بالتلاميذ وطلبة القرآن، ولكن لم يشتهر بين طلابه مثل الستة الذين ميزهم واعتنى بهم كثيراً وكانوا على مستوى عالٍ وقدر رفيع في التميز إلى درجة أن قابوس بن ظبيان سأل أباه قائلاً: لأي شيء كنت تأتي علقمة وتدع أصحاب النبي ﷺ، فقال أبوه: أدركت ناساً من أصحاب النبي ﷺ يسألون علقمة ويستفتونه"^٤ ويُذكر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه "ما قرأ شيئاً ولا علمه إلا

^١-مسلم: أبو الحسين بن الحجاج: صحيح مسلم، (ص ١٤/١) المرجع السابق

^٢ ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد: المصنف، (٢٣٧/٦) مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر- دار الفكر (د. ت)

^٣ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله سير أعلام النبلاء ١ ٤٧٢١ المرجع السابق

^٤ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله سير أعلام النبلاء : سير أعلام النبلاء (ص ٩٤ ٥٩١) المرجع السابق

علامة يقرؤه أو يعلمه"^١ وهذا لثبوته وملازمته لمعلمه. فهو على حد قولهم "من ثبت نبت" فثبت مع عبد الله فنبت حتى صار شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. وقد لازم عبد الله بن عباس زيد بن ثابت رضي الله عنهما ولازم ابن عباس مجاهد، كما لازم نافع وسالم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

أما الستة النجباء الذين أصبحوا من كبار أصحاب عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه والذين أقرءوا الناس القرآن وعلموهم السنة وصدر الناس عن رأيهم، فهم علقمة بن قيس ومسروق بن الأجدع والأسود بن يزيد وعبيدة السلماني وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل والحارث بن قيس.

والروايات تفيد بأن النخبة من تلاميذ عبد الله بن مسعود كانوا على قدر عال من الفهم والنجابة والحرص على الاستفادة ومن ثم زادت عنايته بهم بتعليمهم وتربيتهم حتى وصلوا إلى علو في الشأن و تسنموا قيادة التعليم والإقراء.

٤- التلازم بين حفظ القرآن والتربية على العمل بأحكامه وآدابه:

يقول أبو عبد الرحمن السلمي وهو ممن عرض القرآن على ابن مسعود رضي الله عنه أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يتجاوزوهن إلى العشر الآخر حتى يتعلموا ما فيهن فكنا نتعلم القرآن والعمل به وسيرت بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم^٢. وهكذا كان هدي النبي ﷺ في تعليم القرآن لأصحابه وهكذا كان أصحابه في تعليمهم لطلابهم تعلموا القرآن حفظا وتجويدا وأداء وأحكاما وآدابا. فلم يكونوا بحال من الأحوال يستسيغون أن يحفظ المرء كتاب الله ثم هو لا يعقل معانيه أو لا يتأدب بآدابه أو لا يعمل بأحكامه. لذلك أخبر عن قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم إخبارا على سبيل الإنكار، أن يحفظ المرء القرآن حفظا مجودا لكن القرآن لا يصل إلى قلبه وعقله ووجدانه.

فدل على أن الحفظ المجرد لم يكن هو الطريق المتبع عند ابن مسعود بل كان يقرنه ببيان معاني القرآن وأحكامه. قال أحد السلف وهو ينكر القراءة المجردة عن التدبر والتفقه في معانيها "كتاب أنزل ليعملوا به فاتخذوا قراءته عملا". قال مسروق: كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا بما فيها ويفسرها عامة النهار"^٣ فالتعليق على الآيات أثناء

^١ - المرجع نفسه (ص ٥٨١)

^٢ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله سير أعلام النبلاء (ص ٥٨١) المرجع السابق

^٣ - ابن جرير بن محمد بن يزيد بن كثير بن غالب الأمللي - الطبري: تفسير الطبري (ص ٣٦١) دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

شرحها والتربية عليها وبيان مراد الله منها كلها من مهام معلم القرآن فهذا ابن مسعود رضي الله عنه مع كونه مشددا في الأداء متحريرا في الضبط فهو لا يغفل جانب المعاني والأحكام. وكان رضي الله عنه يبين الأخطاء حال وجود فُهم خاطيء، يحدث عمرو ابن شرحبيل أن ابن مسعود رضي الله عنه قال له: "يا ابا ميسرة! ما تقول في "الخنس الجوار الخنس"؟ قال: لا أعلمها إلا بقر الوحش. قال ابن مسعود: وأنا لا أعلم فيها إلا ما قلت^١ وكما في رواية مسروق حول قوله تعالى: "يوم تأتي السماء بدخان مبين"^٢ جاء رجل إلى عبد الله فقال: إني تركت في المسجد رجلا يفسر القرآن برأيه يقول في هذه الآية "يوم تأتي السماء بدخان مبين" إلى آخرها: يغشاهم يوم القيامة دخان يأخذ أنفسهم حتى يصيبهم منه كهيئة الزكام! قال: فقال عبد الله: "من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم. فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم. إنما كان هذا لأن قريشا لما استصعب على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسنين يوسف فأصابهم قحط، وجهدوا حتى أكلوا العظام، وجعل الرجل ينظر إلى السماء فينظر ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله عز وجل "فارتقب يوم يأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم"^٣ فأتى رسول الله، فقيل يا رسول الله! استسقى الله لمضر فإنهم قد هلكوا. قال: فدعا لهم، فأنزل الله عز وجل "إنا كاشفوا العذاب"^٤ فلما أصابهم المطر عادوا فنزلت "يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون"^٥

هذا الأثر يدل على منهجه في تفسير القرآن الكريم الذي تعلمه التلاميذ منه. قال مسروق مستكرا هذا النوع من التفسير وهو التفسير بالرأي المخالف للتفسير الذي يسمعه من ابن مسعود رضي الله عنه.

٥- معايشة التلاميذ بغرض التربية :

لم يكن عبد الله بن مسعود ليعلم الطلاب وهو في معزل عن مخالطتهم ومعايشتهم. كيف وقد تلقى هذا الهدى عن المربي الأول رسول الله ﷺ .

تأمل دلالة هذا الأثر الذي رواه إبراهيم أن ابن مسعود كنى علقمة "أبا شبل" قبل أن يولد له، فسئل فحدث علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كناني ابا عبد

^١ - ابن سعد: محمد بن المنيع، الطبقات الكبرى (ص ١٠٦٦) المرجع السابق

^٢ - سورة الدخان : آية ١٠

^٣ - سورة الدخان آية : ١١

^٤ - سورة الدخان، الآية : ١٥

^٥ - سورة الدخان، الآية : ١٦

^٦ ابن حنبل أحمد: المسند، رقم ٣٦١٣

الرحمن قبل أن يولد لي^١. وروى إبراهيم أيضا عن علقمة قال: كنت رجلا أعطاني الله حسن الصوت وكان ابن مسعود يرسل إلي فأقرأ عليه فإذا فرغت من قراءتي قال: زدني فذاك أبي وامي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الصوت الحسن زينة القرآن"^٢. فهو بهذا يحكي قصته المشهورة مع رسول الله ﷺ الذي أمره أن يقرأ عليه^٣. لقد أدرك أبو عبد الرحمن (عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه أن التربية الإيمانية تقتضي المعاشية لما لها من فاعلية في تعميق المعاني الإيمانية وتمتد المعاشية إلى المشاركة في شؤون الحياة اليومية كالأكل والشراب قال علقمة "أتي عبد الله بشارب فقال أعط علقمة، أعط مسروقا، فكلهم قال إني صائم فقال ابن مسعود "يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار"^٤. ولهذا المعنى تأثر طلاب كثيرون بشيخهم ابن مسعود رضي الله عنه. وقد ظهر ذلك التأثير على سمتهم ودلهم قال معمر لجلسائه: قوموا بنا إلى أشبه الناس بعبد الله هديا ودلا وسمتا فقاموا معه حتى جلسوا إلى علقمة^٥.

٦- إعداد القيادات :

مكث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يعلم القرآن في مسجد الكوفة قرابة خمسة عشر سنة كان يدرك بفطنته أنه مهما طال به الزمان في هذه المهنة العظيمة، فإنه يوما ما سيترك مكانه بوفاة أو رحيل أو سقم. فالجدير به أن يبني صفا يرث الرسالة من بعده ويبلغها للأجيال القادمة. ولقد كان من بين تلاميذ عبد الله بن مسعود من اشتهروا باسم (الأصحاب) وعلى رأسهم الستة الذين ذكرهم الباحث سابقا. قال علي بن المديني (رحمه الله): لم يكن أحد من الصحابة له أصحاب حفظوا عنه وقالوا بقوله في الفقه إلا الثلاثة: زيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس. وأعلم الطلاب بعبد الله بن مسعود: علقمة والأسود وعبيدة والحارث^٦. وما قاله ابن المديني إضافة إلى مرويات أخرى يمكن أن يعطينا تصورا ذهنيا عن طبقات تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه من التعليمية والتربية فمنها عموم التلاميذ وهم يمثلون قاعدة الهرم ويعلوهم الأصحاب وهم أقل من العموم ممن حمل علم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ونقله إلى الأمة ويعلوهم الخاصة من الأصحاب وهم الستة علقمة والأسود ومسروق وعبيدة وابو ميسرة والحارث. أما علقمة بن قيس فيتربع

^١ - الحاكم: أبو عبد الله النيسابوري، المستدرک (ص ١٣/ ٣٥٤) المرجع السابق

^٢ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله، سير أعلام النبلاء (ص ٤/ ٥٨١) المرجع السابق

^٣ راجع الرقم الثاني تحت مطلب: مناقبه رضي الله عنه

^٤ - سورة النور : الآية ٣٧

^٥ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله، سير أعلام النبلاء (ص ٤/ ٥٥) المرجع السابق

^٦ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله، سير أعلام النبلاء (ص ٤/ ٥٥) المرجع السابق

على الهرم التعليمي حيث قال عنه شيخه: ما أعلم شيئاً ولا أقرأ شيئاً إلا علقمة يعلمه أو يقرؤه.

٧-التقييم:

تنقل المرويات ثناء عبد الله بن مسعود على أبرز تلاميذه علقمة بن قيس. هذا الثناء لعلقمة بمثابة ما يسمى باللغة التربوية العصرية "التقييم" وحين اجتمع بطلابه في ختام عمله المبارك قال لهم: "والله إنني لأرجو أن يكون قد أصبح اليوم منكم من أفضل ما أصبح في اجناد المسلمين من الدين والفقه والعلم بالقرآن"^١. إن هذا الكلام يعد تقييماً لهم من تلاميذه ولهذا عبر عن شعوره بالارتياح لنتيجة جهده التعليمي خلال المدة الزمنية التي قضاها في مسجد الكوفة .

يستطيع الباحث القول بأن ابن مسعود قد وضع منهاجاً تطبيقياً في التعليم خلال المدة التي قضاها في الكوفة، فهو لم يقتصر على الكم العلمي الذي يحمله فقط من إقراء آيات القرآن وتفسيره وتجويده، بل تعدى إلى تعليم أحكام القرآن والتربية على آدابه ومواعظه. فدونك أيها القارئ منهاجاً فعلاً ناجحاً في التعليم من هذا الصحابي الجليل، فلا غرابة في أن أرسله أمير المؤمنين معلماً ولا يألوا لما علم من كفائه فرضي الله عنه وأرضاه وجعل أعالي الفردوس مثواه .

المطلب الثالث: منهج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في التعامل مع الخلاف :

إن من أخطر ما أصيبت به الأمة في الأونة الأخيرة مرض الاختلاف في كل شيء وعلى كل شيء حتى شمل العقائد والأفكار والتصورات والآراء إلى جانب الأدواق والتصرفات والسلوك والأخلاق. ولم يقتصر على هذه العناصر فقط، بل تغلغل إلى جميع مراحب الحياة، فكان كل ما لدى هذه الأمة من الأوامر يدفعها إلى هذا المرض العضال، وتعاليم هذا الدين عكس ذلك تماماً. فإن كتاب الله وسنة رسوله ما حرصا على شيء بعد التوحيد حرصهما على تأكيد وحدة الأمة ونبذ الخلاف الشنيع بين أبنائها ومعالجة كل شيء شأنه أن يعكر صفو العلاقة بين المسلمين أو يחדش أخوة المؤمنين

^١ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله سير أعلام النبلاء (ص٣٠٧١) المرجع السابق

فمن هذا المنطلق نستتير بنور النبوة من قبس هذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود لنرى كيف تعامل مع الخلاف الذي جرى بينه وبين أصحابه الذين عايشهم وكيف اتخذ القرآن وسنة الحبيب ﷺ نبراسا في إزالة ظلام الاختلاف وقمع التنافر بين مخالطيه.

فأصحابه عموما تأثروا بالتربية النبوية وتعلم كل منهم على قدر الطاقة وحاول الكل تطبيق ما تعلمه من القرآن والسنة العملية التي كان رسول الله ﷺ رمزها. ومن هؤلاء الصحابة عبد الله بن مسعود اشتهر أمره يوم لازم الرسول ﷺ وأكب على خدمته والدخول والخروج معه حتى نال ثناء الرسول وتقريبه له وقال فيه: "وتمسكوا بعهد ابن ام عبد"¹ فبهذا الثناء من رسول ﷺ استحق الاقتداء بمنهجه وجعله قدوة في التعامل مع الخلاف.

وقبل الخوض في صميم الموضوع يحسن الوقوف مع معنى كلمة "الخلاف"، وذكر الفرق بينها وبين كلمة "الاختلاف".

الخلاف: مصدر مشتق من الفعل الثلاثي المزيد بالألف، وخالف على وزن "فَاعِل".
والإختلاف: مصدر مشتق من الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة والتاء، "اختلف" على وزن "افتعل" وعلى هذا النحو يقال: خالف يخالف ومخالفة، واختلف يختلف اختلافا. الخلاف والاختلاف في اللغة: ضد الاتفاق، والخلاف أعم من الضد، قال الراغب الأصفهاني: الخلاف: أعم من الضد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين² فمثلاً: السواد والبياض ضدان ومختلفان، أما الحمرة والخضرة فمختلفان وليسا ضدين، والخلاف أعم من الضدية؛ لأنه يحمل معنى الضدية، ومعنى المغايرة مع عدم الضدية³. الاختلاف لا يدل على القطيعة، فإن ابن مسعود اختلف مع أمير المؤمنين عثمان في مسألة إتمام الصلاة في سفر الحج ولكنه لم يخالف بل أتم معه وقال: الخلاف شر. فمعنى الخلاف والاختلاف هو المضادة والمعارضة وعدم المماثلة وإن كان العلماء يستعملون كلتا الكلمتين لتأدية نفس المعنى باعتبارهما من المترادفات.

وأول ما يحسن الابتداء به في ذكر الاختلاف بين الصحابة وأنه لم يورث الشحناء والغل بينهم، هو ذلك الحدث الذي حدث بين الصحابة رضوان الله عليهم حين أمرهم النبي ﷺ بأن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة. أخرج البخاري وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي لنا لما رجع من الأحزاب: لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة

¹ - الترمذي: سنن الترمذي، مناقب عبد الله بن مسعود (حديث رقم: ٣٨٠٥) المرجع السابق .

² - الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، (ص ٢٩٤) ط ٢، دار القلم، دمشق، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م

³ عوامه محمد: أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، (ص ٥)، دار البشائر، بيروت، ط ٢، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م

فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي لم يرد منا ذلك. فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم.^١

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة جلية على ما كان عليه الصحابة الاختيار من الفقه والحرية في الفهم، وسعة صدورهم وعدم ضيقهم باختلاف بعضهم عن بعض في الفهم أو الرأي حيث لم تدل أية رواية أن ذلك الخلاف صار سببا في بغض بعضهم فمن هذا المنهل نهل هذا الصحابي عبد الله بن مسعود، وله مواقف مشرقة في التعامل مع الخلاف يلخص الباحث منها:

١ - العزة والثبات على الحق: يعتبر المحققون ابن مسعود حرا في أفكاره وآرائه الفقهية وكان قانعا بالأدلة التي يعتمد عليها، فكان يدافع عنها قدر الإمكان وإن خالفه غيره، فمن هذه الصور المشرقة خلافه مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مع التشابه في منهجهما الفقهي فقد أوصل ابن القيم رحمه الله المسائل التي اختلفا فيها إلى مائة مسألة في "إعلام الموقعين" ولم يذكر منها إلا أربع مسائل. وذكر صاحب (موسوعة فقه عبدالله بن مسعود)^٢ بعضها في كتابه يبلغ نيفاً وأربعين مسألة وهي:

١. إباحة الانتباز في الجرة الخضراء
٢. إرث المكاتب
٣. ولابن مسعود في ميراث الجد تفصيلات لم تنقل عن عمر بن الخطاب
٤. حرمان الإخوة لأم من الميراث بالجد
٥. ميراث بنات الابن مع البنات الصليبيات إن كن أكثر من واحدة وإن كان مع بنات الابن أخ ذكر
٦. ميراث الأخوات لأب إذا كن مع الأختين الشقيقتين وكان مع الأخوات لأب أخ لهن
٧. ميراث الأخوات لأم إذا كن مع الأخت الشقيقة الواحدة، وكان مع الأخوات لأب أخ لهن
٨. ترتيب استحقاق بيت مال المسلمين مال من توفي ولا وإرث له
٩. بيع حق الانتفاع بالأرض الخراجية حيث قال ابن مسعود آخرها بما قال به عثمان
١٠. وقوع الطلاق في الإيلاء بمضي المدة
١١. لزوم التبرعات بالعقد دون قبض

^١ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله سير أعلام النبلاء (ص ٣٠٦/٣) المرجع السابق
^٢ الدكتور محمد رواسي قلعه جي: شبكة المشكاة الإسلامية، تاريخ النشر ١٤٣٧/٩/٢٥

١٢. رفع الجنباة بالتيمم لمن لم يجد الماء أو عجز عن استعماله
١٣. كيفية التيمم
١٤. قتل السيد بعبدته إذا قتله عمدا
١٥. حد الضمان الذي تتساوى فيه المرأة مع الرجل في الجراح والجنباة على الأطراف
١٦. ضمان سريان القصاص
١٧. حل عقد النكاح للمحرم دون الدخول
١٨. هل توجب الخلوة المهر كاملا
١٩. حل أكل الذبيحة إذا ذبحت بالحجر والقصب
٢٠. أقل الرضاع الذي يثبت به التحريم
٢١. النسبة التي إذا أداها المكاتب أصبح حرا ، هل هي نسبة إلى بدل الكتابة، أم هي نسبة إلى قيمة المكاتب
٢٢. جواز نكاح الزاني المرأة التي زنى بها- على ما فسرته ابن القيم من رأي ابن مسعود
٢٣. طلاق الأمة المتزوجة ببيعها
٢٤. عتق أم الولد من حصة ابنها من الإرث .
٢٥. عدم اشتراط الحول للمال المستفاد
٢٦. وجوب حد الزنا على من وطئ جارية امرأته
٢٧. إفتار المسافر في رمضان
٢٨. صلاة النوافل وسنن الرواتب في السفر
٢٩. وقت صلاة الجمعة
٣٠. وقت صلاة الوتر.
٣١. وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة من ركعات الصلاة
٣٢. تطبيق اليدين في ركوع الصلاة.
٣٣. مكان وقوف المأمومين إن كانا اثنين .
٣٤. الأحق بالإمامة في الصلاة على الميت أهو الأمير أم الولي؟
٣٥. عدد تكبيرات الزوائد في العيدين
٣٦. لفظ "الحرام" الموجه للمرأة هل يكون طلاقا أما يمينا موجبا للكفارة
٣٧. عدد الطلقات التي يملكها الزوج على زوجته هل يكون بحسب حال الرجل حرية ورقا أم بحسب حال المرأة

- ٣٨ . عدة الحائض إذا ارتفعت حيضتها
 ٣٩ . العزل عن الحرة
 ٤٠ . حد القاذف إن كان رقيقاً
 ٤١ . السجود في سورة (ص)
 ٤٢ . جواز رد المستقرض أفضل مما استقرض
 ٤٣ . اشتراط كفاءة الزوج في النكاح
 فكان الكل ثابت على رأيه ما دام مبني على الكتاب والسنة.

فمن مظاهر ثباته على رأيه قضية نسخ القرآن على حرف واحد. فإن عبد الله بن مسعود أنكر على الخليفة الراشد عثمان بن عفان ذلك ولم يسلم له مصحفه، لكن كثيراً من المحققين ذكروا رجوع ابن مسعود وموافقة للصحابة. فإن ابن مسعود رضي الله عنه وافق عثمان وتبعه فيما دون ذلك عندما أتم الصلاة خلفه بمنى، وعلل ذلك بأن الخلاف شر، فما بالك في الاختلاف في القرآن؟! فإنه سيكون أكثر ضرراً، وأعظم خطراً، وأشد فتناً بجماعة المسلمين.

ومِمَّا يدل على أن ابن مسعود قد رجع إلى رأي الجماعة، أن قراءته قد رواها عاصم وحمزة والكسائي، وغيرهم، وقراءة هؤلاء الأئمة موافقة للمصاحف العثمانية. ولا شك أيضاً أن قراءة ابن مسعود كانت موافقة لمصحفه، فدل ذلك على أنه رجع إلى ما اتفقت عليه جماعة المسلمين، بعد أن ظهر له صوابهم في ذلك

٢- عدم الخوض في أعراض العلماء والحكام وإن اختلف معهم في الرأي: فمع كثرة الاختلاف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فلم يؤثر عنه إلا الثناء عليه والاحترام ويقول عن عمر: " كان للإسلام حصناً حصيناً، يدخل الناس فيه ولا يخرجون، فلما أصيب عمر انثلم الحصن"^١ وكذلك مع كثرة سوء التفاهم بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان فلم يؤثر عنه أنه يشين على عثمان إنما كان يرى له الفضل والطاعة. قال بعض أصحاب عبد الله بن مسعود: ما سمعت ابن مسعود يقول في عثمان شيئاً قط وسمعتة يقول: لئن قتلوه لا يستخلفون بعده مثله^٢.

^١ - ابن أبي شيبه : مصنف ابن أبي شيبه (ص ٣٥٧٦) ، هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبه إبراهيم بن عثمان بن خُؤاسن العبسي مولا هم الكوفي، والمكنى بأبي بكر، والملقب بـ "سيد الحفاظ"، أحد علماء ورواة الحديث. وصاحب كتاب مصنف ابن أبي شيبه كما جمع مسنداً، صنف تفسيراً للقرآن. روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود، وروى عنه أيضاً أحمد بن حنبل وأبو زرعة الرازي وابن أبي عاصم وغيرهم توفي في شهر المحرم سنة ٢٣٥ هـ بالكوفة

^٢ ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (ص ٣٠٤/١) المرجع السابق

٣- اختلاف الرأي لا يفسد الود: من الدروس النضرة من منهج هذا الصحابي مع المخالف انه لم يجعل اختلافه مع الخصيم يؤدي إلى التنافر والتباغض، فهمّه نصره الحق لا الشخص الذي صدر منه الحق وفي الجانب الآخر ينكر الباطل من دون أن يبغض صاحبه وخاصة إن كان يعتمد على دليل أو حجة على الرأي الذي كان ينصره. وعلى هذا بعثه أمير المؤمنين معلماً لأهل الكوفة وآثره على نفسه لأهل القادسية فلم يأباه ابن مسعود، بل تحمل المهمة وبذل قصارى جهده في أداء المسؤولية واستمر على هذا العمل حتى زمن عثمان بن عفان فلما بعث إليه عثمان يأمره بالخروج إلى المدينة اجتمع إليه الناس وقالوا: أقم ولا تخرج ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه منه. فقال لهم عبد الله: إن له علي طاعة وإنها ستكون أمور وفتن لا أحب أن أكون أول من فتحها. فرد الناس وخرج إليه^١ هذا من باب الإشارة إلى منهج هذا العلم الراشد، ويأتي تفصيله في وحدة تطبيق منهجه على ولاية بلاتو.

ويلي الآن منهج مصعب بن عمير رضي الله عنه

^١ - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله ، سير أعلام النبلاء، (ص٣٠٧/٣) المرجع السابق

المبحث الثاني: منهج مصعب بن عمير رضي الله عنه في الدعوة والتعليم

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التمهيد

المطلب الثاني: منهج مصعب بن عمير رضي الله عنه في الدعوة والتعليم

المطلب الثالث: منهج مصعب بن عمير رضي الله عنه في التعامل مع الناس

المطلب الأول: التمهيد

ظهر أمر مصعب بن عمير كمعلم وداعية أول ما اختاره النبي ﷺ ليكون سفيره إلى المدينة، يفقه الأنصار ويعلمهم دينهم، ويدعوا الجميع إلى الإسلام، ويهيئ المدينة ليوم الهجرة العظيم، مع أنه كان هناك من يكبره سناً وأقرب للرسول ﷺ منه، ولكن مصعباً كان يتميز بصفات فريدة جعلت النبي ﷺ يختاره من بينهم ويكلفه بهذه المهمة الخطيرة. يهدف هذا المطلب للكشف عن هذه الصفات وذكر المنهج والوسائل التي استخدمها في أداء هذه المسؤولية حتى بلغ غايته ونال مراده رضي الله عنه.

قد لا يختلف اثنان أن لهذا الصحابي الدور الأكبر في إسلام سادة المدينة وأهلها، وهذا لا يدل على أن الإسلام دخل المدينة المنورة أول ما دخل عن طريقه، ولكنه لعب دوراً فعالاً وهائلاً في انتشاره في المدينة. ففهم الإسلام بمعناه وتلاوة القرآن ومعرفة بعض أساسيات الإسلام من أهل المدينة كان بواسطته، لأن النفر الستة الذين بايعوا رسول الله ﷺ في العقبة هم الذين أدخلوا رسالة الإسلام المدينة. قال ابن أسحاق: "فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ وإنجاز مواعده له خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب ... فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً... فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن .. فقال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام.^١ ولم تكن في هذا اللقاء الأول بيعة لسببين اثنين:

- ١- أنها كانت لنفر صغير، لا يرون لأنفسهم الحق أن يلتزموا بمعاهدة دون الرجوع إلى قبائلهم في المدينة.
- ٢- أن هذا اللقاء جاء مقدراً ولكن ما كان لهم ليقطعوا أمرهم والحال أن جلهم شباب.

وبعد عام من المقابلة الأولى التي تمت بين الرسول ﷺ وأهل يثرب عند العقبة وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوه بالعقبة، وبايعوه بيعة العقبة الأولى (عشرة من الخزرج واثنان من الأوس) وهنا جاء دور مصعب بن عمير "المقرئ" كما يسمى بالمدينة وبعثة الرسول ﷺ مع المبايعين يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن ويؤمهم في الصلاة. فأكبّ مصعب على هذا العمل غير متوان ولا كسول، وأدى المسؤولية بكل نشاط، ممّا سرّ رسول الله ﷺ وهياً له الأرض تمهيداً لهجرته إليها.

^١ ابن هشام: السيرة النبوية (ص ٤١/٢ - ٤٢) المرجع السابق

المطلب الثاني: منهج مصعب بن عمير في الدعوة والتعليم

اختاره رسول الله ﷺ عن علم بشخصيته من جهة وعلمه بالوضع القائم في المدينة من جهة أخرى فكلفه بأمر الدعوة في يثرب قبل هجرته إليها. فقبيلتنا العرب الساكنة في المدينة هما الخزرج والأوس وقد طبعهما الله على الرقة واللين وعدم المغالاة في الكبرياء ببحود الحق، وذلك يرجع إلى الخصائص الدموية والسلالية التي أشار إليها رسول الله ﷺ حين وفد وفد من اليمن بقوله "أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوباً" ^١ وهما ترجعان في أصلهما إلى اليمن نزح أجدادهما منها في الزمن القديم ^٢ ويكفي فيهم مدح القرآن حين يقول فيهم جل في علاه: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^٣

ومجاورة الأوس والخزرج لليهود جعلهم على علم - ولو يسير - بأمر الرسالة السماوية وخبر المرسلين السابقين وهذا ظاهر في إجابة النفر الستة الذين وافاهم الرسول ﷺ عند العقبة ودعاهم إلى الإسلام حيث قال بعضهم لبعض "يا قوم تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به اليهود، فلا يسبقنكم إليه". فهذه المجاورة مع اليهود ساعدت في تصديقهم لأمر الرسالة لأنهم يعيشون القضية في حياتهم اليومية خلافاً لقريش التي لا تساكن أهل كتاب ولا تسمع أخباراً عن ذلك إلا متفرقة. وكان اليهود يهددون الخزرج والأوس بنبي قد أظل زمانه، ويزعمون أنهم سيتبعونه ويقتلونهم به قتل عاد وإرم، مع أن الأوس والخزرج كانوا أكثر من اليهود. ويشهد القرآن على اليهود على إخبارهم عرب يثرب عن أمر النبي القادم، قال تعالى: وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ^٤

ومن الأسباب التي أدت إلى اختيار مصعب لهذه المهمة، التشاحن والتطاحن الموجودان في قبيلتي العرب في المدينة آنذاك (الأوس والخزرج). وقد قامت بينهما الحروب الطاحنة

^١ البخاري، محمد بن اسماعيل: كتاب المغازي (حديث رقم ٤٣٨٨) (المرجع السابق)

^٢ أبو الحسن النووي: السيرة النبوية (ص ١٥٤) (المرجع السابق)

^٣ سورة الحشر، الآية ٩

^٤ ابن هشام، السيرة النبوية (ص ٤١/٢) (المرجع السابق)

^٥ البقرة، الآية ٨٩

كيوم بعث وغيره. وهذه الحروب أفنت كبار زعمائهم ممن كان نظراؤهم في مكة والطائف وغيرهما حجر عثرة في سبيل الدعوة، ولم يبق إلا القيادات الشابة الجديدة المستعدة لقبول الحق، إضافة إلى عدم وجود قيادة بارزة معروفة يتواضع الجميع على التسليم لها. فهم بحاجة إلى من يأتلفون بهم، ويلتئم شملهم تحت ظله. ففي عبارة النفر الستة من الخزرج الذين أسلموا على يد رسول الله ﷺ عند العقبة ما يدل على ذلك، قالوا: "إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبنك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك"^١

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها "كان يوم بعث يوما قدمه الله تعالى لرسوله ﷺ فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملوهم وقتل سرواتهم وجرحوا، فقدمه الله لرسوله في دخولهم الإسلام"^٢

فحري برسول الله ﷺ أن ينتخب بين أصحابه من طبعه وأخلاقه وصفته تجعله مع الوضع الحالي الذي كان سائدا في يثرب آنذاك، فلم يبق لها سوى مصعب بن عمير. فكان بجانب حفظه لما نزل من القرآن يملك من اللباقة والهدوء، وحسن الخلق والحكمة، قدرا كبيرا فضلا عن إيمانه، وشدة حماسه للدين. فتمكن خلال وقت يسير أن ينشر الإسلام في سائر بيوتات المدينة وأن يكسب للإسلام أنصارا من كبار زعمائها. كسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير وقد أسلم بإسلامهما خلق كثير من قومهما.

ويتجلى المنهج الحكيم والوسائل الناجحة التي اتخذها مصعب في نيل مرامه في الدعوة وإيصاله إلى غايته عند النظر في بعض مواقفه. قد يقول القائل: أليس المنهج واحد؟ وواضح كما شرحه القرآن بصورة عملية حية، حيث قال تعالى: أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾^٣

فيجاب أن كلمة الحكمة عامة، يدخل تحتها كل وسيلة يسلكها العامل لنيل غرضه في الوقت. لكن الحكمة المستغرقة هي فعل ما ينبغى في الوقت المناسب، وهذا ما فعله مصعب رضي

^١ ابن هشام: السيرة النبوية (ص ٤١/٢ - ٤٢) المرجع السابق
^٢ البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب الأنصار (رقم ٣٧٧٧) المرجع السابق
^٣ سورة النحل، الآية ١٢٥

الله عنه فقد حاول الوصول إلى السادة الذين بإسلامهم أسلم أتباعهم فحفظ لنفسه الجهد الزائد والوقت السمين في أداء مهمته الدعوية في أسرع وقت ممكن.

ويستنبط أيضا بعض الوسائل والمناهج من خلال قصته مع أسيد بن حضير وسعد بن معاذ في ميدانه الدعوي.

أقام مصعب بن عمير في المدينة، في منزل أسعد بن زرارة ونهضا معا يغشيان القبائل والمجالس، تاليا على الناس ما معه من كتاب الله فجاءه أسيد بن حضير سيد بني عبد الأشهل بالمدينة:

كان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدي قومهما من بني عبد الأشهل، وكانا مشركين على دين قومهما، فلما سمعا بمصعب بن عمير، ونشاطه في الدعوة إلى الإسلام قال سعد لأسيد: لا أباك، انطلق إلى هذين الرجلين، اللذين أتيا ليسقيا ضعفاءنا فازجرهما، وانهما أن يأتيا دارنا، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما، فأخذ أسيد حربته ثم أقبل عليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال: هذا سيد قومه، وقد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه، فوقف عليهما متشتما فقال: ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب بلسان المؤمن الهادي الوثاق من سماحة دعوته: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته نكف عنك ما تكره؟

قال أسيد: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام -قبل أن يتكلم- في إشرافه وتسهيله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكم الآن: سعد بن معاذ.

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد مقبلا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد ابن زرارة، ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك^١

^١ ابن كثير: أبو الفداء محمد بن إسماعيل، السيرة النبوية، (ص ١٨٣/٢) المرجع السابق

فقام سعد مغضباً مبادراً مخوفاً للذي ذكر له من أمر بني حارثة، وأخذ الحربة في يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما سعد فوجدهما مطمئنين، فعرف أن أسيد إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف متشتماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره، وكان أسعد قد قال لمصعب: لقد جاء والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لا يتخلف منهم اثنان، فقال له مصعب: أوتقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، فقال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام، وقرأ القرآن، وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول سورة الزخرف، قالوا: فعرفنا -والله- في وجهه الإسلام -قبل أن يتكلم- في إشراقه وتسهيله. ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم، ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل، فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، ثم تشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيية، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة.^١

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات، إلا ما كان من الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم، واستشهد بأحد، ولم يصل لله سجدة قط، وأخبر رسول الله ﷺ أنه من أهل الجنة.

وقد روى ابن إسحاق بإسناد حسن عن أبي هريرة أنه كان يقول: «حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل صلاة قط، فإذا لم يعرفه الناس قال هو أصيرم بني عبد الأشهل»^٢ ما أروع هذا الموقف من مصعب وما أفطن هذا السفير، لقد نجح في مهمته نجاحاً منقطع النظير، نجاحاً هو له أهل، لقد أحسن الرسول الخيار، وأثبت مصعب بكيافته وحسن بلائه أن رسول الله ﷺ صائب في اختياره له.

^١ ابن كثير: أبو الفداء محمد بن إسماعيل، السيرة النبوية، (ص ١٨٤/٢) المرجع السابق

^٢ ابن كثير: أبو الفداء محمد بن إسماعيل، السيرة النبوية، المرجع نفسه

فلقد فهم مصعب رسالته تماما ووقف عند حدوده، عرف أنه داعية إلى الله، ومبشر بدينه الذي يدعوا الناس إلى الهدى، وإلى صراط مستقيم وأنه كرسوله الذي آمن به، ليس عليه إلا البلاغ.

يَحْسَن الإشارة إلى الأمور التالية في قصة دعوة مصعب رضي الله عنه.

أولاً: حكمته في اتخاذ من يشد عزمه ويقوي إرادته، فقد تقوى بأسعد بن زرارة على إنجاز أمر دعوته. فقد ساعدت السيدة خديجة الرسول في أيام دعوته الأولى فطمأنت من روعه فزملته ودثرت به وآمنت به واستفسرت من ابن عمها عن شأن الناموس الذي يأتي زوجها. وحكى القرآن قصة موسى مع فرعون لما بعثه الله رسولا إلى فرعون دعى ربه وكان من دعائه قال: **وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي** ﴿٢٩﴾ **هَٰرُونَ أَخِي** ﴿٣٠﴾ **أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى** ﴿٣١﴾ **وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي** ﴿٣٢﴾ **كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا** ﴿٣٣﴾ **وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا** ﴿٣٤﴾ **إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا** ﴿٣٥﴾^١

وقال في موضع آخر: **قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ** ﴿٣٥﴾^٢

وتحت هذا الفهم بعث النبي ﷺ مصعبا وزيرا له وسفيرا إلى المدينة، وينبغي أن يتوفر في الوزير أو العضد صفات تساعد الواقع. فمصعب استعان بأسعد بن زرارة لمعرفته القبائل والأفراد في المدينة فوق ما له من صفة الإيمان وحب الخير لأهل يثرب. واستخلص موسى عليه السلام في من يريد كعضد، فلم يطلب المساعد فحسب، بل اشترط أن يكون هارون لما بينهما من القرابة في النسب والدين والمعرفة وفقه الواقع.

ثانياً: الجرأة في الحق وقوة في الشخصية: هذه القضية ظاهرا في وسيلة نجاح دعوة مصعب في المدينة، فقد وقف ووقوف الواصل بما يحمله فكان يتتبع الأندية ومجالس الأنصار ويأتي بعضهم في دورهم ويقابل البعض على حدة كي يقنعهم بالرسالة التي يحملها إليهم إضافة إلى حكمته في أداء الرسالة وتسامحه مع جفائهم وقسوة ردود المدعوين.

ثالثاً: تمكنه في العلم بالذي يدعو إليه. وهذه أيضا من الصفات اللازمة للداعية، فليست الدعوة مجرد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العابرة، أو نصيحة سريعة حول

^١ سورة طه، الآية ٢٩-٣٥

^٢ سورة القصص الآية ٣٥

إطارات ثقابة، الدعوة أعم وأشمل من هذا وتحتاج إلى مهارات متمكنة إضافة إلى سعة الصدر والمثابرة في الميدان. قال تعالى: **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴿٣﴾^١

ويظهر تمكنه في العلم أنه يقنع كل من يكلمه ويتلو الآيات المناسبة عند حديثه مع صاحب حوارهِ. روى أنه قرأ على سعد بن معاذ أول سورة الزخرف^٢

رابعاً: التواضع والتجرد عن المصالح الشخصية. همُّ مصعب الوحيد في ميدانه الدعوي هو إسلام الأنصار ولا غير، فإنه خضع في العمل وهو يعلم أن الناس لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويتكبر عليهم وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً، فإنهم ينفرون من كلامه ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده، فلا يصل إليها من قوله شيء. وقد يكون ذلك سبباً إلى كرههم للحق منه ومن غيره. وتجرده عن المصلحة الشخصية جعلت لدعوته أثراً طيباً على قلوبهم. فالداعية المرتبط بالمصالح الشخصية، تضعف همته للقيام بأداء رسالته الدعوية، لعدم وجود الجرأة الكافية لديه خوفاً من أن يمنعوا عنه حاجات حياته، أو يحجبوا عنه مصالح دنياه، وعلى ذلك لا يستطيع أن يقول كلمة الحق أمامهم حتى لا ييغضهم.

فمصعب لم يُرسل إلى المدينة لطلب الجاه أو السلطة ولم يسع وراء ذلك ويشهد لذلك خروجه معهم إلى العقبة الثانية في موسم الحج فإن الأنصار خرجوا تحت قيادة البراء بن معرور وليس مصعب الذي هو المقري والسفير إليهم، ولم تذكر الروايات أنه طلب أن يكون قائدهم إلى رسول الله ﷺ.

خامساً: الكلمة الطيبة: وهو مبدأ نفيس في الدعوة قال تعالى في قصة موسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون: **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ﴿٤٤﴾^٣ إن كان هذه وصية الله لرسوله موسى وهارون إلى فرعون الذي يدعي الألوهية، تصور كيف يكون لطف الله بمن يعبد الأوثان سفهاً وجهلاً، فاستعمل مصعب وصية القرآن للداعية عن لين الكلام وعدم القسوة في معاملة السفيه. وما أجمل ما قاله مصعب لصاحبيه "أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته نكف عنك ما تكره". فبهذه الملاطفة وهذه الكلمات

^١ سورة العصر: الآية ٣

^٢ الصلابي: السيرة النبوية عرض وقائع تحليل أحداث (ص٢٣٨) المرجع السابق

^٣ سورة طه، الآية ٤٤

الرائعة التي تتغلغل إلى أعماق القلوب بلا إذن، يقف أمامها أسيد وسعد متحيرين فما لهما إلا الاستسلام. فقال كل واحد منهما "أنصفت" فجلسا واستمعا إليه فكان ذلك سبب إيمانهما.

سادسا: الإخلاص: فالإخلاص روح الأعمال، وسر قبولها، وبه يكون عون الله وتوفيقه، ويكتب لصاحبه القبول ويفتح له القلوب، والدعوة إلى الله من العبادات التي يتقرب بها العبد لربه. قال تعالى: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ٥^١ فالعمل إن لم يكن بنية خالصة لا ينفع صاحبه. وقديما قالوا: إذا خرج الكلام من اللسان لم يتجاوز الأذان، وإذا خرج من القلب دخل القلوب بلا استئذان. وقال ابن القيم رحمه الله: وقد جرت عادة الله التي لا تبدل وسنته التي لا تحول أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق، وإقبال قلوبهم إليه ما هو بحسب إخلاصه، ونيته، ومعاملته لربه، ويلبس المراني اللابس ثوبي الزور من المقت والمهانة والبغض ما هو اللائق به^٢ فالمخلص له المهابة والمحبة وهذا شأن مصعب الخير رضي الله عنه وللآخر المقت والبغضاء.

المطلب الثالث: منهج مصعب بن عمير في التعامل مع الناس

لا منهج أحسن من منهج القرآن في التعامل مع الناس وهذا المنهج ترجمه لنا رسولنا الكريم ﷺ في معاملته مع صحابته الكرام حيث يضع اللين في موضع اللين والشدّة في موضعها. وهذا المنهج هو الذي اقتبسه الصحابة الكرام من أخلاقه ﷺ فألف الله بذلك بين قلوبهم بعدما كانوا أعداء وصار لهم مقياس عدل بعدما كانوا يستعبد بعضهم بعضا. فبهذه الأخلاق وحسن المعاملة سادوا وشادوا حتى جثى التاريخ يسجل عنهم هذه المواقف ويخلد بذلك لهم الذكر في العاقبة. فأعلام هذه الأمة كثيرون لا حصر لهم ولكل منهم معالم يقتدى بها من بعده. فمن بين هذه الأعلام ننتخب صحابيا اجتباه رسول الكريم بأن ينوب عنه في يثرب قبل أن هجرته إليها، وذلك لما يعرفه عنه الرسول من الأخلاق وحسن معاملته مع العامة ولما لاقاه في الإسلام من تهذيب في أخلاقه وإيمانه. فمصعب الخير -كما يلقب- ترجم كلمة المعاملة في صورة واقعية عملية، فهي عنده ليست كلمة مجردة في عالم الخيال

^١ سورة البينة، الآية ٥

^٢ ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين (ص ٢٠٠/٤) مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م

والتصوير، إنما هي حقيقة ثابتة يطبقها في واقعه حتى لا أحد ينظر إليه إلا وهو يرى حقيقة تلك الكلمة في صورته.

فأحبه رسول الله ﷺ وقذف الله حبه في قلوب عباده. ورفع الله سبحانه وتعالى لما تواضع له وللحق، ولقد صدق الرسول ﷺ لما قال "من تواضع لله رفعه"^١ فهو الذي كان قبل إسلامه في أحلى ما يكون الشاب، ريان عطرا بل يعبر بأنه لؤلؤة ندوات شباب مكة آنذاك. ويشهد لذلك قول رسول الله ﷺ في ذلك عنه: "ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير^٢ فإذا به مُنْع من ذلك لأنه آمن بالله وصدق برسالة محمد ﷺ فصار بين عشية وضحاها يرتدي إهاب كبش أو قطعة نمرة قد وصلها بإهاب حتى رق له قلب رسول الله ﷺ وكذلك كان أمره يوم موته، لم يكن له كفن يكفن فيه إلا تلك النمرة إذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطوا بها الرجلين بدت رأسه، ومع هذه المضايقات في حياته المادية ظل شاكرًا لله على هدايته لهذا الدين، ولم يزد ذلك إلا إيمانا وتسليما. قال عنه ربيعة كما روى عنه عمرو بن ربيعة "كان مصعب بن عمير لي خدنا وصاحبنا منذ يوم أسلم إلى أن قتل رحمه الله بأحد، خرج معنا إلى الهجرتين جميعا بأرض الحبشة، وكان رفيقي من بين القوم فلم أر رجلا قط كان أحسن خلقا ولا أقل خلافا منه^٣

لخص ربيعة شمائل مصعب في عبارتين وهما حسن الخلق وقلة الخلاف.

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا^٤

وعند الماوردي قال: حسن الخلق أن يكون سهل العريكة لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة^٥

فأيا ما كان، فحسن الخلق صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورتها الطاهرة وأوصافها ومعانيها ولها أوصاف حسنة وقبيحة.

^١ الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط، (رقم ٨٣٠٧) دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، (بدون تاريخ)

^٢ ابن الأثير: علي بن محمد الجزري، أسد الغابة، (ص ١٥١٦) المرجع السابق

^٣ ابن سعد: الطبقات الكبرى (ص ١١٦) المرجع السابق

^٤ أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين (ص ٥٨/٣) دار المعرفة - بيروت (بدون تاريخ)

^٥ الماوردي: أدب الدنيا والدين (ص ٢٣٧) موقع شبكة مشكاة الإسلامية المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير

والتواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة. ولذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق وذم سوءها.^١

ويقال إن حسن الخلق مع الناس جماعه أمران: بذل المعروف قولاً وفعلاً وكف الأذى قولاً وفعلاً، وهذا هو دأب هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه. فلا خير أكبر من دعوة الناس إلى خير قال تعالى: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ

٢
﴿٣٣﴾

وقوائمه أربعة: العلم والجود والصبر وصحة الإسلام، فهذه الصفات متمثلة في هذا الصحابي، فهو عالم- بقدر الإمكان - بالتنزيل وجواد بالخير ومحب للغير وليس خير أفضل من الهداية وكان صابراً مثابراً متحملاً للأذى، فلننظر إلى ثباته يوم وقف عليه أسيد بن حضير رافعا حربته فقال في لطف ولين: أو تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمرنا قبلته وإن كرهته كففتنا عنك ما تكره. هنالك أجاب أسيد "أنصفت".

فكان حال مصعب مطابقاً لما ورد في قوله تعالى: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

الوصف الثاني لهذا الصحابي هو أنه أقل خلافاً. فصحيح أن كل إنسان يحمل فكرة يعتقد أنها الأصوب والأصح، دينية كانت أو سياسية أو في المجال الاجتماعي أو المجال المعرفي، ويتمنى أن الناس على فكرته ومعتقده، ولكن طبيعة البشر تقتضي الاختلاف والتنوع حتى في مجال الأذواق والأمزجة، فكل له ذوقه الذي يتميز به عن الآخر. إذن فهو أمر طبيعي أن ترى أو تسمع بين فريقين أو زميلين اختلافاً في شيء من الأشياء وخاصة إذا انضمت ذلك هذه العوامل الثلاثة وهي: -

أ. عامل المدارك والأفهام والمستوى المعرفي.

^١ محمد السافرين الحنبلي: غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب، (ص ٣١٣) موقع الإسلام

<http://www.al-islam.com>

^٢ سورة فصلت، الآية ٣٣

^٣ سورة فصلت، الآية ٣٣-٣٥

ب. السعي وراء المصالح الخاصة الفردية أو الفئوية
ج. اختلاف البيئة

فإن استطاع إنسان مع هذه العوامل أن يخرج وهو قليل الخلاف مع غيره، فلا شك أنه يكون متحلياً بأعلى خلق، وهذا هو شأن مصعب الخير رضي الله عنه. فإنه عاش في بيئة مكة والحبشة ثم المدينة وخالط أفراداً وفئات شتى، بالإضافة إلى اختلاف الأفهام والمدرّك بين كل فرد وآخر، لكنه كان يحترم العلاقات الإنسانية التي لا تنساق إلى غي أو ضلال، ويستمع إلى آراء غيره حتى وإن لم يعمل بها.

ولعل السبب هو فهمه للآيات القرآنية التي كان يحملها صدره ويعيها عقله؛ فالاختلاف من طبع البشر الذي جُبل عليه وعلى ذلك قال تعالى: **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۖ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۖ**^١ ففحوى هذه الآية القرآنية تدل على أن الاختلاف بين الناس لا ينتفي من طبع البشر لكن الشريعة جعلت له حدود وضوابط.

ويفهم هذا الضابط في تحليل القرآن للحوار بين المسلمين وأهل الكتاب بشرط أن يكون الجدل بنية إقناعهم على الحق والخير. قال الله تعالى: **"وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"**^٢ وقوله تعالى: **"وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"**^٣ فجعل الله ضابط الجدل الإحسان وهو كلما فيه صلاح وينفي عنه الفساد.

وعلى هذا، فليس المدح في مصعب أنه لا يخالف غيره، ولكن المدح الذي يرمي إليه المادح أنه قليل بل أقل خلاف، فحري بالشباب والشابات أن يستفيدوا من سيرة هذا الصحابي وهذه الأخلاق الكريمة التي بها نال حب الله ورسوله، وتقرب بها إليهما فكانت العاقبة أن قال رسول الله ﷺ **"انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغدوانه بأطيب الطعام والشراب، فدلّه حب الله ورسوله إلى ما ترون"**^٤ رضي الله عنه وعن إخوته من صحابة رسول الله ﷺ، وجعل أعالي الفردوس متقلبهم ومثواهم.

^١ سورة هود، الآية ١١٨ - ١١٩

^٢ سورة العنكبوت الآية ٤٦

^٣ سورة النحل الآية ١٢٥

^٤ أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء (ص ٥٦) المرجع السابق

الفصل التاسع: تطبيق منهج الصجابيين عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير رضي الله عنهما في ولاية بلاتو

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تطبيق منهج عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير رضي الله عنهما في الدعوة والتعليم في ولاية بلاتو

المبحث الثاني: تطبيق منهج عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير رضي الله عنهما في التعامل مع الناس في ولاية بلاتو

المبحث الثالث: تطبيق منهج عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير رضي الله عنهما في التعامل مع الخلاف في ولاية بلاتو

**المبحث الأول: تطبيق منهج عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير رضي الله عنهما في
الدعوة والتعليم في ولاية بلاتو**

ويشتمل على ثلاثة مباحث

**المطلب الأول: تطبيق منهج عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير في الدعوة على ولاية
بلاتو**

**المطلب الثاني: تطبيق منهج عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير في التعليم على ولاية
بلاتو**

المطلب الأول: تطبيق منهج الصحابييين عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير في الدعوة على ولاية بلاتو

فقد حاول الباحث من خلال دراسته في هذا الموضوع انتخاب القواعد التي سار عليها الصحابة في الدعوة وتطبيقها واقعيا عمليا في حل مشكلات الدعوة في ولاية بلاتو وبالأخص تلك الأساليب والوسائل التي اتخذها الصحابييان (عبد الله بن مسعود ومصعب ابن عمير رضي الله عنهما) مع رصد النتيجة، وللحصول على نتيجة علمية عملية واقعية قام الباحث بالأمور التالية:

١. عقد توعية للدعاة الناشئين في مناسبات عدة في مختلف الأحياء ومراكز الحكومات المحلية
٢. بيان وتوضيح تاريخ شخصية عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير رضي الله عنهما في مناسبات مختلفة وضرب الأمثلة بهما
٣. مطالبة الدعاة وخاصة الناشئين منهم باتباع القواعد الأساسية التي سار عليها الصحابييان في الدعوة
٤. اختيار الشباب من الدعاة على حدود سن عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير رضي الله عنهما {وهو عُمر دون عشرين عند إسلامهما} لكن ذلك عسير الوجود عندنا لإختلاف البيئات، لكن ما في حدود سن العشرين إلى الثلاثين، وقد يتفق هذا العمر بوقت نبوغهما في الدعوة وتولي عبد الله بن مسعود لمنابر الدعوة بعد وفاة رسول الله ﷺ
٥. مقارنة النتائج المتحصل عليها قبل وبعد تطبيق الأساليب والمنهج

وقد تابع الباحث ذلك مع الدعاة في تحقيق نتيجة بحثه وتبدو النتيجة أفضل مما كانت قبل توظيف المنهج. وكشفت نتيجة البحث بأن كثيرا من الناس شبابا وشيبا إذا ذكرت الصحابة أول ما يخطر ببالهم أنهم أشخاص متقدمون في السن، وغالبا ما يظن أن هذه التضحيات التي تُذكر عنهم كانت في أواخر أعمارهم. فظن الأغلبية ممن قابلهم الباحث عن هذه القضية على ظن منهم أن الصحابة على قرابة سن رسول الله ﷺ أو أكثر خاصة الصحابة المشهورين بكنيتهم [مثل ابو عبد الرحمن، أبو أيوب، أبو هريرة أبو قتادة أبو موسى الأشعري وغيرهم] للعادة السائدة في البيئة نيجيرية حيث الكنية تكون غالبا للذين قد رزقوا العيال والأولاد

والأمر الآخر هو أن كثيرا من الشباب مولعون بالملاهي واللعب واللا مبالاة بأمور الدين مما تعاني منه كثير من المجتمعات الإسلامية اليوم، والتعامل بالمخدرات أيضا يبدق ناقوس الخطر على البيئة التي تجرى عليها هذه الدراسة، كل هذه مما يشغلهم عن طلب العلم وخدمة الدين وقد ساعد على ذلك أسباب منها:

- إهمال المربين مسؤوليتهم التربوية
- الفشل من جانب الحكومة في إيجاد الساحة أو الجو المناسب للاشتغال السكان بالصناعات مع وفرة الرزق في الدولة
- الفقر المصطنع الذي يعيش فيه أغلب سكان شمال نيجيريا.
- الجهل، فالجهل هنا لا يعني عدم معرفة أي نوع من الخط أو القراءة ولكن الجهل عن حقيقة واقع الحال وطريقة الخلاص منه، فما نمت وتهيجت فكرة بوكو حرام [عقلية تحريم تعلم علوم تطبيقية أو صناعية لا تعتمد حرفا بحرف مع آيات القرآنية أو الأحاديث النبوية، فعندهم يحرم تعلم علوم الكيمياء والفيزياء والجغرافيا وغيرها لأنها تدرس بلغة الانجليزية وهي لغة حكومة الطاغوت، التي لا تحتكم بكتاب الله [وهي عقيدة التكفير "الخارجة"]

فحياة الصحابة مليئة بالمثل ومما يراه المتأمل بوضوح من حياتهم أن كلا منهم قد ترك بصمة في جبين التاريخ مع أنهم يختلفون في الطاقات الذاتية والفروق الفردية، لكن كل منهم بذل مافي وسعه لرفع الإسلام وسموه فلسلمان الفارسي أفاد الإسلام بخلفية حضارية حربية وبلال بذل همته الفائقة وجهارة الصوت في حفظ أوقات الصلاة والجهاد في سبيل الله، ومصعب بن عمير استعمل فطنته ورجاحة عقله في دعوته الأنصار الى دين الله وابن مسعود تولى مكرمة خدمة الرسول ﷺ وحفظ كتاب الله وكتابته وزيد جمع للأمة القرآن وأبو هريرة حفظ لها السنة حفظا وعبدالله بن عمرو حفظها وكتبها ومعاذ بن جبل قام رسولا لرسول الله ﷺ إلى اليمن وأبو عبيدة وخالد بن وليد بقيادة الجيوش والحروب، ولا تسأل عن الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة! فقد سخر الرسول ﷺ هذه الطاقات الفردية في أصحابه في مواضع مختلفة لإنجاز مهام رسالته. فعلى الداعية ان يعرف جوانب قوته وضعفه ليستعين بغيره في موضع ضعفه للحصول على أفضل النتائج، ويعني هذا أن التعاون والتكاتف بين الدعاة في أداء واجب الدعوة لازم وبها يهون عليهم العمل وتكون النتيجة بأقل تكلفة.

فابن مسعود أشبه ما يكون معلما ومصعب داعيا فوضع الطائفتين الى البعض أعطت أوفر نتيجة، فلو أمر أحدهما أن يعمل مكان الآخر لأدى العمل بنوع من الكلفة والعناء فكل ميسر لما خلق له.

وفي تطبيق منهج هذين الصحابييين على ولاية بلاتو، يطالب الداعية بما يلي وهي:

١. الإخلاص:

الإخلاص لب العمل وأساسه الذي يعتمد عليه، وبه يقبل الله عمل العبد اذا تابع به هدي النبي ﷺ. فالإخلاص من أهم المهمات وأوجب الواجبات ولا يكون العمل عملا الا به. قال رسول الله ﷺ "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" ^١ والدعوة إلى الله من أجل أعمال البر وأرفعه يقول الحق تبارك وتعالى: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ^٢ فعلى الداعية أن يدرك أهمية عمله وخطورته فإن أكب عليه وهو يريد به شيئا من حظوظ الدنيا فلا خسارة أكبر من ذلك، وقد يجعل الداعية نفسه في مظنة التهمة في أهليته وإخلاصه عندما يرشح إلى بلد أو قرية ما، وهو يرفض الذهاب بحجة أنهم لا يوفرون له مطالبه وقد لا تجمع له الهدايا عندما تنتهي فترة بقائه في الجهة التي بعث إليها. ومنهم من يسأل كم سأعطى قبل أن يرضى بالقيام في مجلس تفسير في رمضان إذا بعث إلى بلد أو قرية ما. وبلغ الأمر إلى أن بعضهم يرشي المسؤول عن الترشيح ليبدل اسمه بغيره ليختار المكان الذي يجمع فيه الثروة والهدايا، ولا شك أن هذا يضاد الإخلاص ويدخل الرياء في عمل الدعوة الذي يقوم به ويطغى هواه على مراد الله تعالى من الآيات التي يفسرها رغبة لما يجد من الناس من عرض الدنيا. فعلى الجمعيات ومنظمات الدعوة إقامة العدل والتسوية بين عمّالهم في ساحة الدعوة والإقتراع عند تسيير الوعاظ والخطباء والمفسرين لأمثال هذه المهمات الدعوية ما دامو يملكون طاعة عمالهم وعلماءهم وأن لا ينسو كذلك تقدير الظروف وتحمل أعباء الدعاة عندما توكل إليهم أعمال تحول بينهم وبين كسب المعيشة.

ومن الأمور التي تساعد الداعية على الإخلاص:

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة صحيح البخاري ، باب كيف كان بدء الوحي رقم: ١ المرجع السابق

^٢ سورة فصلت، الآية ٣٣

- أن يقصد الداعية بعمله وجه الله تعالى دون سواه ويطهر قلبه من الرياء والسمعة والشهرة والسعي لمدح الناس ويحاول أن يبعد نفسه عن مواطن المديح والإعجاب بنفسه.
- أن يستوي عنده المدح والذم فيكون سواء عنده ذمه الناس أو مدحوه فلا يعجب بمدح ولا يضيق لذم ولكن يتساوى عنده الأمران، فلو لم يكن لعمله قيمة لدى الناس فلا يبالي لأنه يبحث عن القيمة الحقيقية عند الله تعالى فيحقق بذلك الإخلاص بمعناه الحقيقي ويخلص النفس من التدني لانتظار مدح الناس وثنائهم. فهذا من أهم ما يساعد على الإخلاص في القول والعمل.
- لابد أن يعلم الداعية أن كل أعماله بتوفيق الله تعالى له، فلو قدر الله له أن لا يفعلها فلن يستطيع أن يفعل منها شيئاً، فليس للإنسان فضل في أعماله بل يدرك أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.
- لا بد للداعية أن يدرك أنه عبد لله سبحانه وتعالى ولا ينتظر من سيده ومولاه مقابلاً ولا عوضاً لطاعته وإنما يتكرم ويتشرف لمجرد أنه عبد لله تعالى فحقيقة تحقيق العبودية لله تعالى هي العمل لله خالصاً من غير أن يرجو الإنسان مقابلاً لعمله.
- أن يعلم الداعية أنه مقصّر بحق الله تعالى مهما فعل، فمهما عمل الإنسان من الطاعة لله فهو مقصّر لم يوف الله حقه وهذا الشعور يدفعه للإخلاص لله ومراجعة نفسه مراراً والسعي أكثر إلى العمل في سبيل الله مخلصاً النية لله تعالى.
- أن يسيئ الداعية الظن بنفسه فيعتقد أن عمله شابه الخلل والنقص رغم بذله الجهد وسعيه الدؤوب، إلا أنه لم يحسن العمل كما يجب عليه فهذا يساعد على تحقيق الإخلاص لله.
- أن يخشى الداعية من عذاب الله ومقته وغضبه ويتذكر دائماً البعث والحساب فهذا مما يدفعه إلى تصفية نيته وتنقية سريرته، فمعرفة الإنسان وبقينه بالآخرة يجعله متعلقاً بمن بيده مصيره إما إلى جنة وإما إلى نار.
- أن يتذكر الداعية الموت لأنه أكبر واعظ وأهم مذكّر بالله فلو وضع الإنسان نصب عينيه الموت مصيراً محتوماً لا بد منه، تحقق لديه الإخلاص من قلبه وترك التعلق بمكاسب دنيوية زائلة بل يكون التعلق لديه بحياة مابعد الممات، وهي الحياة الحقيقية.
- أن يكثر من الأعمال الخفية التي لا تظهر للناس فذلك أدعى لإخلاصه لأن الناس لا يرونه ولا يعلمو به فلن يلقي منهم مدحاً أو ثناء يشوب إخلاصه بشائبة، وله أن

لا يحدث الناس بعمله مهما كان عظيماً، فلا فائدة في إخفاء العمل في الليل والتحديث به في النهار.

● الإلتجاء إلى الله والدعاء بأن يرزقه الإخلاص في القول والعمل. فالدعاء سلاح المؤمن، والدعاء يجلب الخير ويبعد الشر فينبغي للإنسان أن يدعو الله تعالى أن يرزقه الإخلاص في أقواله وأفعاله وأن يجنبه الرياء والسمعة وأن ينزع مهابة الناس من قلبه.

● أن يعوّد نفسه على الطاعة بحيث تصبح الطاعات جزءاً من حياة الإنسان فلا تكون الطاعة لديه أمراً موسمياً يتغير ويتبدل باختلاف الحال.

٢. النصح لكل مسلم:

روى تميم الداري عن رسول الله ﷺ " الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" ^١ فمما عمت به البلوى في بلادنا كثرة الأحزاب والجماعات الإسلامية مما أدى إلى تشتيت جهود المسلمين ويصعب في غالب الأحوال توحيد كلمتهم لطغيان بيعتهم لجماعتهم فوق الإلتزام إلى الإسلام فهذا يتهم عقيدة هذا وذاك يكفر ذلك ويؤثر ذلك سلباً على المجتمع وانتمائنا للإسلام. فالسني السلفي لا يسلم على الصوفي وبالعكس ولا يجمعهم مجلس ولا يحسنون الجوار بينهم ولا يتعاملون حتي في المصالح الإجتماعية من حيث حماية الصحة وإصلاح الطرق وحفر جداول وجلب المنافع من قبل الحكومة الى حيهم مادام الذي ينتفع به من الجماعة أو الحزب الثاني ويحدث كل هذا بين صفوف المسلمين مع أنهم محاطون بأهل ملة أخرى وربما يأخذهم الشجار إلى المحاكم حيث يتولى على قضيتهم نصراني أو أهل ملة أخرى فيفضحان بعضهما بعضاً امامه ويذكرون أشياء من الأسرار ما لا ينبغي أن تكشف أمام غيرهما ، فهو يذكرها مثلاً لأهل ملته حين يجتمعون في معابدهم. وللأسف، العلماء والدعاة يرون ويسمعون هذه الفضائح فلا تحركهم الحمية ولا الغيرة لدين الله بل منهم تأتي أحياناً كلمات تضرب بعض المسلمين بالبعض. وفقد هذا التآلف الإجتماعي بين مسلمي ولاية بلاتو وخاصة محلية جوس الشمالية وضواحيها وبقية القرى حيث نفوذ جماعة الطريقة التجانية وجماعة إزالة البدعة وإقامة السنة أدى إلى الجمود والتدهور والتنافر بين المسلمين فأدى إلى كثرة "مساجد الضرار" للمباهة والمفاخرة وكل حزب بما لديهم فرحون.

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة صحيح البخاري: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولرسوله رقم ٥٧ المرجع السابق

أما التقدم المدني والإقتصادي فلا وجود له إلا نادرا جدا خاصة منذ عودة النظام الديموقراطي في نيجيريا، فحكومة ولاية بلاتو لا تُعامل سكانها بالسوية - مع أنها تنكر ذلك طبعاً- لكن نسبة المسلمين في الوظيفة في الوزارات ومصانع الحكومة تثبت هذه التهمة. والذي يزور أحياء المسلمين حيث الأغلبية مسلمون يؤكد ذلك وعلى المسلمين أن يفتنوا لذلك وليقوموا بالأعمال الاجتماعية من رعاية الأيتام وحمل مسؤولية تعليمهم ويقوموا بالتكافل بينهم فإن أتاهم دعم من الحكومة فيها ونعمت فلا يعترتهم الجمود، ولكن العصبية وحمية الحزبية تمنعهم، والانتماء إلى الدين الواحد الذي ينبغي أن يكون عامل اجتماع كلمتهم وسبب اتحادهم أضحى هو الذي يفرقهم. والذين هذا حالهم، فكيف يطمع ان يدخل أو ينضم إليهم ويدين بدينهم أو يراهم بديلاً لغيره وحلاً لمشكلته، والحال أنه يعرف أن أهله يضيقون عليه ويسئون معاملته بل وقد يطردونه إن لم ينجحوا في منعه، فكيف يأتي إذن إلى مجتمع لم يستعد لقبوله، ومما يزيد الطين بلة أنه قد يصادف عند تلقينه الشهاداتين بأنه مسلم ذو صفة كذا فلا يصلي أو يرضي بالذين صفتهم كذا وكذا من المسلمين ، كيف يطمئن- يا ترى- على هذا الدين؟ فالحل إذن هو أنه لا بد للمسلمين في هذه الأماكن المذكورة أن يراجعوا أنفسهم ويعيدوا النظر في فهمهم للإسلام وصدق اقتدائهم بسنة رسول الله ﷺ وأصحابه. ومن يدرس حياة رسول الله وأقواله ومواقفه في العمل الإجتماعي يجده عكس أخلاق هؤلاء تماماً. ولنأخذ بعض مواقف الرسول ﷺ كأنموذج في ذلك:

١- حلف الفضول: هي اتفاقية إصلاحية عقدت في الجاهلية على نصرة المظلوم وحماية حقه وردع الظالمين عن الظلم، وقد شهد هذا الحلف رسول الله ﷺ وهو ابن عشرين وفيه قال ﷺ "لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت^١ هذا هو موقف الإسلام من أي جماعة غير إسلامية تتخصص في أعمال الخير أو نصرة المظلوم أو إغاثة المنكوبين. فيدل أن الإسلام لا ينهى أبناءه في المشاركة في الأعمال الإصلاحية مع غير المسلمين وكيف بالمسلمين؟. فإذا عمد نفر من النصارى - مثلاً- إلى ممارسة عمل خيري بحت، غير مبطن بتتصير أو معاداة للإسلام أو معاداة لنبينا ﷺ فلا بأس من المشاركة فيه، فإنه من قبيل التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله تعالى بها في قوله: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥٢﴾

^١ابن هشام: ابو محمد عبد المالك بن أيوب الحميري: سيرة ابن هشام ١٣٣/١ مرجع سابق

^٢ سورة المائدة الآية ٢

وإذا كان حال النبي ﷺ مع جماعة مشركة تخصصت في نصرة المظلوم وزجر الظالم، هو المؤازرة والمشاركة، فماذا عسى أن يكون حالنا مع إخواننا المسلمين من جماعات الإصلاح المسلمة والهيئات الإسلامية المتنوعة في شتى مناحي العمل الإنساني الخيري كالتكافل، ورعاية الضعاف وإغاثة الملهوف وكفالة الأيتام والدفاع عن حقوق الإنسان والدفاع عن حقوق الأسر في المواساة والمؤازرة بل الأولى أن تكون نصرتنا لهم أوجب ودعما لهم والمشاركة فيها أولى وأجدى، وكيف لا والرسول ﷺ يقول: خير الناس أنفعهم للناس^١ ولم يخص إيصال المنفعة إلى المسلمين فقط بل وصّى بها إلى جميع جنس الإنسان بغير اعتبار عقيدة المنتفع أو ملته، وهو الذي أرانا من حسن معاملته حتى لم يثق مشركو مكة بغيره فيمن يدخرون عنده ودائعهم، ويخلي عليها رضي الله عنه وراءه بمكة أيام الهجرة ليؤدي عنه هذه الودائع إلى أصحابها، فلو عاملهم مثل معاملة الواحد منا لأخيه المسلم اليوم مما نرى من الإساءة والظلم، لخلاف تافه أو اختلاف طائفية أو حزبية ماذا عسى أن يكون أمر عداوتهم.

٢ صحيفة المدينة: هي الوثيقة التي وضعها النبي ﷺ عند هجرته إلى المدينة المنورة للتعايش الأمني بين سكانها. دلت هذه الصحيفة بجلاء مبادئ وقواعد تحقيق العدالة المطلقة والمساواة التامة بين البشر بغض النظر عن اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأديانهم ووجود التعايش بينهم مع احترام مشاعر البعض، وأعلنت الصحيفة أن الحريات مصونة، كحرية العقيدة والعبادة وحق الأمن، فحرية الدين مكفولة: "للمسلمين دينهم وللإهود دينهم" وقال تعالى "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"^٢ ومع إقرار الوثيقة بحرية التدين، لكنها أثبتت أن يتناصر جميع أهل المدينة ضد العدو، فيها "وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم"^٣ فمن تأمل هذه المادة يري بوضوح أنه لا بأس بالتحالف في الأعمال الاجتماعية مع من تختلف عقيدتنا معهم أو ملتنا ناهيك عن من كان اختلافنا فقط في المذهب أو بعض فروع الدينية

^١ رواه الألباني، في السلسلة الصحيحة، عن أبي هريرة، الرقم: ٤٢٦، إسناده حسن

^٢ سورة البقرة، الآية ٢٥٦

^٣ ابن هشام: أبو محمد عبد الماك بن أيوب الحميري: سيرة ابن هشام (ج ١ ص ٥٠٤) المرجع السابق

٣. التزين بالأخلاق الحميدة:

قال أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله تعالى:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت **** فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فالأمة التي تلتزم بأصول الأخلاق الإسلامية لاسيما في احترام الخلاف وملازمة المنهج النبوي في المعاملات و في حل ما شجر بينهم بالحجج والبراهين عن طريق اقناع الخصم بالأدلة والمجادلة بالتي هي أحسن والشفقة لحالهم وعدم تجريح شخصية المخالفين أو سب مشاعرهم وعدم الإغراق في الجزئيات وبذلك تضحى مؤيدة منتصرة ماضية علي المحجة البيضاء على مسلك الأنبياء وسبيل المجددين والمربين، تلك المحجة التي ترعرع فيه المسلمون الأوائل في محاضن دار الأرقم بن أبي الأرقم.

فما تربى عليه الصحابة الكرام من النبي ﷺ - وهي كثيرة- إكرام الجار والإحسان إليه وتفقد حاله وإيثاره على النفس، وموقف الإسلام من الجار أوضح من الشمس في ضحاها وكتب السيرة حافلة بذكر معاملة النبي ﷺ مع جيرانه، ومن حثه على إكرام الجار، قوله ﷺ "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"^١ ومنها قوله عليه الصلاة والسلام "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قلنا من يا رسول الله قال من لا يأمن جاره بوائقه"^٢ ومع ذلك فإن الهوى يغلب على بصيرة بعض الناس فيفرضون في تطبيق بعض أدلة الكتاب يفرضون في معاملة الآخر، وهذه المعاملات السيئة ناتجة من مجرد اختلاف في فهم بعض فروع الأحكام مما يسميه الفقهاء بـ"ترك الأولى" كتفضيل قبض اليدين في الصلاة على السدل[إطلاق اليدين في الصلاة]أو مفاضلة التسليمتين على تسليمة واحد وبقية سطحيات من الأمور من اختلافات التنوع، فمن أجلها تجد الجار لا يسلم على جاره ولا يشهد جنازته ولا يمشي لتعزيتة إذا توفي له أحد، فضلا عن إعادته إذا مرض أو إجابة دعوته إذا دعاه، بل أصبح معيار المعاملة البحث عن المسجد الذي يصلي فيه حاره فإن كان ينتمي لجماعته عامله وإلا فلا تعامل دينية بينهما.

حتى تنطفئ نار العداوة والبغضاء ويرجع المسلمون إلى دينهم ووعدهم فإن منهج الصحابة الذي نريد إعماله لا ينجح في مثل هذه الأماكن. وهنا يأتي دور العلماء

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة صحيح البخاري، رقم ٦٠١٥ المرجع السابق

^٢ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة صحيح البخاري، رقم ٦٠١٦ المرجع السابق

ومسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، باب بيان تحريم إيذاء الجار، رقم ١٨١

الربانيين من الدعاة والوعاظ والأكاديميين والمعلمين والمربين الذين لم يعطوا ولايتهم لأي حزب ولا جماعة سوى الله ورسوله ﷺ فهم الذين يتصدون بالحق ويقومون عليه بلا خوف ولا حياء ويبدو المستقبل مليئاً بالأمل بوجودهم وبظهورهم في المجتمع. فإذا كان هناك تنسيق وتعاضد بين هذه الفئات مع اختلاف اتجاهاتهم مع التخطيط الملائم فالنتيجة تكون أطيّب وأوثق.

فهذه الشروط إذا توافرت في مسلمي ولاية بلاتو فإن منهج الصحابة ينطبق عليها وتعطي أفضل نتيجة بأقل تكلفة، ويكون الإسلام وأخلاق المسلمين هدياً للعصاة ومن ليسوا مسلمين. وكشفت الدراسة التي قام بها الباحث عن تأثير المسلمين على المسيحيين الوثنيين الذين يعيشون حولهم أو بينهم، أن من يدخلون في الإسلام يقلّون عن عشرة في السنة (ذكورا وإناثاً) في مدينة جوس التي تركز فيها هذه الجماعات الدينية مثل صوفية التيجانية وجماعة إزالة البدعة وإقامة السنة بقسميها (أ - ب) إنما يدخل الداخل في الإسلام غالباً عن طوع نفسه لا عن دعوة، من إحدى هذه الجماعات، إلا أن من ضمن الإناث اللواتي يسلمن كانت رغبة في الزواج من عشيقهن من شباب المسلمين أو بسبب ما رأيته من احترام الإسلام للمتزوجات من حيث تحمل البعل مؤونة زوجته من طعام وكسوة وسكن خلاف ما يعرفن من دينهن السابق. فجهد الجماعات في حمل الدعوة إلى غير المسلمين ضعيفة جداً، وطيلة فترة هذا البحث لم أسمع ولم أر أي جهد نحو هذا، علماً بأن أكثر من ٦٠ % من سكان ولاية بلاتو وثنون أونصاري، ولم يكن هناك أي حاجز إداري على الدعوة بين الطرفين، وأنه ليس للمسلمين برامج تلفزيونية عن الإسلام تبث إلا في يوم الجمعة فقط وهي أقل من خمسة برامج في محطتي [National Television Authority NTA] و[Plateau Radio Television Corporation PRTVC] ومضمون هذه البرامج في كثير من الأحيان لا تعالج قضايا حساسة معاصرة تمس حياة المسلمين وحتى غير المسلمين في معرفة حلول اسلامية عن بعض المستجدات المعاصرة.

أما علماء المسلمين فقصرّوا عملهم على الوعظ والردود على البعص والتناذب بالألقاب من تبديع أو تفسيق أو تكفير بدلاً عن دعوة من حولهم من الكفار إلى الإسلام، ونشر دعوة الإسلام إلى الريف والقرى النائية والمجاورة. وفي نفس الوقت يتقوى نفوذ الشيعة بين أيديهم عن طريق استمالتهم الشباب بزواج المتعة وإغرائهم بالأموال والشبهات في حق أهل البيت إلى غير ذلك من الاستراتيجيات التي يستعملونها وخاصة في الريف والقرى البعيدة عن المدن حيث يتركز العلماء.

ويجدر الإشارة إلى جهود جبارة من أفراد الدعاة مع مساعدة بعض المتبرعين بأموالهم، يخرج هؤلاء الدعاة بين وقت وآخر إلى القرى والريف للدعوة يقول أحدهم وهو الذي يرأس الفرقة: "لما بدأت الاشتباكات في ولاية بلاتو بين المسلمين من جانب والمسيحيين من جانب آخر بدعم من الحكومة على الجانب الثاني، كنت من الذين تبرعوا لتوعية المسلمين في سجن جوس فرأيت عدد المسلمين فيمن القي القبض عليهم مذهلة، وهناك يوم وصل فيه العدّ إلى ٥٢٥ مسلم إلى السجن... فمن السجن تهيّجت لعمل الدعوة فاتجهت نحو الشرق..... بدأت التنقل في القرى والريف بعد الاضطرابات الأولى في جوس وهذا في سنة ٢٠٠٥م تقريبا وتابع هذه اضطرابات هدم شعائر الإسلام في بعض الريف ومنها قرية تدعى "فوبر" أعيد بناء أحد المساجد المهدومة في القرية في موضع آخر على نفقة امرأة تدعى حاجية لادي فلما سمعت بهذا الجهد من هذه المرأة زرت المكان ومن ثم تعرفت على بعض مطالب المسجد من الفرش وغيرها فأحضرت لهم خمسين حصيرا على نفقة بعض المصلحين وصلينا الجمعة ثم أقمنا الوعظ في هذا الموضوع : الالتزام بالدين وأسس، وبعد مغادرتنا أرسل إلينا أن أسرة ذات اثنتي عشر نفرا أرادوا الدخول في الإسلام فرجعنا إليهم ولقناهم الشهادتين وهذه أول نتيجة سجلناها، ثم قدّمنا للأسرة بعض الآلات الزراعية التي تساعدكم ويقوم عليها معاشهم، فتابع بهذا الكرم إسلام غيرهم.^١ وهذا النجاح صار مشجعاً لمتابعة أعمال الدعوة والجولة في الريف المجاور للدعوة وبناء المساجد والمدارس فيها وأبرز الأماكن التي زرناها وتركنا فيها بصمات وآثار في ضواحي جوس الشرقية - فادن فوبر وكددو وجرجي الخ...^٢ وأكبر التحديات - كما يذكر الرجل- في هذه الأماكن هي بعد العلماء عنهم وفقد من له إمام بالدين من حيث تعليمهم الإسلام أو من يقيم فيهم الصلوات، وما أكثر الأوقات التي لا تصلى الجمعة فيها لعدم وجود إمام يؤمهم فيها. والأمصار مليئة بالعلماء والوعاظ، فلا يجد أحدهم إلا محاولة إشعار الثاني بوجوده عن طريق المجادلة والخوض في مسائل قد أفنى السابقون البحث عنها وقتلوها بحثا، والحال أن الجماعة في الريف يطلبون من يعلمهم أساسيات دينهم ويفقههم في دينهم وبجانهم جماعة من غير المسلمين مستعدين لتقبل الإسلام، لكنها لم تجد من يستجيب لهم أو يسمعهم حتى خمد صوتهم، ونفس الأمر في القرى المجاورة بشندم وكنم وباركن لادي وبانكشن ومنجو. هذا واحد من الأمور الذي انكشفتها للباحث خلال العمل في هذا الموضوع وقد عمل تنسيقا مع بعض الإخوة للقيام بالدعوة في أماكن نائية في القرى، والنتائج ماشاء الله سارة إلا أننا نرى أنه بالتمويل المناسب يكون إقبال الناس

^١ حوار مع مالم بابن باب، الساكن في ريكوس جوس له من العمر نيف وخمسين. يوم الأحد ٢٠١١/٠٢/٢٥

^٢ المرجع نفسه

إلى الإسلام أكثر، هذا لا يدل على أننا نمشي ونوزع عليهم الأموال لا، لكن القائمون بأعباء الدعوة بحاجة الى دعم لتسيير الأمور ولمتابعة العمل حتى لا ينقطع.

وإذا كانت غاية إنشاء الجمعيات والمنظمات الدعوية هي القيام بالدعوة وفق ما فعله سلف هذه الأمة، وهم موجودون ولا زالوا فيبقى الإنسان إذن متحيراً سائلاً نفسه ماذا كان يشغلهم وماذا يعملون؟، فلو تحملت هذه الجمعيات والمنظمات بأعدادها الكبيرة إرسال المعلمين على التعاقب في كل أسبوع أو أسبوعين أو ما يقارب ذلك لكان نفعه على الأمة عميماً ولازدهر الريف والقرى بتعاليم الدين، ولزاد عدد المسلمين بالعشرات بل بالمئات في بلاتو ولقاوموا شبّهات الشيعة وقمعوا نفوذهم بين أهل القرية والريف. فهذه صيحة إلى كل من له أدنى همّ بالدعوة أن يصحوا من النوم والغفلة المنسية وليأخذوا أمر الدعوة بالجد ليحفظوا جيلنا والأجيال بعدنا من الضياع والهلاك.

ويفرح القارئ أن جهود الدعاة الذين ليسوا تحت الجمعيات والمنظمات في القرى المجاورة والنائية يدخل الناس بسببهم الإسلام أكثر مما نسمع ونرى من الدعاة الذين قصّروا دعوتهم داخل المدن والمعمورات، فالأول جمعوا مع الدعوة الوعظ والإرشاد وصرف أموالهم في سبيل الله حينما اقتصر الثاني على الوعظ والإرشاد، بين اخوانه المسلمين وعليه تصرف الجمعية أموالها من حجز الفنادق وتضمين بدل سفره، ما إلى ذلك، وقد يجزم بعضهم بما سيأخذه كبذل قبل أن يقيم محاضرة أو يجيب دعوة أو يلقي درساً، فجهود الدعاة المستقلين أشبه بذلك الذي قام به الصحابة، فمصعب على سبيل المثال أرسل إلى بلد بعيد عن مهده فلم يتوانى ولم يتلثم وخرج إلى مهمته بهمة عالية فأتى بنتيجة باهرة. وثبت ابن مسعود في الكوفة فأثبت فيها مدرسة التفسير. فالباحث في هذا المقطع لا يعني أن إقامة الوعظ والإرشاد بين المسلمين غير مهم لكن أهم منه الآن حمل الدعوة إلى غير المسلمين في دورهم وأماكنهم، فإن منظمات المسلمين تصرف في الأسفار الدعوية بين المسلمين أموالاً لو صرفت في أوساط غير المسلمين لأنت بهم إلى دائرة الإسلام جميعاً. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ

طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾^١

^١ سورة التوبة، الآية ١٢٢

وفي الفقرات القادمة بيان امكانية تطبيق منهج الصحابة في الدعوة استرشادا بالصحابيين عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير رضي الله عنهما على واقع ولاية بلاتو. ويكون التطبيق على النقاط التالية:

أ. **الجرأة على الحق وقوة الشخصية:** يشترك كل من عبدالله بن مسعود ومصعب بن عمير في هذه الصفة وهو مما أكسب دعوتهما القبول، ذلك بأن الجرأة تحمل صاحبها على اقتحام التحديات وركوب المخاطر من أجل الوصول إلى الأهداف والغايات المنشودة فهي صفة مهمة في الداعية فجرأة ابن مسعود في الصدع بالقرآن في مكة بعد نبي الأمة بالقرآن وهو لا بعباً بما عسى أن يحدث له، مع أنه متيقن أن قريشا لا يتركونه يجاهرهم به، وهو واثق بربه أنه على سبيله يخاطر مقتنعاً بقوله تعالى: قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

وبجانب آخر يثبت مصعب أمام تهديد سيد بني عبد الأشهل ثبات المؤمن الواصل بموعود الله وهو واقف عليه بحربته ويقول له مصعب: "أوتجلس وتسمع فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلت وإلا كففتنا عنك ما تكره"^٢ فهذه الجرأة أثرت في قلب سامعه فقال لقد أنصفت، ففعد إليه وحدثه عن الإسلام فأسلم في حينه. وما أكثر المواقف التي تتطلب من علمائنا وقادتنا أن يجرؤوا بالحديث فيها ولكنهم لم يقدرؤ على ذلك، فكم يعتدى على أعراض المسلمين، وكم يمنع المسلمون من حقوقهم ولوازمهم، فلم ينطق أحد منا، ولم يتجرأ على الكلام حتى على منابر الجمعة الا النادر القليل، هذا لا شك أنه من أكبر تحديات الدعوة في بلاتو، وطبعاً لا ندعو للخروج على الحكام، مع أن لكل قاعدة استثناء، وهي قضية للعلماء أقوال فيها ليس هنا محل بثها مع ما لكلمة الحق من وقع على السلطان الجائر، يقول النبي ﷺ: أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر^٣ هذا لأن ظلم السلطان يسري إلى جم غفير فإذا كفه فقد أوصل النفع إلى خلق كثير، فإنكار منكر السلطان الظالم الذي لا تعود للدين منه منفعة ولا يزيل منكراً وقد يترتب عليه قتل المنكر أو إيدائه فالأولى لدى العلماء تركه، أما إذا ترتب على الإنكار مصلحة إعزاز للدين ونصرته كما حصل مع

^١ سورة التوبة، الآية ٥١

^٢ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: السيرة النبوية، (ج٢/ص١٨٣) المرجع السابق

^٣ الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، رقم ٢١٧٤

غلام أصحاب الأخدود^١ الذي كان قتله نشرا للدين ونصرا له، وثبات الإمام أحمد بن حنبل في محنة خلق القرآن، فالجراءة والثبات في مثل هذا الحال محمودة وإلا فلا. وهذه الصفة أدت إلى ارتقاء سمعة كثير من الدعاة عبر العصور ونعترف بمواقف بعض مشاهير الوعاظ في ولاية بلاتو في الصدع بالحق ومطالبة الحكام وأولياء الأمور بإقامة العدل والقسط بين رعيتهم وكف الجور عنهم فزادهم ذلك رفعة بين طلابهم وأتباعهم وأوقفوا بذلك الظلم عن عباد الله. فللجراءة جاذبية في الإنسان تجعل الآخرين يحبونه، فالناس لا تحب المترددين ولا الفاشلين ولكن ينجذبون نحو الذين يعرفون عنهم ماذا يريدون ويتوقعون الفوز. فالحماسة والديناميكية بوسعهما أن يجعل الآخرين يحبون السماع منك وربط الصلة بك، وهذا ما أبداه مصعب في يثرب، وبين غمضة عين وانتباهتها التفت الناس حوله وسمعوا له، وأضف إلى ذلك تمكنه فيما يحمله من القرآن مع حسن استشهاده بالنصوص وقوة إرادته في مخالطة الناس وإقناعهم مع ترك المجال لهم لطرح الأسئلة والصبر على سفههم وجفائهم. وجماع ذلك كله، شعوره بالمسؤولية وأنه الأولى وأحق بالعمل من غيره. فكل من الصحابييين أظهرنا ذلك في مواقفهم، فابن مسعود عندما انتدب لقرع مسامع قريش بآيات الذكر الحكيم قال له أصحابه "إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلا له حسب وعشيرة تمنعه"^٢، لكنه لا يظن أن هناك من هو أولى بالموقف منه رضي الله تعالى عنه.

وهنا قول بعض الدعاة في ولاية بلاتو عن المخاطر التي في عمل الدعوة: سئل أحدهم عن أهمية صفة الجراءة لدى الداعية فقال: الجراءة والثبات على الحق لازمان من لوازم صفات الداعية الناجح فالذي لا يقدر أن يبدي رأيه في قضية وهو يرى وجهة نظر أخرى غير الذي يراه ممن هو أشهر منه فليس جريئا وليس له ثقة بنفسه فمن ثم لا يصلح لقيادة الناس. واستمر قائلا "تبرعت بعمل الدعوة في سجون جوس في ولاية بلاتو وغيرها من الأماكن قرابة عشرين عاما وأخطر أوقات عرفتھا هي بعد اضطراب الأمن في البلد وطريقنا إلى البوادي والقرى التي نمشي إليها للدعوة عبر بلاد الأعداء ومع ذلك نستعين بالله ونمشي لطمع في إسلام الذين نمشي إليهم"^٣ وقال يوسف غربى- أمين لجنة شباب الدعاة التابعة لجماعة إزالة البدعة وإقامة السنة "قد لا يستطيع الإنسان أن ينزل في ساحة من ليسوا على دينه ولا تجمعهم قبيلة في أوقات الاضطرابات التي تتخلل الأمن في بلاتو

^١ راجع تفسير قوله تعالى: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿١٠﴾ سورة البروج الآية الرابعة

^٢ خالد محمد خالد: رجال حول الرسول، (ص ١٨٢) دار الفكر بيروت، المرجع السابق

^٣ حوار مع مالم بابن باب ٢٥ / ٢٠١٨/٠٥ مرجع سابق

إن لم يكن الداعية واثق بعمل الدعوة جريئ في نفسه" وقال آخر "الدعوة ليست عمل الجبناء ولا الكسالى الذين لا يثقون بأنفسهم، ألا ترى الأنبياء يبعثون إلى أقوامهم فرادى فلولا الثقة بما يحملون من الهدى والبرهان لما أطاقوها" وهذه أقوال الخبراء ذوي التجربة في ميادين الدعوة.

ولا يكفي في عمل الدعوة الجرأة فقط بل لابد من تمام المعرفة بالرسالة التي يحملها الداعية، وهذا الذى يسميه الباحث بالتمكن في العلم.

ب. **تمكن الداعية في العلم:** لتطبق منهج الصحابة في الدعوة تطبيقا عمليا في ثلاثين يلزم الدعاة والوعاظ والمرشدين أن يعدوا أنفسهم بالركائز القوية من العلم والمعرفة، يقول ابن القيم الجوزية " ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد على العلم بما يبلغ والصدق فيه لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق فيكون عالما بما بلغ صادقا فيه ويكون مع ذلك حسن الطريقة مرضي السيرة عدلا في أقواله وأفعاله متشابها السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله"^١ فالعلم اسم جامع لما يدركه العقل ويعيه، وليس مجرد ذخيرة المعلومات هي العلم، فلا بد أن يصحبه الأدب والحكمة ويتلوه الأناة. ومن معنى التمكين في العلم، الوعي والتثقف بحيث يعيش الداعية عصره ويفهم مصطلحات زمانه وحضارتها. بذلك يؤثر فيهم كلامه ويعيش مع حاضره ويشوقهم إلى الإزدياد من حديثه، وخاصة وهو يستشهد بالأدلة والأمثلة المناسبة لما يرشدهم اليه. فحري بالداعية أن يثق بما يقوله لسامعيه وأن تكون له القدرة على الدفاع عن كلامه متى ما طلب منه ذلك. فهذا مصعب يقرع قلوب الأنصار بالأدلة المقنعة فما وجدوا مناصا سوى استسلامهم للحق فما لبسوا أن لقبوه بـ"المقرئ" كما أن عبدالله بن مسعود طفر بتزكيته بإتقان القرآن فحق له أن يتحدث عن فضل الله عليه في ذلك حيث يقول: ما نزلت من كتاب الله أية إلا وأنا أعلم بها، أين نزلت، وفيما نزلت؟ ولو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله تناله المطايا لأنتيته^٢

فالدراية من لوازم العالم الداعية فليس من خلاف بين طبيعة المسؤولية المنوطة برسول الله ﷺ والمنوطة بالصحابة والعلماء من بعدهم. فالعلماء ورثة الأنبياء وهم خلفاء الرسول ﷺ في أقوامهم فالأول يدعو بدعوة جديدة منزلة عليه من الله تعالى وهذا يدعو بدعوة

^١ ابن القيم الجوزية ، اعلام الموقعين عن رب العالمين
^٢ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص ٣٠٤/١) مرجع سابق

الرسول الذي بعث إليه. فهو يبلغ عنه وينطق بلسانه. فمبنى هذا الدين - بما فيه من عقائد وأحكام- إنما هو على أساس العلم و المعرفة واليقين والعقل والفكر والمنطق. فإذا كان الداعية يشترك مع الرسول ﷺ كمكلف بالدعوة فيلزمه أن ينضبط بأعلى سمة من رسالته وهو العلم، وابتدأت رسالته بأمره بالقراءة في قوله تعالى: أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾

وثناه بأمره بالتقرب إلى خالقه بمناجاته في الخلوات في قوله يَأْتِيهَا الْمَزْمِلُ ﴿٢﴾ فَمُ اللَّيْلِ

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣﴾

ثم ثلثه بأمره بالدعوة إلى ما تعلمه فقال: يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿٤﴾ فَمُ فَأَنْذِرْ ﴿٥﴾ فالداعي الواعي الذي يروم النجاح لا بد أن ينضبط بهذه المراحل أو العناصر الثلاثة.

وضروري للداعية والواعظ المرشد، العلم والمعرفة بالحال والمحل الذي يقيم فيه الدعوة، وذلك له أثر إيجابي قوي في عمله، فما بعث نبي الله ﷺ معاذًا إلى اليمن حتى أخبره بالأمرين قال ﷺ: إنك تأتي قوما أهل كتاب" وأخبر الصحابة عن أهل مصر قبل أن تفتحها "إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما"١، وعلى هذا المبدأ بعث أبا ذر إلى قبيلته غفار والطفيل بن عمرو إلى قبيلته دوس واستأجر ابوبكر عبدالله بن الأريقط (وكان مشركا) ليدلهما على الطرق الخفية إلى المدينة بعد أن اطمأننا إليه في يوم الهجرة العظيم. كما استعان مصعب بخبرة أسعد بن زرارمة للقيام بأعباء الدعوة في يثرب.

ومن العلم الضروري للداعية، فقه الأولويات وترتيب الأهم قبل المهم وذلك من وصية رسول الله لمعاذ فرتب له الأمور على المراتب: إنك تأتي قوما أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم

١ سورة العلق ، الآية ١

٢ سورة المزمل ، الآية ١-٢

٣ سورة المدثر، الآية ١-٢

٤ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، رقم ١٥٨٦

٥ مسلم بن حجاج: صحيح مسلم، باب وصية النبي بأهل مصر رقم ٦٦٥٧

واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب"^١ وعلى هذا لا بد للمرشد أن يعرف أن الخطأ لا يصوب في جلسة واحدة لانه يصعب لمولع بمعصية أو بدعة ما، أن ينخلع عنها لحظة إرشاد المرشد، وعند تغيير المنكر أيضا ليحذر المصلح أن لا يترتب على إنكاره المنكر مفسدة أكبر أو متساوية للتي يريد إزالتها، فيلزم التفكير وتقدير عواقب الأمور قبل الوقوع فيها. فدفع المفسدة مقدم دائما على جاب المصالح فالذي يذيع الدروس أو المواعظ المسجل في الأشرطة في مكبرات الصوت بين أذاني صلاة الفجر في بعض المساجد في بلاتولا شك أنه أضر حيث أراد افضلاح، ونذكر بأن ذلك قد أدى إلى اشتباكات بين أنصار ذلك ومعارضيه من المسلمين أنفسهم من سكان جوس، وردة فعل من المسيحيين أنهم أيضا استعملوا نفس الطريقة ونفس التوقيت فأدى ذلك مع سوء الفهم الذي كان موجودا بين القريقين وأسباب أخرى إلى الفتن والافتتال التي شهدتها الولاية عبر السنوات الماضية ولا زالت آثارها باقية. والأمر الآخر هو أنه ينبغي انتخاب الأشرطة التي تذاغ حتى وإن كانت في أوقات مناسبة، لأن المناسبة التي من أجلها قد أذيعت قد لا تتناسب مع البعض وما كان صالحا لمكان قد لا يعمل في آخر، فخطاب القرآن في العهد المكي مثلا يختلف عن الخطاب المدني، وحتى في بعض أساليبه، وهذا لا يدل على أن الوعظ أو الكلام ينفع فقط في مكانه، لكن خطاب العامة قد يختلف عن خطاب الخاصة وما يخص المسلمين قد لا يتناسب مع غيرهم خاصة في بيئة مشكلة بملل مختلفة، وخطاب العامة له أدبه ومبدؤه وهذا هو دور الحكمة وحسن اختيار نوع الخطاب.

ومن المسائل ذات الصلة اختيار نوع الخطاب وإلزام الخطيب بإلقاء خطبة الجمعة بالعربية مع أن ٩٠% لا يفهمون العربية، هذا أحد ما عمت به البلوى في نيجيريا، وولاية بلاتو بالأخص، مع ما فيها من كثرة المساجد إلا أن أكثر الحاضرين لا يرجعون بشيء من الفائدة من خطبة الإمام غير أجر الإستماع، والمتأمل في جوامع الجمعة يرى الحضور ضئيلاً إلا في اللحظات الأخيرة قبل إقامة الصلاة لأنهم يرون الخطبة لا تعنيهم إذ هي ليست بلغتهم. ويترجح القول بالجمع بين العربية ولغة السامعين في الخطب لأن المراد من الخطبة أن يصل الإنذار والتبشير إلى السامعين، فإذا تعذر الفهم عُدمت فائدة الاستماع، فجازت أن تكون الخطبة بلسان الحضور أو على الأقل أن يترجمها الإمام بعد إلقائها بالعربية، فالخطبة بالعربية ليست مقصودة لذاتها، بل المقصود ما فيها من تعليم وتوجيه وإرشاد للمستمعين لها، فلا يشترط كونها بالعربية وفي إلزامهم بتعلم العربية مشقة كبيرة عليهم قد لا يقدرّون عليها، وقد تكون سببا في صدهم وإعراضهم عنها كما هو الحال، كما

^١ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، رقم ١٥٨٦ نفس المرجع

أنه لا يلزم من الإسلام أن يكون الإنسان متقنا للغة العربية، فلا يعقل بعد هذا أن يمنع إلقاء الخطبة بغير العربية فتقوت فوائدها لأمر ليس في مقدور المسلم العجمي تعلمه وتحصيله.

ومن هذا المنطلق يلزم للداعية معرفة لغة القوم الذي يقوم بالدعوة فيهم قال تعالى:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠١﴾ وذلك يعين الداعية على إيصال مهمة دعوته على الوجه الأكمل. قال مالم بابن باب: كنا اذا نزلنا قرية حيث الأغلبية تتكلم بغير لساننا عمدنا إلى رجل يفهم لغة القوم فيترجم لهم حديثنا وحتى لو كان بيننا من يفهم لغتهم لا نتركه وحده يحدث القوم لأنهم يرغبون أن يسمعوا من جميع^٢ ماذا لو كان الجميع يفهم لغة القوم لكانت الرسالة أبلى وأسهل.

ومن المعينات لنيل نتيجة ميمونة في ميدان الدعوة، وهو من جملة معنى التمكن في العلم، أن يكون الداعية يحمل عقلا مثقفا يقود الأمم الواعية إلى التفاعل مع الحياة. فالفكر الواعي هو الفكر المرتكز على ثوابت معرفية تتأصل في ثناياها معطيات الإيمان الراسخ الذي يمد العقل بما يحقق سبيل التطور والإسهام الحضاري الفاعل في الحراك المعرفي والتنموي والإبداعي، وفي ظل معطيات الحياة المعاصرة التي تضاعفت فيها وسائل المعلومات وتكاثفت فيها مصادر التوثيق العلمي على نحو يدفع العقل لمعاينة بواعث المعرفة بحسب السبيل الأمثل لتجاوز حالات الجمود وتحسين روح العطاء للحيلولة دون تحلل البنية المعرفية وذوبان مكوناتها. فالداعية المثقف له في متناول يده كل ما يساعده في انجاز عمله بأسرع وأسهل كلفة، فالمثقف هو الذي يعي جميع ما حوله (ولو على صفة سطحية) ولكن بالكفاءة في علم الشرع مع معرفة بمدلولات الآيات وأدب الحوار وحسن اختيار الأولويات والفتنة بالتدرج في الأحكام. فقد تحول العالم الكبير الى ما يشبه القرية لتقارب الصلات بين الأجزاء المختلفة من العالم نتيجة العولمة الثقافية وازدهار وسائل الإعلام. فالداعية المثقف يستغل معلوماته المعرفية من جميع جوانب الحياة مع استخدام القطعة المناسبة في موضع ملائم رجاء نتيجة مناسبة. فمن تأمل الأمثلة الواردة في القرآن والسنة يراها تتناسب مع القدرة الإدراكية لدى الإنسان، حتى وإن كان بعيدا عن بيئته وليس ذلك إلا للعالمية التي تتسم بها رسالة الإسلام، صنع الله الذي أتقن كل شيء وهو

^١ سورة إبراهيم، الآية ٤

^٢ حوار مع مالم بابن باب ٢٥ / ٢٠١٨/٠٥ مرجع سابق

الذي أتى الحكمة وفصل الخطاب. وعلى سبيل المثال: عندما أخبر القرآن عن ظلمات البحر اللجي الذي لم تسبق للعرب خبرة عنه قال تعالى: **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴿٣٩﴾ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴿٤٠﴾

فتضمنت الآية مثالين أحدهما بالشيء المعروف لديهم وهو السراب والثاني غير معروفة لتدل الأولى على الثانية، وأمثال ذلك في القرآن كثيرة ومنها سرد القرآن لقصاص الأمم الغابرة وتعاملهم مع رسلهم وما حل بهم نتيجة تكذيبهم للرسل تحذيرا لهم عن تكذيب رسول الله ﷺ.

ت. التواضع والتجرد عن المصالح الشخصية

التواضع أبو الفضائل وهو الطريق لاستعباد قلوب الناس واستمالتهم، فالإنسان يذنو إلى العظمة بقدر ما يكون متواضعا وقد دعانا الرسول ﷺ للتواضع من خلال نهيه عن الكبر عندما قال " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من الكبر " التواضع كلمة مأخوذة من مادة "وضع" التي تدل على الخفض للشيء حطه يقال: وضعت بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها.

أما في الاصطلاح فقد كثرت تعريفات عدة ترجع في معناها إلى شيء واحد وهو ارتكان إلى ما هو ضد الكبر. وهو إظهار التنزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه. سئل الفضيل بن العياض عن التواضع فقال: يخضع للحق وينقاد له يقبل ممن قاله، ولو سمعه من أجهل الناس قبله^٢ وقال الحسن البصري " التواضع أن تخرج من منزلك ولا ترى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا^٣ وقيل هو انكسار للنفس يمنعها من أن ترى لذاتها مزية على الغير

^١ سورة النور ، الآية ٣٩-٤٠

^٢ ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م ، ص ٣٢٩ / ٢

^٣ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد احياء علوم الدين ، دار المعرفة - بيروت، ج ٣/ ص ٣٤٢

وتلزمه أفعالا وأقوالا موجبة لاستعظام الغير واکرامه وفي مقابل هذا الخلق الحسن
رذيلتان الكبير والذلة.

وقد نادى تبارك وتعالى نبيه وعباده الصالحين حيث قال: وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾

وقد ضرب لنا الرسول الكريم ﷺ أروع مثل في التواضع، فهو الذي خيّر ربه أن يكون
عبدا رسولا أو ملكا رسولا فاختار ﷺ أن يكون عبدا ورسولا تواضعا لله عز وجل. وهو
الذي كان أبرز صفاته ﷺ التواضع. فمن أجل صفات الداعية التواضع وخفض الجناح،
ومعرفة قدر النفس، ومعرفة فضل الرب سبحانه وعليه فإن الإنسان لولا فضل الله عليه
وتوفيقه له؟ ومن الذي هداه لطريق العلم ويسر له أسبابه، وفتح له أبواب الفهم، وأعطاه
القدرة على الحفظ؟ شطارة من نفسه؟ أو نعمة من الله؟ قال تعالى: وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ
فَمِنْ اللَّهِ ۖ فمن لم يعرف قدر نفسه، ويوقفها عند حدها، وترك لخياله العنان، قادته نفسه
حتى يعيش في الوهم، فيظن نفسه في مرتبة شيوخ الإسلام والأئمة الأعلام، فتجده يسب
ويقبح ويرد ويجرح، وربما غلا في نفسه فنال من الصحابة - رضي الله عنهم - وتسمعه
يقول: وَمَنْ أَبُو بكر و من عمر و من ابن عباس او ابن عمر؟ أليس هم رجال ونحن
رجال؟. وهذا الاغترار بالنفس والوهم أن العلم هو ما حواه الإنسان من المعرفة بدون
معرفة فضل سابقه من العلماء وأهل الفضل، والإغتناء بالكتب دون الجلوس أمام العلماء
والتلمذ على أيديهم والأخذ بظاهر الآيات دون الرجوع لمناسبات وأسباب نزولها وأسباب
ورود الأحاديث، فنجمت من فهمهم هذا فتنة تحريم كل العلوم عدا علم الكتاب والسنة،
العقلية التي سرعان من انتقل الى عقيدة المشهورة بـ"بوکو حرام" في نيجيريا. وما
أساسها إلا الإغترار بالنفس من المتعالمين الذين لا يدرون ولا يدرون أنهم لا يدرون،
فضلوا وأضلوا.

فأين أحدهم من علمنا عبد الله بن مسعود الذي يقول فيه النبي ﷺ في أول لقاء له به: "إنك
غلام معلم" ^٣ وقوله في تركيته بمهارة التلاوة " من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل

^١ سورة الشعراء، الآية ٢١٥

^٢ سورة النحل، الآية ٥٣

^٣ أحمد بن حنبل: أبو عبدالله الشيباني: مسند أحمد بن حنبل رقم ٤٤١٢ (ص ٤٦٢/١) المرجع السابق

فليقرأ قراءة ابن أم عبد"¹. أو أين هم من إمام دار الهجرة، الإمام مالك جاء عنه في "مقدمة الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم قال: قال ابن وهب: سمعت مالكا سُئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء، فقال ليس ذلك على الناس، قال: فتركته حتى خف الناس، فقلت له: عندنا في ذلك سنة، قال: وما هي؟ قلت: حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمر بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحُبليّ عن المستورد بن شداد القرشي قال: رأيت رسول الله ﷺ يَدِلُّكَ بخنصره ما بين أصابع رجله، فقال مالك: إن هذا لحديث حسن، وما سمعت به قط إلا الساعة، ثم سمعته بعد ذلك يسأل فيأمر بتخليل الأصابع. هذا هو التواضع والتجرد عن مصلحة شخصية فرفع الله بذلك ذكرهم. فليعلم الداعية أن الاعتراف بالحق فضيلة، والرجوع إلى الحق خيرٌ من التماذي في الباطل، ولأن يكون الإنسان ذليلاً في الحق خيراً من أن يكون رأساً في الباطل، فعلي الداعية التواضع فإنه أعظم رأس مال، وتأس بأخلاق السلف رضوان الله عليهم من الإخلاص والترفع عن حذوذ النفس. يقول أيوب السختياني رحمه الله تعالى ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لله².

والتجرد عن حظوظ النفس والمنفعة الذاتية تلك صفة برع فيها أصحاب محمد ﷺ وما داع يأمل النجاح في عمل الدعوة حتى يكون له حظ وافر منها فهي من أسرار النجاح فدونكم بعض الأمثلة من أعلامنا:

كان مصعب زينة المجالس والندوات على الرغم من حداثة سنه في مكة، فأى ندوة من أندية الشباب لم تظفر بظهور مصعب فيها فلا تعبر ولا تعدّ، فهو لؤلؤة ندوات ومراة شبابها. وهو الذي انسلخ من هذه كلها بعد أن حرّمته ذلك أمه وخيرته بين هذا الظل الزائل والعقيدة التي اعتنقها جديداً، فأثر الله ورسله واختار الآخرة. قال خباب بن الأرت رضي الله عنه: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله عز وجل فوق أجرتنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها وإن مصعب بن عمير مات ولم يترك إلا ثوباً كان إذا غطوا رأسه خرجت رجلاه وإذا غطوا به رجله خرج رأسه³. ترك الرتع والترّف من أجل دينه ودعوته. فمصعب علم تماماً أنه لم يُرسل إلى المدينة لطلب الجاه أو السلطة ولم يسع وراء ذلك ويشهد لذلك خروجه معهم إلى العقبة الثانية في موسم الحج فإن الأنصار خرجوا تحت قيادة البراء بن معرور وليس مصعب الذي هو المقرّي والسفير إليهم، ولم يذكر أي رواية أنه طلب أن يكون رائدهم إلى رسول

¹ - احمد بن حنبل: أبو عبد الله الشيباني: مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم ٤٢٥٥ المرجع السابق

² السفيّري، محمد بن عمر أحمد: المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ج ٢ / ص ٢١٢

³ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة صحيح البخاري، رقم ١٢٧٥ المرجع السابق

الله ﷻ. فالداعية المرتبط بالمصالح الشخصية، تضعف همته للقيام بأداء رسالته الدعوية، لعدم وجود الجرأة الكافية لديه خوفاً من أن يمنعوا عنه حاجات حياته، أو يحجبوا عنه مصالح دنياه، وعلى ذلك لا يستطيع أن يقول كلمة الحق أمامهم حتى لا يبغضهم.

فما اعتاده بعض الدعاة من الطمع والسعي وراء المنفعة الذاتية على حساب هيبة عمل الدعوة ومجازفة عمل الدعوة لنيل حظ عاجل للنفس مما سرده الباحث كعوائق وتحديات الدعوة في بلاتو مضادة لما كان عليه أعلام هذه الأمة، فحيث ترى الداعية أو الواعظ يستميل المسؤول أو الوكيل على تعيين الدعاة أن يبعثه إلى بلد اختياره لا من أجل قدرة معينة لديه أو لغلبة ظنه أنه المحق للعمل هناك، لكن لمصلحة دنيوية، ويبلغ ببعضهم إلى إعطاء رشوة لنيل غايته، وقد أدى هذا التصرف منهم إلى أن يفقد من يقوم بتفسير القرآن في شهر رمضان في بعض من الأماكن التي جرت العادة أن تقم فيها.

ويلاحظ أيضاً في واقع ولاية بلاتو أن العلماء يفضلون القيام بالوعظ خلال تجمعات المسلمين أفضل من الخروج لدعوة غير المسلمين خارج العمران، وقد يسأل السائل: لماذا؟ أو يقول: أو ليس الإثنان من أعمال البر؟ فالجواب هو أن الأول منوط بالثواب العاجل ومن الناس من تحمّل أجرة سفره وتكليف سكنه وطعامه وقد يعطى مكافأة بعد الوعظ أو المحاضرة التي أقامها حينما الثاني هو الذي ينفق ما عنده على سبيلها. فمؤسف جداً أن الجمعيات الدينية في بلاتو- لا أقول بأنه ليس لهم برامج دعوية خارج المدن لكنها الآن جامدة- لا يسمع عنها بحال في دعوة غير المسلمين لا عن طريق مباشر ولا عبر الفضائيات أو المجالات الإتصالية الحديثة إلا نادراً جداً (والأندر لا يقاس) ، وما توجد الآن هي جهود أفراد قليلة يقومون بالدعوة بين المسيحيين والوثنيين، وهنا نذكر جهود مالم بابن بابا وأعوانه، وجهود بعض الشباب الذين تعرفت عليهم من خلال هذا العمل فإنهم – ما شاء الله- يعملون عملاً جباراً في هذا المجال وجهدهم مشاهد وآثاره واضحة في مقاطعات جوس الشرقية [فادن-فوبر وجنج وكددو وغيرها] بنوا إلى الآن في كل قرية فصولاً لتدريسهم أساسيات الإسلام ومسجد يصلون فيه، ويقومون بزيارة هذه الأماكن بين وقت وآخر ويتحملون تكليف إرسال من يعلمهم من التبرعات التي يجمعونها من أفراد محسنين بشكل منطقي رائع. ولا ننكر محاولات جماعة نصر الإسلام فلهم في كل حكومة محلية مكتب يقومون فيه بمهام الدعوة ومعالجة مشكلات المسلمين وكذلك جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة، فالرجاء منهم أن يدعمو مكاتبتهم في القرى النائية بمتطلباتهم ويكون التنسيق بينهم وبين المركز أوثق خاصة في جانب حمل الدعوة إلى غير المسلمين.

ومن الإصلاح الذي تقوم به الجمعيات الدعوية، توسيد الأمور الى أهلها بحيث يتولى من له كفاءة والشعور بالمسؤولية عن أعمال الدعوة من إمامة وخطبة ووعظ وتفسير وتعليم وغيرها ويكون ذلك أيضا في التدريس في مدارسها والإشراف عليها، وليكن الاهتمام بمن يأتي بالنتيجة لا للعلاقة التي بينها وبين من يوظف، فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، وهذا هو المبدأ الذي سار عليه الإسلام منذ بدايته، قال تعالى لرسوله ﷺ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ٢٨ فتولى رجال أكفاء الأعمال لرسول الله ﷺ ومن لهم إتقان في أدائها. فما اختارا أحدا إلا وله أهلية لإنجاز المهمة، فأمر بلال بالأذان لنداء صوته وبعث معاذا إلى اليمن لفقهه ومصعب إلى يثرب لتمكنه في العلم بالذي يدعوا إليه كل هذا بدون اعتبار حسبهم ولا نسبهم، وحتى تفهم الجمعيات الدينية هذا المبدأ فإن الأمور لا تزال في قصور وتدهور.

ث. الكلمة الطيبة

إن الكلمة في حياة الإنسان لها شأن عظيم؛ فهي بوابة الخير أو بوابة الشر، وهي منطلق الأعمال الكبيرة، بل هي الوقود الأول للمعارك. والصراع الحقيقي اليوم صراع كلمة وفكرة تنتج عن ذلك أفعال وأحداث. فانظروا إلى الإعلام اليوم ماذا يصنع؟ سواء كان إعلام خير أم إعلام شر. فلا يستهين أحد بالكلمة مهما قلت، ومن أي فم خرجت، قرب كلمة أضاءت الدنيا أو أظلمتها.

قال لقمان لابنه: "يا بني، إن من الكلام ما هو أشد من الحجر، وأنفذ من الإبر، وأمر من الصبر، وأحر من الجمر، وإن من القلوب مزارع فازرع فيها الكلمة الطيبة؛ فإنها إن لم تنبت كلها نبت بعضها." ٢

فالكلمة الطيبة لها آثارها الحسنة العاجلة والآجلة على صاحبها وعلى من بلغته، فكم من كلمة طيبة غيرت مجتمعا من الشر إلى الخير، ومن الذل إلى العز، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة.

^١ سورة الكهف، الآية ٢٨

^٢ أقوال لقمان الحكيم، موقع موصوع، mawdoo3.Com، إطلعت عليها يوم الأربعاء ١٦-١-٢٠١٩

يقول الله عز وجل: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

تعبيراً منه سبحانه وتعالى عن مدى أهمية اختيار الكلمات والأسلوب المناسب للحديث، تفادياً لابتعاد الأشخاص ونفورهم، ومن هنا تبرز أهمية الكلمة الطيبة وتأثيرها الذي لا يقل عن تأثير السحر على النفس والروح، ولا يمكن حصر الكلمات الطيبة التي يمكن أن يستخدمها الإنسان في التعبير عن نفسه وعن الأشياء، وفي إبداء رأيه وتعقيبه على الأمور، وفي الحديث مع الآخرين في شتى الأمور وفي طلب الأشياء منهم، كما ويقول سبحانه وتعالى في هذا الصدد: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾

إنَّ صاحب الكلمة اللينة الطيبة يجمع حوله الكثير من الاخوة والأصدقاء والأحباب، ويرغب في قربه كافة الناس، ولو لم يكن من بني جلدتهم لكونه مصدراً للخير والتفاؤل، وبعيداً كل البعد عن البغض والمشاكل والخلافات. تُساعد هذه الكلمة على الإقناع، وتزيد من تقبل الآخرين لأي أمر صدر منه، وتعزز من الألفة ويقلل من الجدل تعكس صورة رائعة عن الشخص او الداعية وعن خلقه ودينه، وتحول العدو إلى صديق، والخصام إلى صلح، والحرب إلى سلم، والحزن إلى فرح، والكآبة إلى بهجة. وتثمر ثواباً وأجراً للداعية، ويجزيه الله به كل خير، وتندرج تحت خانة الأعمال الصالحة. ويمكن بهذا النوع من الكلمات الإنتهاء عن المنكر والأمر بالمعروف، ونشر الخير بكل سهولة وتقديم النصيحة بدون أذى وجرح في المشاعر. علماً بأنَّ الكلمة الطيبة تعكس تربية الداعية وثقافته وأخلاقه، وكلّما ارتقى الداعية في العلم والمعرفة والدين ارتقى قاموسه اللغوي، وازدادت لديه مهارة القدرة على اختيار الكلمات المناسبة

^١سورة ال عمران، الآية ١٥٩

^٢سورة ابراهيم ، الآية ٢٤-٢٥

فهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه خرج إلى المدينة داعياً إلى الله تعالى، وبينما كان جالساً مع أسعد بن زرارة جاءهما أسيد بن حضير فقال لهما: "ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان أحلامنا وتسبان الهتنا، اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته نكف عنك ما تكره، فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب بالإسلام، وتلا عليه القرآن. قال أسيد بن حضير: فوالله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! ودخل في الإسلام مكانه. ثم جاء سعد بن معاذ فقال مثل ما قال أسيد، فقالا له: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال: قد أنصفت، ثم ركز حربته فجلس. فعرض عليه الإسلام فأسلم كذلك، ثم أخذ حربته فأقبل إلى نادى قومه، فلما رآوه قالوا: نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، لقد كانت كلمة مصعب الطيبة أسرة لهذين الخيرين رضي الله عنهما حتى أسلما، ثم سمعنا كيف كانت نتيجة إسلامهما بين قومهما.

ومن هنا يجب على الداعية أن يفتن لأهمية هذه الخصلة وألا يزهد أبداً بما عنده من العلم والخير، أو يبتعد عن تبليغ الأمانة، فما يدري أين يكون؟ ومتى توتى كلمته ثمارها؟ ومتى تنثمر! فليعلم الداعية أنه يقوم بأعلى وأحسن المهام، وهي الدعوة إلى الله تعالى يقول الله عز وجل: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾^١ فعليه أن يهتم كل الاهتمام بألفاظه وكلماته لما لها من أثر في قلب خطيبه لذا يحث القرآن على الحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى: أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾^٢

ويمثل ذلك خطاب الله لموسى وهارون عليهما السلام لما بعثهما إلى فرعون قال تعالى: أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾^٣ "إذا كان هذا لطف الله مع عبد قال أنا ربكم الأعلى فماذا عسى أن يكون لطفه بالعبد الذي يقول سبحان

^١سورة فصلت ، الآية ٣٣

^٢سورة النحل ، الآية ١٢٥

^٣سورة طه ، الآية ٤٣-٤٤

ربي الأعلى؟ فحري بالداعية أن يتلطف مع المخطئين ويشفق لحالهم حتى وإن أشعرهم بذلك فلا بأس، ولذلك ضوابطه عند العلماء وليس على إطلاقه، وذلك مما يجعل الناس يلتفون حول الداعية ويتحبون إليه ويتقربون إليه ويثقون به ويأتمنونه على أسرارهم فهو بذلك يجد قلوبهم مهياة لقبول نصيحته ومواعظه. وبالتجربة قد نفع هذا الأسلوب كثيرا على مدمني المخدرات والحشاشين فقد انقلب حالهم من السيئ إلى الأسوأ لتجافي المجتمع عنهم وغلظة المعاملة معهم، فالذى يتلطف بهم يتقربون إليه وبها يدخل في أوساطهم وبفضل الله يحظى باحترامهم فلا يتركون كلامه يضرب أرض الحائط ولا يرضون أن يراهم على ما سبق أن حذرهم عنه، فتراهم يحترمونه احترام الولد لوالده، وقد عاد عدد لا بأس به منهم إلى وعيه وتركوا كثيرا من المنكرات بفضل التلطف معهم ويكون الأثر أوثق إذا صحب هذا التلاطف الإحسان وشكر الجميل الذي يصدر منهم وأشعارهم أنهم أعضاء في مجتمعهم عن طريق دعوتهم إلى الأعمال الجماعية. وهذه الفكرة واحدة من الطرق المستعملة الآن في محاربة المخدرات في أوساط الشباب في بلاتو خاصة جوس الشمالية.

والمأمل في مشكلة بلاتو ثمانية يراها متشعبة نحو الأحزاب والفرق الدينية وليس ذلك إلا لفقد الحكمة والموعظة الحسنة وطيب الكلام مع المخالفين، ومن خلال البحث في هذا الموضوع وقفنا على أشرطة كثيرة عن تناذب الفريقين خاصة بين الدعاة واتباع طريقة الصوفية التجانية ودعاة واتباع جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة، وما أكثر المساجد في جوس منعت الحكومة فيها استعمال مكبرات الصوت إلا عند الأذان والصلاة فقط. فإن من أنفع سبل الإصلاح هو عودة العلماء والدعاة إلى الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن والعودة المحضة إلى كتاب الله وسنة رسوله على مراد الله ورسوله، قال الحكيم سبحانه وتعالى: **أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴿١٢٥﴾ فالذي يستيقن أنه على الحق المبين لا يسب ولا يشتم، إنما يستدل فقط على أقواله و آرائه بما ثبت به النص ويحاول إقناع الطرف الثاني وإلزامه الحجة، وما أحسن ما قال مصعب بن عمير عندما قام أسيد على رأسه بحربته: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته نكف عنك ما تكره، فلم يملك أسيد امام هذه الملاطفة سوى أن يستجيب لطلبه، فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب بالإسلام، وتلا عليه القرآن. فأسلم مكانه، أيعجز

الدعاة في بلاتو التأسى بهذا العلم في حكمته، أليس ربح الداعية في عدد من اهتدى بدعوته واتعظ بموعظته بل أين هم من قول رسول الله ﷺ لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم^١ فكيف ينتفع بدعوتك من ليس بينك وبينه إلا اللعن والسب والشتم والتكفير والتفسيق، لا ليس حتى بالتعريض ولكن بذكر الاسم والتقبيح!. وهنا ينصح الباحث الجانبين بأن يكونوا ربانيين لا أربابا قال تعالى: وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ يقول متولى الشعراوي عن العالم الرباني: إنه حين يقول ويتكلم فإنه يكون متصفا بخلق أنزله ربّ يربي الناس ليلبغوا الغاية المقصودة منهم، فهو عندما ينقل ما عنده للناس يكون مربيا، ويدبر الأمر للفلاح والصلاح^٢ فمسؤولية إصلاح ما أفسده بعض الذين يمارسون الدعوة سابقا على كاهل الدعاة الناشئين، أن يقوموا بواجب الدعوة بنفوس طيبة ولا يسيئون أحدا ولا يتعصبون لجماعة، هذا يساعدهم في العمل الدعوي وتأمل الأمة من خلال جهدهم الصلاح. والله المستعان

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة صحيح البخاري، باب فضل من أسلم على يديه رجل، رقم ٣٠٠٩ المرجع السابق

^٢ سورة ال عمران، الآية ٧٩

^٣ الشعراوي، محمد متولى: تفسير الشعراوي- الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، نقلا من المكتبة الشاملة الإصدار الأخير ج ٣ ص ١٥٦٥

المطلب الثاني: تطبيق منهج الصجابين رضي الله عنهما في التعليم على ولاية بلاتو

أولاً: التدرج في التربية والتعليم

تصنيف الطلاب وتقسيمهم إلى مبتدئين ومتوسطين ومنتهين إلى طبقة الشيوخ المبرزين في العلم والعمل على الطرق المعروفة عند أهل العلم، وتأليف العلماء للكتب على قدر عقول كل فئة، هذا ليس عبثاً، بل جُرب من مئات السنين، ووجد أنه من أنفع الأمور، وهي جادة مثمرة، أنتجت فحولاً ممن يشار إليهم ويشهد لهم بالبراعة والنبوغ. والتدرج في التعليم - كما يراه الباحث - هو: "انتقال المتعلم من مرحلة في العلم والتربية، إلى مرحلة أخرى أعلى منها وأرفع في الحس أو في المعنى.

قد يقول قائل: إن هذه التقسيمات لا توجد عند سلف الأمة! فيقال له: سلف الأمة عندهم من الأذهان الصافية، وسلامة الفطرة، ومعرفة اللغة، ومعاصرة النصوص على وجهها ما يؤهلهم للاستنباط مباشرة، لكن الشخص الذي لا يعرف العام من الخاص، ولا المطلق من المقيد، ولا الناسخ من المنسوخ، هذا كيف يتعامل مع النصوص؟ لا يستطيع أن يتعامل حتى يتأهل؛ لأن العلم ينمو في ذهن الإنسان كما ينمو جسمه، فلا يقال: هذا شاب كامل القريحة، تجاوزوا به المراحل، وأعطوه كتب المتقدمين، لا، حتى ولو كان من أذكى الناس وأنبههم، لا بد أن يتدرج؛ لأن العلم سُلّم يُصعد عليه، حتى يصل بصاحبه إلى السقف. والذي تابع تنزلات الوحي والتربية الربانية لأتباع الرسل وخاصة خاتم النبيين ﷺ يرى منهج التدرج بجلاء من البسيط إلى العظيم ومن الصغير إلى الكبير ومن الغامض إلى الواضح ومن الأهم إلى المهم وهكذا تدرج الوحي. والأثر عن علي بن أبي طالب يقول: "حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله" ^١ أي: بما يمكن أن يعرفوه وتبلغه عقولهم؛ حتى لا يفتنوا، ولهذا جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إنك لن تحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" ^٢، ولهذا كان من الحكمة في الدعوة ألا تبأغت الناس بما لا يمكنهم إدراكه، بل تدعوهم رويداً رويداً، حتى تستقر عقولهم، وليس معنى "بما يعرفون" أي: بما يعرفونه من قبل لأن الذي يعرفونه من قبل يكون التحديث به من تحصيل الحاصل. فينبغي للمعلم والمتعلم أن يوليا هذا الأمر اهتمامهما، فلا يتلقى المتعلم العلوم جملة واحدة، ولكن يبدأ بالتدرج من المهم إلى الأهم، وقد أشار الإمام ابن

^١ البخاري: كتاب العلم (١٢٧): باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية لا يفهموا

^٢ أخرجه مسلم في مقدمة "صحيحه" ١١/١

مفلح - رحمه الله - إلى رأي الإمام أحمد بأن يبدأ الصغير أولاً بتعلم القرآن كي يتعود القراءة، فتكون كالمفتاح لغيرها: "قال الميموني: سألت أبا عبد الله: أيهما أحب إليك، أبدأ ابني بالقرآن أم بالحديث؟ قال: لا، بالقرآن، قلت: أعلمه كله؟ قال: إلا أن يعسر فتعلمه منه، ثم قال لي: إذا قرأ أولاً تعوّد القراءة ثم لزمها"^١ وقال في موضع آخر: "وأما الصغير فيقدم حفظ القرآن؛ لما ذكره أحمد من المعنى، ولأنه عبادة يمكن إدراكها والفراغ منها في الصغر غالباً"^٢. وقد أشار ابن مفلح إلى أهمية هذا التدرج في اكتساب المعرفة، فيما نقله عن صاحب النهاية قال: في معنى: إن من العلم جهلاً "قيل: هو أن يتعلم ما لا يحتاج إليه؛ كالنجوم، وعلوم الأوائل، ويدع ما يحتاجه في دينه من علم القرآن والسنة"^٣ فهو هنا لم يُنكر تعلم علم النجوم وعلوم الأوائل، إنما أنكر الطريقة التي استخدمها المتعلم؛ لأنه لم يتدرج في العلوم من الأهم إلى المهم. وهذا ما يشير إليه مالك: روي عن عبد الله بن أحمد: حدثني أبي، حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع، سمعت مالك بن أنس عاب العجلة في الأمور، ثم قال: قرأ ابن عمر البقرة في ثمان سنين^٤

يمكن تصنيف طلاب العلوم الشرعية في ولاية بلاتو إلى:

- طلاب علوم الشريعة يدرسون في المدارس الشرعية ومعاهد علمية وجامعات وغيرها
- طلاب ينتقلون بين الدهايز الموجودة والمساجد المفتوحة حيث العلماء المقيمون فيها ويتبرعون بتعليم القاصدين إليهم دون عوض إلا ما يقدمه أفراد الطلاب إليهم أحياناً من الصدقة أو الهبة. وواضح أن منهج التدرج يختلف بين الصنفين.

فالذي تدرج من رتبة علمية إلى أخرى أو من مستوى رسمي إلى آخر في المدرسة أو المعهد أو الجامعة لا بد أنه تعلم على مقرر موجود مرسوم يخضع للتدرج في التحصيل من الأدنى إلى الأعلى ومن السهل إلى الصعب ومن العام إلى الخاص والذي تخرج في هذا النوع وصار مدرسا أو مرشدا لا شك أنه ينقاد إلى هذا الترتيب في أدائه. فالمقررات في المستويات العلمية الأساسية لتكون ممثلة وفعالة لا بد أن تتابع مراجعتها بين وقت لآخر وتضيف أو تزيل ما يحتاج إلى ذلك مع مراعاة الأمور الحديثة والمستجدات. وللأسف فإن المدارس الإسلامية العربية في بلاتو ليست تحت

^١ المقدسي، عبد الله محمد بن مفلح، الآداب الشرعية (ت: الأرناؤوط)، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩ - ١٤١٩، ج ٢/ ص ١٢٠

^٢ المرجع نفسه

^٣ المرجع نفسه ج ٢/ ص ١٩٥

^٤ المرجع نفسه

أية إدارة حكومية إذ ليس لها دخل بالمدارس الدينية فليس هناك إذن أي جهة تراقب ما يدرس فيها فهي مستقلة عن تدخل الحكومة فيها. فالمدارس الابتدائية مسؤولة إدارة التعليم الابتدائي مع إدارات التعليم العربي الإسلامي بالولايات هي التي تشرف عليها كما كان الحال في ولايات شمال نيجيريا حيث المسلمون الأغلبية، وصنع التقارير بيدهم لكن الحال يختلف في ولاية بلاتو، فباستطاعة أي إنسان أن يؤسس مدرسة للتعليم العربي الإسلامي ويدرس فيها إذا تعلّم القراءة والكتابة وحفظ بعض سور القرآن، ولا يشترط أن يحفظ القرآن كله، وهو الذي يضع المنهج والمقرر الذي يراه مناسباً لتسير مدرسته عليه. والمناهج السائدة في المدارس الثانوية مناهج موحدة في معظم المدارس الثانوية، وبخاصة شمال نيجيريا، وعليها تسير المدارس الإسلامية في بلاتو وتشرف عليها لجنة اللغة العربية والدراسات الإسلامية بمعهد التربية التابع لجامعة أحمد بلو في زاريا. إلا أن هناك مشاكل لا بد من السعي لحلها:

الصعوبات في تطبيق هذه المناهج، أكثرها ترجع إلى عدم الإمكانيات المادية، وإلى عدم وجود كوادر من العلماء المتخصصين النابغين في المجال التربوي يشرفون على المناهج والمدارس إشرافاً تاماً ودقيقاً، وكذلك عدم توافر أساليب الإشراف التربوي المناسب الذي يرفع من قدرات المعلمين وأدائهم.

ويلاحظ كذلك أنه لا توجد كتب معدة ومطبوعة لبعض المواد، فالأمر متروك لاجتهاد المدرّس، وإذا نُظر إلى المطبوع منها، يلاحظ أن بعضها فوق مستوى معظم الطلاب، كما أنها كُتبت بأقلام كتاب غير مواطنين، وتعكس ظروفاً بيئة مغايرة لبيئة نيجيريا، وكان مما ينبغي للتعليم أن يكون نابعاً من البيئة، وأن تؤخذ ظروفها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في الحسبان. ويؤكد الكلام على مشكلة المناهج قول أحد الباحثين في المنهج وهو من البيئة النيجيرية يقول: إن مشكلات المناهج التعليمية من المشكلات التي تعانيها المدارس الإسلامية العربية في غرب إفريقيا، بل في كثير من أجزاء العالم الإسلامي، وتقف عقبة تعيق سير التعليم الصحيح إن لم توقفه نهائياً^١.

لقد آن الأوان لتطوير هذه المناهج وإعادة دراستها لتشمل مستجدات العصر، وتطابق التطور التقني الحديث وتعالج التحديات التعليمية للقرن الواحد والعشرين فإنه من العيب أن تقع المدارس الحديثة العهد في مشكلات منهجية؛ لما يُفترض في مؤسسيها

^١ هارون المهدي ميغا: المدارس الإسلامية العربية في غرب إفريقيا، مشكلات وحلول، مجلة الفيصل، ع ٢٥٧، ص ١٤١٨، ص ٢٩

الاطلاع على الدراسة النظامية ومناهجها، ولأنهم من خريجي المعاهد أو الجامعات. والافتقار إلى الكتب المدرسية، وبخاصة الطبعات المتطورة والمراجعة التي تعكس البيئة النيجيرية، من المشكلات التي لا زالت تتطلب من أرباب التربية البارعين في العلوم الإسلامية واللغة العربية.

ففي حالة عدم وجود مناهج محدّدة ومفصّلة ومقسّمة على السنوات الدراسية قد تكون الكتب الدراسية هي البديل، ولكن حتى هذا البديل يفتقر إليه تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي في نيجيريا قياساً مع اللغة الإنجليزية سواء في المرحلة الابتدائية أو الثانوية، ويعد الكتاب المدرسي من أهم الوسائل التعليمية إن لم يكن أهمها جميعاً، لكن ما زال طلبة اللغة العربية ومدرّسوها يعتمدون على الكتب المستوردة من بعض الدول العربية، وبخاصة مصر والسودان. وجُل الكتب المستوردة والتي لا زالت هي العمدّة عندنا في تعليم اللغة العربية، كتاب النحو الواضح وكتب النصوص العربية للمدارس الثانوية في مصر، وكتاب البلاغة الواضحة والقراءة المصورة وغيرها، وهي كتب قديمة في طريقتها وأمثلتها، ولا تشتمل هذه كتب على كلّ ما هو مقرّر، فيضطر المدرّسون إلى استنساخ ورق يشتمل على هذه النصوص المقرّرة التي لا توجد في هذه الكتب، وهو ما يضيف صعوبات أخرى لكلّ من التلاميذ والمدرّس.

أما الصنف الثاني، فهم الذين لم يملّوا على التعليم النظامي ولم يتدربوا على التدرج بصفة رسمية، وكان الفرد هو الذي يختار الكتاب الذي يريد أن يبدأ به حسب رغبته ونبوغه في الفهم وقد يكون تعلّمه بين يدي معلم واحد فقط من علماء قريته بحيث يتردد على دهلّيزه كل يوم حتى ينتهي من الكتب التي اختار أن يتعلّمها، فيخرج بضيق الأفق، وهو لا يرى علماً خارج تلك الكتب التي تعلّم منها، فلا يقبل أي دليل علمي خارجها مهما كان قوة مستند القول الثاني ويدافع عن سوء فهمه بكل ما لديه من إمكان وقوة لأنه يعاني من أزمة الفهم وعدم الشمولية لعلوم الآلة وعلوم المقاصد، والاقتصار على بعض العلوم مع الإهمال الكلي لعلوم أخرى، وها من أكبر أسباب العنف والتشديد والتعصب المذهبية وغير ذلك من التطرف السلبي الذي نعيشه. ويستغرق المتعلم وقتاً أطول بفائدة أقل في هذا التعليم العشوائي لفقده لما يهيجه للمداومة على العلم والتنافس بين الأقران.

وقد ترتب على مثل هذه الصنّعة آثار سلبية نذكر منها:

١- انقطاع كثير من الطلاب الراغبين في طلب العلم عن طلبه، بسبب فقد المنهجية وعدم التدرج في الطلب، وذلك حين يشرع الطالب من عند نفسه في دراسة الكتب المطولة قبل المختصرات، فيصعب عليه العلم، وينقطع عن طلبه، بعد أن يغلب عليه اليأس والإحباط، واعتقاد أن العلم صعب المنال، وحقيقة الأمر تكمن في عدم التدرج في الطلب.

٢- طول الزمن الذي يمكثه الطالب، وعظم الجهد الذي يبذله في التحصيل مع قلة الثمرة المجنية في مقابل هذا الزمن الطويل والجهد الكبير، وذلك بسبب فقد المنهجية، حيث يمضي الطالب وقتاً طويلاً، ويبذل جهداً عظيماً في دراسة كتاب مطوّل لم يحن أو أنه بعد، ولو قرأ مختصراً لكان أنفع له، أو يبذل ذلك في تعلم علم من علوم المقاصد كالفقه مثلاً، قبل علوم الآلة كالنحو، فنقل الاستفادة بسبب ترك التدرج، مع عظم الجهد المبذول في تعلم شيء وغيره أولى منه.

٣- ضعف التكوين العلمي عند طلاب العلم الذين يدرسون بغير منهجية، وذلك بسبب عدم معرفة الطالب بالجوانب العلمية المهمة التي يجب تقديمها وإتقانها، وهو ينشغل بغيرها، بل قد يصل الأمر إلى إهمال بعض العلوم المهمة بالكلية وعدم معرفتها، فضلاً عن إتقانها.

ومن صور ذلك عندنا الانشغال بعلم الفقه المالكي والتوسع فيه مع إهمال دراسة وإتقان لعلم أصول الفقه، الذي بقواعده يمكن الترجيح، أو لا يدرس كذلك علوم الحديث وفن الجرح والتعديل التي بها يتميز الصحيح من الضعيف، ويعرف المحفوظ من الشاذ، أو إدراك لعلوم اللغة العربية التي بها تفهم النصوص.

ولا شك أن هذه الحالة تنبئ عن ضعف علمي، فإن العلوم مترابطة، يكمل بعضها بعضاً، والإخلال ببعضها يؤدي غالباً إلى الإخلال ببعضها الآخر، ولذا يحتاج من هذا حاله إلى استكمال هذا النقص، لينتفع بهذا العلم وينفع الآخرين.

٤- ظهور فئة من أنصاف المتعلمين وتصدّرهم للتعليم والإفتاء والتوجيه والأحكام في النوازل وعلى الأشخاص، واعتقاد أهليتهم للاجتهد، وصدور بعض الفتاوى الشاذة والأقوال الباطلة، التي يترتب عليها خرق الإجماع، والجرأة على الشريعة وتحريف أحكامها، وتتبع الرخص والشواذ أو الجمود على فتوى مذهب ما وإن أخطأت الصواب، والتشهي في اختيار الأحكام

بالهوى، والتطاول على العلماء بتسفيههم أو تفسيقهم أو تكفيرهم، وإثارة الفتن في المجتمعات، والتحريض عليها، مما قد يفضي إلى انتهاك الأعراض، ونهب الأموال، وسفك الدماء المعصومة، كل ذلك بسبب الجهل وقلة التحصيل مع اعتقاد الأهلية للاجتهاد، وكم سمعنا عجباً: حين يتكلم الصغار في قضايا كبار وكم يتكلم السوقة في مسائل اجتهادية لو عرضت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمّع لها أهل بدر رضي الله عنهم أجمعين.

فالبدار البدار إلى منهج التدرج والتربية والتلازم بين الحفظ والفقه والعمل كما سبقت الإشارة إليه مستتيراً بمنهج عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير رضي الله عنهما، فهذا كان دأهما، كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يعلم تلاميذه أحكام الآيات وآدابها ويربّيهم عليها بتدرج، يقول الإمام المقرئ أبو عبد الرحمن السلمي - وهو ممن عرض القرآن على ابن مسعود رضي الله عنه: "أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يتعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به. وسيرت بعدنا قومٌ يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم"^١. قال إسماعيل بن أبي خالد: "كان أبو عبد الرحمن السلمي يعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات"^٢ هاتان الروايتان تفيدان معنى إضافياً في إقراء القرآن وتعليمه، وهو تعليم التلاميذ أحكام الآيات وآدابها والتربية عليها وبتدرج بحيث لا ينتقل إلى غيرها من الآيات إلا بعد أن يرى منهم التأثير والاستيعاب والتطبيق. قال علقمة بن قيس: "قرأت القرآن في سنتين"^٣ وهو أكبر تلميذ ابن مسعود رضي الله عنه قدراً وفهماً وعلماً، وهذا يعني أن ابن مسعود رضي الله عنه أخذ بالمنهج النبوي في تعليم القرآن، منهج التدرج. وكذلك كان التوجيه والإرشاد والموعظة، عن عبد الله بن مرداس قال: "كان عبد الله يخطبنا كل خمس على رجله، فنشتهي أن يزيد"^٤. يحبون أن يستمعوا إلى المزيد من حديثه الشيق.. الحديث الذي يرفرف بأرواحهم نحو الآخرة، لكنه لا يستعجل الغرس؛ لأن ذلك مضرٌ بالمتربي.

فهذا المنهج لا شك أنه يساعد جداً في حل بعض سلبات طلاب ولاية بلاتو وتحملهم على المحجة حيث يسير تعليمهم بسهولة مع عظيم تحصيل بأقل جهد والسير على الأولوية مع قوة التمكين، فإذا تم تدريبهم على هذه الوسيلة ينتفى الجفاء والارتجال والتصدى على

^١ ابن تيمية احمد بن عبد الحليم الحراني: تفسير ابن تيمية، (ص ١٩٩/٢) موقع شبكة مشكاة الإسلامية، المكتبة الشاملة الإصدار الأخير

^٢ الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء، ص ٢٧٠/٤ المرجع السابق

^٣ مسلم بن حجاج صحيح مسلم/ حديث رقم ٥٣

^٤ الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء، ص ٤٧٢/١ المرجع السابق

النوازل بعقل ضيق ومعرفة سخيصة وبها يسد الفجوة التي بين الذين يدرسون في المدارس الشرعية والمعاهد العلمية والجامعات وغيرها وطلاب الدهاليز والمساجد.

ثانياً: التلازم بين الحفظ والعمل

يقول أبو عبد الرحمن السلمي - وهو ممن عرض القرآن على ابن مسعود رضي الله عنه: أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل، وسيرت بعدنا قومٌ يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم^١. هذا كان دأب عبد الله بن مسعود في تعليمه فليس مجرد ناقل حروف القرآن فقط فقد ترك بصمة واضحة وفهماً بلياً لتفسير مراد الله من آياته وفقه أحكامه لأنهم على هذا النهج تلقوها عن رسول الله ﷺ حفظاً وتجويداً وأداء وفقها وأحكاماً ونبلاً وأدباً. فتطبيق هذا المنهج يساعد الناشئين في نوعية المدارس التي لدى مسلمي ولاية بلاتو كما بسط الباحث الكلام عنها في الفصل الثاني:

أما المدارس القرآنية التي تكون في عُرف يتبرع بها بعض المحسنين من حجرات بيتهم، يحضرها الناشئون منذ صغرهم ويستمر حتى يكبر الطالب أو الطالبة ولا حد لسن الإكمال، إنما ينقطع عنها ليلحق بمدرسة نظامية، وأساسها تعليم القرآن الكريم وحفظه. وفي نظام "تسغيا" (Tsangaya) الذي يتخيم المعلم وطلابه بعيداً عن القرية أو المدينة، يبدأ التلميذ الحضور منذ سنّ الرابعة أو الخامسة ويستمر فيها حتى ينهي من تلاوة القرآن مع كتابته حسب سرعته وترتيله للآيات التي يكتبها على لوحه، وغالباً ما يكون سن الإكمال في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمر الطالب^٢. وبعد ذلك له خيار أن يستمر إلى حصول الدرجات التالية: درجة "ألرّم" بمعنى الحافظ وبعدها درجة "غوني" بمعنى المتقن، ثم درجة "غنغن" بمعنى المتمكن. وفي كلا النظامين الإهتمام فيهما على التلاوة والحفظ ولا يدرس فيها غيره، فهنا يأتي دور منهج التلازم بين الحفظ والتربية على أحكام القرآن، إذ لو ضموا إلى الحفظ معرفة معاني الآيات وتربوا على أحكامها لكانوا مؤهلين لسد بعض الثغرات حيث وجود قلة المتقنين في المجال، لكن أغلب التلاميذ الفاقدين لهذا الترتيب ينقطعوا عن المدرسة لطلب المعيشة بالعمل في التجارة وبعض الحرف الصغيرة، وإذا بقوا يضطرون إلى إدخال بعد الأمور المنكرة لكسب المعيشة يؤدي بعضهم إلى ممارسة نوع من الشعوذة أو التنجيم لجذب أنظار السياسيين المستميتين لطلب الرئاسة

^١ ابن تيمية احمد بن عبد الحليم الحراني: تفسير ابن تيمية، (ص ١٩٩/٢) المرجع السابق

^٢ Moddibo M Sani ، المرجع السابق (ص ٩٨)

فيأتون إليهم للدعاء والختم على أعداد معينة طلباً لنيل مرامهم . وليس هذا إلا الفجوة الموجودة في هذا التشكيل من التعليم. ومن الحل: تطوير برامج التعليم لهذه المدارس القرآنية وتدريب المعلمين في برامج مكثفة بين وقت وآخر على النظام الحديث وتوعيتهم على جواز إضافة مواد أخرى مع تلاوة القرآن كما هو موجود في مدارس نظامية، ثم تجعل لهم رواتب شهريا كما لبقية الموظفين، على أنهم أيضا يقومون باستئصال الجهل في المجتمع.

والنوع الثاني من أنواع مدارس المسلمين في بلاتو، مدارس نظامية ثقافية إسلامية، غرضها الأعلى هي مقاومة تحديات التنصير والفكرة العلمانية التي يواجهون بها، وكانت المدارس تدرس فيها جميع المواد المقررة من وزارة التربية والتعليم مع المحافظة على مبادئ الإسلام وآدابه، فأهم ما يتميز به هذا التشكيل هو أنه يعطي المواد الإسلامية نفس الاهتمام التي للمواد التي تدرس بالإنجليزية، لكن للأسف الأمر لم تعد كذلك بل هو الآن عكس ذلك تماما، فهي حصتان فقط في الأسبوع على جدول أعمال المدرسة، وخلالها يطالب المعلم أن يدرس جميع عناصر الدين من قرآن وتفسير وتوحيد وفقه وحديث وسيرة وتاريخ، فهل تكفي ثمانون (٨٠) دقيقة في الأسبوع لتدريس الناشئ المسلم كل هذه؟ والأفضل من هذه هي مدارس أضافت اللغة العربية في جدول حصصها، ولها أيضا حصتان في الأسبوع، وهذا طبعا غير كاف، والحصول على المعلمين الأكفاء الذين يقومون بتدريس مادة العربية هو أيضا من الصعوبة بمكان. ولأن مادة "الإسلاميات" تعامل معاملة مواد إضافية، فلذلك فإن التلاميذ من جانبهم لا يهتمون بهما بل جُلهم لا يجلسون لها في امتحاناتهم الأخيرة.

ولمعالجة هذه المشكلة فتحت بعض المدارس قسما خاصاً لتعليم القرآن واللغة العربية بعد الدوام من المدرسة، ويبدأ دوامها من الساعة الثانية ونصف نهائياً وينتهي دوامها إلى السادسة تقريبا.

فخلاصة القول هو أنه في النظام التعليمي الأول أو الثاني في بلاتو يمكن الاستعمال هذا المنهج المبارك [منهج الصحابة] لتناسبه مع الوضع وتلازمه للنجاح والفوز في الدارين وتشويقه للمتعلمين بحيث يتاح لهم الجمع بين العلم والفهم والحرف والمعنى ومن ثم العمل بما تعلموه. وفيها الحصول على النتيجة التي تحصل عليها الرعيّل الأول خاصة إذا حسنت النية.

فتلاوة القرآن وإتقانها ليست هي المقصودة، لكن أهم منها العمل به، لأنه قد بات نوع من الفصام العجيب بين العلم والعمل، ولم تعد تألف وجود العالم العامل، كما كان الأمر من قبل، فالعلم والعمل في الإسلام وجهان لعملة واحدة، لا فصام بينهما البتة، فالعلم في الإسلام ليس ترفاً معرفياً، ولا تطلعاً فلسفياً، ولا ينفصل عن عقيدة التوحيد قيد أنملة، بل العلم وسيلة للقرب من الله تعالى وتحقيق خشيته في القلوب، ولا علم دون عمل يثمره، ولا عمل دون علم يبصره. فمن عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه، والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلنطلب العلم طلباً لا يضر بالعبادة، ولنطلب العبادة طلباً لا يضر بالعلم.

قال الحسن "وكان الرجل يطلب العلم منهم حتى لا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وزهده ولسانه وبصره"^١

وقال الخطيب البغدادي: لا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشاً من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصراً في العمل، ولكن اجمع بينهما وإن قل نصيبك منهما^٢
وقال الفضيل: لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم، وأعزوا هذا العلم وصانوه، وأنزلوه حيث أنزله الله إذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة، وانقاد لهم الناس، وكانوا لهم تبعاً، ولكنهم أذلوا أنفسهم، وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا، فهانوا وذلوا^٣، فإنا لله وإنا إليه راجعون فأعظم بها من مصيبة!!

ثالثاً: الإعتناء بالطاقات المتميزة

من المنهج المأثور عن عبد الله بن مسعود إعتناؤه الفائق بالطاقات المميزة من تلاميذه، كما كانت كتب التراجم تفيض بالحديث عن خيار من أصحاب رسول الله ﷺ لما تميزوا به من علم وفقه وجهاد ووجاهة، وكانو حريصين على التلقي من قائدهم ومعلمهم، الأمر الذي شجع الرسول للاعتناء بأمرهم وتقوية المميزات الذاتية لدى أفرادهم، واستعمل الرسول ﷺ هذه الطاقات الكامنة فيهم فيما ينفع الأمة جمعاء، ويدل على معرفة النبي ﷺ لهؤلاء الصحابة حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أرحم أمتي بأمتي أبوبكر وأشداهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرأهم أبي ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح^٤ وهذه الفروق الفردية رحمة للناس وهي تيسير الله لخلقه أن يسر لكل ما خلق له ويعمل الكل على شاكلته لتسهيل الحياة الفردية والاجتماعية، فلما أرى عبد الله بن زيد

^١ الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء، (٥٨٣/٤) المرجع السابق

^٢ الخطيب البغدادي: اقتضاء العلم بالعمل، بتحقيق الشيخ الألباني ص (١٤) ط/٤ المكتب الإسلامي- بيروت ١٣٩٧هـ

^٣ حقي: إسماعيل بن مصطفى الإستانبولي: تفسير روح البيان (١١٥/٢) دار إحياء التراث العربي(بدون تاريخ)

^٤ علي بن حسام الدين المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، رقم ٣٦٧٥٣ مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م

الأذان في منامه قال رسول الله ﷺ علمه بلال فإنه أُنْدى صوتاً منك^١ واختار مصعب بن عمير ليعلم الأنصار الإسلام وأبلى في مهمته بلاءً حسناً وسخر أبوبكر خليفة رسول الله ﷺ خالداً في الفروسية والحرب فقاد معظم الغزوات على عهده فكان النصر تلو النصر، وآثر عمر ابن مسعود على نفسه لأهل القادسية فكان مثلاً في الوفاء والفقه والتفسير. فعلى هذا الدرب درج أتباعهم من التابعين ومن بعدهم فكانو يعتنون بالنجباء من طلابهم ويركزون عليهم أيما تركيز لتنمية الكفاءة فيهم إذا غابوا عنهم، وهذا هو الذي يشير إليه قول ابن مسعود عندما قال "ما أقرأ شيئاً ولا أعلمه إلا علقمة يقرؤه أو يعلمه"^٢ ولقد تتبّع الباحث بعض الحلقات ومجالس العلم والدهاليز في حدود مواقع هذه الدراسة فاكتشف أن هذا المنهج نادر التطبيق فيها، لا أن العلماء لا يعتنون بطلابهم المتميزين لكن يصعب عليهم توسيد أمر القيام على حلقاتهم إلى هؤلاء الطلاب عند غيابهم، كم من الدهاليز في بلاتو ماتت بموت منشئها!، وكم حلقات العلم لا تقام بغياب معلمها؟ وذلك لقلة الثقة بأهلية طلابهم وهم لا يدربون أبناءهم على العلوم الدينية المحضة لأن المجتمع أضحى لا يعتني بالعلماء وليست للحكومة أي إعداد في تأمين مستقبلهم ناهيك عن مستقبل أسرهم، فيبقى أمامهم خيار واحد فقط، وهو أن يدبروا لأنفسهم المخرج، فكان من تدبيرهم إرسال أبنائهم لتعلّم علوم يعتمدون بها على أنفسهم مثل الطب والهندسة والسياسة، والاستكشاف يدل على أن أكثر من ٧٠% من معلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية لا يدرس أبنائهم هذا التخصص لما رأوا من قلة الإهتمام لحاجاتهم بين المجتمع مع ادعاء المجتمع أنهم رمز البركة في المجتمع. ولعل خوف غلبة شهرة الطالب على شهرة المعلمين مما يسبب عدم توكيل أمر القيام بالحلقة والدهاليز في يد الطلاب، وبالتالي أدت إلى اندراس دهااليز العلم وبعض الحلقات العلم في بلاتو، لكنني أقول: ألا يكفي المعلم شرفاً أن يقال هذا العالم من طلاب شيخ فلان؟ أليس الفرع للأصل ينسب؟ ألا يكفي أن يأتي هذا الطالب يوم القيامة وهو في ميزان حسنات هذا المعلم؟ لكن كل هذه الفكرة تكون لمن جعل الهَمّ للأخرة والعاقبة دائماً للمتقين.

فما ساد في هذا العصر الرقمي والتقنية دول ومجتمعات إلا بعنايتهم بالطاقات المتميزة والمواهب البشرية المختلفة بينهم، واستثمروا فيهم عن طريق صرف أموال طائل عليهم ليكسبوا مهارة عديدة في ميادين مختلفة لبناء مجتمعاتهم، فلا دولة نهضت وعمرت بلا علم ومعرفة، فلذا تجد المعلمين هم أكثر الناس دُخْلَ شهرية بين الموظفين في الدول السائدة. أما في نيجيريا فهم من أسوأ إن لم نقل أسوأ في الرواتب والدُخْل الشهري وما ذلك

^١ ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد الشيباني، المسند، رقم ١٦٥٢٥ المرجع السابق

^٢ الذهبي شمس الدين: سير الأعلام النبلاء، (٥٩/٥)

إلا لتضييعنا للأولوية ولاهتمامنا بما لا يتأتى نفعه إلى الأمة، تُصرف الدولة الأموال الكثيرة في المرح والترفية وتضييع جانب التعليم، كم مرة يتخرج الطالب بأفضل وأعلى نتيجة من الجامعة أو المستويات العلمية فلا يكرّم صاحب هذا الجهد حتى ولو بمجرد منحة لإستمرار دراسته، لكن بالعكس يكرم الفنانين والراقصات والممثلين بملايين من النيرات وآلاف الدولارات، هذا هو الواقع، وكيف يسود قوم هذا حالهم مع علمائهم والمتعلمين منهم؟ فقد آن الأوان لتواكب أمتنا عجلة التقدم والتنمية عن طريق استثمارها في التعليم وتصرف أغلى ما عندها في العلم ورعاية أصحابه من العلماء والمتعلمين في فنون علمية مختلفة وتسخير مواهب الطلاب النجباء الأذكياء بغض النظر عن حسبهم ونسبهم وأسرهم أو قبيلتهم ما دام تنفع الأمة خبرته في التنمية والتطور وليكون شعبيهم أهمّ ومقدم على نسبتهم إلى القبيلة أو الأسرة. هذا ما نهج عليه رسول الله ﷺ وهو المأثور عنه ﷺ "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"^١. فإن كان هذا المنهج قد حاز النجاح في عصرهم فإنه لا شك ناجح اليوم.

رابعاً: معايشة التلاميذ بغرض التوجيه والتربية:

يعتبر الإسلام المربي أبا ثانياً، قد يفوق فضله على المتربي فضل الوالدين، لأنه يزكي النفوس ويطهر القلوب وينير العقول، ويؤهل من يربيهم لسعادة الدنيا والآخرة، في حين يولي الوالدان أهمية كبرى لتنمية مطالبه الجسدية بدرجة أكبر من عنايتهم بالجوانب الأخرى. كما أن الوقت الذي يُمضيه المتعلم مع معلمه لا يقل عن الوقت الذي يقضيه مع والديه، فهذه الرفقة التربوية وهذا الجوار بين الطرفين كفيلا بتقوية هذه الصلة وحفظ الحقوق المتبادلة فيها برا وإحساناً.

فمهمة التربية والتعليم من أشرف المهام وأعلاها قدراً، وهي مقصد عظيم من مقاصد البعثة النبوية، لقوله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٠٦﴾. حيث قرنت الآية الكريمة بين التعليم والتركية، مما يدل على أن وظيفة المعلم لا تنفصل عن التربية والتركية، بل إن التركية أساس تحصيل العلم والمعرفة، فلا تعليم بدون تربية، ومن ثم فلا تبلغ العملية التربوية مقاصدها وغاياتها إذا غيّبت القيم التربوية عن الساحة التعليمية، أو

^١ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: شعب الإيمان، بتحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، رقم ٦٧١، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠

^٢ سورة الجمعة، الآية ٢

لم يَمَكُنْ لها تمكيناً يجعل مقامها عالياً وشأنها رفيعاً سامقاً. ولا فلاح لأمة ضاعت فيها الأخلاق وتمزقت فيها الصلات والروابط الإنسانية، لأن الأخلاق أساس البقاء، وضياعها معجل بالفناء الحضاري للأمم، ومن هنا نفهم مراد الناظم بقوله:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت *** فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقول آخر:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه *** فقوم النفس بالأخلاق تستقيم

والعلاقة بين المعلم والمتعلم من أوضح أشكال العلاقات الإنسانية ارتباطاً بالأخلاق لأنها تتبنى على أساس الإحسان الذي يمتد أثره بعيداً جداً في شخصية المتعلم، فالأستاذ محسن بتعليمه لتلميذه الذي هو أمانة بين يديه ورهن تصرفه، فكلما أحسن إلى متعلمه وصاله الأمانة وحفظ العهد كان بحق وريث الأنبياء والمرسلين، وحقيقاً بلقب المعلم^١، وما أشرفه من لقب وما أنفسه من وسام، فحسبُ المعلم شرفاً ورفعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف نفسه بالمعلم فقال "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَلِّمًا وَلَا مُتَعَلِّمًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبْتَلًى"^٢ فقرن عليه الصلاة والسلام بين التعليم والتيسير، وجعل صفة التيسير خلقاً للمعلم المربي، ومنهجاً ملازماً لفعله التعليمي وممارسته التربوية.

وفي إطار منهج كل من عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير في التعليم ذكرنا بعض الأمثلة من حياة عبد الله بن مسعود، ونضيف إلى ذلك أن العلاقة بين المعلم والتلميذ وبعبارة أدق بين المربي والمتربي قوامها الحب والوفاء والإخلاص والمودة، ذلك أن المعلم بمثابة الوالد الذي يربي أولاده ويحب الخير لهم، والتلميذ في مقام الولد المطيع، سمتة البر والاحترام، والإجلال والتوقير لمعلمه وأستاذه الذي يرى فيه أسباب صلاحه وفلاحه، فيخضع له بالأدب وحسن الخلق طلباً للعلم النافع والأدب الرفيع، هكذا كانت الحال كما شهدت بذلك المواقف المشرقة في تاريخنا التربوي الإسلامي من انموذجي عبد الله بن مسعود وإخوانه من الصحابة والتابعين لنسمع من كلا الطرفين (معلمين وتلاميذ)

* يقول شعبة بن الحجاج: "ما سمعت من أحد حديثاً إلا كنت له عبداً".

^١ هذا اللقب الشريف أصبح اليوم وللأسف الشديد أضحوكة بين الناس ومادة للتفكه والتسلية لما آل إليه وضع المعلم في بيئتنا اليوم

^٢ مسلم بن حجاج : صحيح مسلم: باب بيان أن تخبير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، حديث رقم: ٢٧٠٣.

* وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَّلْتُ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ^١

وكان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى كثير الاقتداء بأستاذه مالك بن أنس رحمه الله تعالى والاعتراف له بفضلته، ومما قاله في حقه: مالك بن أنس معلمي - وفي رواية أستاذي، ومنه تعلمنا العلم ، وإذا ذُكر العلماء فمالك النجم، وما أحد أمن عليّ من مالك، وعنه أخذت العلم، وقال: إنما أنا غلام من غلمان مالك، وقال: جعلت مالكا حجة فيما بيني وبين الله^٢.

فالعالم رَجَمَ بين أهله، لذلك قال الحبيب المصطفى ﷺ: "إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ أَعَلَّكُمْ"^٣

فهذه مقتطفات عاجلة من صفحات تاريخنا التربوي المشرق، تفصح عن طبيعة العلاقة بين المعلم والمتعلم، ومقدار التعظيم والإجلال التي حظي بها الأستاذ المربي والأب الرحيم من طرف تلاميذه البررة، فكانت الثمرة طيبة والآثار جليلة. فهي ليست إلا لحسن التفاعل بين الجانبين والنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها والإنسان من طبعه عبد الإحسان، فإن أثمرت تلك العلاقات هذه الثمرة فلا مانع من الحصول عليها لاحقا.

ومن باب العدل والإنصاف أود أن أنبه في هذا السياق إلى أن النماذج المشرقة لنجاح العلاقة بين الأستاذ والتلميذ ليست مقتصرة على الماضي البعيد الذي حفلت به مؤلفات علمائنا الأفاضل فحسب، بل هي حاضرة في كل عصر ومصر، لا تنعدم ما دام الخير موجودا في هذه الأمة. وهذا من أسباب البحث في الموضوع. ويلزم في هذه العجالة الإشادة بالكرم وحسن التعامل والملاطفة في تقويم الطالب الذي يتعامل به الأساتذة والشيوخ الطلاب في المركز الإسلامي، وجامعة إفريقيا العالمية، فدون أي مجاملة أقول بملء فمي أنهم مثل في تصوير العلاقة وحسن علاقة المعلم مع الطالب فمع اختلاف جنسيات الطلاب وتنوع بيئاتهم وأثرها على أخلاقهم لكنهم يتعاملون بتلك المثل المذكورة عن السلف، والواقع يشهد بذلك ولكأنما هي علاقة بين قرينين في غاية الخلوص والصفاء. فما أجمل مثل هذه المبادرات التي تحيي النفوس، وتؤلف بين القلوب، وتبادل الإحسان بالإحسان،

^١ الترمذي سنن الترمذي، باب: مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْفَقْهِ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ.

^٢ القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك: ص ٣٨٥، موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>

^٣ ابن ماجه : سنن ابن ماجه، باب الاستئْجَاءَ بِالْجَّارَةِ وَاللَّهْيَ عَنْ الرُّوثِ وَالرَّمَّةِ. رقم ٣١٣

فالنفس مجبولة على حب من أحسن إليها، والمعروف لا تنساه النفوس الكريمة، ولا يُبلى جدته تعاقب السنين. لكن للأسف تبقى هذه المبادرات نادرة الوجود في بعض الأقطار في عصر قلت فيه التربية والسلوك وفرق فيه بين التربية والتعليم، في عصر تعامل فيه المعلم كموظف عادي يهان لأدنى خطأ أو تساهل منه.

فانطلاقاً مما سبق عرضه يتضح بجلاء كبير بعد المسافة بين مكانة المعلم المربي في الماضي ومكانته في الحاضر، وبالتالي الفرق بين مخرجات العملية التربوية وثمارها علمياً وأخلاقياً بين الماضي والحاضر، وبالرغم من كون أسباب التعلم والمعرفة في عصرنا متوافرة وقريبة المنال، لكن أخلاق العلم وآدابه المحصنة للعملية التربوية غائبة، ومن حُرِّم الأخلاق والأدب حُرِّم الثمرة الطيبة والسلوك القويم الذي يعصم سير الإنسان من الزلل، ولأجل ذلك حُق لنا السؤال عن الحل لهذا الوضع الوضيع، وقطعية الرحم بين المعلم/الأب والتلميذ/الابن؟ فالحل بالصراحة ليس بعيد المنال إنه في متناول أيدينا وفي سيرتنا العطرة، يوصفها خير أمة أخرجت للناس، فهي العودة بمعنى الكلمة الى منهج الصحابة والتابعين الذي هو قبس من المنهج الواسع الذي صدره رسول الله ﷺ، فلم يكن النبي في معزل عن أصحابه، بل لم يكن هناك أي سرية في حياته فهو دائم محاط بأصحابه معلماً وموجهاً مبلغاً صديقاً وزميلاً وأباً، وقد تلقى الصحابة هذا الهدى من رسول الله ﷺ تأمل دلالة هذا الأثر الذي رواه إبراهيم أن ابن مسعود رضي الله عنه كنى علقمة أبا شبل قبل أن يولد له. قال: فسئل، فحدث علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كناه أبا عبد الرحمن قبل أن يولد له^١. وروى إبراهيم أيضاً عن علقمة قال: كنت رجلاً قد أعطاني الله حسن الصوت بالقرآن، وكان ابن مسعود يرسل إليّ، فأقرأ عليه، فإذا فرغت من قراءتي قال: زدنا فداك أبي وأمي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن حسن الصوت زينة القرآن^٢. وقال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري: "لقد أعطيت مزاراً من مزامير آل داود"^٣ ولا ننسى أن ابن مسعود أيضاً قرأ القرآن وتأثر رسول الله ﷺ بقراءته وفي مناسبة أخرى قال النبي ﷺ وهو يمدح مهارته في التلاوة: "من أحب أن يقرأ القرآن غصّاً كما أنزل فليقرؤه على قراءة ابن أم عبد"^٤ وهو الذي يقول رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفترون، وبجزنه إذا

^١ الحاكم النيسابوري: المستدرک للحاکم ٣/٣٥٤.

^٢ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٨/٤ المرجع السابق

^٣ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: الادب المفرد، رقم ٨٠٥، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

^٤ ابن ماجه: سنن ابن ماجه، باب فضل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رقم ١٣٦

الناس يفرحون، ويبكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون...."¹.

خامساً: إعداد القيادات

إعداد القيادة من أهم العناصر وظيفية التعليم فان جميع الجهود المبذولة لا تعني شيئاً إذا كانت ستنتهي بموت العامل. فالمربي الناجح هو الذي يعدّ من يخلفونه بخير بعده ليستمر الخير الذي بدأه ولا يعضل مسيره أو ينقطع بوفاته وهو لا يقصر نظره على حين حياته فحسب، إنما ينظر بأبعد مدى إلى نهاية عميقة قد لا يتصورها عقله، فمن كانت هذا فكرته وهو يعلم علم يقين أنه مهما تطول به الحياة لا بد من مجيء يوم يرحل فيه فلا يضنّ بأفكاره وخبراته ومهارته من الذين يحيطون به في ساحة العمل حتى لا يتوقف العمل بموته. وإذا تتبعنا الحوادث في سيرة المصطفى ﷺ نرى بجلاء كيف ربي الصحابة عموماً على درب الهدى والمحجة البيضاء واختص منهم على سبيل المثال أبا بكر وعمر بالقرب والدنو ما ليس لغيرهما، وأمر بالاقتداء بهما في إحدى وصيته فقال ﷺ: "اَفْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَاهْتَدُوا بِهَذِي عَمَّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ"² يروى أن ابن عباس رضي الله عنه قال لما دخل على عمر وهو في لحظاته الأخير من الدنيا: "... وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله عز وجل مع صاحبك، وحسبت إنني كنت كثيراً أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ذهب أبا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر"³ وما هذه الملازمة إلا لدنوهما الفائق من القائد العظيم وإعداده لهما لمهمة عظيمة، فرسالته لم تنقض بوفاته إنما استمرت كأنه لو كان الذي انقطع بينهم هو الوحي فقط، فقادا الأمة من بعده خير قيادة وكذا الخليفان من بعدهما عثمان وعلي رضي الله عنهم جميعاً.

مكث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يعلم القرآن في مسجد الكوفة قرابة حوالي خمس عشرة (١٥) سنة يعلم الناس ويقرئهم كتاب الله، وكان يدرك أنه مهما طال به الزمان في هذه المهمة العظيمة؛ فإنه يوماً ما سيترك مكانه، بوفاة أو رحيل، فكان لزاماً أن يبني صفاً قيادياً يرث الرسالة من بعده، ويبلغها للأجيال القادمة. فلذا اعتنى بأمثال علقمة وغيره من طلابه حتى قال مرة: "ما أقرأ شيئاً ولا أعلمه إلا علقمة يقرؤه أو يعلمه" وقال علي بن المديني: لم يكن أحد من الصحابة له أصحاب حفظوا عنه وقاموا بقوله في الفقه إلا ثلاثة:

¹ ابن أبي شيبة ابوبكر عبد الله: مصنف ابن أبي شيبة، رقم ٣٥٥٨٤ مكتبة الرشد - الرياض الطبعة الأولى، ١٤٠٩

² الترمذي، أبو عيسى: سنن الترمذي رقم ٣٨٠٥

³ البخاري، محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، رقم ٣٤٨٢ ومسلم بن حجاج صحيح مسلم، رقم ٢٣٨٩

⁴ الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء (٥٨/٤)

زيد بن ثابت وابن مسعود وابن عباس، وأعلم الناس بابن مسعود: علقمة والأسود وعبيدة والحارث^١. ومذاهب الفقه والاجتهاد المشهورة لم تكن سوى حصاد جهد المستخلفين من بعد الأئمة فأبو يوسف ومحمد بن حسن الشيباني تلميذا الإمام أبي حنيفة هما الذان دوننا علم أبي حنيفة وهكذا.

فخلاصة القول هو أنه قد يحتاج العالم إلى هذه القيادات لتساعده في مهمته التعليمية والتربوية، وأحياناً يمنحها الفرصة لتخوض غمار التجربة الجديدة وتتعلم منها، هذا ما يفسر كون عبيد بن نضلة أحد القراء النجباء؛ أنه قرأ على ابن مسعود رضي الله عنه وقرأ أيضاً على علقمة^٢. والبحث في هذا الموضوع في واقع ولاية بلاتو يدل على التساهل بهذا الأسلوب، ما أكثرَ الحلقات والدروس المختلفة في المساجد لكن الحلقة الوحيدة التي تنجح فيها هذه التجربة هي حلقة القرآن الكريم فإن التلاميذ في حلقة القرآن لا يبالون من يرأس الحلقة إذا غاب المعلم شريطة أن يمارس التلاوة بشكل ممتاز. أما بقية الدروس فترجع إلى نوعية اتجاه الطلاب، وينبئ ذلك بتساهل المعلمين في بناء الصف القيادي بين طلابهم وفي تحريك الطلاب النجباء الموهوبين ليحملوا مسؤولية الحلقات بعدهم، فهم يعاملون التلاميذ معاملة رجل واحد من حيث لا يخصّون النجباء بالدروس الزائد لإشباع حاجتهم العلمية وليستدو لهم الفراغ عند غيابهم وهذا طبعاً يكون خارج وقت الحلقة الجماعية، فإن تم تعيين أحد من الحلقة فغالبا ما يكون أنه قد استزاد معلومات من خارج الحلقة أو في مدارس أخرى في الغالب. ومن طرق نجاح تمكين المتميزين على حمل المسؤولية، الثناء على جهدهم بين وقت وآخر ليقبّلوا أنفسهم ويجتهد الآخرون للحصول على نفس الثناء بهذا تبني المنافسة والجدية في الطلب. ويروى عن رسول الله ﷺ الثناء على أصحاب المهارة من الصحابة ومن الأمثلة على ذلك قال: "من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرؤه على قراءة ابن أم عبد"^٣ وقال "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدّهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب وأفضلهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ إلا أن لكل أمة أمينا وأن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح"^٤

وقول ابن مسعود في علقمة "ما أقرأ شيئا ولا أعلمه إلا علقمة يقرؤه أو يعلمه"^٥.

^١ الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء (٥٥/٤)

^٢ ابن سعد الطبقات الكبرى (ص ٢١١/٦) المرجع السابق

^٣ الحاكم النيسابوري: المستدرک، باب ذکر مناقب عبد الله بن مسعود، رقم ٥٣٩٠

^٤ الحاكم النيسابوري: المستدرک، باب ذکر مناقب زيد، رقم ٥٧٨٤

^٥ الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء (٥٨/٤)

وفي دائرة الطلاب لا بد من نبذ الحسد والغل وليعرفوا أن الفضل لله يؤتاه من يشاء، وفي نفس الوقت على الطالب العبقرى النبيل أن يلزم التواضع واحترام أقرانه. وبالمناسبة، فالعناية بالشباب أمر يدفع هذا المبدأ إلى النجاح، فالشباب قوام الأمة وروح عمارها فإن أخلصنا في تربيتهم كانوا خير خلف لخير سلف.

سادساً: التقويم

لا يقل أهمية عن المواد المذكورة قبله فحين اجتمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بطلابه في ختام عمله المبارك قال رضي الله عنه لهم: "والله إني لأرجو أن يكون قد أصبح اليوم منكم من أفضل ما أصبح في أجناد المسلمين من الدين والفقه والعلم بالقرآن" ^١ إن هذا الكلام يعدّ تقييماً لمن اجتمع بهم من تلاميذه، ولهذا عبّر عن شعوره بالارتياح لنتيجة جهده التعليمي خلال تلك المدة الزمنية التي قضاها في مسجد الكوفة.

نستطيع القول بأن مسجد الكوفة الذي مكث فيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ١٥ عاماً.. لم يقتصر الإقراء فيه على تسميع آيات القرآن وتجويدها، بل تعدى ذلك إلى تعليم أحكام القرآن والتربية على آدابه ومواعظه. وكان التعليم يسير وفق منهج وآليات. فما أسعد المعلم أو الأستاذ الذي يرى تلميذه في أعلى المقام والمراتب، فليس له إلا أن يحمد الله أن حياته في تعليم الناس لم تمض سدىً، فهذه بشرى عاجلة له ويزيده سروراً وبهجة أن كان الطالب باراً عالماً عاملاً. فما هي إلا نتيجة جهده وثمره تعبته. فالتقويم أمر ضروري في التعليم فهي عملية إضافة القيمة للشيء فحيث يأتي التلميذ بقلب قارغ لا يميز بين الصواب والخطأ وينتهي دور تعلمه وهو يحمل قلباً مليئاً بالعلم والمعرفة، فالمعلم مقتنع أن ذلك لم يكن صدفة إنما هو ثمرة جهده مع هذا الطالب. فيا معلّم القرآن الكريم، في الحلقات والدور والمساجد، ويا معلّم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في بلاتو وغيرها دونكم منهج التعليم فاتبعوه!

^١ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد الشيباني: المسند، رقم ٣٨٤٥ المرجع السابق

المبحث الثاني: تطبيق منهج الصحابييين في التعامل مع الناس على ولاية بلاتو

وفيه لأربعة مطالب:

المطلب الأول: المعاملة وأهميتها في الإسلام

المطلب الثاني: أسس التعامل مع غير المسلمين وحقوق أهل الذمة

المطلب الثالث: صور من المشكلات الاجتماعية التي تؤثر على المعاملة في ولاية بلاتو

المطلب الرابع: نماذج تطبيقية لمنهج الصّحابة في التّعامل مع الناس على ولاية بلاتو

المطلب الأول: المعاملة وأهميتها في الإسلام

التعامل مع الناس فن من أهم الفنون نظراً لاختلاف طباعهم. فليس من السهل أبداً أن نحوز على احترام وتقدير الآخرين. وفي المقابل، من السهل جداً أن نخسر كل ذلك، وكما يقال الهدم دائماً أسهل من البناء. فإن استطاع المرء توفير بناء جيد من حسن التعامل فإن هذا سيسعده هو في المقام الأول لأنه سيشعر بحب الناس له وحرصهم على مخالطته، ويسعد من يخالط ويشعرهم بمتعة التعامل معه. فالإنسان بطبعه لا يستطيع أن يعيش منفرداً بعيداً عن الناس وفي جزيرة مستقلة عن الناس فبالطبع يتأنس مع من حوله ويتسامر مع أشكاله من الناس، فإذا كان تعذيباً أن يُحبس الإنسان منفرداً عن الناس، إذاً كيف نحافظ على هذا التعامل وما هو أفضل وجه يتعامل به الناس بعضهم ببعض؟ فمن كمال الإسلام أنه لم يفرط في شيء، فقد وضع ضوابط وأسساً يستمسك بها المرء ليكون مميزاً في التعامل والتكافل والمواصلة مع الآخرين.

المعاملة من باب المفاعلة بين اثنين أو بين الطرفين فلا بد من عامل ومعمول به، والمعاملة ناشئة من الأخلاق، فحسن المعاملة أو سوءها مرتبط بخلق صاحبها فإن كان ذا خلق حميدة كانت معاملته حسنة وإن كان ذا خلق سيئ كانت معاملته سيئة. فإن الإسلام حث كثيراً على مكارم الأخلاق، وركز النبي ﷺ كثيراً في تعاليمه على مكارم الأخلاق، وهو نفسه ﷺ رمز لمكارم الأخلاق حتى نال تزكية ربه حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^١.

وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت: كان خُلُقُهُ القرآن^٢. تعني: كان على ما أمره الله به في القرآن. ويقول ﷺ بأن من مهام رسالته إتمام مكارم الأخلاق قال ﷺ "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"^٣ فالشرائع السابقة التي شرعها الله للعباد كلها تحث على الأخلاق الفاضلة، ولهذا ذكر أهل العلم أن الأخلاق الفاضلة مما أطبقت الشرائع على طلبه، ولكن الشريعة الكاملة جاء النبي عليه الصلاة والسلام فيها بتمام مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال. ولنضرب مثلاً، مسألة القصاص: ذكر أهل العلم في مسألة القصاص أي: لو أن أحداً جنى على أحد فهل يقتص منه أم لا؟ ذكروا أن القصاص في شريعة اليهود حتمي ولا بد منه، ولا خيار للمجني عليهم فيه، وأن الأمر في شريعة النصارى العكس، وهو وجوب العفو، لكن شريعتنا جاءت كاملة من الوجهين، ففيها القصاص وفيها العفو، لأن في أخذ الجاني بجنايته حزماً وكفّاً للشر، وفي العفو عنه إحساناً جميلاً، وبذل معروف فيمن عفوت عنه، فجاءت شريعتنا -والحمد لله- مكملة، خيرت من له الحق بين العفو

^١ سورة القلم، الآية ٥

^٢ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: الأدب المفرد بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (رقم ٣٠٨) دار البشائر الإسلامية - بيروت

الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

^٣ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: الأدب المفرد، رقم ٢٧٣

والأخذ، لأجل أن يعفو في مقام العفو، وأن يأخذ في مقام الأخذ. وهذا بلا شك أفضل من شريعة اليهود التي ضيعت حق المجني عليهم في العفو الذي تكون فيه مصلحة لهم، وأفضل من شريعة النصارى التي ضيعت حق المجني عليهم أيضاً فأوجببت عليهم العفو وقد تكون المصلحة في الأخذ وإنزال العقوبة.

وفقد تكلم العلماء في معنى حسن الخلق وأساس المعاملة مع الناس فعرفه بعضهم بأنه كف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه. ويذكر ذلك عن الحسن البصري رحمه الله^١. وقيل: هو التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل. وقيل: هو بذل الجميل وكف القبيح. وسئل سهل عنه فقال: أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه^٢ وفي تحليل قول الحسن البصري رحمه الله نقول: أولاً: معنى كف الأذى:

معنى كف الأذى أن يكف الإنسان أذاه عن غيره سواء كان هذا الأذى بالمال، أو يتعلق بالنفس، أو يتعلق بالعرض، فمن لم يكف أذاه عن غيره سواء كان هذا الأذى بالمال، أو يتعلق بالنفس، أو يتعلق بالعرض، أو لم يكف أذاه عن الخلق إنساناً كان أو حيواناً فليس بحسن الخلق، بل هو سيئ الخلق.

وقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم حرمة أذية المسلم بأي نوع من الإيذاء وذلك في أعظم مجمع اجتمع فيه بأتمته يوم الحج الأكبر حيث قال: "إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا"^٣. إذا كان رجل يعتدي على الناس بأخذ المال، أو يعتدي على الناس بالغش، أو يعتدي على الناس بالخيانة، أو يعتدي على الناس بالضرب والجناية، أو يعتدي على الناس بالسب والغيبة والنميمة، لا يكون هذا حسن الخلق مع الناس، لأنه لم يكف أذاه عنهم، ويعظم إثم ذلك كلما كان موجهاً إلى من له حق عليه أكبر.

فالإساءة إلى الوالدين مثلاً أعظم من الإساءة إلى غيرهما، والإساءة إلى الأقارب أعظم من الإساءة إلى الأبعد، والإساءة إلى الجيران أعظم من الإساءة إلى من ليسوا جيراناً ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن" قالوا: من يا رسول الله؟ قال: "من لا يأمن جاره بوائقه"^٤ ثانياً: معنى بذل الندي:

^١ الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد: احياء علوم الدين (ص ٥٣/٣) دار المعرفة - بيروت (بدون تاريخ)

^٢ الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد: احياء علوم الدين (ص ٥٣/٣) وابن القيم الجوزية: مدارج السالكين لابن القيم، بتحقيق: محمد حامد الفقي (٢٩٤/٢) دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣

^٣ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، باب قول الرسول ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع، رقم ٦٧، المرجع السابق

^٤ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، باب من لا يأمن جاره بوائقه، رقم ٦٠٦٧ المرجع السابق

الندى هو الكرم والجود، يعني: أن تبذل الكرم والجود. والكرم ليس كما يظنه بعض الناس أنه بذل المال فقط، بل الكرم يكون في بذل النفس، وفي بذل الجاه، وفي بذل المال، وفي بذل العلم.

إذا رأينا شخصاً يقضي حوائج الناس، يساعدهم، ويتوجه في شؤونهم إلى من لا يستطيعون الوصول إليهم، ينشر علمه بين الناس، يبذل ماله بين الناس، هل نصف هذا بحسن الخلق؟ نعم، نصفه بحسن الخلق، لأنه بذل الندى، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن".^١

ومن مخالقة الناس بخلق حسن: أن الإنسان إذا ظلم أو أسيئ إليه، فإنه يعفو ويصفح وقد امتدح الله العافين عن الناس، فقال في أهل الجنة: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ

الْعِيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^٢

وقال تعالى: {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى^٣} وقال تعالى: وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا^٤

وقال تعالى: فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ^٥.

وكل إنسان يتصل بالناس، فلا بد أن يجد من الناس شيئاً من الإساءة، فموقفه من هذه الإساءة أن يعفو ويصفح، وليعلم علم اليقين أن نتيجة عفوه وصفحه ومجازاته بالحسنى، سوف تقلب العداوة بينه وبين أخيه إلى ولاية، ومحبة، وصداقة، قال تعالى: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ^٦.

وتأملوا كيف جاءت النتيجة بإذا الفجائية، لأن إذا الفجائية تدل على الحدوث الفوري في نتيجتها: فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ^٧ ولكن ليس كل أحد يوفق لذلك قال: وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ^٨.

هل نفهم من هذا أن العفو عن الجاني محمود مطلقاً ومأمور به؟ قد يفهم البعض ذلك من الآية، ولكن ليكن معلوماً أن العفو إنما يُحمد إذا كان العفو أحمد، فإن كان الأخذ أحمد

^١ الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، رقم ١٩٨٧ المرجع السابق

^٢ سورة آل عمران، الآية ١٣٤

^٣ سورة البقرة، الآية ٢٣٧

^٤ سورة النور، الآية ٢٢

^٥ سورة الشورى، الآية ٤٠

^٦ سورة فصلت، الآية ٣٤

^٧ سورة فصلت، الآية ٣٤

^٨ سورة فصلت، الآية ٣٥

فالأخذ أفضل. ولهذا قال تعالى: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ^١. فجعل العفو مقروناً بالإصلاح.

فالعفو يمكن أن يكون غير مصلح، فقد يكون هذا الذي جنى عليك واجترأ عليك رجلاً شريراً معروفاً بالشر والفساد، فلو عفوت عنه لتمادى في شره وفساده فالأفضل في هذا المقام أن تأخذ هذا الرجل بجريئته، لأن في ذلك إصلاحاً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الإصلاح واجب، والعفو مندوب، فإذا كان في العفو فوات الإصلاح فمعنى ذلك أننا قدمنا مندوباً على واجب، وهذا لا تأتى به الشريعة^٢.

ثالثاً: طلاق الوجه:

وطلاق الوجه: هو إشراقه حين مقابلة الخلق، وضد ذلك عبوس الوجه. ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق"^٣. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن البر فقال: وجه طلق ولسان لين. وقال الشاعر:

بُنِّيَ إِنْ الْبَرَّ شَيْءٌ هَيْنَ ... وَجْهٌ طَلِيقٌ وَلِسَانٌ لَيْنٌ

فطلاق الوجه تُدخل السرور على الناس، وتجذب المودة والمحبة، وتوجب انشراح الصدر من المؤمن وممن يقابله.

لكن إذا كان الإنسان عبوساً، فإن الناس ينفرون منه، ولا ينشرحون بالجلوس إليه، ولا بالتحدث معه، وربما يصاب بغفدٍ نفسية، وربما يصاب بالمرض الخطير وهو ما يسمى بالضغط، فإن انشراح الصدر وطلاق الوجه من أنجح العقاقير المانعة من هذا الداء ولهذا ينصح الأطباء من ابتلي بهذا الداء بأن يبتعد عما يثيره ويغضبه، لأن ذلك يزيد في مرضه، فانشراح الصدر، وطلاق الوجه تقضي على هذا المرض، ويكون الإنسان بذلك محبوباً إلى الخلق كريماً عليهم.

^١ سورة الشورى، الآية ٤٠

^٢ ابن عثيمين محمد صالح، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين، (ص ٥٠٠/٢٦ ط١)، مؤسسة ابن عثيمين، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

^٣ مسلم بن حجاج: صحيح مسلم، رقم ٦٨٥٧. **مسلم** بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، أبو الحسين، ٢٠٦هـ - ٢٦١هـ، هو مصنف كتاب صحيح مسلم الذي يعتبر ثاني أصح كتب الحديث بعد صحيح البخاري، وهو أحد كبار الحفاظ، ولد في نيسابور، طلب الحديث صغيراً، وكان أول سماع له سنة ٢١٨ هـ، وعمره آنذاك اثنتا عشرة سنة. وكانت له رحلة واسعة في طلب الحديث، أثنى عليه علماء عصره ومن بعدهم، واعترفوا له بإمامته وبالتقدم والإتقان في علم الحديث. أخذ الحديث عن أحمد وإسحاق بن راهوية وأبي زرعة الرازي وغيرهم، وتلمذ عند البخاري أيضاً، له مصنفات أخرى غير صحيحه في علم الحديث وعلم الرجال.

هذه هي الأصول الثلاثة التي يدور عليها حسنُ الخلق في معاملة الخلق. ولقد وضع الإسلام الضوابط الكاملة لجميع ميادين الحياة في علاقة المرء بربه وفي علاقته ببني جنسه وفي علاقته بسائر المخلوقات، وجاءت جميع هذه الضوابط متوافقة مع فطرة الإنسان وعقله، فيها التيسير والسماحة والمرونة. وهذه من خصائص الإسلام العظيمة التي ترتبط بأصل هذا الدين ولا يعيق تطبيقها عائق. وجاءت نصوص القرآن الكريم تقرر أن الخلاف باق، بقاء الإنسان على هذه الأرض، وأن التعدد والتنوع في أخلاق وسمات البشر مما مضى به القدر الإلهي فسنة الله تعالى في خلقه أن تنوعت أجناسهم وألسنتهم وألوانهم كما تنوعت دياناتهم، ولذلك فإن عيش المسلم ينبغي أن يكون في ضوء هذه الحقيقة التي تزخر بها آيات عديدة كقوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا^١، وقوله: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ^٢ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ^٣ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ^٤. ومبدأ المعاملة في الإسلام لا يفرق بين المسلمين وغير المسلمين الا أن حقوق المسلمين أكد وأوسع. ويلي هذا المطلوب، ذكر حقوق أهل الذمة

المطلب الثاني: أسس التعامل مع غير المسلمين وحقوق أهل الذمة

إذا تتبعنا آيات القرآن والأحاديث النبوية الشريفة وآثار الصحابة نري بكل وضوح أن الشريعة الإسلامية بنت العلاقة مع غير المسلمين على قواعد ومبادئ عامة منها:

أ- الرحمة: هي أساس التعامل وذلك أن الدين جاء رحمة للعالمين قال تعالى "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"^١ وبالتالي يجب أن تعم هذه الرحمة كل الناس مع اختلاف أديانهم

وطوائفهم، وأن تكون هذه الرحمة هي قاعدة التعامل معهم

ب- مبدأ "لا إكراه في الدين" وإنما الدعوة بالكلمة الطيبة وبالحكمة والموعظة الحسنة قال

تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ

^١ سورة يونس، الآية ٩٩

^٢ سورة هود، الآية ١١٨-١١٩

^٣ سورة الأنبياء ١٠٧

رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ^١ وقال: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"^٢ وقال: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ^٣ ذلك أن الدخول في الدين لا يكون إلا بالحجة والبرهان والإقناع، لا من خلال القوة والعنف والإكراه^٤. وعبر تاريخ دولة الإسلام كان يعيش في داخلها غير المسلمين في مراحل قوتها وضعفها، فلم يجبروا على ترك معتقداتهم أو يكرهوا على الدخول في الإسلام، والقاعدة العظمى في الإسلام أن "لا إكراه في الدين"، ولذا فقد عاش الذميون^٥ وغيرهم في كنف دولة الإسلام دون أن يتعرض أحد لعقائدهم ودياناتهم^٦

ج-العدل: من أهم القواعد والمبادئ التي يقوم عليها هذا الدين في التعامل مع كل الناس قال تعالى: يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ^٧

قال البيضاوي في تفسيرها "لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم، أن تعتدوا عليهم في ارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم"^٨. وقال ﷺ "ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حججه يوم القيامة"^٩، ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة أمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص، ابيض الرأس واللحية، فقال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله. قال وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي، والعباس جالس فقال له يا عباس ما تقول؟ قال: اقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وكتب لي بها سجلا، فقال عمر ما تقول يا ذمي؟ قال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى. فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من

^١ سورة النحل الآية ١٢٥

^٢ سورة البقرة ٢٥٦

^٣ سورة يونس، الآية ٩٩

^٤ الزحيلي، محمد: الإعتدال في التدين (ص ١٦٣)، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق ط/٣، ١٩٩٢م

^٥ جمع ذمي، وهو

^٦ صالح بن حميد: تلبيس مردود في قضايا حية، (ص ٣٠) مكتبة المنارة، مكة، ط١، ١٤١٢هـ

^٧ سورة المائدة، الآية ٨

^٨ البيضاوي، ناصر الدين بن عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي: تفسير البيضاوي، (ص ٣٠٣/٢) دار الفكر، بيروت (بدون تاريخ)

^٩ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، رقم ٣٠٥٤

كتاب الوليد بن عبد الملك، قم فاررد عليه يا عباس ضيعته، فرد عليه^١. ولذا فإن من يتأمل أحكام الإسلام وتاريخ المسلمين يجد أنه لا يمكن أن يقوم مجتمع تحترم فيه الحقوق والواجبات كما في دولة الإسلام، وفي أوج عزة دولة الإسلام وقوتها كان يوجد من غير المسلمين العلماء والأدباء والأطباء والنابغون في مختلف الفنون والأعمال، وهل يمكن أن يكون لهؤلاء ظهور ونبوغ في أعمالهم؟ لولا سماحة الإسلام ونبذه للتعصب الديني!

د- المساواة في الكرامة الإنسانية : قال تعالى: يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^٢ وقال: يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا^٣. وفي خطبة حجة الوداع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كلكم لأدم وأدم من تراب"^٤

وقال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"^٥

هـ- التعاون بين الناس في الخير، وقال تعالى "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"^٦ وبالتالي لا مانع من التعاون معهم في كل مافيه خير للإنسانية حتي لو كانوا معادين وقال تعالى "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنَّ صَدُّوَكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ"^٧ وعندما ذكر رسول الله ﷺ حلف الفضول قال: لقد شهدت في دار عبدالله بن

^١ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ابو الفرج: صفة الصفوة (ص ١١٥/٢)، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩

^٢ سورة الحجرات، الآية ١٣

^٣ سورة النساء، الآية ١

^٤ ابن حنبل، أحمد: المسند، رقم ٨٧٢١ المرجع السابق

^٥ سورة الإسراء، الآية ٧٠

^٦ سورة المائدة، الآية ٢

^٧ سورة المائدة، الآية ٢

جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت^١ ووجه الدلالة أن هذا الحلف كان تعاوناً مع مشركي مكة على منع الظلم، وعلى نصرة المظلوم وهو من البر. والصحيفة المدنية التي وضعها رسول الله ﷺ عند الهجرة للتعايش الأمني بين سكانها شاهد بذلك^٢

و- الإحسان إلى المحتاج منهم بالصدقة والصلة: قال تعالى: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ^٣ وقد روي أن هذه الآية جاءت في أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما لما زارتها أمها وهي مشركة حيث قالت: "قدمت علي أُمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: إن أُمي قدمت وهي راغبة أفأصل أُمي؟ قال نعم صلي أُمك؛ وفي خلافة عمر بن الخطاب لما وجد شيخاً يهودياً يسأل الناس فقال لخازن بيت المال انظر هذا وأمثاله من أهل الكتاب فضع عنهم الجزية بل ويعطيه من بيت المال^٤

ز- احترام معتقداتهم وعدم إيذائهم فيها قال تعالى "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ^٥ وقال تعالى لرسوله ﷺ "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ^٦ قال تعالى: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ^٧

لقد أطلق الإسلام على غير المسلمين الذين لهم ذمة "أهل الذمة" وعاملهم بها وهي تعني: العهد والأمان والضمان، والحرمة والحق^٨ وهو عهد منسوب إلى الله عز وجل وإلى الرسول ﷺ قال ابن الأثير: "وسمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم"^٩. إن

^١ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري: السيرة النبوية، (ص ٣٣ / ١) المرجع السابق

^٢ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري: السيرة النبوية (ص ٥٠٤ / ١)

^٣ سورة الممتحنة الآية ٨

^٤ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ٥٩٧٨ المرجع السابق

^٥ أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم: الخراج، دار المعرفة، بيروت، (ص ١٢٦)

^٦ سورة الأنعام، الآية ١٠٨

^٧ سورة آل عمران، الآية ٦٤

^٨ سورة الكافرون، الآية ٦

^٩ ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، بتحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد

الطناحي (ج ٢ ص ١٦٨) المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

^{١٠} ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث (ص ١٦٨ / ٢)

قوة هذا الدين وسلامة قواعده وتنوع أساليبه أوجدت مجالا خصبا للحوار والحرية والإبداع في المجتمع المسلم^١. وإن من يأخذون ببعض النصوص من الكتاب أو السنة ويريدون تطبيقها في معاملة غير المسلمين يخطئون في فهم منهج الإسلام وطبيعته، فالواجب أن تؤخذ نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة كاملة وتقرر معاملة المسلم مع غيره في ضوئها وعلى هديها، وفي القرآن العظيم آيات لا تحصر في الأمر بالبر والصلة والإحسان والعدل والقسط والوفاء بالعهد، والنصوص في ذلك مطلقة تستوعب كل أحد، بل إن نصوص الإحسان تشمل حتى الحيوان وفي الحديث عنه ﷺ قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبيحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته"^٢، وقال تعالى: وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^٣، وقال: وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ^٤. وهذا المفهوم العام للإحسان كان هدي النبي ﷺ في معاملة غير المسلمين وكذلك أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

وتجدر الإشارة إلى أن غير المسلمين أصناف ولكل صنف ماله وما عليه في الشرع، وأصنافهم كالآتي:

- ١- المحاربون أو أهل الحرب، وهم الذين بينهم وبين المسلمين حالة حرب، وهؤلاء يجب قتالهم ما دامو محاربين شريطة أن يلتزم في قتالهم بالقواعد الشرعية من عدم الغدر، وعدم قتل من لا يقاتل، وإنذارهم قبل قتالهم وغير ذلك من الأحكام
- ٢- أهل الذمة : وهم غير المسلمين المقيمين تحت ذمة المسلمين مع احتفاظهم بدينهم على مبلغ يؤدونه إلى الدولة مقابل الحماية والخدمات التي تقدمها الدولة. والذمة من الأمان والعهد. وقد شرعت الجزية بعد تبوك في قوله تعالى: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ^٥ وأهل الذمة يعدون من رعايا الدولة ومواطنيها. ولهم كافة الحقوق

^١ حسن الزين: أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي، بيروت، (ص٥٣) ط/١، ١٤٠٢هـ

^٢ مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة ، رقم ٥١٦٧

^٣ سورة البقرة ، الآية ١٩٥

^٤ سورة البقرة ، الآية ٨٣

^٥ سورة التوبة ، الآية ٢٩

التي لرعايا الدولة من المسلمين، وهم آمنون على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم لا يحل لأحد أن يعتدي عليهم.

٣- أهل العهد: وهم غير المسلمين من غير دار الإسلام الذين بينهم وبين المسلمين عهد وهؤلاء يجب الوفاء بعهدهم، ولا يحل نقضه ولا مخالفة شروطه إلا إذا نقضوا هم ذلك العهد. مثل ما جرى بين النبي والمشركون في صلح الحديبية.

٤- أهل الهدنة: وهم غير المسلمين من غير دار الإسلام الذين بينهم وبين المسلمين هدنة مؤقتة، أي إيقاف مؤقت للعمليات العسكرية أثناء القتال

٥- أهل الأمان: وهم غير المسلمين الذين يقيمون في دار الإسلام إقامة مؤقتة لغرض من الأغراض، كدراسة أو تجارة أو علاج أو تبادل دبلوماسي وغير ذلك من الأغراض. قال تعالى: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى

يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ^١ وعقد الأمان يشبهه اليوم تأشيرة الدخول.

فلقد بنى الإسلام شريعة التسامح في علاقاته على أساس متين فلم يضيق ذرعا بالأديان السابقة، وشرع للمسلم أن يكون حسن المعاملة رقيق الجانب لين القول مع المسلمين وغير المسلمين فيحسن جوارهم ويقبل ضيافتهم ويصاهرهم حتى تختلط الأسرة وتمتزج الدماء^٢. وشرع الإسلام مواساة غير المسلمين بالمال عند الحاجة فشرع للمسلم أن يعطيهم من الصدقة ويهدي إليهم ويقبل هديتهم ويواسيهم عند المصيبة ويعود مريضهم ويهنئهم بما تشرع فيه التهنة كالتهنئة بالمولود والزواج ويناديهم بأسمائهم المحببة إليهم تأليفا لهم.

فهل هناك طريقة دعوة أو منهج استمالة لغير المسلمين أفضل من هذا؟ يقال: الدين المعاملة!

^١ سورة التوبة، الآية ٦

^٢ مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، (ص ١٣٣) المكتب الإسلامي بيروت ط ١٤٢٠ هـ.

المطلب الثالث: صور من المشكلات الاجتماعية التي تتأثر بالمعاملة في ولاية بلاتو

المقصود بالمشكلات الاجتماعية مجموعة معوقات وأخطاء يقع فيها المسلمون في تعاملهم مع البعض، وقد كان السلف الصالح من العلماء يهتمون بمعالجة أخطائهم قبل اهتمامهم بمعالجة أخطاء الآخرين مما سهل عليهم مداواة النفوس وعلاج مشكلاتها فينبغي للمسلمين اليوم العودة إلى منهج السلف.

والنظر الفاحص الدقيق لواقع مجتمع المسلمين اليوم في ولاية بلاتو يظهر بعض المشكلات والمعوقات التي تواجههم في تعامل أفرادهم أو الجماعات مع البعض وتفاوت فيها بيئات ومجتمعات ومدن وقرى من حيث القوة والضعف والأسباب والمظاهر، لكن لا تخلو بيئة أو مدينة أو قرية من معظمها. ويمكن إجمال هذه المشكلات إلى الأمور التالية:

أولاً: الأثرة وهي تقديم المصلحة الشخصية على المصلحة العامة، وتعتبر هذه أولى المشاكل في بلاتو لأنها تمس جميع مجالات الحياة وقد ظهرت آثارها السلبية سياسياً واجتماعياً ودينياً بل وفي باقي المجالات، فالشخص الذي يقدم مصلحته قبل تقدير عاقبة أتمته لا شك أنه يكون خائناً لأتمته ويحتكر المناصب أو المكاسب ويستعثر بها دونها. وهي بعبارة أخرى تسمى "أنانية" فكم من المسلمين وجدوا مناصب مرموقة في الدولة، يستطيعون بها تحرير مجتمعاتهم من البؤس والفاقة، بحيث يكوّنون صلة في توظيف أبناء مجتمعاتهم في أعمال حكومية أو فرص متاحة ولم يفعلوا، وارتقوا إلى هذه المناصب وانتهت مدة ولايتهم بدون أن يعود منهم للبيئة التي ربتهم أي فائدة سوى دخولها في قائمة الذين رأسوا منهم وزارة كذا وكذا. وقد تضافرت هذه الفرص للمسلمين حتى على المستوى الأعلى في الدولة. فقد حكم نيجيريا منذ الاستقلال إلى الآن ثمانية رؤساء مسلمون من شمال نيجيريا وفي أطول مدة ولكن منطقة شمال نيجيريا بقيت أفقر منطقة مع أن لها الأغلبية من حيث الموارد البشرية والأراضي الزراعية والموارد الخام، لفقد القادة الذين همهم مجتمعهم لا أنفسهم خلافاً لما نشهده من غيرنا، فكل من نال منصبا منا غفل عن قومه ولم يكن له أي برامج اقتصادية أو حضارية تحولهم إلى الحال الأفضل، إنما همّه فقط جمع الثروة وبعد عزله عن كرسي السلطة ينتقل إلى أبوجا (العاصمة) أو أوروبا حيث لا سبيل لأحد إليه إلا أمثاله من الأغنياء. فهذا ما يحدث في أغلب مجتمعاتنا فهي ليست مشكلة بلاتو فقط، لكنها أكثر ضرراً لمسلمي ولاية بلاتو لطبيعتهم الاجتماعية وقلة عددهم بين غير المسلمين في النسبة المئوية التي يقل عن ثلاثين (٣٠%) وهل لهم أمل

في المستقبل؟ نرجو ذلك، لعل بالأخذ ببعض الأمور التي سنذكرها عند تطبيق منهج الصحابة تكون مستقبلا مجيدا - إن شاء الله .

ثانيا: التعصب والقبلية: من السلبات التي تواجه المسلمين في ولاية بلاتو العصبية والقبلية، من بقية السكان، فأغلب المسلمين ينتمون إما إلى قبيلة هوسا-فلاني أو قبيلة يروبا وكانوري، بين ثلاثين ونيف قبيلة أغلبها إما وثنيون أو يدينون بالنصرانية.

ومن كوارث العصبية أنها تؤدي إلى مذابح، يزرح تحت وطأتها وجنونها الكثير من البشر الأبرياء، وأدت العصبية في تاريخ الأمم بغضّ النظر عن منابعها وأسبابها إلى قيام حروب طاحنة بين بني البشر، وهل مشاكل بلاتو إلا منها؟ فمنذ ٢٠٠١م إلى اليوم لم تخدم نارها في بلاتو، وقد صبر المسلمون وتحملوا كثيرا، ويدافعون عن أنفسهم لكن لا يُرضي أولئك القليلون المتعصبون إلا إجلاء المسلمين وإخراجهم من بيوتهم، ولا يبعد السبب من كثرة المسلمين في جوس وهي العاصمة ومركز السلطة، ولهم قوة اقتصادية ونفوذ سياسية.

وأما في دائرة المسلمين، فتمزقهم الطائفية والحزبية كما أشرنا إليها سابقا عند حديثنا عن مشكلات الدعوة في بلاتو.

ثالثا سوء الجوار: ومن المآزق التي تحول دون تقدم المسلمين في بلاتو سوء الجوار مع إخوانهم المسلمين من جانب ومع بقية السكان من غير المسلمين من جانب آخر. السكنى في بلاتو متداخلة بحيث يعيش المسلمون وغير المسلمين في مكان واحد، فليس هناك حي للمسلمين مستقل عن غير المسلمين، إنما بدأ ظهور نوع من الاستقلال عن بعض بعد اضطرابات سنة ٢٠٠١ خاصة في جوس وزاد الأمر سوءً بين ٢٠٠٨ - ٢٠١٠م.

بما أن الأسلام قد بين منهج الحياة وأخذ الرسول الكريم الكثير من وقته في تعليم الأمة مبادئ هذا الدين وتفصيله، والذي تضمنت الجميع جوانب المعيشية وكيفية التعامل، إلا أن هناك انفصالا كبيرا بين تعاليم النبي ﷺ وما نراه اليوم في أوساط المسلمين في ولاية بلاتو. حسن الجوار سنة تعلمها المسلمون من رسول الله ﷺ بالقول والفعل والتقرير، بل إن موقف الإسلام منه يفوق ما ألفه العرب قبل الإسلام، وبلغ اهتمام الإسلام به أن نفي الإيمان عن كل مسيء لجاره، قال: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه^١ قيل للنبي ﷺ إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها بلسانها. قال: " لا خير فيها، هي في النار. قيل: فإن فلانة تصلي

^١ البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٥٦٧٠ المرجع السابق

المكتوبة، وتصوم رمضان، وتتصدق بأثوار من أقط ولا تؤذي جيرانها. قال: هي في الجنة" ^١ ولما ذكر له عن امرأة تسيئ إلى جارتها قال هي في النار مع أنها صوامة قوامة.

ومع هذا كله نرى مظاهر بشعة من سوء الجوار بين المسلمين اليوم، من إيذاء الجار للجار وتتبع العثرات، والتطلع إلى العورات في السر والجهر، ولا يأمن جار جاره على دين ولا نفس ولا أهل ولا مال. وللأسف إننا نراه شيئاً هيناً وهو عند الله عظيم، ومظاهر هذه الإساءة قليلة في القرى والريف قياساً بالمدن والمعمورات، والبحوث الإستطلاعية التي أقمنا بها في مدينة جوس عام ٢٠١٦م في مختلف أحياء المسلمين العديدة، وتحديثاً إلى الجيران من مختلف الشرائح السكنية، استخلصنا بأن الحياة داخل المساكن الجماعية مرادفة للضوضاء والمناوشات وتبادل التهم بالتقصير وعدم التحضر، وبعيدا عن البحث عن نقاط الالتقاء التي تعيد نسج العلاقات بين الجيران، ومنبع المشكلة في السكن الجماعي من موارد المياه وفي استعمال الحمامات وتنظيفها، لأن آبار المياه ينقص ماؤها بانقضاء فصل الأمطار فلا يكفي ماؤها لاستعمال الجميع، ولعل بناء حمامين أو ثلاثة لاستعمال أربع أسر بأبنائهم العديدة ينشأ منه مضايق لبعضهم خاصة الذين يخرجون إلى الوظائف والأسواق كما يتأخر التلاميذ عن المدرسة وغيرها من المضايقات. والجانب الثاني من الإساءة فيما بين الجيران في المساكن، هو قلة الاحترام بين الجيران والتساهل أو الرفض عن دفع الرسوم اللازمة للكهرباء وغيرها. ففي حي سابون لايي مربع فارن غدا جوس على سبيل المثال، بمجرد أن سألناه عن طبيعة النمط المعيشي ومدى تضامن السكان في ما بينهم، رد محمد ثاني باستياء "أنا حقيقة متضايق، أريد الرحيل من هذا الحي سأبحث عن منزل آخر، لم أعد أطيق العيش هنا، لأن الجيران ليسوا متحضرين، يفتقرون لثقافة الجوار واحترام الآخر، يرفضون دفع مستحقات الحراس وإزالة الأوساخ ورسومات الكهرباء وتصلح جداول المياه، بحجة أنهم اقتنوا المنزل بأموالهم الخاصة وليسوا ملزمين بكل هذه الأعباء، كما أن جل أصحاب الشقق يقومون باستئجارها، ما يجعل من هب ودب يقطن بها". هذه بعض معاناة الجيران مع جيرانهم، أضف إليه عدم المواساة بينهم. كم من الجيران اليوم لا يعرف الحال الذي يبيت فيه جاره، أأكل أم لا، خلافا لما نعرفه في القرى والبادي حيث يجتمع من الجيران ثلاثة أو أربعة في فناء بيت أحدهم يواكلون ويسامرون، وبها يتعرفون على أحوال البعض، فيا للعار على سكان المدن والمعمورات، لا يعرف أحدهم شيئاً عن جاره بل لا يعرف من يجاوره، بعذر أنه مشغول، فيعود إلى البيت بعد

^١ الحاكم: محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرک، رقم ٧٣٠٥ المرجع السابق

الدوام ليأكل ويشرب ويرمي الفضلة للكلاب وقد بات جاره طاوئاً جائعاً. نسأل السلامة والعافية

رابعاً: ضياع الأمانة وكثرة الخيانة: إن ضياع الأمانة وضعف الديانة، وكثرة الخيانة والغش من أمارات الساعة كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ، لكن ذلك ليس مبرراً لأحد أن يستمر في هذا الفساد بحجة أن الرسول ﷺ نبأ به، إذ لا يكفي دليلاً للاعتداء على حقوق الناس وسلبها منهم، لأنه قد ثبت النهي عن ذلك في نصوص من الشريعة كثيرة. والأمانة لا توجد إلا حيث يوجد العدل وإذا ساد الظلم ولدت معه الخيانة، وبالعدل والأمانة تزدهر الحضارة، وتتقدم الدول والأمم ويعرف الناس حقوقهم وواجباتهم. فمما عمت به البلوى في أوساط المسلمين اليوم في ولاية بلاتو كثرة الخيانة والغش والغدر واضمحلال الأمانة، بين الرؤساء والمرؤوسين وبين العلماء والأتباع وبين التاجر وغلّامه وخادمه، فما أكثر الخيانة والغرر في تجارتنا اليوم، والتطفيف في المكيلات والتقصير في الموازين. كنّا قبل سنوات نتمتع بالثقة والرضي من غير المسلمين لما يعرفون من صدق حديثنا والأمانة في معاملتنا، لكن اليوم تغير الحال إلى الأسوأ وقلنا للدولار والنيرات (اسم العملة النقدية في نيجيريا) "إياك نعبد وإياك نستعين". فالأمانة إذا ضيعت انتشرت بسببها الأخلاق الرديئة من الرشوة والغش والتدليس والتزوير والكذب والمطل في قائمة طويلة.

وفي الأوساط التي ضيّعت فيها الأمانات (والله أعلم) تكثر الحوادث الكونية والاعتيادية والكوارث المختلفة، فما أكثر الأوقات التي تصاب أسواقنا بالحريق وسببه يبقى غامضاً أو الحريق في بيوت أفراد التجار، كم كوارث رأينا أنه هلكت بسببها أموال عظيمة، أو عملة الإختطاف ثم المطالبة بالملايين من المال لفدية المخطوف. وإلا من كان يظن أن أمطاراً اعتيادية تغرق أحياء كاملة وتهلك أرواحاً كثيرة وتتلّف مالاً عظيماً لولا الجشع والطمع والفساد من أصحاب البطون الممتلئة بالحرام حيث لم يراعوا الأمانة وخانوا الأمة، وقائمة أعمال أكلة الحرام وقتلة الناس يطول ذكرها. ألا وإن من أسباب نقشي هذا الفساد في دائرة مسلمي ولاية بلاتو قلة الاحتساب على أصحابه بالنصيحة والتذكير والمحاسبة حتى أمنوا مكر الله وعقوبته فملؤوا أرصدتهم بالأموال على حساب حياة الناس وضروريات عيشتهم. ولإيقاف هذا الفساد الذي خَلَفَ هذه الكوارث فلا بد من الإنذار عليه كما يحذر على سائر المنكرات الأخرى. وسنسترشد في الحل بمنهج الصحابة رضوان الله عليهم

خامساً: قلة التعاون على البر والتقوى: فمن ضمن مهام الأمور التي حث الشريعة الإسلامية عليها كثيراً، التعاون فيما بين الناس على البر والتقوى، فالإنسان من طبعه أنه

اجتماعي، ولا يستطيع أن يجلب لنفسه جميع متطلبات الحياة بغير أن يعتمد في بعضها على غيره، فلو نأخذ رغيف خبز كمثال لرأينا أن أيادي كثيرة تعاونت في تحقيقه، فمن زرع الأرض وبذر القمح؟ ومن سقاه؟ ومن حصده؟ ومن حمله إلى السوق؟ ومن باعه؟ ومن طحنه؟ ومن خبزه؟ ومن؟ ومن؟ قائمة المتعاونين فيه طويل، فالظاهر أن التعاون أمر لا تصلح الحياة إلا به، ولم تتركنا الشريعة حتى تبين لنا على ما نتعاون عليه فقال تعالى: **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴿٢﴾ فلو أراد أن يجرأ الفرد وأن يجلب لنفسه جميع مطامعه بدون أن يتعاون معه غيره، لكانت الحياة أصعب مما يتصور، فمن رحمة الله تعالى بخلقه أن أجازلهم التعاون فيما بينهم، ثم قيده بالبر والتقوى، فالتعاون في كل ما هو خير مندوب إليه والتعاون على الإثم وتجاوز حدود الله منهي عنه.

فمع هذه الدقة والبيان الذي جاء في نصوص الشريعة، إلا أنك ترى التساهل في الأخذ بهذا المبدأ فيما بين المسلمين، فوضع المسلمين في بلاتو يتطلب كثيرا من التعاون فيما بينهم لأن السلطة في يد غيرهم وهم القلة في الولاية ومبعثرة في محليات ووحدات مختلفة، ولا يجدون فرصة في الوظائف الحكومية في الولاية ويعاملون معاملة الأجانب. ولقد قامو بطلب حقهم القانوني من طرق كثيرة لكن دون جدوى ولم تتغير الأمور إلى الأصلاح حتى الآن، وأعباء توفير ضروريات المعيشية من مستويات لرعاية صحتهم وطرق لتسيير أمتعتهم ومحصولات زراعاتهم ومدارس لتعليم أبنائهم وآبار لورد الماء لأنفسهم ومواسيهم وكهرباء للإضاءة وغيرها، ليست متوافرة في محلياتهم. فمن المفروض أن من كان تحت هذا الضغط، فإن روح التعاون بينهم تكون قوية ناصعة لكن العكس هو المشاهد. ولنأخذ جوس كمثال، أنشأت جماعة نصر الإسلام مستشفى سميتها "الشفاء" وهو المستشفى الوحيدة التي لديهم باسم مستشفى المسلمين لكن لعدم التعاون مع بقية الجماعات وسوء إدارتها من المسؤولين، ورفض المرضى أن يدفعوا الرسوم اللازمة بعد تمريرهم خربت المستشفى ولا وجود لها اليوم وكذلك فعلت جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة حيث قامت بنفس المشروع سمته "مستشفى السنة" واجهت هي كذلك مشاكل كثيرة حتى كادت أن تغلق المستشفى ثم وجدت دعماً من أبناء الجماعة في مختلف ولايات نيجيريا فبنت هيكلًا جديدًا وقد بدأت الشغل فيه منذ ٢٠١٥م فمن المشاكل التي تواجهها غير التي ذكرنا آنفاً عدم الكفاءة المالية لتوظيف الأطباء المستقرين، ومن جانب التعاونية فالمنتسبون إلى

^١ سورة المائدة ، الآية ٢

الصوفية لا يتداون في هذه المستشفى كما أن المنتسبين إلى جماعة إزالة البدعة لا يحبون حتى الدخول لزيارة المرضى في مستشفى "الأنوار" الذي كان في جيازة أحد علماء الصوفية، فأدى هذا التصرف إلى ضعف مستوى المعيارية لمستشفيات المسلمين، وتجذب الكثير يفضلون الذهاب إلى مستشفيات تكون في حيازة غير المسلمين، ونفس الشيء يقال عن مدارس المسلمين في جوس. فهذا الفارق الذي وضعه مسلمو مدينة جوس بينهم يؤثر أثرا سلبيا على تقدمهم، فما من شيء يقومون به ما دام يمس العامة إلا ودخل فيه تعصب الحزبية وفشل في آخر المطاف، ولم يسلم منه حتى مجلس العلماء والشيوخ الذي أسس لرتق هذه الشقوق، ويكون كرمز قيادي للمسلمين في جوس

سادسا: فقد القيادة: يؤسف كل متابع لأمر المسلمين في ولاية بلاتو أن يعرف أنه مع كل المضايقات والضغوط التي يجدونها من الحكومة من جانب ومن بقية قبائل الولاية خاصة قبيلة "بيروم" وغيرهم ممن ليسوا مسلمين من جانب آخر، لم يستطيعوا معها توحيد كلمتهم تحت رئاسة واحدة، اللهم إلا تحت جماعاتهم، وبعد فطنتهم إلى ضرورة اجتماعهم على كلمة واحدة أنشؤوا مجلس العلماء والشيوخ وجلبوا لها وكلاء من جميع الجمعيات الإسلامية في بلاتو تحت رئاسة إمام البلد وهو طبعاً عضو من جماعة نصر الإسلام ويكون له وزيران وسكرتير من باقي الجمعيات الأخرى في البلد. فلجماعة نصر الإسلام وكيلان وجماعتي إزالة البدعة وإقامة السنة (أ و ب) وكيلان على حدة وفي باقي الجمعيات ينوب عن الكل وكيل واحد. لكن لم يتكون ضمن أعضاء هذا المجلس وكلاء من جمعيات المسلمين من قبيلة يروبا.

وأهداف المجلس هو الدفاع عن حقوق المسلمين دينياً وسياسياً واجتماعياً في ولاية بلاتو وإيجاد ساحة تجمع المسلمين على اختلاف طوائفهم لمناقشة قضاياهم والتحديات التي تواجههم من نواح سياسة واجتماعية واقتصادية.

لكن وفي وقت متأخر في شهر ديسمبر ٢٠١٨م اجتمع بعض من عشرات الناس تحت مظلة اتحاد مسلمي جوس، وعقدوا مؤتمراً صحافياً تم فيه إعلان تكوين حركة أخرى باسم "مجلس اتحاد مسلمي جوس" (Jos United Muslim Council) ولها وكلاء من جميع جمعيات ومنظمات المسلمين باستثناء جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة (أ) ^١ ومن أسباب تأسيسها أن مجلس العلماء والشيوخ المعهود لم يعد يقوم على المبدأ الذي من أجله أسس،

^١ في تاريخ هذه الجماعة منذ انشائها في ١٩٧٨ كانت متحدة حتى أواسط تسعينيات فانقسمت إلى قسمين بعد أن فشلت جميع المحاولات في رتق الشق بين الفريقين واستمرت كذلك، فالتفريق بين الطائفتين اصطلح عليها الناس بـ "إزالة" (أ) و إزالة (ب) وبعض ينسبونهما إلى مقر مركزهم، نحو: "إزالة" (جوس) و إزالة (كدونا)

وقد تهيمنت على السلطة التنفيذية فيها جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة (١) ولا وهي تسمح للطائفة الثانية بترشيح وكيل آخر بعد وفاة أحد وكيلها في المجلس والذي كان أحد نائبي الرئيس وتوقيف الرئاسة الحالية لوكيلهم الثاني تأديبا له لأنه خرق بعض قوانين مجلس العلماء والشيوخ، كما كان هناك خمس جمعيات للمسلمين من قبيلة البروبا الذين لا وكالة لهم بين أعضاء "المجلس" وليس للرئاسة الحالية أي تخطيط لاندراجهم فيه، إضافة إلى أنهم آخرون. وإن كان مجلس العلماء والشيوخ ليس له ولاء تام من عامة مسلمي ولاية بلاتو إلا أنه يمثل نوعاً من القيادة نسبية للمسلمين فيها، وبانفصال هذه الجماعة منه يبدأ طور آخر في تشكيل القيادة المسلمين في بلاتو.

هذه العوامل تؤثر في تطبيق منهج الإصلاح في ولاية بلاتو

المطلب الرابع: نماذج تطبيقية لمنهج عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير في التعامل في ولاية بلاتو

كان الصحابة رضوان الله عليهم مثلاً يُحتذى في التعامل، وكانوا في ذلك المثل الأسمى، لفرط تأسيهم برسول الله ﷺ لأنهم، وزيادة على ما ألفوه من الأخلاق السامية في بيئة العرب من الكرم والسخاء والوفاء وغيرها قبل الإسلام إلا أنهم شاهدوا من النبي ﷺ ما يفوق عقولهم، فما سبق أنهم يروا إنسانا في تمام الاستقامة لا ينقصه شيء، سوى الصادق الأمين، وهو الذي قال فيه ربه: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴿١﴾

فكان هذا مما أقنعهم بالإسلام ، فمنذ ذلك الحين الذي دخلو في مدرسة تربية قرآنية، تعلموا ما لا حصر له من الأخلاق إضافة إلى ميدان التطبيق الواقعي الذي خاضوه مع رسول الله ﷺ، فأدركوا أن الأوامر والنواهي في القرآن تعنيهم بالأصالة وغيرهم تبعاً لهم فيها. قال عبدالله بن مسعود: إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فأرعاها سمعك: فإنه خير تؤمر به أو شر ينهى عنه" ٢ وزاد أعجابهم لما نزلت: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**

وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

١ سورة القلم، الآية ٤

٢ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (ص ٥/٣) المرجع السابق

٣ سورة النحل، الآية ٩٠

قال عثمان بن مظعون: فذاك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً ﷺ^١. وعن عبد الله بن مسعود، قَالَ: اطلع الله في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ثم اطلع في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب اصحابه خير قلوب العباد فاخترهم لدينه يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه سيئاً فهو عند الله سيئ^٢

فهذه الآثار وما يشبهها تفيد بنقاء المنهل الذي نهل منه الصحاب، فاستحقوا أن يقتدي بهم، وكيف لا، وقد جعل الله هديهم مثالا لكل من يدعي الإيمان بعدهم، قال جل وعلا: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا فَقَدْ هَتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٧٧﴾

فنمذجنا في هذا العجالة، كلاهما وجدا التوثيق من رسول الله ﷺ وشهد الصحابة بذلك فهذا عبد الله بن مسعود يقول عنه حذيفة: ما أعلم أحداً أقرب هديا وسمتا ودلا برسول الله ﷺ حتى يوارى جدار بيته من ابن أم عبد وقال: لقد علم المحظوظون من أصحاب رسول الله ﷺ أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله وسيلة يوم القيامة^٣

وقال ربيعة عن مصعب بن عمير كما روى عنه ابنه عمرو بن ربيعة: كان مصعب لي خدناً وصاحباً منذ يوم أسلم الى أن قتل -رحمه الله- بأحد، خرج معنا إلى الهجرتين جميعاً بأرض الحبشة وكان رفيقي من بين القوم فلم أر رجلاً قط كان أحسن خلقاً ولا أقل خلافاً منه^٤ فبهذه التزكية نقدمهما أنموذجاً في التعامل لأهل بلاتو.

ففي حل المشكلات الاجتماعية في منظر ثقافي إسلامي، وليكون الحل حلاً مؤبداً لا مؤقتاً لا بد أن يكون مبنياً أولاً على تعرف الأمة بربها، ثم تعرفها بنفسها من حيث تعرف ما تريد وما تسعى إليه، واقتبسوا هذا من بين الآيات الخمسة الأولى التي تلقاها النبي ﷺ من الوحي، قال الله تعالى: أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝^٥ تضمنت الآية الأولى معنى

^١ علي الواحدي، ابو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن النيسابور: اسباب النزول، بتحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان (٢٨٧-٢٨٦) دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

^٢ الطبراني سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط، بتحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، رقم ٣٦٠٢ دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥ هـ

^٣ سورة البقرة، الآية ١٣٧

^٤ الطبراني سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، رقم ٨٤٨٧ المرجع السابق

^٥ ابن سعد: الطبقات، ١١٦/٣ المرجع السابق

^٦ سورة العلق، الآية ١-٥

العلم بالخالق والأية الثانية تضمنت أن يتعرف العبد على نفسه ثم تكرر أهمية تعلم العلم وأن الله يعلم الإنسان ما لم يعلم إذا سار على درب العلم. قالوا وبعدها يأتي دور تكوين النفس وحملها على الطاعات ونهيها عن المحذورات، والعبادة هي التي ترتدي هذه الصورة، قال تعالى: يَنَّايُهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْفُرْعَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ وبعدها أمره سبحانه بالإنذار والدعوة، قال تعالى: يَنَّايُهَا الْمُدَّيِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فالمجتمع الذي بُني على هذا الأساس العام يصعب أن يحصل فيه كثير من المشكلات لأنه قد تناول تزيانها وإذا حصلت فلسوف يكون الحل سهلاً -إن شاء الله- فإذا كانت هذه هي الأساس في التعامل مع المشكلات عند حلولها، إضافة إلى وسائل أخرى تتناسب مع المشكلة يكون الحل حاسماً وتكون النتيجة باهرة. والمجتمع الذي قد وقعت فيه بعض هذه النقائص الأخلاقية والسلوكية، فالخطوة الأولى هو البدء بتعليمهم غاية هذا الدين، ثم محاولة تقوية علاقة العباد بربهم سبحانه وتعالى وعندها يكونون مهيبين لقبول التغيير والانتقال من حال أسوأ إلى سيئ ثم إلى حسن وهكذا، فلا بد من الرغبة والعزم للتغيير، ثم يوفقه الله له قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿١﴾

فمنذ أن خلق الله عز وجل الأرض ومن عليها ظهرت مجموعة من النقائص الإنسانية التي مثلت بمرور الوقت مجموعة من الآفات القلبية والسلوكية التي تهدد المجتمعات المختلفة، ورغم أن كل الأديان السماوية وحتى الحضارات الإنسانية حاولت التعامل مع هذه النقائص وتهذيبها إلا أن معظمها ظل به تصور واضح هو في عدم طرحها للبدائل أو سبل العلاج إلا الإسلام، فقد جاء فياضاً بالخير صداعاً بالحق طافحاً بالخلق الكريم،

^١ سورة المزمل، الآية ١-٨

^٢ سورة المدثر، الآية ١-٧

^٣ سورة الرعد، الآية ١١

وقد أتى مناسباً لكل الأمم، مجتازاً حدود الزمان والمكان، ليكون حلاً لكل الأمراض القلبية والسلوكية^١

فهو قبل أن يحرم أو ينهي عن شيء وضع البديل له وبين للمسلمين كيفية علاجه وأن الناظر في هذا الدين العظيم ليعرف حق المعرفة أنه وجد للبشرية جمعاء، ولا حياة كريمة لها بدونه.

والآفات التي تعانيتها ولاية بلاتو مرّ ذكرها في المطلب السابق ونود تهذيبها استرشداً بمنهج الصحابة في حلها على ضوء الكتاب والسنة النبوية الطهرة

أ. مشكلة تقديم المصلحة الشخصية على المصلحة العامة

لاشك، إنها لمشكلة حالت بين مسلمي ولاية بلاتو وبين التقدم ونيل حريتهم بطريق منهجي علمي ثقافي، وإنها ليست مشكلة بلاتو فقط، فطالما عانتها مجتمعات قبلها، فعندما يغلب الإنسان مصلحته على مصلحة الآخرين ومهما كان الثمن، فهذا هو تعريف الأنانية الذي ينطلق من الأنا. ولا فرق بينه وبين الأثرة، التي بمعنى أن يخص الإنسان نفسه أو أتباعه بالمنافع من أموال ومصالح دنيوية ويستأثر بذلك ويحجبه عمّن له فيه نصيب أو هو أولى به^٢،

فالذي يجعل مصلحة نفسه أمام مصلحة العامة لا شك أنه يفوت عنها مصالحها ويحول دونها خيرات قد تكون سبب عزها، ويفكها من قيد المزلة الأبدية، فلذلك ذمت الشريعة

الأنانية والأثرة وحثّت على الإيثار قال تعالى: **فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۖ وَءَاثَرَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ۖ** ﴿٣٨﴾

فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ ﴿٣٩﴾ وقال في أية أخرى: **"بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ**

خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۖ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۖ ﴿١٨﴾ **صُحُفِ إِبْرٰهِيْمَ وَمُوسَىٰ ۖ** ﴿١٩﴾

عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع بهذه الآية ؟ قال أية آية ؟ قلت قوله { يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم } قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ فقال بل انتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنياً مؤثرة وإعجاب كل

^١ محمد اسماعيل: الإسلام نهى عن الأثرة ورغب في الإيثار، جريدة عمان، يوم ٩ يونيو ٢٠١٨، www.omandaily.om زرتها يوم ٢٧ ديسمبر ٢٠١٨

^٢ المرجع نفسه

^٣ سورة النازعات، الآيات ٣٧-٣٩

^٤ سورة الأعلى، الآيات ١٦-١٩

ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فإن من ورائكم أيما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم قال عبد الله بن المبارك وزادني غير عتبة قيل يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال بل أجر خمسين منكم^١ وقال زيد بن وهب سمعت عبد الله قال قال لنا رسول الله ﷺ إنكم سترون بعدي أثره وأمورا تنكرونها قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم^٢

ولذا ينبغي علي المؤمن الحق التخلص من هذه الصفة المذمومة وألا يؤثر من لا يستحق على من يستحق. وعلاج الأثرة لا يكون إلا بالإيثار بأن يقدم الإنسان حاجة غيره من الناس على حاجته، برغم احتياجه لما يبذله، فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروي سواه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"^٣ وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها "ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، ولو شئنا لشبعنا، ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا"^٤. وأثنى الله على أهل الإيثار، وجعلهم من المفlichen، فقال تعالى: وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

فهذا هو العلاج الذي تمسك به أصحاب رسول الله ﷺ فقد سجل التاريخ الكثير من مواقفهم العجيبة في الإيثار ونتطرق إلى بعضها، فبالمثال يتضح المقال.

١. لنبدأ بقصة ضيف رسول الله ﷺ: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ يَضُمُّ- أو يضيف- هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ. فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء. فهيات طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعل يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ضحك الله

^١ الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى: سنن الترمذي، رقم ٣٠٥٨ مرجع سابق

^٢ البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٧٠٥٢ مرجع سابق

^٣ البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ١٣ المرجع السابق

^٤ ابن حجر: العسقلاني، فتح الباري، (ص ٤٧٨/٥) المرجع السابق

^٥ سورة الحشر، الآية ٩

اللَّيْلَةِ - أَوْ عَجَبَ مِنْ فَعَالِكَمَا^١، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

٢. إِيثَارُ الْأَنْصَارِ لِلْمُهَاجِرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَقْبَلَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا شَيْئًا، قَدْ تَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَمَا يَمْلِكُونَ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ، وَأَقْبَلُوا عَلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ الْأَنْصَارُ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ، وَأَكْرَمُوهُمْ أَيْمًا إِكْرَامًا، وَلَمْ يَبْخُلُوا عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ مِنْ حَطَامِ الدُّنْيَا فِي صُورَةٍ يَعْجَزُ عَنْ وَصْفِهَا اللِّسَانُ، وَيُضْعَفُ عَنْ تَعْبِيرِهَا الْبَيَانُ: فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ نَزَلُوا عَلَى الْأَنْصَارِ فِي دُورِهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ نَزَلْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ مَوَاسَاةٍ فِي قَلِيلٍ، وَلَا أَبْذَلَ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ، لَقَدْ أَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنِأِ وَكَفُونَا الْمُؤْنَةَ، وَلَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَكُونُوا ذَهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَلَّا مَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ وَأَتْنَيْتُمْ بِهِ عَلَيْهِمْ^٣.

وهذا عبد الرحمن بن عوف لما قدم المدينة آخى النَّبِيُّ ﷺ بينه وبين سعد بن الرَّبِيعِ الأنصاري، وعند الأنصاريِّ امرأتان، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال له: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دَلُونِي عَلَى السُّوقِ^٤.

٣. الإِيثَارُ بِالْحَيَاةِ: وَقَدْ وَصَلَ الْحَالُ بِصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ آثَرُوا إِخْوَانَهُمْ بِحَيَاتِهِمْ، وَهَذَا غَايَةُ الْجُودِ، وَمُنْتَهَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ.

ففي غزوة اليرموك قال عكرمة بن أبي جهل: قَاتَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَوَاطِنٍ وَأَفْرُ مِنْكُمْ الْيَوْمَ؟! ثُمَّ نَادَى: مَنْ يَبَايِعُ عَلَى الْمَوْتِ؟ فَبَايَعَهُ عُمَةُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، وَضَرَّارُ بْنُ الْأَزُورِ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ وَجُوهِ الْمُسْلِمِينَ وَفَرَسَانِهِمْ، فَقَاتَلُوا قَدَّامَ فُسْطَاطِ خَالِدٍ حَتَّى أُتْبِتُوا جَمِيعًا جَرَاخًا، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ، مِنْهُمْ ضَرَّارُ بْنُ الْأَزُورِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا صَرَعُوا مِنَ الْجَرَاخِ اسْتَسْقَوْا مَاءً، فَجِيءَ إِلَيْهِمْ بِشَرْبَةِ مَاءٍ، فَلَمَّا قَرَبَتْ إِلَى أَحَدِهِمْ نَظَرَ إِلَيْهِ الْآخَرُ، فَقَالَ: ادْفَعْهَا إِلَيْهِ. فَلَمَّا دُفِعَتْ إِلَيْهِ نَظَرَ إِلَيْهِ الْآخَرُ، فَقَالَ: ادْفَعْهَا إِلَيْهِ. فَتَدَافَعُوا كُلُّهُمْ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى وَاحِدٍ حَتَّى مَاتُوا جَمِيعًا وَلَمْ يَشْرَبْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ^٥.

^١ البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٣٧٩٨ المرجع السابق

^٢ سورة الحشر، الآية ٩

^٣ البوصيري: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، (رقم ٦٩٦٤) موقع شبكة مشكاة الإسلامية، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير

^٤ البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٥٠٧٢ المرجع السابق

^٥ الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، (ص ٣٣٨/٢) دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ

٤. إيثار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لما طعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال لابنه عبد الله: اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سلها أن أدفن مع صاحبي. قالت: كنت أريده لنفسي، فلا وثرته اليوم على نفسي. فلما أقبل، قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع، فإذا قبضت فاحملوني، ثم سلّموا، ثم قل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فادفوني، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين^١.

٥. عمر يختبر إيثار أصحاب رسول الله ﷺ: أخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعمائة دينار، فجعلها في صرة، ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلکاً ساعة في البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها. فذهب بها الغلام إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: وصله الله ورحمه. ثم قال: تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان. حتى أنفدها، فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل. وقال: اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل، وتلکاً في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع. فذهب بها إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: رحمه الله ووصله. وقال: يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا. فاطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطينا. ولم يبق في الخرقه إلا ديناران فنحاهما إليهما. فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، فسرّ بذلك عمر، وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض^٢.

٦. نموذج من عبد الله بن عمر: مرض ابن عمر فاشتهدى عنباً -أول ما جاء العنب- فأرسلت صفية -يعني امرأته- فاشتريت عنقوداً بدرهم، فأتبع الرسول السائل، فلما دخل به، قال السائل: السائل، فقال ابن عمر: أعطوه إيّاه. فأعطوه إيّاه. ثم أرسلت بدرهم آخر، فاشتريت عنقوداً، فأتبع الرسول السائل، فلما دخل، قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إيّاه. فأعطوه إيّاه، فأرسلت صفية إلى السائل، فقالت: والله إن عُدت لا تصيب منه خيراً أبداً. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت به^٣.

٧. أخي وعياله أحوج: قال ابن عمر رضي الله عنه: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: إن أخي فلائاً وعياله أحوج إلى هذا ممّا فبعث به إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول،

^١ البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ١٣٩٢ المرجع السابق

^٢ الطبراني: سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، رقم ٣٤ (ص ٣٢/١٥) المرجع السابق

^٣ البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، رقم ٧٥٩٢ المرجع السابق

فَنَزَلَتْ^١ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^٢

هذا غيظ من فيض من مواقف الصحابة رضي الله عنهم في الإيثار، وبهذه المثل ملكوا الدنيا ودان لهم الجبابة والقياصرة، وولد الله ذكرهم والترضى لهم من بعدهم. فهموا حقيقة معنى قول الرسول ﷺ " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"^٣ وعلى مثل الإيثار عاش كل من عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير، فقد قدم عبد الله نفسه منذ الوهلة الأولى من لقائه برسول الله ﷺ تاركا بذلك رعي الغنم الذي يتكسب منه وترك رتع الغلمان ليكون من كبار خدما رسول الله ﷺ وممن يحفظون للأمة بأسرها كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، كما تولى مصعب عن الترف والمرح وجميع المغريات ليتفقه في هذا الدين وليصبح سفير رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يكتف بذلك حتى ضحى بنفسه في غزوة أحد ليبقى الإسلام حياً، فلذلك إذا ذكر عبد الرحمن بن عوف هذا المشهد من مصعب قال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه وقتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه إلا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشيت أن تكون قد عجلت لنا طبيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام^٤.

ومن علاج الأثرة، تذكر الموت، فإن الإنسان مهما طالبت به الحياة ومهما يجمع من الرزق والسلطة والجاه، فإنه مفارقه، ويدركه الموت ولو كان على قمم الجبال، قال تعالى: ﴿أَيُّمَّا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾^٥. لأن هذه المغريات لو دامت لغيره لما وصلت إليه أصلاً، ويبقى ما جمع من الأموال والجاه والسلطان ملك لغيره بعده، قال النبي ﷺ: أكثروا ذكر هادم اللذات الموت^٦. فقد عاش الرسول وانتقل إلى جوار ربه، وهو إمام المتقين، ومات صحابته الكرام ولم يصحبوا معهم إلا ما قدموا من الأعمال، وهكذا سيموت الجميع إن عاجلاً أو آجلاً.

^١ الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري، المستدرک، رقم ٣٧٩٩ المرجع السابق

^٢ سورة الحشر، الآية ٩

^٣ البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ١٣ المرجع السابق

^٤ البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ١٢٧٥ المرجع السابق

^٥ سورة النساء، الآية ٧٨

^٦ البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، شعب الإيمان بتحقيق محمد السعيد بسبوني زغلول (رقم ١٠٥٥٨)، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠

ومن العلاج أيضا، حسن تربية الناشئين منذ الصغر، وليكن الكبار لهم قدوة حسنة ويعلموهم أن يحبوا لغيرهم ما يحبون لأنفسهم، ويعلموهم التعاون والتقارب بين الناس ومحبة الخير والنفع لجميع الخلق. والله أعلم

هذه دعوة لسكان ولاية بلاتو، وأهل الحل والعقد فيها، وجميع الموظفين بأن يتبعوا نهج الصحابة ويتعلموا من أخلاقهم الكريمة.

ب. التعصب للقبلية

نهى دين الإسلام عن التفاخر بين الناس الذي يؤدي بهم إلى العصبية أو القبلية والتي تؤدي إلى الشقاق والخلاف بين الناس، والتفريق بين المجتمع الواحد، بل وتؤدي بهم إلى قطع أواصر الصلة والمحبة بينهم. وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤكد على التواصل والمحبة بين أفراد المجتمع المسلم، ويحقق الوئام بين عموم المسلمين، من خلال رابطة العقيدة الإسلامية، التي هي أسمى رابط بين المجتمع المسلم. وفي ظل هذا الهدف الأسمى للدين الإسلامي، وتأكيداً على رابطة العقيدة، ونبذ العصبية والقبلية التي كانت سائدة قبل الإسلام، نبين كيف تترسخ المفاهيم الإسلامية بين أفراد المجتمع المسلم، والتأكيد على ترسيخ مفهوم المجتمع المسلم الواحد الذي يمتاز فيما بينه بميزة تقوى الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾

وما يشهده المسلمون في ولاية بلاتو من أعداء دينهم من القبائل الساكنة معهم أمر يدعو للاهتمام، ومما ورد من العلاج النبوي، التسلي بقصص القرآن عن الأمم الغابرة والصبر والتصبر معهم في مواضع الصبر ومقارعة القوة بالقوة في حينها كما عامل النبي ﷺ اليهود في عهده

أما القبلية والتعصب بين المسلمين والتفاخر بها فهو محذور وعده الشرع من خصال الجاهلية فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاث لم تزلن بأمتي: التفاخر بالأحساب، والنياحة، والأنواء" ٢ وقال رسول الله ﷺ "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية" ٣

١ سورة الحجرات، الآية ١٣

٢ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير، (رقم ٣٤٦٧) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت (د. ت)

٣ أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، رقم ٥١٢٣ المرجع السابق

وما معرفة الشخص لنسبه إلا نعمة خالصة من الله فهو سبحانه شاء لك أن تولد ابن فلان الفلاني ولو شاء سبحانه أن تولد ابن فلان من الناس لَنَفَذْتَ مشيئة الله، إذا فالنسب نعمة تستحق الشكر لا الفخر ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث قال: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرٌ"^١، وقبل ذلك قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الْنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١٣) فالله سبحانه يقول "لتعارفوا" وليس لتفاخروا وتعاضموا. فليس عيباً أن يعرف الإنسان نسبه حتى يتحقق التعارف بين الناس شعوبهم وقبائلهم، ولكن العيب أن يكون ذلك مدعاة للتعاضم والتعالي على غيرهم. فمابال أقوام ينحون هذا المنحى ويدعون بهذه الدعوى والله سبحانه قد وضع الميزان الذي لا يخل (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى)!)

فمن طرق التخلص من العصبية والقبلية كما يبدو في السنة النبوية المطهرة

١. التثبيت أن ميزان التفاضل عند الله هو التقوى كما في الآية السابقة

٢. بيان عواقبهما الوخيمة في الدنيا من حيث إنها تبعث النعرات والنزاعات في أي مجتمع كانتا، فهما داءان يخرجان الإنسان من دائرة العقل والإتزان إلى دوائر الغرائز المنفلتة، ولذا فإن الإنسان قد يتصرف بلا عقل فتتعدم معايير الحق والعدل حينئذ، وهما خلقان يجران إلى الكذب والتدليس، فضلا عن المبالغة والتهويل أو التهوين، وأثارهما بالغة الخطورة، فقد يترتب عليهما السباب والتلاعن، والتباغض والتهاجر، بل الحروب والقتال

٣. التسرع إلى دحضها بمجرد سماع حدوثها كما جاء عند البخاري وغيره حدثنا محمد أخبرنا مخلص بن يزيد أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابرا رضي الله عنه يقول غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاري فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج النبي صلى

^١ ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، رقم ٤٣٠٨ المرجع السابق

^٢ سورة الحجرات، الآية ١٣

الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى أهل الجاهلية ثم قال ما شأنهم فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري قال فقال النبي ﷺ دعوها فإنها خبيثة^١

٤. توجيه أفراد المجتمع إلى القيم والمبادئ الفاضلة التي جاء بها الشرع من تواضع وحلم وعدل وحسن ظن واحترام حقوق الآخرين وغير ذلك من الفضائل وتنشئة الناشئين عليها

٥. الاعتزاز بالله ورسوله ﷺ وقوة محبتهم والتشرف بطاعتهم وصرف الولاء لهما واليقين بأن المقياس الصحيح لمعرفة الرجال وكيفية التعامل معهم هو مدى تمسكهم بالشرع والتزامهم بالتقوى وتحقيق العبودية كل ذلك يضعف التعصب الجاهلي والولاء المقيت ويقضي على المبادئ السيئة. فإذا امتلأ القلب بمحبة الله وسعى في تحصيل محبة الله واعتز بالله وآخى أهل طاعته وخاصته هان في قلبه جميع الروابط الإنسانية وازدرى التعصب والغلو فيها

وهكذا كان مجتمع الصحابة يعتزون بالله وطاعة رسوله ولم يجد التعصب والقبلية مكانا فيه.

فإذا استرشد مسلمو ولاية بلاتو بهذه المبادئ فلا شك أنه تنتفي بينهم هذه النقائص الجاهلية ويسود فيهم الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين كما تم بين صحابة رسول الله ﷺ.

ج. ضياع الأمانة وكثرة الخيانة والغش

فهي ظاهرة أخبر عنها رسول الله أنها من علامات الساعة، ويُعدّ سلوك الخيانة والغش من السلوكيات غير السوية وغير الأخلاقية، فهما ينافيان جميع معاني الإنسانية التي تدعو إلى الأمانة والصدق في الأمور كلها؛ ذلك أنّ الخيانة والغش يعودان على الفرد والمجتمع بأضرارٍ كبيرةٍ هم في غنى عنها، وهما سلوكان غير مرغوبٍ فيهما في المجتمع، ويسعى الجميع لمحاربتهم، ومحاولة الحد من انتشارهما، فما نهت الشريعة عنهما إلا لأنهما يتضمنان إظهار الإنسان خلاف ما يُضمّر، والإسلام يدعو إلى صفاء الباطن والظاهر والاخلاص والنصيحة، فمن يُخلط بين الرديو الحسن والسيئ بالجد، أو بث السوء ونشره على أنّه خير يُرجى فهو خائن، والمعلم أو العامل الذي يقوم بتزييف النتائج المتعلقة بالتقويم، أو محاولة من الطالب لأخذ إجابة الأسئلة بطرق غير مشروعة، فالخيانة ظاهرة اجتماعية منحرفة، خرجت عن العديد من المعايير والقيم الشرعية التي أقرّها الإسلام؛

^١ البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٣٥١٨ المرجع السابق

وذلك لما تتركه في المجتمع من آثارٍ سلبية واضحة تنعكس على مظاهر الحياة الاجتماعية، فهي نقض للعهد، وتقريط للأمانة، ومن النفاق العملي

والخيانة موجودة في كل الأمم، ولم يسلم منها زمان دون زمان ولا مكان دون مكان، بل لم يسلم منها أفضل زمان بوجود أفضل رجل ورجال، زمن النبي وصحابته الكرام، فكيف بمن بعده؟!

فالصحابة لما فهموا مضرة الخيانة وعواقبها الوخيمة ابتعدوا عنها واختاروا الأمانة والصدق والوفاء، وضربوا للأمة أروع الأمثلة فيها:

فهذا عبد الله بن مسعود يضرب لنا مثل في الأمانة منذ لقائه الأول مع رسول الله، قال: كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر فقالا: يا غلام، هل عندك من لبن تسقيننا؟ فقلت "إني مؤتمن ولست ساقيكما" فقال النبي ﷺ: هل عندك من شاة حائل، لم ينز عليها الفحل؟ قلت نعم، فأتيتهما بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح الضرع ودعا ربه فحفل الضرع، ثم أتاه أبو بكر بصخرة متفجرة فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربت ثم قال للضرع! "أقلص" فقلص، فأتيت النبي ﷺ بعد ذلك فقلت: علمني من هذا القول فقال: "إنك غلام مُعَلَّم"¹. وما عسى أن يكون بعد أن تربع الإيمان في قلبه وتربى على تربية رسول الله ﷺ!

عن نافع مولى ابن عمر رضي الله عنه قال: "خرج عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في بعض نواحي المدينة، ومعه أصحاب له، ووضعوا السفرة له، فمر بهم راعي غنم، فسلم، فقال ابن عمر: هَلُمَّ يا راع فأصب من هذه السفرة، فقال له: إني صائم، فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سموئه وأنت في هذه الحال ترعى الغنم؟! فقال: والله إني أبادر أيامي الخالية، فقال له ابن عمر وهو يريد أن يختبر ورعه وأمانته: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنُعْطِيكَ ثمنها ونُعْطِيكَ من لحمها ما تفطر عليه؟ قال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي، فقال له ابن عمر: فما يفعل سيدك إذا فقدها؟ فوَلَّى الراعي عنه، وهو يرفع أصبعه إلى السماء، وهو يقول: فأين الله؟ قال: فجعل ابن عمر يُرِدُّ قولَ الراعي، يقول: قال الراعي: أين الله؟ قال: فلمَّا قدم المدينة بعث إلى مولاه، فاشتري منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي ووهب له الغنم²

¹ - ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد الشيباني: مسند أحمد بن حنبل رقم ٤٤١٢ (ص ٤٦٢/١) مؤسسة قرطبة - القاهرة (بدون تاريخ)
² البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، شعب الإيمان بتحقيق محمد السعيد بسبوني زغلول (٥٢٩١) المرجع السابق

وهذا أنس يعتبر الحاجة التي بعثه رسول الله ﷺ لطلبها أمانة فلا يفشي ذلك السر حتى وإن كانت أمه، قال: أتى علي رسول الله ﷺ وأنا أَلعب مع الغلمان- قال: فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سرٌّ. قالت: لا تحدثن بسرّ رسول الله ﷺ أحدًا. قال أنس: والله لو حدثت به أحدًا لحدثتك يا ثابت^١

فعالجوا الخيانة بالأمانة وحفظها والتخلّق بها، كما فعل جيل الصحابة رضوان الله عليهم ومن طرق التخلص من الخيانة حسب منهجهم

- معرفة قيمة الأمانة من آيات القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ والتأسي بها.
- تذكر خطورة عواقب الخائنين، وأخطرها عدم دخول الجنة قال رسول الله ﷺ: "وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالا والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك..."^٢
- عدم الدفاع والمخاصمة عن الخائنين، كما قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا^٣ ، فلا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه محق
- عدم ائتمان الخائنين، قال رسول الله ﷺ "سيأتى على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة قيل وما الرويبضة قال الرجل التافه يتكلم في أمر العامة"^٤
- عدم قبول شهادة الخائن، فالأصل فيمن يؤدون الشهادات أن يكونوا من أهل الاستقامة والعدالة، أما الخائن فليس أهلاً للشهادة، قال رسول الله ﷺ "لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا زان ولا زانية ولا ذى غمر على أخيه"^٥

^١ مسلم: الو الحسين بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، رقم ٦٥٣٣، المرجع السابق

^٢ مسلم: ابو الحسين بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، رقم ٧٣٨٦، المرجع السابق

^٣ سورة النساء ، الآية ١٠٥

^٤ ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، رقم ٤٠٣٦ المرجع السابق

^٥ ابو داود: سليمان بن الاشعث السجستاني، سنن أبي داود، رقم ٣٦٠٣ المرجع السابق

د. ضعف التعاون مع البعض:

لم يرتق الإسلام إلى الذروة التي وصل إليها على عهد الرسول وصحابته الكرام لأن جميعهم كانوا مهاجرين محضاً أو أنصاراً فقط إنما لسبب تعاونهم مع البعض في كل الوجوه

فكان الصحابة كخليّة النحل في تكاتفها وتعاونها، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منهم عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. ففي الوقت الذي كان فيه أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص يفتحون مصر والشام والعراق، كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يسوسون الناس، ويرعون شؤونهم، وكان معاذ بن جبل وابن عباس وابن عمر يعلمون الناس، ويفتونهم ويربّونهم، وكان أبو هريرة وأنس وعائشة يحفظون الحديث ويروونه، وكان أبو ذرّ وأبو الدرداء يعظون الناس والحكام وينصحونهم، فتعاونوا ولم يتعابوا وتناصروا ولم يتدابروا.

ونقف هنا وقفات مع نماذج من تعاون الصحابة رضي الله عنهم. نقل لنا الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه صورة من تعاون الصحابة وتكاتفهم في حفر الخندق، فيقول: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم، ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً *** على الإسلام ما بقينا أبداً

والنبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم ويقول:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة *** فبارك في الأنصار والمهاجرة^١

عندما قال النبي ﷺ لبني النجار: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا قالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله فقال أنس فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين وفيه خرب وفيه نخل فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين فنبشت ثم بالخرب فسويت وبالنخل فقطع فصفوا النخل قبله المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي ﷺ معهم وهو يقول اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة^٢

^١ البخاري، محمد اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ٢٨٣٥ المرجع السابق

^٢ البخاري، محمد اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ٤٢٨ المرجع السابق

موقفهم في قصة سلمان رضي الله عنه عندما كاتب سيده، وكان فقيرًا لا يملك ما كاتب عليه، فقال النبي ﷺ للصحابه أعينوا أخاكم، فأعانوه، حتى تحرر من رقه، وأصبح حرًا^١

لقد أقام الإسلام التعاون بين المسلمين على أساس محكم، ومدّ له في كل ناحية من نواحي الحياة بسبب. فالتمثيل القرآني لأهل الإيمان أنهم كالبنيان المرصوص، وفي التمثيل النبوي كالجسد الواحد. فأمور الإسلام ومطلوباته لا تتحقّق على وجهها إلا بالتعاون. ودين الله بنيان شامخ لا يقوم ولا يثبت إلا حين تتراص لبناته، وتتضامن مبانيه؛ لتسدّ كل لبنة ثغرتها.

وإذا كان الله سبحانه قد خلّق الخلق لعبادته وطاعته فإن هذه العبادات والطاعات أنواع: قلبية عقلية كالإيمان، وبدنية كالصلاة، ومالية كالزكاة، ومركبة من البدن والمال كالحج والجهاد. وكل هذه العبادات بأنواعها لا تقام ولا تشاد إلا بوسائلها: من صحة الفكر، وسلامة البدن، وسعة ذات اليد. ولهذه الوسائل وسائل: من التفقّه في الدين، والإحسان في الأعمال؛ من زراعة وصناعة وحرف، وإتقان في العلوم والمعارف؛ من الطب والحساب والهندسة والمعامل والمختبرات. ومن المقطوع به -كما سبق- أن الإنسان بمفرده بل حتى الرهط من الناس والجماعة المحدودة من القوم لا تستطيع بهذه الوسائل الانفراد بتحقيق هذه المقاصد. ومنه تتبيّن حاجة الناس إلى الاجتماع والتآزر، فذلك ما تقتضيه الفطرة، ويتطلبه الدين، وتنظم به الشؤون، وتستقيم به العلوم.

وهذا بعض البسط لصور من التعاون في أحكام الإسلام وآدابه، وإذا استجلاها رجل الدعوة عرف ضرورة التعاون وحاجته إليه في ميدانه ومجاليه. فالصلوات الخمس جماعة وجمعة، وصلاة العيدين وآدابهما، والحجّ بشعائره، وعقد النكاح بوليّمته وآدابه، وعقيقة المولود، وإجابة الدعوى حتى للصائم، كلّها مناشط عبادية اجتماعية تعاونية، ولا تكون صورتها الشرعية إلا كذلك. وينضم إلى اجتماع الأعياد اجتماع الشدائد والكرب في صلوات الاستسقاء والكسوف والجنّاة^٢.

إنه انتظام عجيب بين أهل الإسلام في مواطن السُرور والحزن، ناهيك بصورة الأخوة، ومبدأ الشورى، وحقوق المسلمين فيما بينهم؛ في القربى والجوار والضيف وابن السبيل واليتامى والمساكين، مع ما يحيط بذلك من سياج الآداب الاجتماعية؛ من إفشاء السلام، وفسح المجالس وما إلى ذلك.

^١ ابن حنبل أبو عبد الله أحمد الشيباني: المسند، رقم ٢٣٧٣٧ المرجع السابق

^٢ نموذج تطبيقية من حياة الصحابة في التعاون، موقع طريق الإسلام ar.islamway.net اطلع عليه بتاريخ ٢٩-١٢-٢٠١٨ بتصرف

أما أنواع المعاملات والتعاملات فذلك جليٌّ في عقود المضاربة والعارية والهبة والمهاداة وفرض الدية على العاقلة، وثمة صورٌ من المعاونات في كفِّ الظلم، ونصرة المظلوم، بل هل يقوم الجهاد، وتُقام الحدود، وتُستوفى الحقوق، ويقوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالتعاون والتآزر!

فلم يحقق ابن مسعود أو مصعب أمنيته وغايته في الدعوة والتعليم في معزل عن اخوانه الصحابة، ولا أحد يبلغ غايته وهو كواحة في الصحراء بعيدة عن الناس، إذن فلنتعاون؛ فإذا وضع المسلمون أيديهم على هذه الأسباب الوثيقة، ويتقدمهم أولو الأمر والعلماء والدعاة، وبذلك بلغوا المكانة المحفوفة بالعزة المشار إليها بقوله سبحانه وتعالى: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

بهذا يتضح للجميع أن قصورنا عن بلوغ غايتنا وآمالنا المنشودة ليس إلا من كثرة اختلافنا واهتمام كل جماعة بجماعتها بدلا عن المصلحة العامة فأبعدنا عن التعاون مع البعض على درب الهدى والعمل، ومثل سائر يقول: لنسعى جميعا، لنفوز جميعا.

هـ. سوء الجوار

إن الأسلام أجاز التجاور مع المسلمين وغير المسلمين إلا أنه وضع فيه ضوابط وأحكاما. ذكر القرآن أنواعا من الجار فقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٣٦)

فجمع الله سبحانه وتعالى بين الأمر بعبادته والأمر بالإحسان إلى خلقه، ومن ذلك الإحسان إلى الجار مسلما كان أم كافرا، قريبا أم غريبا، ملاصقا أم بعيدا.

وقوله تعالى: "والجار ذي القربى" أي: الذي بينك وبينه قرابة، والجار الجنب أي الغريب الذي لا قرابة بينك وبينه، وهذا قول أكثر المفسرين.

وقيل: "الجار ذي القربى" هو الجار المسلم، "والجار الجنب" هو الجار الكافر

^١ المرجع نفسه

^٢ سورة المنافقون، الآية ٨

^٣ سورة النساء، الآية ٣٦ و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٩٥/١ المرجع السابق

وقيل: "الجار ذي القربى" هو الجار القريب جواره، "والجار الجنب" هو المجانب، وهو من يصدق عليه مسمى الجوار مع كون داره بعيدة^١. وكل هذه المعاني صحيحة والآية تشملها وتدل عليها.

وهؤلاء كلهم لهم حق الجوار، وإن كان حقهم متفاوتًا بحسب تفاوت أحوالهم.

قال الحافظ ابن حجر "واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والغريب والمقيم، والنافع والضار، والقريب والأجنبي، والأقرب دارًا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها، ثم أكثرها، وهلم جرا"^٢

فالجار الذي بينك وبينه قرابة حقه أكد من حق الجار الأجنبي، وحق الجار المسلم أكد من حق الجار الكافر، والملاصق حقه مقدم على حق البعيد، وقد روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "قلت يا رسول الله ﷺ: إن لي جارين فألى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك بابًا"^٣

وقد دلت النصوص الشرعية على أن الجيران ثلاثة:

١- جار له ثلاثة حقوق، وهو الجار المسلم القريب. له حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة.

٢- جار له حقان، وهو الجار المسلم. له حق الجوار، وحق الإسلام.

٣- جار له حق واحد، وهو الجار الكافر. له حق الجوار^٤

فقد حفلت السنة بنصوص كثيرة توصي بالجار، وتؤكد حقه، وتأمر بإكرامه والإحسان إليه، وتتوعد على إيذائه وعقوقه، النصوص عامة تشمل الجار المسلم وغير مسلم:

فعن عائشة وابن عمر - رضي الله عنهم - عن النبي ﷺ قال: "ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"^٥

^١ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملّي: تفسير الطبري (ص ١٧٨/٥ - ١٨٠) بتحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (١/٤٩٥) المرجع السابق

^٢ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (١٠/٤٤١) دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان الطبعة الثانية

^٣ البخاري، محمد اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ٢١٤٠

^٤ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (١٠/٤٤١) المرجع السابق

^٥ البخاري، محمد اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ٥٦٦٨ المرجع السابق

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما " أنه ذبح شاة، فقال: هل أهديتم منها لجارنا اليهودي، ثلاث مرات، ثم قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"^١

ويقول عليه الصلاة والسلام: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره" وفي رواية: "فليحسن إلى جاره"^٢

وهذا يدل على أن إكرام الجار، وطيب المعاملة له من شعب الإيمان، وسمات المؤمنين، وأن من لم يكرم جاره لم يتم إيمانه.

وقد أكد ذلك النبي ﷺ بقوله: "والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه"^٣.

فبين - عليه الصلاة والسلام - أن كمال الإيمان الواجب لا يتم إلا بأن يحب المسلم لجاره ما يحب لنفسه من الخير. وهو يستلزم كذلك أن يكره له ما يكره لنفسه من الشر.

بل بين ﷺ أن خير الناس وأفضلهم هو خيرهم لجاره وصاحبه، فقال: "خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره"^٤

وهذا الحديث المبارك ميزان نبوي عظيم يبين مقياس التفاضل بين الناس عند الله، وأن من كان خيراً في معاملته لجيرانه وأصحابه وزملائه فهو دليل خيريته عند الله، وتوفيقه له، ومحبه إياه، بل هو دليل على أنه خير الناس عند الله، وذلك بشهادة رسول الله ﷺ.

قال العلماء بأن حق الجار على ثلاث مراتب: أدناها كف الأذى عنه، ثم احتمال الأذى منه، وأعلىها وأكملها: إكرامه والإحسان إليه

هذا هو موقف الإسلام عن الجار مسلماً كان أم كافراً لكن للأسف هذه الحقوق والمعاملات لم تكن نوفيها إنما أخذنا ما يوافق هوانا وضيعنا الحقوق رغبة في الدنيا ونعيمها الزائل.

لبيتنا أخذنا بأدب رسول الله وأصحابه مع جيرانهم فكانت الثمرة أفضل من يتوقعها أحدنا، وكيف لو عاملنا غير المسلمين الذين يعيشون بيننا بآداب ديننا في معاملة الجيران من الإحسان إليهم وكف الأذى عنهم مع تحمل أذاهم والدعاء لهم بالهداية أمام أعينهم وعن ظهر الغيب، للين الله قلوبهم وقادهم بنا إلى الهدى، لكن معاملتنا لهم كانت بالعكس فابتعدوا

^١ ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد الشيباني، المسند، رقم ٦٤٩٦ المرجع السابق

^٢ البخاري، محمد اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ٥٦٧٣، مسلم بن حجاج: صحيح مسلم، رقم ٤٧، المرجع السابق

^٣ مسلم بن حجاج: صحيح مسلم، رقم ٤٥ المرجع السابق

^٤ ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد الشيباني، المسند، رقم ٦٥٦٦ المرجع السابق

عننا وفهموا الإسلام خطأ، ظنا منهم أن تصرفنا معهم بتلك التصرفات هو ما تعلمناه من نبي الرحمة والهدى. فلا حول ولا قوة الا بالله.

ومن الأمور المعينة على القيام بحق الجار - وبخاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه الشواغل والصوارف والمغريات، واضطرب الأمن، وعمّت فتنة بوكو حرام التقاء الجيران بشكل دوري، واجتماعهم في كل أسبوعين أو شهر أو شهرين عند أحدهم أو على التناوب فيما بينهم، والاستفادة من ذلك بالتعارف والتآلف، وتوثيق المحبة والصلة بينهم، والوقوف على أحوال بعضهم البعض، ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، وتفقد غائبهم، وعيادة مريضهم، وإعانة محتاجهم، وتقويم معوجهم، ونصيحة بعضهم لبعض، كما يستفاد من هذا الاجتماع في مُدارسة أحوال الحي وما يحتاج إليه من خدمات وإصلاحات، ومعالجة ما قد يكون فيه من مشكلات ومنكرات من تقصير في الصلاة، أو تجمعات مشبوهة، أو تسكع ومعاكسات الشباب والشابات، وتعديات وسرقات، أو غير ذلك، وكل هذا من التعاون على البر والتقوى، ومن الاهتمام بأمر الجيران والإحسان إليهم.

كما ينبغي العناية بأمر الناشئة والشباب، والحرص على تهيئة البيئة الصالحة لتربيتهم وإعدادهم، وحمايتهم من أنواع المنكرات والفواحش التي قد تنتشر في بعض الأحياء، بسبب إهمال الجيران والآباء، وعدم تعاونهم على تربية هؤلاء الأبناء، وتكوين المناخ الصالح لتزكية نفوسهم، وتهذيب أخلاقهم، وحثهم على التنافس في الخير، والبعد عن مواطن الفساد والشر، فينبغي أن يكون الحي مكملاً لدور المنزل والمدرسة، ومعيناً على الإصلاح والتربية، وبخاصة مسجد الحي الذي يجب تفعيل دوره، بحيث يكون عامراً بحلقات التعليم والتحفيظ، وجلسات الوعظ والذكر. والله أعلم

المبحث الثالث: تطبيق منهج الصحابييين عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير في التعامل مع الخلاف على ولاية بلاتو

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أسباب الخلاف بين الناس وطريق الخلاص منه

المطلب الثاني: الاختلاف بين السلف وكيف تعاملوا معه

المطلب الثالث: بعض أساليب الصحابة في التعامل مع الخلاف

المطلب الرابع: مظاهر الخلاف بين الدعاة وأتباعهم في ولاية بلاتو

المطلب الخامس: نموذج تطبيقي لمنهج عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير في

التعامل مع الخلاف في ولاية بلاتو

المطلب الأول: أسباب الخلاف بين الناس وطريق الخلاص منه

إن من أسباب البغي والظلم عدم الإنصاف مع المخالف واعتبار كل خلاف سبباً للقطيعة والهجر والتدابير، وإنزال جميع الخلاف منزلة واحدة، والحال أن الأدلة ثابتة بأن الخلاف ضروري وقديم، وقد وجد السلف والخلف النصيب الوافر منه، لكن الفرق الذي بيننا وبينهم هو في كيفية التعامل معه. فليس العيب في وجود الخلاف بين اثنين أو بين طائفتين إنما العيب في أن يسري إلى التباغض والتناحر. ولهذا السبب قسم العلماء الخلاف إلى محمود ومذموم.

الخلاف المحمود وهو اختلاف تنوع وهو عبارة عن الآراء المتعددة التي تصب في مشرب واحد، ومن ذلك ما يعرف بالخلاف الصوري والخلاف اللفظي والخلاف الاعتباري وهذه الاختلافات مردها إلى أسباب فكرية واختلاف وجهات النظر في بعض القضايا العلمية كالخلاف في فروع الشريعة وبعض مسائل العقيدة التي لا تمس الأصول القطعية. وكذلك الاختلاف في بعض المواقف السياسية ومناهج الإصلاح والتغيير وغير ذلك.

أما الاختلاف المذموم وهو اختلاف تضاد ويرجع إلى أسباب كثيرة:

- الحرص على الصدارة أو المناصب
- اتباع الهوى وحب الدنيا
- التعصب لأقوال الأشخاص والمذاهب والطوائف
- قلة العلم في صفوف كثير من المتصدرين
- الغرور بالنفس والإعجاب بالرأي
- سوء الظن والمسارة إلى اتهام الآخرين
- عدم التثبت في نقل الأخبار وسماعها
- العصبية لجماعة أو حزب أو قائد

وهذه الأسباب وغيرها من الرذائل الأخلاقية والمهلكات هي التي ينشأ عنها اختلاف غير محمود وتفرّق مذموم وسبق شرح أغلبها في هذا البحث تحت "عنوان مشكلة الدعوة في ولاية بلاتو" بما فيه كفاية.

ولعلاج الاختلافات المذمومة ينبغي الأخذ بالأمور التالية:

١. رد الإختلاف لكتاب الله وسنة رسول الله مصداقا لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ شريطة أن نعود ونستنبط بالطرق التي استنبط بها علماءنا السابقين،

وليس بالأهواء

٢. اتباع المنهج الوسط يقول الله سبحانه وتعالى: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ

بِكُمُ الْعُسْرَ ﴿٦٠﴾ وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾

ويقول: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ ﴿٦١﴾

٣. التفريق بين القطع والظن في الأدلة والتركيز على المحكمات لا المتشابهات فمن

المعلوم أن النصوص بعضها ظني الثبوت وظني الدلالة وبعضها ظني الثبوت

ووقطعي الدلالة وبعضها قطعي الثبوت وظني الدلالة وبعضها قطعي الثبوت

وقطعي الدلالة، قطعي الثبوت هو القرآن الكريم والسنة المتواترة، وأحاديث

الأحاد الصحيحة التي حفت بقرائن، وتلقته الأمة بقبول حسن.

^١ سورة النساء، الآية ٥٩

^٢ سورة البقرة، الآية ١٨٥

^٣ سورة النساء، الآية ٢٨

^٤ سورة المائدة، الآية ٦

٤. تجنب القطع في المسائل الاجتهادية، فالاجتهاد إذا كان وفقا لأصول الاجتهاد ومناهج الاستنباط في علم أصول الفقه يجب عدم الإنكار عليه، ولا ينكر مجتهد على مجتهد آخر، ولا مقلد على مقلد آخر وإلا أدى ذلك إلى فتنة.

٥. أن من أراد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا بد له أن يطلع على خلافات العلماء وأدلة كل منهم حتى لا ينكر على الناس أمرا هم متبعون فيه علماء أفاضلا، فالاختلاف من ضروريات الحياة وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَحِذِّ ۖ﴾^١ فالتعصب لمذهب واحد واعتقاد أن كل من

خالفه مخطئ أمر يجر إلى فتن عظيمة.

٦. تحديد محل النزاع، فكثير من النقاشات التي تقدم اليوم مردها إلى خلاف في اللفظ، فينبغي تحديد المفاهيم والمصطلحات التي يدور حولها النقاش

٧. النظرة الشمولية ، فلا بد من الجمع بين ما ورد فيما يخص المسألة الواحدة لتحريرها تحريرا جليا واضحا. وأرى أن لا ننساق وراء دليل واحد أو عالم واحد نعظمه ونقدسه ولا نلتفت إلى سواه، وإلا دخلنا في محذور قول الله تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾^٢

٨. النظر في المقاصد واعتبار المآلات، فمسألة المقاصد الإسلامية لها دور كبير في تسيير المعاملات وتسهيل العمل في هذا الزمن وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"^٣

٩. الاهتمام بهوم المسلمين ، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، إن مشاكلنا اليوم كثيرة وعديدة احتوت على الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإرهاب والتفسخ والإنحلال وهناك أمراض جديدة لم نكن نألفها، فلماذا لا

^١ سورة هود، الآية ١١٨

^٢ سورة التوبة، الآية ٣١

^٣ البخاري محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ٦٦٨٩

نتعاون على ما اتفقنا عليه وندع الخلافات ونواجه الخطر الذي يدهمنا اليوم
خطر التمزق ، خطر التدهور

١٠. التعاون في المتفق عليه، إن مشكلتنا في شمال نيجيريا أو ولاية بلاتو
خصوصاً، ليست في ترجيح أحد الرأيين أو الآراء في القضايا المختلف فيها بناء
على اجتهاد أو تقليد، فالواقع أن الخطأ في هذه القضايا يدور بين الأجر
والأجرين، لكن مشكلتنا في تضييع الأمور المتفق عليها. مشكلة ليست فيمن
يسلم تسليمه واحدة أو تسليمتين في الصلاة لكن مشكلتنا في الذي ينكر الصلاة
بعينها. مشكلتنا ليست في التفاضل بين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي- وإن كان
مذهب السلف أسلم وأرجح- لكن مشكلتنا فيمن لا يرى لهؤلاء الصحابة حرمة،
بل العبادة عنده أن يقوم بلعنهم وسبهم.

مشكلتنا ليست فيمن يجهر بقول "آمين" بعد الفراغ من أم القرآن في الصلاة أو
يخفضها ولا فيمن يرسل يديه في الصلاة أو يقبضهما ومن يرفع يديه عند الركوع
أو الرفع منه أو لا يرفعهما، إلى آخر هذه المسائل الخلافية المعروفة. إنما المشكلة
فيمن لا ينحني لله يوماً راکعاً ولا يخفض جبهته ساجداً ولا يعرف المسجد ولا
يعرفه.

مشكلتنا ليست فيمن يأخذ بأحد المذاهب المعتبرة في إثبات هلال رمضان أو
شوال، بل المشكلة فيمن يمر عليه رمضان كما مر عليه شعبان وكما يمر عليه
شوال لا يعرف صياماً ولا قياماً، بل يفطر عمداً جهاراً ونهاراً، بلا خشية ولا
حياء.

مشكلتنا ليست في عدم تغطية الوجه بالنقاب واليدين بالقفازين، كما هو رأي
البعض بل في تعري الرأس والنحو والظهر، ولبس القصير الفاضح والشفاف
والوصاف إلى آخر ما عرفنا مما يندى له الجبين.

إن المشكلة حقا هي وهن العقيدة وتعطيل الشريعة وانهيار الأخلاق وإضاعة الصلوات ومنع الزكوات واتباع الشهوات وشيوع الفاحشة وانشار الرشوة وخراب الذمم وسوء الإدارة وترك الفرائض الأصلية وارتكاب المحرمات القطعية وموالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين.

مشكلتنا في عقيدة التطرف وأيديولوجية بوكو حرام.

فالواجب على دعاة الإسلام والعلماء أن ينبهوا على التركيز على مواطن الاتفاق قبل كل شيء، وأن يرفعوا شعار (التعاون فيما نتفق عليه) فإن هذا التعاون فريضة وضرورة يوجبها الدين وضرورة يحتمها الواقع.

المطلب الثاني: الإختلاف بين السلف وكيف تعاملوا معه

إن في تاريخ سلف هذه الأمة لصفحات مشرقة تصلح أن تكون نبراساً في فقه الاختلاف عند حدوثه بين المختلفين. ولو أمعن الناظر في تلك الحقبة وما حصل فيها من المواقف لاستبان له حقيقة الموقف الصحيح الذي يجب أن يكون عليه المرء عندما يحدث خلاف بينه وبين إخوته.

وتلك المواقف النيرة هي الموافقة للمقاصد الشرعية الأمرة بالتآلف والتراحم الذي يجب أن يكون بين المسلمين جميعاً، والناهية أيضاً عن الفرقة والنزاع لأجل أن لا تذهب ريح المسلمين وتضعف قوتهم.

ولا تعني تلك المواقف عدم الرد على المخالف أو بيان الحق ودحض الباطل، ولكن شتان بين بيان الحق برفق ولين وبين بيان الحق بقصد الإضرار بالمخالف أو إلحاق الأذى به؛ بل ومحاولة إخراجهم من دائرة الإسلام لاستباحة عرضه ودمه وماله.

وسيتعرض الباحث إلى ذكر صور مشرقة من تاريخ السلف عند وقوع الاختلاف بينهم وكيف كان تعاملهم فيما بينهم عند ذلك الاختلاف، ليستتير بها من شطّ فهمه أو ضاق ذرعاً عند خلاف المخالف له.

الأول: ما أخرجه البخاري وغيره: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة" فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، أي ديار بني قريظة، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد مئاً ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم^١. وظاهر من هذا الحديث أن الصحابة رضوان الله عليهم انقسموا إلى فريقين في موقفهم من أداء صلاة العصر. وصوب الفريقين، ولم يعنف واحداً منهم.

^١ البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة: صحيح البخاري، رقم ٩٤٦

الثاني: الخلاف الذي حدث بين عبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في بعض المسائل على كثرة التشابه بين منهجهما الفقهي؛ حيث أوصل ابن القيم رحمه الله المسائل التي اختلفوا فيها إلى مائة مسألة (ولم يذكر إلا أربعة منها^١) منها: أن ابن مسعود كان ينهى عن وضع اليدين على الركب في الركوع ويأمر بالإطباق؛ وخالفه عمر بن الخطاب. واختلفا أيضاً في الرجل زنا بامرأة ثم تزوجها؛ فيرى ابن مسعود أنهما لا زالا يزنيان حتى ينفصلا، وخالفه عمر^٢. ومع ذلك الاختلاف كان ثناؤهما على بعضهما هو الفيصل لذلك النزاع الذي ينم عن صدق المودة والمحبة حيث يقول عمر بن الخطاب عن ابن مسعود: كنيف ملء فقهاً أو علماً^٣

ويقول ابن مسعود عن عمر: كان للإسلام حصناً حصيناً يدخل الناس فيه ولا يخرجون، فلما أصيب عمر انتلم الحصن^٤

الثالث: وتنازل عبدالله بن مسعود عن رأيه وعمل برأي عثمان اتقاء الخلاف والشر. روى ابو داود أن ابن مسعود صلى أربعاً بمنى فقل له عبت على عثمان ثم صليت أربعاً؟ فقال الخلاف شر. وفي رواية البيهقي إنني لأكره الخلاف^٥

الرابع: ومن الصور المشرقة أيضاً اختلاف الصحابة في توريث الإخوة مع وجود الجد، فكان زيد وعلي وابن مسعود لا يرونه، وأما ابن عباس فيخالفهم ويقول: ألا يتقي الله زيد يجعل ابن الابن ابناً، ولا يجعل أب الأب أباً. وقال: لوددت أني وهؤلاء الذين يخالفونني في الفريضة نجتمع فنضع أيدينا على الركن ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين^٦ ورغم

^١ راجع مطلب "منهج عبد الله بن مسعود في التعامل مع الخلاف" من هذا البحث

^٢ ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، (٢/ ٢٣٧)

^٣ ابن أبي شيبه أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي: مصنف ابن أبي شيبه بتحقيق: كمال يوسف الحوت (رقم ٣٢٢٣٦) مكتبة الرشد - الرياض الطبعة الأولى، ١٤٠٩

^٤ ابن أبي شيبه أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي: مصنف ابن أبي شيبه (رقم ٣١٩٧٧) المرجع السابق

^٥ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (باب الصلاة بمنى ص ٥٦٤ / ٢)

^٦ عبد الرزاق أبو بكر بن همام الصنعاني: مصنف عبد الرزاق، بتحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (رقم ١٩٠٢٤) المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣

هذا الخلاف فلا يمنع ابن عباس على جلالته أن يتواضع ويأخذ بخطام ناقة زيد ويقول لزيد: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا، فقال زيد: أرني يدك، فأخرج ابن عباس يده فقبلها زيد وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ^١ ولما دفن زيد قال ابن عباس: هكذا ذهاب العلم، لقد دفن اليوم علم كثير^٢

الخامس: ما أخرجه أبو داود والحاكم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيّمت ثم صليت الصبح، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٩﴾﴾^٣

فضحك ﷺ ولم يقل شيئاً، فمن فقه الصحابة الذين معه أنهم لم يؤنبوه ولا أنكروا عليه إنما صبروا حتى أتوا رسول الله ﷺ، فلما ذكر دليله أقره عليه رسول الله ﷺ.

وبمثل تلك الأخلاق العالية تأثر التابعون ممن حمل العلم عن الصحابة الأخيار كأمثال: سعيد بن المسيب الذي يعتبر راوية عمر وحامل فقهه في المدينة، وعطاء بن أبي رباح في مكة، وطاووس في اليمن، ويحيى بن أبي كثير في اليمامة، والحسن في البصرة، ومكحول في الشام، وعطاء في خراسان، وعلقمة في الكوفة وغيرهم... وهؤلاء كانوا كثيراً ما يمارسون الفتوى والاجتهاد بمشهد من أصحاب رسول الله ﷺ الذين تلقوا العلم والفقه عنهم، وتربوا على أيديهم، وتأدبوا بأدابهم، وتأثروا بمناهجهم في الاستنباط، فما

^١ ابن سعد : الطبقات الكبرى (٣٦٠/٢)

^٢ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى، بتحقيق: محمد عبد القادر عطا، (رقم ١١٩٧٧) مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٩٩٤

^٣ سورة النساء ، الآية ٢٩

خرجوا عن آداب الصحابة في الاختلاف عندما اختلفوا، ولا جاوزوا تلك السيرة، ولعل مما يوضح ذلك الأدب هاتان المناظرتان في الدية.

السادس: عن الشعبي قال: جاء رجل إلى شريح، فسأله عن دية الأصابع، فقال: في كل أصبع عشرة إبل. فقال الرجل: سبحان الله. هذه وهذه سواء -مشيرا إلى الإبهام والخنصر-. فقال شريح: ويحك، إن السنة منعت القياس، اتبع ولا تبتدع^١

السابع: وأخرج مالك في الموطأ عن ربيعة قال: سألت سعيد بن المسيب. كم في أصبع المرأة؟ قال: عشرة من الإبل. قلت: ففي أصبعين؟ قال عشرون. قلت ففي ثلاث؟ قال: ثلاثون. قلت ففي أربع؟ قال عشرون. قلت: حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقلها (أي: ديتها) فقال سعيد: أعراقي أنت؟ فقال ربيعة: بل عالم متثبت، أو جاهل متعلم. قال سعيد: هي السنة يا ابن أخي^٢

وهكذا سار التابعون عند اختلافهم على نهج ما تركهم عليه الصحابة، فلم يحملهم اختلافهم بغيهم على بعضهم؛ بل حفظوا حقوق الأخوة والرابطة الإيمانية التي تجمعهم.

وثمة صور للأئمة الأعلام تعكس ما نقرره في هذه المجال، فمن تلك المواقف أيضاً ما قيل لأحمد بن حنبل: إن كان الإمام خرج منه الدم ولم يتوضأ هل يصلي خلفه؟ قال: كيف لا أصلي خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب^٣

ويقول الإمام أحمد أيضاً: "لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً"

^١ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (ص ٣٩٥ / ٧) المرجع السابق

^٢ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (ص ٣٩٦ / ٧) المرجع نفسه

^٣ ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢٠ / ٣٦٤) المرجع السابق

^٤ الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء، (ص ٣٧١ / ١١) المرجع السابق

قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة^١. ويقول الشافعي: "الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة"^٢

قال القرطبي: "كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وغيرهم يصلون خلف أئمة أهل المدينة من المالكية وإن كانوا لا يقرؤون البسملة لا سراً ولا جهراً، وصلى أبو يوسف خلف الرشيد وقد احتجم وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ فصلى خلفه أبو يوسف ولم يعد^٣" ويقول الذهبي أيضاً في تعليقه على اختلاف الناس في أبي حامد الغزالي بين مباح وذام: مازال العلماء يختلفون ويتكلم العالم في العالم باجتهاده، وكل منهم معذور مأجور، ومن عاند أو خرق الإجماع فهو مأزور، وإلى الله ترجع الأمور^٤.

فهذه الأمثلة من تاريخ هذه الأمة المجيدة هي التي يجب أن تسود بين المسلمين، ويذاع بين دعاة الحق وطلبته، لا أن يكون الشقاق والنزاع هو الأصل في كل خلاف. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وَأَمَّا الْإِخْتِلَافُ فِي الْأَحْكَامِ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَنْضَبِطَ، وَلَوْ كَانَ كُلُّمَا اخْتَلَفَ مُسْلِمَانِ فِي شَيْءٍ تَهَاجَرَا لَمْ يَبْقَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عِصْمَةٌ وَلَا أُخُوَّةٌ، وَلَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَيِّدَا الْمُسْلِمِينَ يَتَنَازَعَانِ فِي أَشْيَاءَ لَا يَقْصِدَانِ إِلَّا الْخَيْرَ ° فهل من مقتد؟

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم **** إن التشبه بالكرام فلاح

^١ الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء، (ص ١٦/١٠) المرجع السابق

^٢ الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء، (ص ٤٠٣/٦) المرجع السابق

^٣ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (ص ٣٧٥ / ٢٣) المرجع السابق

^٤ الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء، (ص ٣٢٢ / ١٩) المرجع السابق

° ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٧٣/ ٢٤) المرجع السابق

المطلب الثالث: بعض أساليب الصحابة في التعامل مع الخلاف

إن الأمة في أمس الحاجة هذه الأيام إلى دُعاة تجتمع عليهم القلوب وتتآلف حولهم النفوس، دعاة ينطلقون من فهم صحيح ثابت لكتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ، لتبصرة المسلمين بحقيقة دينهم من ناحية وتحذيرهم من المؤامرات التي تحاك لهم في الليل والنهار من ناحية أخرى، دعاة يتحركون بدعوتهم خالصة لله جل وعلا وحده، دعاة لا يدعون إلى قومية أو حزبية أو عصبية، دعاة لا يدعون إلى مصلحة أو غنيمة أو هوى، دعاة لا يدعون إلى جماعة ويعادون الأخرى فجماعتهم هي جماعة المسلمين، ومنهجهم هو القرآن والسنة، وإمامهم هو إمام الهدى ومصباح الدُّجى محمد ﷺ، ومن سار على دربه من العلماء العاملين والدعاة الصادقين.

نعم إن الأمة في حاجة شديدة إلى هذا الصنف من الدعاة في وقت كثر فيه دعاة الباطل والهوى الذين باعوا دينهم بعرضٍ من الدنيا حقير، فنافقوا الأتباع وأصابوهم بمرض الاختلاف في كل شيء وعلى كل شيء حتى شمل العقائد والأفكار والتصورات والآراء إلى جانب الأدواق والتصرفات والسلوك والأخلاق، وهم يعلمون أن العامة انتمنوهم على دينهم وجعلوهم صلة بينهم وبين ربهم، اقتناعاً بأنهم ورثة الأنبياء.

تمزقت الأمة المسكينة وتشردمت خلف صياح هؤلاء الدعاة وتدلّيس علماء الباطل، والقاصمة هي زلة العالم!! ولقد أبدع الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في وصف هذا الصنف الخبيث من دعاة الباطل فقال: "علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعون إلى النار بأفعالهم فكما قالت أقوالهم للناس هلمُّوا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين لهم ، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق"^١ وكيف لا يكثر بين الأمة الخلاف والتشتيت وهذا الصنف من العلماء هم قاداتهم؟ كيف يا ترى يستقيم الميزان تحت هؤلاء؟ فلا شك أننا نعيش في مجتمع قد كُلف فيها الذئاب برعى الأغنام !!

^١ ابن القيم الجوزية: الفوائد، (ص ٦١) دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها... فكيف إذا الرعاة لها الذئاب

وقد وصف النبي ﷺ هذه الأيام وصفاً دقيقاً كما فى حديث أبى هريرة أنه قال: "سيأتى على الناس سنواتٌ خداعاتٌ ، يُصدّق فيها الكاذبُ ويكذّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائنُ، ويُخون فيها الأمينُ وينطقُ فيها الرّويضةُ قيل: وما الرّويضةُ؟ قال: الرجل التافه يتكلّم فى أمر العامّة"^١

فإن كتاب الله وسنة رسوله ما حرصا على شيء بعد التوحيد حرصهما على تأكيد وحدة الأمة ونبذ الخلاف الشنيع بين أبناء الأمة ومعالجة كل شيء شأنه أن يعكر صفو العلاقة بين المسلمين أو يחדش أخوة المؤمنين، وكيف وهذا التفريق يأتي من صف العلماء والدعاة! ألا يناسبهم وصف العلامة ابن القيم لهم؟ أنسوا أم تناسوا هذه الآيات؟ قول الله تعالى: وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا^٢ وقوله: وَلَا تَنَزَعُوا فِتْفَشُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ^٣ وقوله: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصِينَ^٤

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً. وإن كان الاختلاف أمراً حتمياً أو ليس الشريعة قد وضعت الضوابط في التعامل معه؟

فإن الباحث كابن من أبناء الدعوة الإسلامية المعاصرة في ولاية بلاتو وواحد من أبناء بيئتها، يرى أن الحركة فى حاجة شديدة إلى وقفة تأمل ومراجعة شاملة، ببصيرة نافذة ووعى حاضر وفهم دقيق ومنطق عميق للتعرف على حجم الإنجازات والأخطاء وأيضاً لتشخيص الداء وتحديد الدواء. وقد ذكرنا في المطلب السابق أن الأسباب التي من أجلها تنشأ الخلاف بين قادة أفكارنا ودعاتنا في بلاتو لا تبعد عن:

• الحرص على الصدارة أو المناصب

^١ ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة، رقم ٤٠٣٦ المرجع السابق

^٢ سورة ال عمران، الآية ١٠٣

^٣ سورة الأنفال، الآية ٤٦

^٤ سورة الصف، الآية ٤

- اتباع الهوى وحب الدنيا
- التعصب لأقوال الأشخاص والمذاهب والطوائف
- قلة العلم في صفوف كثير من المتصدين
- الغرور بالنفس والإعجاب بالرأي
- سوء الظن والمسارة إلى اتهام الآخرين
- عدم التثبت في نقل الأخبار وسماعها

فالسؤال الملئ لهذا المقام هو: هل يمكن معالجة هذه الأمراض الأخلاقية والنفسية بمنهج الصحابة؟ أجل، يرى الباحث أن الجواب بالإيجاب! وسيتعرض بذكر أدلته:

أولاً: أن الدعوة الإسلامية قد عالجت ما هو أدهى من ذلك، وهو الشرك والضلال وللصحابة دور كبير في هذا الإنجاز مع المربي الأكبر، النبي ﷺ.

ثانياً: مرض الهوى وغالب ما يكون ناتجاً عن الطمع وحب الظهور وطلب المنصب والجاه وما إلى ذلك، إذا أحسنت المنظمات والجمعيات حال الدعاة الموظفين تحتهم عن طريق وضعت لهم ما يلئم من المأكل والمشرب والبدل الكافي وجدول عمل يخضعون لإنجازه ويقسّر طموحه على تحقيق الشغل الذي بين يديه، ولتكون الرئاسة على التناوب.

ثالثاً: تضيق مجال الدعوة بحيث لا تكون إلا لمن له الأهلية والكفاءة، ولا بأس من تكوين لجنة مراقبة لأعمال الدعوة بين المسلمين أنفسهم، لأن ترك المجال للمتحمسين المبتدئين بدون خلفية علمية كافية وخبرة في مجال الدعوة يلقي بالأمة ضرراً تعاني منه ما بقيت، وهل ألقى بالأمة في فتنة "بوكو حرام" إلا هذا التساهل؟

فمنهج الصحابة هو خير منهج، وهو المنهج النبوي والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها أحد إلا هلك. يقول النبي ﷺ " أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم"^١

^١ ابن بطّة : الإبانة الكبرى، رقم ٧٠٩، (ص ٢٢٠ / ٢) المرجع السابق

تعالوا لنسترشد ببعض ضوابط عبد الله بن مسعود في تعامله مع مخالفيه التي من أجلها لم يتسرب الخلاف إلى الطعن في الأعراض وقطع الصلة :

١. **الأخلاص**: لا بد من توافر الإخلاص وحسن النية وسلامة القصد في الحوار

والمناظرة، ونشهد بشهادة الله للصحابة على حسن نواياهم وسلامة قصدهم في أعمالهم ومعاملاتهم، وقد نالوا بذلك تزكية الله ورسوله. قال تعالى: لِلْفُقَرَاءِ

الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا

وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ

قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ

أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾^١

الإخلاص أمر أساسي في التعامل مع المخالفين، فبه تصفو النفس ويدرك العقل الحق إذا أحسنه فيوفق لاتباعه، ومن دلائل الإخلاص لله والتجرد لطلب الحق أن يفرح المحاور إذا ظهر الصواب على لسان مخالفه: كما قال الإمام الشافعي: ما ناظرت أحدا إلا تمنيت لو أن الله أظهر الحق على لسانه^٢ ويعينه على ذلك أن يستيقن أن سداد الرأي والفكر ليس ملكا لواحد والصواب ليس حكرا على واحد بعينه.

٢. **رد الأمر المختلف فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ**: هذا أمر من الله تعالى إذ

قال: فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ وقال: وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ

^١ سورة الحشر، الآية ٨-٩

^٢ الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه (ص ٢٤٢/٢) موقع جامع الحديث، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير

^٣ سورة النساء، الآية ٥٩

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ كان هذا دأب الصحابي عبد الله بن

مسعود رضي الله عنه، فهو من فقهاء الصحابة الذين يُرجع إليهم في الفتوى، ومنهجهم في استنباط الأحكام هو فهم نصوص الشريعة من خلال مقاصدها دون الجمود على ألفاظها، ما دام موقفه لا ينافي مقاصد الشريعة الإسلامية ولذلك يقال "مذهب أصحاب الرأي" فمع ذلك إذا استبان له رأي أقوى ينزل عن موقفه السابق فمن المسائل التي ثبت رجوع ابن مسعود رضي الله عنه فيها القول بعدم جواز التيمم للجنب إلى القول بالجواز؛ حيث كان يرى عدم جواز التيمم للجنب، ثم رجع عن ذلك إلى القول بالجواز وهو الذي عليه الجماهير من الفقهاء^٢ ورجوعه من القول بعدم وجوب الغسل عند التقاء الختانين وعدم الإنزال إلى القول بوجوب الغسل^٣. فإذا كان الحق هو الضالة الذي خرج الداعية أو العلم لطلبه فحيثما وجده أخذه، والعافل هو الذي يسلم بخطئه ويعود إلى الصواب وإذا تبين له يفرح بظهوره ويشكر لصاحبه إرشاده ودلالته إليه.

والتسليم بالخطأ صعب على النفس، خاصة إذا كان في مجمع من الناس أو له أتباع يتعصبون له، فهو يحتاج إلى تجرد لله وصدق وإخلاص وقوة وشجاعة ! فالحذر الحذر! من الاغترار بمقام الأتباع والمريدين، فإنه وقت قليل سيفضح إمام الجميع، قال رسول الله ﷺ "من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له. ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة"^٤

٣. **العزة والثبات على الحق:** يعتبر المحققون ابن مسعود حرا في أفكاره وآرائه الفقهية وكان قانعا بالأدلة التي يعتمد عليها، فكان يدافع عنها قدر الإمكان وإن خالفه

^١ سورة الشورى، الآية ١٠

^٢ ابن حجر : فتح الباري (ص ٤٤٣/١) وابن قدامة، عبد الله بن أحمد: المغني (ص ١/١٦١) دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ

^٣ وابن قدامة: المغني (ص ١/١٣١) المرجع السابق

^٤ ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (٤١٠٥) دار الفكر - بيروت (بدون تاريخ)

غيره: شكوا قوم عبدالله بن مسعود إلى عمر كما روى القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال أتني عبد الله بن مسعود برجل وجد مع امرأة في لحاف فضربهما كل واحد أربعين سوطاً وأقامهما للناس فذهب أهل المرأة وأهل الرجل فشكوا ذلك إلى عمر بن الخطاب فقال عمر لابن مسعود ما يقول هؤلاء؟ قال قد فعلت ذلك قال أو رأيت ذلك قال نعم، فقالوا أتيناه نستأديه فإذا هو يسأله^١. أثبت موقفه على القضية أمام أمير المؤمنين، لأنه واثق بما اعتمد عليه من الدليل. فللعالم أن يستند إلى دليل، كما لا بد من إثبات صحة الدليل، ودلالته على المطلوب، فبه يكسب العزة والقوة، والعزة المقصودة ليست عنادا وليست طغيانا وبغيا وإنما هي عزة إيمانية مظهرها خضوع وخشوع لله، وخشية وتقوى ومراقبة لله سبحانه.

٤. **الكفاءة العلمية بين المتعارضين:** لم يُرو أن ابن مسعود حاور أو جادل من دونه من التابعين أو غيرهم، فهو بين الصحابة على مستوى عال فهو الذي تلقى القرآن من في رسول الله وروى عنه أكابر الصحابة فلا يسن له أن يحاور من دون هؤلاء. لا بأس أن يبين العالم خطأ صدر ممن هو أدنى منه من غير إلماح الحاضرين أنه يرد على فلان بالذات، إذ بذلك يعرض نفسه للهوان وعدم التقدير والاحترام. وبالتالي فيجب على العالم ألا يناقش في موضوع لا يعرفه ولا يدافع عن فكرة لم يقتنع بها، فإنه بذلك يسيء إلى الفكرة والقضية فمن أدب احترام العلم أن يعتذر ليبحث في الموضوع جيدا. وقد أحسن من قال: لا تجادل إلا رجلا إن كلمته رجوت أن يرجع، فأما من كلمته فجادلك فإياك أن تكلمه" ويقول الشيخ ابن تيمية: وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل^٢.

^١ الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الكبير رقم ٩٦٩٤

^٢ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحراني: درء تعارض العقل والنقل، بتحقيق محمد رشاد سالم (ص٤ / ١٨٦) دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١هـ

٥. **الإحترام والمحبة رغم الخلاف:** فمع كثرة اختلاف عبدالله بن مسعود مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فلم يؤثر عنه إلا الثناء عليه والإحترام، يقول عن عمر: " كان للإسلام حصنا حصينا، يدخل الناس فيه ولا يخرجون، فلما أصيب عمر انتلم الحصن" ^١ وكذلك مع كثرة سوء التفاهم بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان فلم يؤثر عنه أنه يشين على عثمان إنما كان يرى له الفضل والطاعة. قال بعض أصحاب عبد الله بن مسعود: ما سمعت ابن مسعود يقول في عثمان شيئاً قط وسمعتة يقول: لئن قتلوه لا يستخلفون بعده مثله. ^٢ فأين علمائنا من هذا الأدب، فالخلاف أمر واقع لا محالة ولكن لا يجوز أن يؤدي إلى تباغض وتقاطع وتناحر، فأخوة الدين، وصفاء القلوب وطهارة النفوس فوق الخلافات الجزئية والمسائل الفرعية واختلاف وجهات النظر لا ينبغي أن تقطع حبال المودة وتثير الضغائن. فهذان الخليفتان الراشدان، أبو بكر وعمر، يختلفان في أمور كثيرة، وقضايا متعددة، مع بقاء الألفة والمحبة ودوام الأخوة والمودة. ومع هذا الخلاف بينهما إلا أن كل واحد منهما كان يحمل الحب والتقدير والاحترام للآخر، ويظهر ذلك من ثناء كل واحد منهما على صاحبه. فهما من خير من يقتدى به.

٦. **نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه:** هذا مبدأ مهم جداً، فلا شك أن ما يجمعنا أكثر بكثير مما يفرقنا، أوليس كلنا يشهد بشهادة الحق أولسنا نصلي ونزكي ونصوم ونحج؟ أوليست هذه الأمور هي الأركان التي يعتمد عليه الإسلام، ألا يسن لنا إذن أن نتعاون على ما نتفق عليه؟ حركات الدعوة تقام في بلاتو في الغالب تحت شعار جمعيات ومنظمات الدعوة فيحسن أن يكون هناك تنسيق في العمل بينهم ومناصرة بعضهم بعضاً والوقوف

^١ ابن أبي شيبة : مصنف ابن أبي شيبة (ص ٣٥٧٦) المرجع السابق
^٢ ابن عبد البر : الإستيعاب في معرفة الأصحاب، (ص ٣٠٤/١) المرجع السابق

صفاً واحداً أمام القوى المعادية، وهذه وصية عظيمة، تنطوي على مجموعة من الحقائق:

أ- أن قيام الجماعات الإسلامية الكثيرة في أنحاء مختلفة في بلادنا كان لاختلاف في الأولويات، وتغير الظروف والملابسات، وهذا جميعه قد أفرز بالتالي تعدد جماعات الدعوة.

ب- وهذا التعدد استفادت منها الدعوة الإسلامية كثيراً، ذلك أن الأوضاع السياسية والظروف القائمة لا تسمح بإقامة عمل واسع منظم للدعوة بدون إثارة التهمة من الحكومة أحياناً، والظروف الأمنية لم تكن لتسمح أحياناً بقيام جماعات لها لون معين واهتمامات معينة كالاهتمام السياسي والتنظيمي، لذلك نشطت جمعيات أفادت المسلمين كثيراً كالجماعات التي اهتمت برعاية الأيتام، وتعليم القرآن، وتنقيف أبناء الإسلام، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، وتعليم الناس الصناعات وتنمية المال.. وكل هذه الأمور لا غنى للمسلمين عنها بتاتاً، وقد قامت بها جماعات كثيرة في غيبة بعض الجماعات التي غلبت السياسة على نشاطها. ولذلك فقد كان لقيام الجمعيات الدعوية التي اهتمت بأعمال الخير والدعوة إلى أمور الدين السابقة أثر بالغ في حياة المسلمين، كما سبق الإشارة إليه خاصة والحكومات تخلت عن هذه المهام من تعليم الأبناء الفقراء ورعاية الأيتام والعناية بالملائمة للمواطنين.

ت - ولا ننكر ولا نشك أنه قد كان هناك بعض السلبيات من هذا التعدد كالتنافس غير الشرعي، الذي أدى إلى الطعن والتشويه والتجريح، وإيقاع المبتدئ في بلبلات عظيمة، وحيرة من أمره في شأن الدعاة للإسلام واختلافهم، ولكن هذه السلبيات لا يمكن أن توازي الإيجابيات العظيمة من تعدد الجماعات، علماً بأن هذه السلبيات يمكن تلافيها تماماً والتخلص منها باتباع سياسة حكيمة. وتتمثل هذه السياسة الحكيمة فيما يأتي:

١. إشاعة إخوة الإسلام ورابطته بين جميع العاملين للإسلام، والدعوة إلى أن المسلم في كل زمان ومكان وهيئة وجماعة أخو المسلم، وأن هذه الرابطة من أصول الدين وقواعد الإسلام.

٢. التلاقي بين العاملين للإسلام ومناقشة أولوياتهم ومناهجهم والانفتاح على الآخرين، ومعرفة ما عندهم. وهذا من أسباب إنشاء مجلس العلماء والشيوخ، فوصيتنا لها أن تصحو لمهمتها.

٣. ولاية بلاتو، مكان لا يأمن أحد متى تحصل اضطرابات الأمن والاشتباكات بين سكانها، لأن ذلك قد تجدد مرارا وتكرارا وعندما تقع الواقعة فالعدو لا يميز بين هذا ولا ذاك، فالعمل معاً يتحتم على العاملين للإسلام والمسلمين، وأن يكونوا وحدة في آخر المطاف لأن أهل الشر يتناصرون ويتعاونون، وبالتالي سيجد أهل الخير والدعوة أنه لا مناص لهم من التعاون والتآزر كما حدث ذلك في أيام الفتن والحروب.

٤. ومع ذلك فإننا لا نقول يجب أن نصبر حتى تلجئنا الظروف إلى التعاون، بل يجب أن يسعى كل العاملين للإسلام إلى أن يكونوا إخوة متحابين متناصرين، وأن يكونوا صفاً واحداً في وجه الأعداء والمجرمين، وألا ننتظر حتى تلجئنا الظروف إلى ذلك، بل علينا أن نعمل للوحدة والتآلف والتآزر من الآن بوحى من إيماننا وعقيدتنا، وأن هذا هو فرض الله علينا وأمره لنا كما قال تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا} وقوله: {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم} وقوله: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص} والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

٧. **اختلاف الرأي لا يفسد الود:** من الدروس القيّمة من منهج هذا الصحابي ابن مسعود مع المخالف أنه لم يجعل اختلافه مع الخصم يؤدي إلى التنافر والتباغض، فهمّه نصره الحق لا الشخص الذي صدر منه الحق وفي الجانب الآخر ينكر الباطل من دون أن

يبغض صاحبه وخاصة إن كان يعتمد على دليل أو حجة على الرأي الذي كان ينصره. وعلى هذا بعثه أمير المؤمنين معلما لأهل الكوفة وآثره على نفسه لأهل القادسية فلم يأباه ابن مسعود، بل تحمل المهمة وبذل قصارى جهده في أداء المسؤولية واستمر على هذا العمل حتى زمن عثمان بن عفان فلما بعث إليه عثمان يأمره بالخروج إلى مدينة رسول الله اجتمع إليه الناس وقالوا: أقم ولا تخرج ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه منه. فقال لهم عبد الله: إن له علي طاعة وإنها ستكون أمور وفتن لا أحب أن أكون أول من فتحها. فرد الناس وخرج إليه^١

إنه الإخلاص وحب الخير لهذه الأمة، فليس شيء أعلى عندهم من وحدة هذه الأمة، واجتماع كلمتها، إنه لا شيء كجمع شمل المسلمين جميعا وتوحيد صفوفهم ويجعل منهم جسدا واحدا وكيانا قويا متكاملا مهما كان من اختلاف ألوأنهم وألسنتهم وأعراقهم وبلدانهم، وحتى وجهات نظرهم ويصل ما تقطع بينهم ويعود عليهم بأكبر النفع في العاجل والآجل.

^١ - الذهبي: سير أعلام النبلاء، (ص ٣٠٧/٣) شمس الدين الذهبي (٦٧٣-٧٤٨ هـ) (محدث وإمام حافظ، جمع بين ميزتين لم يجتمعا إلا للأفذاذ القلائل في تاريخنا، فهو يجمع إلى جانب الإحاطة الواسعة بالتاريخ الإسلامي، حوادث ورجالاً، المعرفة الواسعة بقواعد الجرح والتعديل للرجال، فكان وحده مدرسة قائمة بذاتها. والإمام الذهبي من العلماء الذين دخلوا ميدان التاريخ من باب الحديث النبوي وعلومه، وظهر ذلك في عنايته الفائقة بالتراجم التي صارت أساس كثير من كتبه ومحور تفكيره التاريخي، وقيل إنه سُمي الإمام الذهبي بالذهبي لأنه كان يزن الرجال كما يزن الجوهرجي الذهب وسمع منه الجمع الكثير، وكان شديد الميل إلى رأي الحنابلة وله تصانيف في الحديث وأسماء الرجال؛ قرأ القرآن وأقرأه بالروايات، وقد بلغت مؤلفاته التاريخية وحدها نحو مائتي كتاباً، بعضها مجلدات ضخمة. انظر تاريخ الإسلام، تحقيق د. بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٣ م) ط ١، ص ٢١.

المطلب الرابع: مظاهر الخلاف بين الدعاة وأتباعهم في ولاية بلاتو

تعتبر ولاية بلاتو من أهم المراكز الدينية في نيجيريا، وذلك لأنها منشأ واحدة من كبرى الجماعات الإسلامية، جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة، أسسها على المشهور الشيخ إسماعيل إدريس بن زكريا في عام ١٩٧٨م، وهي حركة سلفية تعمل على تطهير العقيدة من شبهات الشرك والتبرك بالأضرحة والأولياء وهي أمور شائعة في أتباع الطرق الصوفية القادرية والتيجانية^١. ومن أهم المنطلقات في تاريخ هذه الجماعة أنها الآن انقسمت إلى فرقتين، لكنهما بقيتا على هدف وغاية واحدة، لكن كان الفرق بينهما في الأسلوب. فمنذ هذا الانفصال أصبحتا تعرفان بـ "إزالة (أ)" و "إزالة (ب)" وبعض ينسبهم إلى مقر مركز كل منهما نحو "إزالة جوس" و "إزالة كدونا".

كان قبل تأسيس جماعة إزالة البدعة لا يعرف مسلمو ولاية بلاتو غير الطرق الصوفية، وأشهرها طريقة التيجانية، وبظهور جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة بدأت الخلافات الدينية معروفة فيها لاختلاف المعتقدين، في بعض الأصول الاعتقادية، وبالأصالة فإن جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة أسست على محاربتها وإزالتها^٢ فعلى الطبيعة أن يقوم بينهما نزاعات واختلافات عسيرة، ولقد كان الخلاف بين الفريقين شنيعاً، ويسبب في غالب الأوقات النزاعات والمشجارات، التي تكاد تؤدي إلى الاقتتال، فما أكثر الجروح والإصابات الصحية نتيجة هذا الصدام وتوول بهم إلى محطات الشرطة، وقد ألزمت الحكومة هذا الأمر بأخذ قرار إقفال بعض المساجد مؤقتة، حتى يهدأ الريح ويتم التصالح بين الفريقين، وفي بعضها تم الحجز على استعمال المكبرات الصوتية الخارجية في مناسبات أخرى غير الأذان والصلاة.

ومن هنا نذكر بعض مواضع الخلاف بين الفريقين نفياً وإثباتاً وأبرزها:

- i. تحديد كلمة البدعة، فكلتا الطائفتين تتفقان على أن البدعة محذورة في الشرع ومنهي عنها ولكنهما يختلفان في تحديدها، هل بينها حسنة وسيئة وهل تدخل معناها الشرعي في العبادات فقط أم أنها تشمل العبادات والأمور العادية من مستحدثات الزمان وتطور العصر وعليه فيكون تقسيمها إلى بدعة مرغوب فيها وبدعة منهي عنها، وسنبسط الكلام عن ذلك في المطلب القادم

^١ الحاج يايأ أبوبكر آغا، السكرتير الأول لجماعة إزالة البدعة: في لقاء صحفي يوم ٦-١٢-٢٠٠٨

^٢ صبحي علي قنصوة، الدين والسياسة في نيجيريا (ص ٣٠-٣٣) القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية برنامج الدراسات الإفريقية ٢٠٠٤م

ii. محبة الرسول ﷺ، يقرّ الجانبان بضرورة محبة الرسول ﷺ وأنه لا يكون المرء مسلماً حتى يؤمن برسول الله ﷺ ويحبّه، ويقرّ الحانبان أيضاً بجميع أدلة الكتاب والسنة على هذه المسألة، ولكن يكثر التّهم من أتباع الصوفية في ولاية بلاتو بل في نيجيريا عموماً على أن محبة أتباع جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة للنبي ﷺ هي مجرد ادّعاء وتظاهر ولا حقيقة لها. ويودّ الباحث أن يناقش هذه القضية عن طريق عرض الطائفتين على بعض الآثار التي تدل على حب المسلم للنبي ﷺ حسب دلالة نصوص الشريعة عليه ليتبيّن حقيقة هذه التهمة نفيّاً وإثباتاً. فمن المعلوم أن من أحب شيئاً أثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعيّاً لمحبتّه، فالصادق في محبة النبي ﷺ تظهر علامة ذلك عليه. وهي كثيرة منها:

١. الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته

والوقوف عند ما حد لنا من أحكام شريعته وطاعته، قال تعالى: قُلْ إِنْ

كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ وقال أيضاً: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٣٢﴾ ومن السنة قوله

ﷺ "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به" ٣

٢. تعزيز النبي ﷺ وتوقيره، قال تعالى: لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ

وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ وهذا التوقير له دلائل عديدة منها

• عدم رفع الصوت فوق صوته: قال الله تعالى: يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا

أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾

١ سورة ال عمران، الآية ٣١

٢ سورة الأحزاب، الآية ٢١

٣ النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف، متن الأربعين النووية، رقم ٤١، وصححه

٤ سورة الفتح، الآية ٩

٥ سورة الحجرات، الآية ٢

• وعن السائب بن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأنتي بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما أو من أين أنتما؟ قالاً: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ^١ ومنها التأدب عند ذكره ﷺ فلا يذكر اسمه مجرداً بل يوصف بالنبوة أو الرسالة، فيقال: نبي الله، رسول الله، ونحو ذلك.

• -الصلاة عليه: قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^٢ قال ابن عباس: يصلون: يُبرِّكون^٣. وفي الآية أمر بالصلاة عليه، والأمر يقتضي الوجوب، لهذا قال النبي ﷺ البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصل عليّ^٤. وقال: رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ^٥.

٣- الذُّبُّ والدِّفاع عن سنته ﷺ: ولقد سطر الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في الذب عن رسول الله ﷺ، وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس، في المنشط والمكره، في العسر واليسر، وكتب السير عامرة بقصصهم وأخبارهم التي تدل على غاية المحبة والإيثار، وما أجمل ما قاله أنس بن النضر يوم أحد لما انكشف المسلمون: "اللهم إني أعترز إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النصر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه"^٦

ومن الذب عن سنته ﷺ: حفظها وتنقيحها، وحمايتها من انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، ورد شبهات الزنادقة والطاعنين في سنته، وبيان أكاذيبهم وفسادهم، وقد دعا رسول الله ﷺ بالنضارة لمن حمل هذا اللواء بقوله: "نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه،

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٤٧٠

^٢ سورة الأحزاب، الآية ٥٦

^٣ البخاري، محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، تعليقا مجزوماً به (باب قول إن الله وملائكته يصلون على النبي)

^٤ الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، رقم ٣٥٤٥

^٥ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد الشيباني، المسند، رقم ٧٤٤٤

^٦ البخاري، محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٢٨٠٥

فرب مُبْلَغ أَوْ عَى مِنْ سَامِع"¹ والتهاون في الذب عن رسول الله ﷺ أو الذب عن سنته وشريعته، من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان، أو زواله بالكلية، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمة وعرضه وسنته، فهو كاذب في دعواه

٤- تصديقه فيما أخبر: من أصول الإيمان وركائزه الرئيسة، الإيمان بعصمة النبي ﷺ وسلامته من الكذب أو البهتان، وتصديقه في كل ما أخبر من أمر الماضي أو الحاضر أو المستقبل، قال الله تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ والجفاء كل الجفاء، بل الكفر كل الكفر اتهامه وتكذيبه فيما أخبر، ولهذا ذم الله المشركين بقوله: وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ ومن لطائف هذا الباب التي تدل على منزلة الشيخين الجليلة (أبي بكر وعمر)، أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: "بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها، فالتفت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله! قال النبي ﷺ فإني أو من بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما"⁴

٥- التحكيم إلى سنته وشريعته: إن التحاكم إلى سنة النبي ﷺ أصل من أصول المحبة والاتباع، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته، ويسلم تسليماً، قال

¹ الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، رقم ٢٦٥٧

² سورة النجم، الآية ١-٤

³ سورة يونس ٣٧-٣٩

⁴ البخاري، محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٣٦٦٣

الله تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن من علامات الزيغ والنفاق الإعراض عن سنته، وترك التحاكم إليها، قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٦﴾

- ٦- نشر سنته ﷺ وتبليغها وتعليمها للناس ، فقد قال ﷺ: "بلغوا عني ولو آية" ٣
- ٧- محبة من أحب النبي ﷺ من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار ، وعداوة من عاداهم ، وبغض من أبغضهم وسبهم، والدفاع عنهم، والاهتداء بهديهم والافتداء بسنتهم.

فالحقيقة هي أن كلا الطرفين لم يسلم من بعض النقائص في هذه القضية –والكمال لله تعالى- فلاتتباع جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة تساهل وتفريط في بعض من النقاط السابقة الذكر، حينما للصوفية الغلو والإفراط في بعضها، والصواب الاعتدال والتوازن بين التفريط والإفراط، وهذا من أكبر سمات هذا الدين، قال تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ١. فعلى الطائفتين أن تعمل على تصحيح جوانب نقصها في حق المصطفى ﷺ. لتقوم جماعة إزالة البدعة مثلاً بحث أصحابها بكثرة الصلاة على النبي ﷺ كما أمر الله وحض عليها الرسول ﷺ وخاصة في الأوقات المستحبة وأن يجعلوا الصلاة على النبي من وردهم اليومي، ويحاولوا تقييم حياتهم على سنته. ويرى الباحث أن هذا التهاون بالصلاة على النبي من جهة جماعة إزالة البدعة ليس إلا نتيجة لواحد من أخطاء علمائهم، فإنهم عندما ينكرون على الطائفة الثانية بعض أخطائهم يعممون ولا يركزون كلامهم على النقطة الخاطئة، ولا يستثنون جوانب موافقتهم مما يوحى للسامع أن المسألة برمتها ليست إلا بدعة، وهذا يخالف أسلوب القرآن، فعلى

١ سورة النساء، الآية ٦٥

٢ سورة النساء، الآية ٦٠-٦١

٣ البخاري، محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٣٤٦١

٤ سورة البقرة، الآية ١٤٣

سبيل المثال لما بين زيع أهل الكتاب وضلاتهم استثنى الصالحين منهم، فقال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ عَنَاءً لَّيْلٍ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾^١ فلو أنصفوا في إنكارهم المنكر بتحديد مواضع الخطأ في معتقد الصوفية في الصلاة على النبي أو فيما أحدثوا فيها من تفضيلهم لنوع الصلاة التي يسمونها بـ"الصلاة الفاتح" على الصلاة الإبراهيمية وغيرها من الصيغ الصحيحة الواردة في السنة، أو تحديدهم لبعض الأعداد لكل يوم وما إلى ذلك، لما وقع أتباعهم في هذا التقصير، والله أعلم

ووقعت الصوفية في الغلو لشدة إظهارهم حب رسول الله ﷺ وتوقيره ولعدم تقيدهم بمنهج الصحابة في ذلك، فأفراطوا في حقه ﷺ وتجاوزوا الحد، ناسين تحذيره الشديد عن الغلو والانحراف في حقه، قال تعالى: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ^٢ وقال ﷺ: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله^٣ وعن أنس أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ "قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل"^٤ ونظائر هذه النصوص كثيرة جداً، وثمرتها كلها بيان أن محبة النبي ﷺ وتعظيمه لا تكون إلا بالهدي الذي ارتضاه وسنه لنا، ولهذا قال عليه أفضل الصلاة والسلام: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"^٥

فمن مظاهر غلوهم في حبه ﷺ احتفالهم باليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول وجعله عيداً مشهوداً يجتمعون فيه لإنشاد المدائح النبوية والأوراد الصوفية، وإقامة الحفلات والرقصات، وقد يقترن بذلك بعض الشراكيات من دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به، وقد يحدث الاختلاط بين الرجال والنساء والاستماع إلى الملاهي.

ومن المفارقات التي تدعو إلى التأمل، أن بعض الناس قد يعصى النبي ﷺ ليلاً ونهاراً، ويتهاون في تعظيم أوامره، فضلاً عن الالتزام بسنته، ومع ذلك فهو يحتفل بيوم المولد، ويوالي فيه ويعادي، وكأن غاية الحب عنده هو إحياء هذا اليوم بالمدائح والأوراد، وبعد ذلك ليفعل ما يشاء.

^١ سورة آل عمران، الآية ١١٣

^٢ سورة الأنعام، الآية ١٥٣

^٣ البخاري، محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٣٤٤٥

^٤ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد الشيباني، المسند، رقم ١٢٥٧٣

^٥ مسلم: أبو الحسين بن حجاج، صحيح مسلم، رقم ٤٥٩٠

يقول الباحث: إن محبة الرسول ﷺ عقيدة راسخة في قلوب المؤمنين، ثمرتها الاقتداء والبذل والعطاء والتضحية والجهد في سبيل نصرته دينه وإعلاء لوائه وحماية سنته، ولا يوجد بين محبي الرسول ﷺ مكان للعجزة الناحين، وما أجمل قول أنس بن النضر رضي الله عنه لما مر بقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله ﷺ، فقال: ما تصنعون في الحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه^١

ومن الموضوعات التي تنثر الخلاف بين الصوفية وجماعة إزالة البدعة ادعاء الصوفية أن الرسول ﷺ يعلم الغيب مطلقاً، وأن الله أطلعه على كل ما يعلمه بلا استثناء، وهذا مصادمة للنصوص كقوله تعالى: قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ومما استدلوا بها، قول الله تعالى: عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٦٧﴾ قالوا: في الآية الثانية استثناء ويدل على أن الله يُطلع على غيبه من يشاء، والرسول بمثابة أفصل الأنبياء وإمام المرسلين أولى بهذا المقام، ومنها أن النبي ﷺ ذكر بعض الحقائق الغيبية التي لولا أنه يعلم الغيب لما عرفها، كالحديث الذي فيه إخباره عليه الصلاة والسلام بأن أمته ستفتح بعض البلاد، وكذلك مثلوا بقصة الخضر عليه السلام المذكورة في القرآن فإن فيها اطلاع الله خضراً على بعض الغيب وقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن الخضر أنه قال لموسى: "يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر"^٢، وأحاديث أخرى. والتفسير السديد للآية { إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ } أن يقال: الله تعالى عالم الغيب والشهادة فلا يطلع على جميع غيبه أحداً من خلقه لكن من ارتضى من رسول يجعل له رصداً، فالأ هنا ليست استثنائية بل هي بمعنى "لكن"، فليس معناها أن الله تعالى يظهر على غيبه من ارتضى من رسول.

فیفهم من الآية أن علم الغيب جميعه خاصٌ بالله تعالى فلا يتطرق إليه الاستثناء، فتكون الإضافة في قوله { عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا } للعموم والشمول على مقتضى قول النحويين

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٢٨٠٥

^٢ سورة الأعراف، ١٨٨

^٣ سورة الجن، الآية ٢٦-٢٧

^٤ البخاري، محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٣٤٠١

والأصوليين أن المفرد المضاف للعموم، فيكون معنى {غَيْبِهِ} أي جميع غيبه، وليس المعنى أن الله يُطْلَع على جميع غيبه من ارتضى من رسول^١.

قال الإمام الفقيه المحدث الأصولي بدر الدين الزركشي في البرهان ما نصه وتقدر بـ "لكن" كقوله: {لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُضَيِّطٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ} و{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ} وقوله: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} في سورة الانشقاق و{إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ} في آخر الغاشية وكذلك: {إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} ودخول الفاء في {فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُمُ} دليل انقطاعه ولو كان متصلاً لثم الكلام عند قوله {رسولٍ}^٢. وقال اللغوي علي بن محمد الهروي في باب مواضع "إلا" أنها تكون بمعنى لكن ما نصه: "وقوله: {فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} {٢٦} {إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُمُ} {٢٧} معناه: لكن من ارتضى من رسول فإنه يسلك"^٣

وكما أخبر النبي ﷺ ببعض الأمور الخارقة للعادة كذلك روي عنه في أحاديث أخرى أنه لا يعلم الغيب، قال تعالى على لسانه ﷺ: قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

ومن المسائل الخلافية بين الطائفتين، اختلافهم في "الولي". فقال شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريفه: "الولاية" ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض والبعد، إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات أي متابعتها لها ويقابل الولي العدو على أساس من القرب والبعد^٤ وقال الإمام الشوكاني في تفسيره: والمراد بأولياء الله خلقه المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته، وقد فسر سبحانه هؤلاء

^١ رسالة في الرد على من زعم أن النبي يعلم الغيب، www.alsunna.org إطلعت عليها يوم الجمعة ١٨-١٩-٢٠١٩
^٢ الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (٢٣٦/٤) دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

^٣ www.alsunna.org المرجع السابق

^٤ سورة الأعراف، الآية ١٨٨

^٥ ابن تيمية: أبو العباس عبد الحلیم الحراني، الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (ص ١٠ / ١) المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير

الأولياء بقوله: الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾^١ أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه^٢

وعند أهل الشرع الولاية نوعان؛ ولاية عامة وهي ولاية الله تعالى لجميع المؤمنين قال تعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ^٣، وولاية خاصة وهي التي يتحدث عنها الصوفية، قال تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٤﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٦﴾^٤

وهي كما في الرسالة القشيرية: "من توالى طاعته من غير تخلل معصية، وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة، قال الله تعالى: " وهو يتولى الصالحين"^٥. وقال ابن تيمية رحمه الله: "والولاية هي الإيمان والتقوى المتضمنة للتقرب بالفرائض والنوافل"^٦

وقال الإمام الغزالي: "الولي من العباد من يحب الله عز وجل ويحب أوليائه وينصره وينصر أوليائه ويعادي أعداءه، ومن أعدائه النفس والشيطان، فمن خذلهما ونصر أمر الله تعالى ووالى أولياء الله وعادى أعداءه فهو الولي من العباد"^٧، وقال الإمام عبد الله بن عمر البضاوي الولاية لا تتم إلا: "بالإعراض عن غير الله عز وجل، ومن أعرض عن الغير متوجهاً إليه فهو من أوليائه"^٨.

^١ سورة يونس، الآية ٦٣

^٢ الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، بيروت- دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

^٣ سورة البقرة، الآية ٢٥٧

^٤ سورة يونس، الآية ٦٢-٦٤

^٥ القشيري: عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية (ص ١٥٩ / ١) موقع الوراق، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير

^٦ ابن تيمية: أبو العباس عبد الحليم الحراني، إقامة الدليل على إبطال التحليل، (ص ٢٢٤ / ٢)

^٧ موقع الدرر السنية، <https://dorar.net> >aqadia، إطلعت عليها يوم ١٩-١٠-٢٠١٩

^٨ موقع الدرر السنية، <https://dorar.net> المرجع السابق

فالذي نفهمه أن الولاية أمر كسبي يتحصل عن طريق المجاهدة والطاعات والالتزام بالشرع والوقوف مع أوامر الله في الكتاب والسنة، ثم يحصل نور من الله وهبي لهذا الإنسان الذي جاهد نفسه والتزم أوامر الله واجتنب نواهيه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ فهذا مثل للمؤمن وقلبه هو المشكاة ويوقد من القرآن والسنة وهي الشجرة المباركة، وهذه أنوارٌ وهبية من الله تعالى، وفي الآية: أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٦﴾

ولكن الصوفية خصصوا لولاية الله سبحانه وتعالى أعداداً معينة ويطلقون عليهم أنهم أولياء الله وأصبحوا يصفونهم بأوصاف لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى حيث ادعوا بأن الأولياء يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون تصرفاً مطلقاً ويدعون ويستغاث بهم من دون الله وهذه كلها معتقدات فاسدة دخيلة على الإسلام جلبها المتصوفة من الطوائف الوثنية الضالة التي تعبد البشر من دون الله، والله المستعان

ومن شروط الولاية عندهم، الخلوة وهي تقتضي ترك الأهل والمال والولد فإنهم شواغل وحجر عثرة أمام طريق الولاية، وكذلك من شروط الولاية: الجوع وترك الدنيا كما نقل عن أبي يزيد البسطامي في الرسالة القشيرية، كما أنه عند المتصوفة طريق الولاية مسدود إلا على يد الشيخ الموصل المرشد، والسبيل إلى نيلها يمر عبر خدمة الشيخ وقضاء حوائجه^٣

^١ سورة النور، الآية ٣٥

^٢ سورة الزمر، الآية ٢٢

^٣ ابن عجيبة: معراج التشوف إلى حقائق التصوف (ص ١٣) و القشيري: الرسالة القشيرية (ص ١٤٢) المرجع السابق

المطلب الخامس: نموذج تطبيقي لمنهج عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير في التعامل مع الخلاف في ولاية بلاتو

وهنا صورة لتطبيق القواعد المتحصلة عليها من منهج الصحابة في تعاملهم مع الخلافات التي حدثت بينهم. لقد اختلفت أفهام الصحابة على بعض الأمور التي جاءت بها الشريعة كما حدث ذلك في العصور بعد عصرهم، وقد تركوا للخلف أروع منهج في حل هذه العقد دون أن تسرى إلى حد العداوة والتقاطع بينهم. فالخلاف ليس عيباً في ذاته إنما العيب في الطريقة التي يتعامل بها الناس معه. ويود الباحث في هذا المقطع أن يضاهي القواعد التي عثر عليها عن السلف في حلّ ظاهرة الاختلاف في واقع ولاية بلاتو. ونأخذ بعضاً من تلك الأمور المختلف فيها بين الفريقين لنطبّق عليه تلك القواعد.

"البدعة" واحدة مما تكثر الاتهامات بها بين الطوائف الدينية في واقع ولاية بلاتو، فكل من أهل الطريقة التيجانية وجماعة إزالة البدعة تدّعي أنها على السنة، وتستدلّ كلتا الفرقتين بالأيات والأحاديث على سلامة عقيدتها ونقاء مسلكها.

فلننقّ على حقيقة كلمة "البدعة" من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي، ومفهومها عند السلف ونقارنها بما عليه الخلف اليوم وقبل الخوض في الموضوع يسن لنا توضيح أمور:

- أن قضية "البدعة" قد تمت مناقشتها علمياً بين السلف واستقصوا البحث فيها
- أن كلتا الطائفتين تعتمد على واحد من آراء السلف في هذا الموضوع
- أن كلا من الطائفتين اختار ما يتحقق بها هدفها وغايتها
- أن الحديث عن هذا المواضيع وغيرها قد تجددت كثيراً بين الطائفتين بما يكفي لإقناع بعضها البعض
- أنه حالياً يصعب اجتماع الطائفتين لمناقشة أي قضية من قضايا المسلمين في بلاتو
- لا يذكر كل منهما الآخر بالخير الذي صدر منه

البدعة، قال ابن منظور: بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه أنشأه وبدأه ... البديع، والبدع: الشيء الذي يكون أولاً، وفي التنزيل: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ) أي ما كنت أول من أرسل وقد أرسل قبلي رسل كثير.

والبدعة: الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال، وأبدع وابتدع وتبدع: أتى ببدعة قال الله تعالى: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا) وبدّعه نسبه إلى البدعة.

واستبدعه: عده بديعاً. والبديع المحدث العجيب. والبديع: المبدع وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال. والبديع: من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها^١

اختلفت أنظار العلماء في تعريف البدعة اصطلاحاً وتحديد مفهومها فمنهم من حصر البدعة في باب العبادات فضيق مفهومها فقصرها على الابتداع في باب العبادات. وهذا اختيار جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة

ومنهم من وسع مفهومها فأطلقها على كل محدث من الأمور (العادات والعبادات) حسنة وسيئة (وجعلها تنقسم إلى أقسام خمسة: فهي إما واجبة أو مندوبة أو مباحة أو مكروهة أو محرمة. وهذا اختيار أهل طريقة التيجانية.

فالمذهب الأول ذهب إليه جماعة من أهل العلم منهم الإمام مالك والبيهقي والطرطوشي وشيخ الإسلام ابن تيمية والزركشي وابن رجب والشُّمْنِي الحنفي وغيرهم، واختاره جماعة من العلماء المعاصرين كلهم يرون أن البدعة مخالفة للسنة ومذمومة شرعاً لأنها محدثة لا أصل لها في الشرع^٢

وأساس هذا المنهج هو تعريف البدعة بالمحدث المخالف للسنة، وعلى هذا مشى الشاطبي في أحد تعاريفه للبدعة حيث قال: [فالبدعة إذا عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه. وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات]^٣

وقال الشاطبي: [فالطريقة والطريق والسبيل والسنن هي بمعنى واحد وهو ما رسم للسلوك عليه وإنما قيدت بالدين لأنها فيه تخرع وإليه يضيفها صاحبها وأيضاً فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم^٤.

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم - فمنها ما له أصل في الشريعة ومنها ما ليس له أصل فيها - خص منها ما هو المقصود بالحد وهو القسم المخترع أي طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع إذ البدعة إنما حقيقتها أنها خارجة عما رسمه الشارع وبهذا القيد انفصلت عن كل ما ظهر لبادي الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين كعلم النحو

^١ ابن المنظور الإفريقي: لسان العرب (مادة بدع) ص ٣٤١-٣٤٢ المرجع السابق

^٢ توفيق الواعي: البدعة والمصالح المرسله، (ص ١٠٣-١٠٥) مكتبة دار التراث / الكويت، ط ١ سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

^٣ الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي، الإعتصام، ص ٤٦/١) دار ابن الجوزي للطباعة والتوزيع، المملكة العربية السعودية

الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

^٤ الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي، الإعتصام، ص ٤٦/١) المرجع نفسه

والتصريف ومفردات اللغة وأصول الفقه وأصول الدين وسائر العلوم الخادمة للشريعة. فإنها وإن لم توجد في الزمان الأول فأصولها موجودة في الشرع^١

وقوله [تضاهي الشرعية] أي تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك بل هي مضادة لها من أوجه متعددة:

منها وضع الحدود كالناذر للصيام قائماً لا يقعد ضاحياً لا يستظل والاختصاص في الانقطاع للعبادة ... ومنها التزام الكيفيات والهيئات المعينة كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيداً.

ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة كالترام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته.

وقوله: [يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى] هو تمام معنى البدعة إذ هو المقصود بتشريعها.

وذلك أن أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك لأن الله تعالى يقول: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) فكأن المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى ولم يتبين له أن ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كاف ... وقد تبين بهذا القيد أن البدع لا تدخل في العادات فكل ما اخترع من الطرق في الدين مما يضاهي المشروع ولم يقصد به التعبد فقد خرج عن هذه التسمية^٢ واستدلوا على ما ذهبوا إليه بما يلي:

أولاً: أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل هذا الدين قبل وفاة الرسول ﷺ فقال سبحانه وتعالى: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**^٣

فلا يقبل من أي إنسان أن يزيد على الدين أو يخترع فيه شيئاً لأن هذه الزيادة والاختراع تعتبر استدراكاً على الله تبارك وتعالى وتوحي بأن الشريعة ناقصة وبأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم يبلغ الرسالة تبليغاً كاملاً^٤

قال الإمام مالك بن أنس: [من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خان الرسالة لأن الله يقول: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً^٥

^١ المرجع نفسه

^٢ المرجع نفسه (ص ٤٧/١-٤٨)

^٣ سورة المائدة ، الآية ٣

^٤ توفيق واعى: البدعة والمصالح المرسل (١١١) المرجع السابق

^٥ الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي، الإعتصام، ص ٢ / ٥٤) المرجع نفسه

ثانياً: قالوا إن الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ في البدعة كلها على سبيل الذم، فمن ذلك ما تقدم في حديث جابر قال: "كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صباحكم ومساءكم. ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة"^١

قالوا إن قول الرسول ﷺ (كل بدعة) كلية عامة شاملة مسورة بأقوى أدوات الشمول والعموم " كل " والذي نطق بهذه الكلية صلوات الله وسلامه عليه يعلم مدلول هذا اللفظ وهو أفصح الخلق وأنصح الخلق للخلق لا يتلفظ بشيء لا يقصد معناه^٢ وقال ابن رجب الحنبلي: [قوله ﷺ (كل بدعة ضلالة) من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين وهو شبيه بقوله ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريئ منه]^٣

ثالثاً: واحتجوا بما ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"^٤ وفي رواية أخرى لمسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"^٥ قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: [وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام كما أن حديث "الأعمال بالنيات" ميزان للأعمال في باطنها وهو ميزان للأعمال في ظاهرها فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب فكذا كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء]^٦

وبناء على ما تقدم فهو لاء العلماء يرون أن كل بدعة في الدين ضلالة فلا تنقسم البدعة في الدين إلى حسنة وسيئة بل هي قسم واحد وهي البدعة السيئة وأن البدع لا تكون إلا قبيحة مذمومة.

كما أنهم قد استدلوا بأدلة أخرى يطول المقام لذكرها

ويرى جماعة من أهل العلم منهم الإمام عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء وابن الجوزي وأبو شامة المقدسي والنووي والعيني وابن الأثير والقرافي والحافظ ابن حجر والسيوطي وغيرهم، أن البدعة تطلق على كل محدثة لم توجد في كتاب الله سبحانه وتعالى

^١ مسلم: أبو الحسين مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، رقم ٢٠٤٢ المرجع السابق

^٢ محمد عفانة: حسام الدين بن موسى، إتياع لا ابتداء، (ص ٣٢) بيت المقدس-فلسطين، ط ٢، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

^٣ ابن رجب: أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي، جامع العلوم والحكم (ص ٣٣٦)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د. ت)

^٤ مسلم: أبو الحسين مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، رقم ٤٥٨٩ المرجع السابق

^٥ مسلم: أبو الحسين مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، رقم ٤٥٩٠ المرجع السابق

^٦ ابن رجب: أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي، جامع العلوم والحكم (ص ٨١)،

ولا في سنة رسوله ﷺ سواء أكانت في العبادات أم العادات وسواء أكانت محمودة أو مذمومة.

ويرى هؤلاء العلماء أن البدعة تنقسم إلى حسنة وسيئة فإن وافقت السنة فهي حسنة محمودة وإن خالفت السنة فهي سيئة مذمومة.

وبناء على هذا الأساس قالوا إن البدعة تنقسم إلى الأقسام الخمسة فهي إما أن تكون واجبة أو مندوبة أو مباحة أو مكروهة أو محرمة^١ ومن أشهر ما اعتمد هؤلاء العلماء عليه ما يلي:

١. قول عمر - رضي الله عنه - الذي رواه الإمام البخاري بسنده عن عبد الرحمن بن عبد بن عبد القاري أنه قال: [خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله]^٢ ثانياً. واحتجوا بالأحاديث التي تفيد انقسام السنة إلى حسنة وسيئة فمن ذلك:

أ. حديث بلال بن الحارث - رضي الله عنه - قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحيا سنة قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن ابتدع بدعة لا ترضي الله ورسوله فإن له مثل إثم من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئاً)^٣

ب. حديث المنذر بن جرير عن أبيه أن النبي ﷺ قال: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"^٤

فعلى ضوء هذه الأدلة تجوز الصوفية بعض العبادات التي لم يُضَف إلى النبي ﷺ ولا إلى أصحابه رضوان الله عليهم فعلها، فهم يعتبرونها سنة حسنة، منها الاحتفال بمولد النبي ﷺ وبنصف شعبان وبداية العام الهجري، والاجتماع للدعاء يوم السابع من وفاة الميت والأربعين وبلوغه السنة في قبره وغيرها من الأمور التي تتكرّر عليهم.

^١ عز الدين: أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ، قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، (٢/ ١٧٢) دار الكتب العلمية (د. ت) و محمد عفانة: حسام الدين بن موسى، إتياع لا ابتداء، (ص ٣١)

^٢ البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح البخاري، رقم ٢٠١٠ المرجع السابق

^٣ الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، رقم ٢٦٧٥ المرجع السابق

^٤ صحيح مسلم مع شرح النووي (٣/ ٨٤ - ٨٥)

ليس الغرض من استطراد أدلة الفريقين ترجيح أحد المذهبين عن الآخر، فالواقع هو أن كلتا الطائفتين مقتنعة بأدلتها ولا ترى تركها لشيء. فذكر الأدلة بمثابة رد الأمر المختلف فيه على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على قاعدة منهج الصحابة، واقتناع الكل بدليله بمثابة الثبات على الحق وهو الخطوة التالية فإن لم ير أحدهما الصواب عند الآخر فلا أفضل بعد ذلك من أن يحترم الفريقان كل منهما وجهة نظر الآخر حتى وإن كان حجته مرجوحة، وقد يكون مستمسكا بشبهة يراها حجة، فهم الداعية هو أن ينقذ الخاطئ، ويدعو الله له بالهداية إلى الصواب، لا أن يقاطعه ويلعنه على المنابر ومجالس الوعظ والإرشاد، فهذا عمر وعبد الله بن مسعود مع كثرة خلافهم في المسائل إلا أن كلاً منهما يحترم الآخر ولا يذكره إلا بخير، ولم يؤثر هذا الخلاف على حبهما لبعض كما سبقت الإشارة إليه.

وعليه فلا يمنع الخلاف التعاون مع البعض فإن العمل للدين مسؤولية الجميع، والتعاون بين الدعاة أكد وخصوصاً ولاية بلاتو، لأن الأعداء يتربصون بهم الدوائر، ولا يمكن التغلب على العدو إذا كان الصف غير منتظم والقلوب متنافرة، فالحذر الحذر! فليس مسلمو ولاية بلاتو أحوج إلى شيء من التعاون، فبه كان وجودهم حتى الآن في جوس والأماكن التي شهدت اشتباكات ونزاعات فيها، فلا وجود لأهل الطريقة التيجانية في بلاتو الحالية بدون جماعة إزالة البدعة كما لا بقاء لجماعة إزالة البدعة بدون أتباع الطريقة التيجانية وكذلك بقية الجماعات.

الخلاف أمر فطري في بني الإنسان، فليس بعيب أن نختلف ولكن العيب أن يقطع الخلاف حبل الوداد والتعاون والصلة. والله أعلم

وفي نهاية هذا المبحث الذي حققته لتطبيق منهج الصحابة رضي الله عنهم في التعامل مع الخلاف على ولاية بلاتو، فإن أهم جوانب هذا التطبيق هي:

- أن الخلاف مع كونه سجية في الإنسان إلا أنه يمكن الإشراف عليه وتقليله
- التعرف على فقه التعامل مع الخلاف في حياة السلف
- الاسترشاد بمنهجهم في التعامل مع الخلاف، خاصة الصحابي عبدالله بن مسعود
- تحقيق أهمية التعاون مع البعض في جوانب الاتفاق، واعتذار البعض في جانب الاختلاف

ويلي هذا المبحث الخاتمة والفهارس

الخاتمة

وتحتوي على:

أولاً: النتائج التي توصل إليها الباحث

ثانياً: التوصيات

أولاً: النتائج:

- ساهمت الجمعيات الإسلامية في ولاية بلاتو في نشر الإسلام وترسيخه فيها
- ساعدت ضغوط حكومة بلاتو على المسلمين على الصحوّة الإسلامية في الولاية
- صارت ولاية بلاتو مركزاً دينياً للمسلمين، ومنها نهضت جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة التي أصبحت من كبرى الحركات الإسلامية في غرب إفريقيا
- أهمية التزام منهج التدرج في الدعوة والتعليم والتربية
- للشباب دور كبير في ميدان الدعوة والتعليم، فلا بد من الانتفاع بمميزاتهم المختلفة وتنمية قدراتهم القيادية
- كان منهج الصحابة يتميز بالأصالة والاعتدال والسماحة، فلذلك أثروا كثيراً في من بعدهم

- يفتقر الدعاة إلى توجيهات مناسبة للقيام بعمل الدعوة على الوجه المناسب
- تختلف طريقة التعليم في العصر الحاضر عما كانت عليه في عهد الصحابة والتابعين

- استعمل رسول الله ﷺ مواهب ومميزات أفراد الصحابة في الدعوة، لأن غاية رسالته التبليغ بغض النظر عن من بلغها.
- أهمية وجود شيخ موجه للشباب في ميدان الدعوة، ويكون ذا كفاية في العلم، والخبرة، والممارسة.

- العمل للدين لا يتقيد بالسنن أو الرجولة أو أي فارق من الفوارق الطبيعية
- عرفت ولاية بلاتو الإسلام منذ القرن التاسع عشرة الميلادي، إلا أن الخلل في ممارسة المنهج الصحيح أدى إلى عدم التناسب بين الجهد والنتائج
- بشارات نجاح منهج الصحابة في الدعوة على ولاية بلاتو تظهر يوماً بعد يوم، خاصة في القرى والريف

- عدم الكفاية العلمية والخبرة الكافية في مجال الدعوة يلحق بالدعوة ضرراً أكثر من المنفعة، ولم تنفش محنة بوكو حرام إلا بسببه.
- منهج الصحابة في الدعوة صالح لولاية بلاتو لأنه مستمد من منهج رسول الله ﷺ في أصوله.

- من معنى "الحكمة" توسيع الأفق والانقياد لما استجد من الأمور الثقافية العصرية نتيجة العولمة والترقيم

- التغيير من حال إلى حال لا يحدث بالصدفة، فلا بد من حزم فعال لإيقاع التغيير الإيجابي في المجتمع، تصديقاً لقول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا

مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۖ

- بالصبر والمثابرة والجهد المستمر مصطحب بالحكمة والموعظة الحسنة تتحقق الآمال المنشودة في الدعوة
- بالتعاون بين الجمعيات الدعوية والمنظمات الخيرية في القيام بالأعمال الإنسانية مثل التطبيب والتعليم ومساعدة المنكوبين والخدمات الاجتماعية والإعلام يجذب الناس إلى الإسلام أفواجا.

ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

١. حسن اختيار القائمين على الدعوة، يكفي تخطبا وتوسيدا للأمر لغير أهلها.
٢. إنشاء مؤسسات ومشاريع لتدريب الدعاة إلى الله.
٣. تقديم نماذج للقدوة من الصحابة وغيرهم من السلف ومن المجتمع مع إظهار مآثرهم العلمية والعملية والأخلاقية، إذ إن إشكالياتنا اليوم غياب القدوة الصالحة.
٤. توجيه الباحثين في البحث عن حياة الصحابة ومحاولة استفادة من سيرتهم
٥. تقوية برامج التمويل الدعوي والاستثمار في مجال الدعوة مع التركيز على بحث فكرة "الوقف الدعوي".
٦. الاستفادة -بكل ما أوتينا من قوة- من التقدم العلمي في مجالات شتى كالإعلام والتطبيب والتكنولوجيا التي يمكنها أن تعيد الأمة إلى عزّها وأن تدفع بها نحو مجدها وهيبته.
٧. السعي والعمل الدؤوب لتوحيد صفوف المسلمين في نيجيريا والقضاء نهائياً على الخلاف والنزاع وما يسببه أو يؤدي إليه والقضاء كذلك على جميع أنواع التعصب والتطرف والبعد عن منهج جمهور أهل السنة والجماعة.
٨. تعزيز روح التسامح بين المسلمين وغيرهم وكذلك العمل على إزالة سوء التفاهم والنعرات القبلية والدينية بين أبناء الولاية الواحدة بالأساليب المتسقة مع مقاصد الشريعة الإسلامية وروح العصر ومقتضياته
٩. تعزيز دروس المساجد والحلقات العلمية الأخرى والاهتمام بتراجم الصحابة فيها للتعرف على التراث الكبير الذي خلفوه.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الرقم	الصفحة
هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا	البقرة	٢٩	١٧٠
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ	البقرة	٨٩	٢٩٩
فَإِنْ عَامِنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ^ط	البقرة	١٣٧	٣٠٨
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا	البقرة	١٤٣	٤٤، ٦٢
			٣٠٨، ٣٥١
يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ	البقرة	١٨٥	٣٢٩
وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا	البقرة	١٩٠	١٠٥
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	البقرة	١٩٥	٢٩٩
وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى	البقرة	٢٣٧	٢٩٣
وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ	البقرة	٢٥١	١٠٤
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ^ج	البقرة	٢٥٥	١٨٩
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ^ط قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ^ج	البقرة	٢٥٦	٢٥٤ ، ١٥٥
يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ^ج	البقرة	٢٦٩	١٩٦
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ	ال عمران	١٨	١٦٩

٣٤٨	٣١	ال عمران	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
١١٣، ١١٢	٦٤	ال عمران	قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
٢٧٢	٧٩	ال عمران	وَلَٰكِنْ كُونُواْ رَبَّنِيَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ
٢٠٠	٩١	ال عمران	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ
١٠٠، ١٣٧	١٠٣	ال عمران	وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ
١٤٠، ٣٣٩			
٣٠، ١٢٢	١٠٤	ال عمران	وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ
٤٤، ٦٢، ٦٦	١١٠	ال عمران	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
٣٥٢	١١٣	ال عمران	لَيْسُواْ سَوَآءٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
٢٩٣	١٣٤	ال عمران	ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَٱلْكَآظِمِينَ ٱلْغَيْظِ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ
٢٢١	-١٣٥	ال عمران	وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ
	١٣٦		
٢١٢، ٢١١	١٤٤	ال عمران	وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ

٢٦٩	١٥٩	ال عمران	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ^ط
٣٢٨	٢٨	النساء	يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ^ج
٣٣٤	٢٩	النساء	وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ^ج
١٠١	٣٣	النساء	وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ^ج
٣٢٢	٣٦	النساء	وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ ^ط شَيْئًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا
١٩٢	٤١	النساء	فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ^ج
٣٤٠، ٣٢٨	٥٩	النساء	فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ
٣٥١	٦٠-٦١	النساء	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
٣٥١	٦٥	النساء	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
٣١٤	٧٨	النساء	أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ^ق
٣١٩	١٠٥	النساء	إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ
١٣٩	١١٥	النساء	وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ
١٨٩	١٢٣	النساء	لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ

٣٠٥ ، ٢٥٢	٢	المائدة	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
٣٥٩	٣	المائدة	الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا
٣٢٨ ، ٣٠	٦	المائدة	مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ
٢١٧	٦٧	المائدة	يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
٣٠	٧٠	الأنعام	وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا
٢٩٨	١٠٨	الأنعام	وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ
٧٣	١٢٢	الأنعام	أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا
٧٣	١٥١	الأنعام	قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ
٣٥٤ ، ٣٥٣	١٨٨	الأعراف	قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ
٣٣٨	٤٦	الأنفال	وَلَا تَنْزِعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
١٧٠	٦٠	الأنفال	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
١٠١	٦٣	الأنفال	وَأَلْفَ بَيْنٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
١٠٠ ، ٦٢	٧٥-٧٤	الأنفال	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

٣٠٠	٦	التوبة	وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ
٣٠١	٢٩	التوبة	قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
٣٢٩	٣١	التوبة	أَتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ
٣٩	٤٠	التوبة	إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ
٢٥٨	٥١	التوبة	قُلْ لَّن يُصِيبْنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا
٤٤٠، ٦٢	١٠٠	التوبة	وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
٦٣، ١٩٢			
٦٣	١١٧	التوبة	لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
١٢٢، ٢٥٦	١٢٢	التوبة	وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً
٨٧	١٢٨	التوبة	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا
			عَنِتُّمْ
٣٥٠	٣٧-٣٩	يونس	وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ
٣٥٥	٦٢-٦٤	يونس	أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
٢٩٦، ٢٩٥	٩٩	يونس	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا
١٧٠	٦١	هود	هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ^ط	هود	١١٨ -	٣٢٩ ، ٢٩٥
		١١٩	
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ	يوسف	١٠٨	ج ، ٢ ، ٢٨ ، ١٥٦
إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ^ط	الرعد	١١	١٦٠ ، ٣٠٩ ١٥٦ ، ٣٦٥ ١٤٢ ،
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ^ط لِيُبَيِّنَ لَهُمْ	إبراهيم	٤	٢٦٣
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ	إبراهيم	٢٤ - ٢٥	٢٦٩
وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ^ط	النحل	٥٣	٢٦٥
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ	النحل	٩٠	٣٠٧
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ	النحل	١٢٥	٢٩٥ ،
وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	الاسراء	٧٠	٢٩٧
وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ	الكهف	٢٨	٢٦٩
وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي	طه	٢٩ - ٣٥	٢٣٩
أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾	طه	٤٢ - ٤٤	١٦١

١٦١	٤٤	طه	فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى
١٦٢	٤٤-٤٣	طه	أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾
٢٩٥	١٠٧	الأنبياء	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
٣٢	٣٠-٢٩	الحج	أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا
٣٤، ١٠٤	٤١-٤٠	الحج	وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ
٥١	١٧	النور	يَعْظُمُ اللَّهُ أَن تَعُدُّوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا
٢٩٣	٢٢	النور	وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا
٣٥٦	٣٥	النور	اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
٢٦٤	٤٠-٣٩	النور	وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ
١٤٤	٥٥	النور	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
١٦٤	٣١-١٦	الشعراء	فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾
٨٤	-٢١٤	الشعراء	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾
	٢١٦		
٨٤، ٢٦٥	٢١٥	الشعراء	وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾
٦٤	٥٩	النمل	قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

٢٣٩	٣٥	القصص	سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعُلُ لَكُمَا سُلْطَانًا
٢٠٣	٣-١	العنكبوت	الْم ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا
٢٤٤	٤٦	العنكبوت	وَلَا يُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
٢١٠	٢٤	السجدة	وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا
٣٤٨	٢١	الأحزاب	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
٢١٤ ، ٢١٢	٢٣	الأحزاب	مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ
٣٤٩	٥٦	الأحزاب	إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
٥٠	٥٧	الأحزاب	إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
			وَالْآخِرَةِ
٥٠	٥٨	الأحزاب	وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا
			اَكْتَسَبُوا
٦٥	٣٥-٣٢	فاطر	ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
١٦٩	٩	الزمر	قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
١٦٩ ، ٨٨	١٠	الزمر	قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ
٣٥٦	٢٢	الزمر	أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ

١٨٩	٥٣	الزمر	قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا
٢٤٣، ٢	٣٣	فصلت	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
٢٤٩، ٢٧٠			
٢٩٣	٣٥-٣٤	فصلت	وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
٣٤٠	١٠	الشورى	وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ
٢٩٤، ٢٩٣	٤٠	الشورى	فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
٣٤٨	٩	الفتح	لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ
٦٤، ٤٩، ٤٤	١٨	الفتح	لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
٦٤، ٤٥	٢٩	الفتح	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
			رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
٣٤٨	٢	الحجرات	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ
			النَّبِيِّ
٣١٦، ٢٩٧	١٣	الحجرات	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
٣٥٠	٤-١	النجم	وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ
٢١٨	٤-١	الرحمن	الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾

٦٥ ، ٤٦	١٠	الحديد	لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ ^ج
١٦٩	١١	المجادلة	يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ^ج دَرَجَاتٍ
٣٤٠	٩-٨	الحشر	لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
٢٣٥ ، ١٠١	٩	الحشر	وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ^ج
٣١٢ ، ٣١١			
٣٤٠،			
١٩١	١٠	الحشر	وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
٢٩٨	٨	المتحنة	لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ
٣٣٧	٤	الصف	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا
٢٨٣	٢	الجمعة	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ
١٧٠	١٠	الجمعة	فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
٣٢٢	٨	المنافقون	وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
١٧٠	١٥	الملك	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ^ط

وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾	القلم	٤	٣٠٧،
عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٥٦﴾	الجن	٢٦-٢٧	٣٥٣
يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ فُمُ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾	المزمل	١-٢	٢٦١
يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ فُمُ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾	المزمل	١-٨	٣٠٩
يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾	المدثر	١-٥	٧٦
يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾	المدثر	١-٧	٢٦١، ٣٠٩
فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَعَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾	النازعات	٣٧-٣٩	٣١٠
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾	الأعلى	١٦-١٩	٣١٠
أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾	العلق	١-٥	٧٩، ١٦٦، ٢٦١، ٣٠٧
وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ	البينة	٥	١٥٩، ٢٤١
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾	الزلزلة	٧-٨	١٨٩
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ	العصر	٣	٢٤٠
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ	الكافرون	٦	٢٩٨
إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ	النصر	١-٢	٥٤

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
١	اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها	٢٩٤
٢	أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان - قال: فسلم علينا	٣٢٠
٣	اجعلوها مما يلي رأسه واجعلو على رجله من الإذخر	٢١٤، ٢١١
٤	أحب البلاد إلى الله مساجدها	٩٩
٥	أخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعمئة دينار، فجعلها في صرة	٣١٤
٦	أخذت من فيه ﷺ سبعين سورة	١٨٨
٧	أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات	٢٨٠، ٢٧٩، ٢٥٥
٨	إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى	١٣٦
٩	إذنك علي أن ترفع الحجاب وأن تسمع سواي	٢١٨، ١٨٨
١٠	أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر	٢٨٩، ١٤٠
١١	اطلع الله في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد	٣٠٩
١٢	أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر	٢٥٩
١٣	أعينوا أحاكم، فأعانوه، حتى تحرر من رقه، وأصبح حراً	٣٢٢
١٤	اقْتُلُوا بِاللِّدِّينِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ	٢٨٨
١٥	اقرأ علي القرآن يا عبد الله	١٩٣

١٦	أكثر ذكر هادم اللذات الموت	٣١٥
١٧	ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته	٢٩٧
١٨	ألا أن من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات	١٣٨
١٩	ألقه على بلال فإنه أندى صوتا منك	١٤١
٢٠	الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي	٦٨ ، ٤٥
٢١	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه	٩٩
٢٢	إنه قد وجهت لي أرضا ذات نخل	٨٥
٢٣	إني قد بعثت إليكم بعمار بن ياسر أميرا	١٨٩
٢٤	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا	١٣٨
٢٥	أنا سيّد ولد آدم ولا فخر	٣١٧
٢٦	إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا. فبعث به إليهم	٣١٤
٢٧	أنتم أعلم بأمر دنياكم	١٧١
٢٨	إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام	٢٩٣
٢٩	إن رسول الله ﷺ يشهد عليكم أنكم شهداء عند الله	٢١٣
٣٠	إن الصوت الحسن زينة القرآن	٢٢٧
٣١	إن العبد ليصدق فيكتب عنه الله صديقا وإنه ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا	١٩٩

٢٦٢	إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلُ كِتَابٍ	٣٢
٢٧٤	إِنَّكَ لَنْ تَحْدِثَ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عَقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ	٣٣
٢٦٢	إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يَذْكُرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ	٣٤
١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٢٢٣ ، ٢٦٦ ، ٣١٩	إِنَّكَ غَلَامٌ مُعَلِّمٌ	٣٥
٣١٢	إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثَرًا وَأُمُورًا تَنْكُرُونَهَا	٣٦
٢٠٦	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَىٰ قَرِيشًا مِنْ كِنَانَةٍ	٣٧
٣٠٠	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ	٣٨
٢٨٥	إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّيًا وَلَا مُتَعَنِّيًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبْسِرًا	٣٩
١٧٠	إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جَحْرِهَا	٤٠
٣٢٤	إِنْ لِي جَارَيْنِ فَإِلَىٰ أَيُّهُمَا أَهْدِي؟	٤١
٣١٤	إِنَّ أَخِي فَلَانًا وَعِيَالَهُ أَحْجُجَ إِلَىٰ هَذَا مَنًّا. فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِمْ	٤٢
٢٨٦	إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ أُعَلِّمُكُمْ	٤٣
١٧٢	إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ، وَلَتلكَ الْخَزَائِنُ مَفَاتِيحُ	٤٤
١٩٣	إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ	٤٥
٢٥٠ ، ٣٣٠	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ	٤٦
٨٥	إِنَّهُ قَدْ وَجَّهَتْ لِي أَرْضًا ذَاتَ نَخْلٍ	٤٧

٤٨	إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ أُعَلِّمُكُمْ	٢٨٦
٥٠	إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ بَعْمَارَ بْنِ يَاسِرٍ أَمِيرًا	١٨٩
٥١	بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ	٣١٣، ١٠٠
٥٢	بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً	٣٥٢، ١٥٥
٥٣	ثَلَاثٌ لَمْ تَزَلْنَ بِأَمَّتِي: التَّفَاخُرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالنِّيَاحَةُ، وَالْأَنْوَاءُ	٣١٦
٥٤	جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفَرُونَ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ	٣٢١
٥٥	حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أَنْ يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ	٢٧٤
٥٦	خَذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ	١٨٩
٥٧	خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوزَاعٌ	٣٦٢
٥٨	خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لَجَارِهِ	٣٢٥
٥٩	خَيْرُ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي بَعَثَتْ فِيهِمْ	٦٥
٦٠	خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ	٢٥٤
٦١	خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ	٦٦، ٤٦
٦٢	الَّذِينَ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ	٢٥٢
٦٣	سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ يَصْدُقُ فِيهَا الْكَاذِبُ	٣٣٩، ٣٢٠

٢١٩، ١٩٩	الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره	٦٤
٢٩٩	صلي أمك	٦٥
٤٠	عشرة من قريش في الجنة: أبو بكر في الجنة	٦٦
٢٨٣	علمه بلال فإنه أندى صوتا منك	٦٧
٢٨٦	فَضِّلْ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَذْنَاكُم	٦٨
٥٩	فاطمة سيدة نساء أهل الجنة	٦٩
٣١٩	فقال ابن عمر: هَلُمَّ يَا رَاعٍ فَأَصِْبْ مِنْ هَذِهِ السَّفَرَةِ	٧٠
٣١١	فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا	٧١
٣١٣	فقال: ضحك الله الليلة -أو عجب من فعالكما	٧٢
٣١٨	فقال النبي ﷺ دعوها فإنها خبيثة	٧٣
٣١٣	قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفر منكم اليوم؟	٧٤
١٨٥	قدمت أنا وأخي من اليمن	٧٥
٢٧٩	قرأت القرآن في سنتين	٧٦
٢٩٢	كان حُلُقُهُ الْقُرْآنَ	٧٧
٢٧٩	كان عبد الله يخطبنا كل خمسٍ على رجلية	٧٨

٧٩	كان للإسلام حصناً حصيناً يدخل الناس فيه ولا يخرجون	٣٣٤
٨٠	كان يوم بعث يوماً قدمه الله تعالى لرسوله ﷺ	٢٣٧
٨١	كلّما دعا دعوتهم الله لهم وأثنتهم به عليهم	٣١٣
٨٢	كنت أريده لنفسى، فلاؤثرته اليوم على نفسى	٣١٣
٨٣	كنت غلاماً يافعا أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط	١٨٩،
٨٤	كيف ملئ علماً	٢٢٣، ٣٣٤،
٨٥	لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً	٩٩
٨٦	لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا زان ولا زانية	٣٢٠
٨٧	لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق	٢٩٥
٨٨	لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الخبر فيكم	١٨٩
٨٩	لا تسبوا أصحابي فلو أن أحداكم أنفق مثل أحد ذهباً	٤٣، ٤٥، ٦٦
٩٠	لا خير فيها، هي في النار	٣٠٣
٩١	لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم	٢٧٣
٩٢	لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	٢٢٩، ٣٣٣
٩٣	لا ينظر الله إلى صوركم ولا أموالكم	١٩٦
٩٤	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه	٣١٢، ٣١٥
٩٥	لتراب في منخري معاوية مع رسول الله ﷺ	٤٧

٢٠٧	٩٦	لتصل ما طاق، فإذا عجزت فلتعد
١٩٥	٩٧	لرجل عبد الله يوم القيامة في الميزان أثقل من أحد
٤٩	٩٨	لعل الله قد اطلع على أهل بدر
٢٨٧	٩٩	لقد أعطيت زممارا من مزامير آل داود
١٠٤	١٠٠	لقد بلغ وعيد قریش منكم المبالغ
٢٥٣، ٢٩٩	١٠١	لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم
١٩٦	١٠٢	لو كنت مؤمرا أحد من غير مشورة لأمرت ابن أم عبد
٣١٧	١٠٣	ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية
٣٠٩	١٠٤	ما أعلم أحدا أقرب هديا وسمتا ودلا برسول الله
٢٨٩، ٢٨٨، ٢٨٣	١٠٥	ما أقرأ شيئا ولا أعلمه إلا علقمة يقرؤه أو يعلمه
٢٤٣	١٠٦	ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير
٣٢٥، ٢٥٥	١٠٧	ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه
٣١٢	١٠٨	ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا
٢٦١	١٠٩	ما نزلت من كتاب الله أية إلا وأنا أعلم بها
٣١٤	١١٠	مرض ابن عمر فاشتهدى عنبًا -أول ما جاء العنب

١١١	من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل	١٩٤، ٢٦٦
		٢٨٧، ٢٨٩،
١١٢	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد	٣٦١
١١٣	من أحيا سنة قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها	٣٦٢
١١٤	من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه	٢٨٤
١١٥	من تواضع لله رفعه	٢٤٣
١١٦	من رأى منكم منكرا فليغيره بيده	١٥٥، ٥٢، ٣٠
١١٧	من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة	٤٥،
١١٨	من سره أن يقرأ القرآن رطبا	١٩٣، ١٨٠، ١٩٧
١١٩	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً	١٧٠
١٢٠	من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها	٣٦٢
١٢١	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد	٣٦١
١٢٢	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره	٣٢٥
١٢٣	من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه	٣٤٢
١٢٤	مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعِدًّا	١٨٥
١٢٥	من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط	١١٤
١٢٦	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين	١٧٠

المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضا	١٣٨	١٢٧
النجوم أمانة السماء فإذا ذهبَت النجوم أتى السماء ما توعد	٦٧	١٢٨
وأهل النار خمسة الضعيف الذى لا زبر له الذين هم فيكم تبعا	٣٢٠	١٢٩
والذى نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره	٣٢٥	١٣٠
ولكن أحق من صدقتهم أصحاب رسول الله ﷺ	٦٨	١٣١
والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قلنا من يا رسول الله	٢٥٥	١٣٢
والمسلمون كثير لا يجمعهم كتاب حافظ	٥٤	١٣٣
الولد للفراش وللعاهر الحجر	٧٢	١٣٤
هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ	٣٣٥	١٣٥
هكذا ذهاب العلم، لقد دفن اليوم علم كثير	٣٣٥	١٣٦
يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة	١٢٤	١٣٧
يا أبا ذر، اكتم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك	٨٥	١٣٨
يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا قالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله	٣٢١	١٣٩
يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟	٣٣٥	١٤٠

فهرس الأعلام المترجم لهم

١. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد..... ٢٦٧
٢. ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري..... ٣٨
٣. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم ١٧
٤. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم الحراني..... ٤٨
٥. ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني..... ٤٠
٦. ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني..... ٥٥
٧. ابن سعد: محمد بن منيع..... ١٩٨
٨. ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي..... ٣٧
٩. ابن كثير ابو الفداء إسماعيل بن عمر..... ٣٧
١٠. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني..... ١٧٩
١١. الأمدى: علي ابن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي ٦٧
١٢. الألواري: آدم عبد الله..... ١٧
١٣. البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة..... ١٣٦
١٤. الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى..... ١٥٧
١٥. الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد..... ٥٣
١٦. الخطيب البغدادى: أبو بكر أحمد بن علي..... ٣٧
١٧. الذهبي: شمس الدين، أبو عبد الله محمد أحمد..... ٣٤٦
١٨. السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن..... ٤٠
١٩. الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي..... ٤٠
٢٠. الغزالي: أبو حامد، محمد بن محمد..... ٩٩
٢١. القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر ٣٨
٢٢. مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري..... ١٣٥
٢٣. النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف الدين..... ٦٧

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. إبراهيم العلي: صحيح السيرة النبوية، دار النفائس، ط/٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م،
٣. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية، موقع شبكة مشكاة الإسلامية
٤. ابن أبي الدنيا : المحتضرين، موقع جامع الحديث، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير
٥. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد: مُصنف ابن أبي شيبة، دار الفكر بيروت-لبنان، (د.ت)
٦. ابن الأثير: ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري أسد الغابة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٧. ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري: جامع الأصول، مكتبة الحلواني، لبنان، (د.ت)
٨. ابن الأثير علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ)
٩. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري : النهاية في غريب الحديث والأثر، بتحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
١٠. ابن بطة العكبري: الإبانة الكبرى لابن بطة، موقع جامع الحديث، المكتبة الشاملة الإصدار الأخير
١١. ابن بطوطة: ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط أكاديمية مملكة المغربية ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م
١٢. ابن جرير، محمد بن جرير بن يزيد: جامع البيان في تأويل القرآن مؤسسة الرسالة ط\١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
١٣. ابن هشام: السيرة النبوية، موقع الإسلام، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخيرة
١٤. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج: **صفة الصفوة** ، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩)
١٥. ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، فتح الباري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
١٦. ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ.

١٧. ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: المطالب العالية، موقع جامع الحديث، المكتبة الشاملة الإصدار الأخيرة

١٨. ابن حزم : اسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، المكتبة الشاملة الإصدار الأخيرة

١٩. ابن حنبل: أحمد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة (د.ت)

٢٠. ابن كثير ابو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط ٢٠١٥/١٤١٥هـ / ١٩٩٤م

٢١. ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر: الباعث الحثيث، موقع الوراق، المكتبة الشاملة الإصدار الأخيرة

٢٢. ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر: السيرة النبوية، دار الفكر، بيروت لبنان، ط ٢٠١٣هـ

٢٣. ابن كثير: ابو الفداء إسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة محققة الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨ م

٢٤. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، دار الفكر - بيروت (د. ت)

٢٥. ابن سعد: محمد بن منيع: الطبقات الكبرى، دار صادر - بيروت ط ١ - ١٩٦٨ م

٢٦. ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي جامع بيان العلم وفضله، موقع جامع الحديث، المكتبة الشاملة الإصدار الأخيرة

٢٧. ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، بتحقيق مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، مؤسسة القرطبة، (د. ت)

٢٨. ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ.

٢٩. ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الدرر في اختصار المغازي والسير، موقع الوراق، المكتبة الشاملة الإصدار الأخيرة

٣٠. ابن عجيبة: أحمد بن محمد، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، المقطم للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م

٣١. ابن عثيمين محمد صالح، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين، (ص ٢٦/٥٠٠) ط ١/، مؤسسة ابن عثيمين، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

٣٢. ابن فودي: عثمان بن محمد، بيان البدع الشيطانية التي أحدثتها الناس في أبواب الملة المحمدية، ضمن كتاب من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، تحقيق نجف علي ميرزاي، كانو معهد أهل البيت

للدراستات العلوم الإسلامية وأخرى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م

٣٣. ابن فودي: عثمان بن محمد، أصول الدين، ضمن كتاب من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، تحقيق نجف علي ميرزائي، كانو معهد أهل البيت للدراسات العلوم الإسلامية وأخرى، ١٤١٨ هـ /

١٩٩٨ م

٣٤. ابن فودي: عثمان بن محمد، ارشاد الأمة إلى تيسير الملة، ضمن كتاب من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، تحقيق نجف علي ميرزائي، كانو معهد أهل البيت للدراسات العلوم الإسلامية وأخرى،

١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م

٣٥. ابن قدامه، عبد الله بن أحمد: المغني، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ

٣٦. ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣٧. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م

٣٨. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية: مدارج السالكين لابن القيم، بتحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣

٣٩. ابن القيم الجوزية: الفوائد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

٤٠. ابن رجب: أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي، جامع العلوم والحكم (ص ٣٣٦)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت)

٤١. ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، بتحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦ هـ

٤٢. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم الحراني: درء تعارض العقل والنقل، بتحقيق محمد رشاد سالم (ص ٤ / ١٨٦) دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١ هـ

٤٣. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم الحراني، إقامة الدليل على إبطال التحليل، موقع شبكة مشكاة الإسلامية، المكتبة الشاملة الإصدار الأخيرة

٤٤. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم الحراني: تفسير ابن تيمية، موقع شبكة مشكاة الإسلامية، المكتبة الشاملة الإصدار الأخير

٤٥. ابن تيمية: أبو العباس عبد الحلیم الحراني، الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخيرة

٤٦. ابن خزيمة: أبو محمد، اسحاق، صحيح بن خزيمة، المكتب الإسلامي، ط ٢ \ ١٤١٢ - ١٩٩٢
٤٧. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، دار الثقافة، ١٩٦٨ م

٤٨. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، دار الكتاب العربي - بيروت (د. ت)
٤٩. أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري: اسباب النزول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١٤١١ هـ
٥٠. أبو يعلى: أحمد بن علي بن المثنى: مسند أبي يعلى، موقع أهل الحديث، المكتبة الشاملة الإصدار الأخيرة

٥١. أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم: الخراج، دار المعرفة، بيروت، (د. ت)
٥٢. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت ط ١٤٠٥ هـ

٥٣. أبو فارس محمد: غزوة بدر الكبرى، دار الفرقان، عمان، ط ١٩٨٤ م
٥٤. أبو شهبة: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (٢٨٤/١) دار القلم، دمشق، ط ٣ \ ١٤١٧ هـ،
٥٥. أحمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري: المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض، دار النشر / عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٥ هـ

٥٦. أحمد الديدات: الرسول الأعظم موقع مكتبة صيد الفؤاد، المكتبة الشاملة الإصدار الأخيرة
٥٧. أحمد: فريد، الفوائد البديعة في فضائل الصحابة وذي الشيعية، موقع الوراق، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخيرة

٥٨. أحمد، لواء الدين: الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩ م

٥٩. أحمد مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة توثيقية تحليلية)، مكتبة الرشد، رياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

٦٠. أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١ / - ١٤١٢ هـ ١٩١٢ م

٦١. أمين الدين: أبو بكر، المجاهد الكبير في غرب إفريقيا، جماعة الدعوة في نيجيريا، ط ٢، كانو، نيجيريا (د. ت)

٦٢. الألباني: محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف - الرياض (د. ت)

٦٣. الألوري: آدم عبد الله، الإسلام اليوم وغد في نيجيريا، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠١٢م
٦٤. الألوري: آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، مكتبة وهبة القاهرة ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م
٦٥. الألوري: آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م
٦٦. الأمدي: علي بن أبي علي محمد، الأحكام في أصول الأحكام، موقع الوراق، المكتبة الشاملة الإصدار الأخير

٦٧. البوصيري: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، موقع شبكة مشكاة الإسلامية، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير
٦٨. البوطي، محمد سعيد رمضان: فقه السيرة النبوية ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ١٤٣٢ - ٢٠١١

٦٩. البيضاوي، ناصر الدين بن عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي: تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت (د.ت)

٧٠. البيهقي: أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي، شعب الإيمان بتحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ
٧١. البخاري، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: صحيح البخاري ، دار طوق النجاح، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧٢. الجصاص: أحمد بن علي أبو بكر الرازي، أحكام القرآن، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط١\، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

٧٣. الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد: سنن الدارمي بتحقيق : فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ

٧٤. الدقش كامل سلامة: دولة الرسول صلى الله عليه وسلم من التكوين إلى التمكين، دار العمار، عمان، ط١/ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م

٧٥. هناد بن السري الكوفي: الزهد، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ
٧٦. الوافدي: محمد بن عمر: المغازي، عالم الكتب بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م

٧٧. الزحيلي، محمد: الاعتدال في التدين، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق ط٣/، ١٩٩٢م

٧٨. الزركشي: محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م
٧٩. زكريا: علي يونس، شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثانية - ١٤١٤ هـ
٨٠. الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد: المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية - بيروت ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
٨١. الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، معرفة علوم الحديث، موقع السنة، المكتبة الشاملة الإصدار الأخيرة
٨٢. حسن الزين: أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي، بيروت، ط/١، ١٤٠٢ هـ
٨٣. حقي: إسماعيل بن مصطفى الإستانبولي: تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ)
٨٤. الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي: المعجم الصغير، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (د.ت).
٨٥. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب : المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م
٨٦. الطبراني سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط، بتحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥ هـ
٨٧. الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ
٨٨. يماني: محمد عبده، إفريقيا لماذا؟، دار الصحوة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م
٨٩. الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب: أصول الكافي، موقع يعسوب ، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخيرة
٩٠. الماوردي: علي بن محمد بن حبيب أدب الدنيا والدين موقع شبكة مشكاة الإسلامية المكتبة الشاملة، الإصدار الأخيرة
٩١. المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة، موقع الوراق، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير
٩٢. المباركفوري، أبي العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم : تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (د. ت)

٩٣. المباركفوري: صفى الرحمن، الرحيق المختوم، دار إحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

٩٤. المباركفوري صفى الرحمن: روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، مكتبة الملك فهد الوطنية، (د. ت)
٩٥. المزني، أبو الحجاج يوسف: تهذيب الكمال مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٩٦. موفق سالم نوري: فقه السيرة النبوية (قراءة سياسية دعوية) دار ابن كثير ، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ، - ٢٠٠٦ م

٩٧. محمد قلعه جي: دراسة تحليلية لشخصية الرسول، دار النفائس، ط/١ ١٤٠٨ هـ .
٩٨. محمد بن حبان: صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ - ١٩٩٣
٩٩. محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخيرة
١٠٠. محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

١٠١. محمد زين الهادي العرماني، معالم الدعوة في المنهج النبوي، الراسيات للإنتاج الإعلامي، ط(د. ت)

١٠٢. محمد السافرين الحنبلي: غذاء الألباب، شرح منظومة الأداب، موقع الإسلام ،المكتبة الشاملة، الإصدار الأخيرة

١٠٣. محمد صادق النجمي أضواء على الصحيحين، مؤسسة المعارف الإسلامية. الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ

١٠٤. محمد عفانة: حسام الدين بن موسى، إتباع لا ابتداء، بيت المقدس-فلسطين، ، ط٢، ١٤٣٥ هـ- ٢٠٠٤ م

١٠٥. محمود شيت خطاب: الرسول القائد، ، دار مكتبة الحياة، بغداد، ط/٣، ١٩٦٠ م
١٠٦. مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: صحيح مسلم : دار الجيل بيروت، ١٤٣٢ هـ

١٠٧. مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي بيروت ط ١ ١٤٢٠ هـ
١٠٨. منير الغضبان: التربية القيادية، دار الوفاء المنصورة، ط/١ ١٤١٨ هـ
١٠٩. منير الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة المنار، الأردن ط/٣، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠ م

١١٠. منير الغضبان: التحالف السياسي في الإسلام: دار السلام، ط/٣، ١٩٨٨م
١١١. المقدسي، المطهر بن طاهر : البدء والتاريخ ، موقع شبكة مشكاة الإسلامية، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخيرة
١١٢. نوفل: محمود حسن، قاموس المعلومات، القاهرة، دار النهضة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م
١١٣. النسائي، أحمد بن شعيب: سنن النسائي، دار المعرفة ببيروت ط/٥، ١٤٢٠هـ
١١٤. النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار ابن حزم (د. ت)
١١٥. النووي: يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، موقع شبكة المشكاة الإسلامية، المكتبة الشاملة الإصدار الأخيرة
١١٦. النووي، يحيى بن شرف، **رياض الصالحين**، بتحقيق ماهر ياسين الفحل، دار الفكر دمشق سورية ١٤١١ هـ = ١٩٩١
١١٧. النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف، متن الأربعين النووية
١١٨. سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، ط/٩، ١٤٠٠م
١١٩. السيد محمد: التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، دار السلام، مصر، ط/١، ١٤١٨-١٩٩٨
١٢٠. السيوطي، جلال الدين عبدالله بن أبي بكر: الإتيقان في علوم القرآن، دار الكتب العربي، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م
١٢١. السيوطي، جلال الدين عبدالله بن أبي بكر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض. (د.ت)
١٢٢. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الجامع الصغير**، (رقم ٣٤٦٧) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت (د. ت)
١٢٣. سعيد حوى: العقائد، دار عمار للنشر: الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
١٢٤. سليم حجازي: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، دار المنارة، ط/٦، ١٤٠٦هـ
١٢٥. سليمان السويكت: محنة المسلمين في العهد المكي، مكتبة التوبة، الرياض، ط/١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م
١٢٦. السعدي: محمد ناصر، تيسير الكريم الرحمن، مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠
١٢٧. السفيري، محمد بن عمر أحمد: **المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية**، دار الكتب العلمية بيروت (د.ت)

١٢٨. السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: فتح المغيث، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ

١٢٩. عبد القاهر: بن طاهر بن محمد البغدادي: الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م

١٣٠. عبد الله بن فودي: اتفاق الميسور، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠١٠م
١٣١. عوامه محمد: أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، دار البشائر، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ/
(١٩٩٨م)

١٣٢. العودة، سلمان: الغرباء الأولون، دار ابن الجوزي، الدمام السعودية، ط٣، ١٤١٢هـ-١٩٩١م
١٣٣. علي أبو بكر: الثقافة العربية في نيجيريا، دار الأمة لوكالة المطبوعات، كانو، نيجيريا ، ط٢، ٢٠١٤م

١٣٤. علي بن حسام الدين المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م

١٣٥. عمر محمد لبطو: ظهور التشيع انتشاره في نيجيريا، pro printing (د.ت)
١٣٦. علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم: مقالات الإسلاميين، المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٣٧. علي الواحدي، ابو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن النيسابور: اسباب النزول، بتحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
١٣٨. عبد الرزاق أبو بكر بن همام الصنعاني: مصنف عبد الرزاق، بتحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣

١٣٩. الفاروقي: إسماعيل راجي وآخرون، أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة عبد الوحد لؤلؤة وآخرون، الرياض مكتبة العبيكان وآخرون، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

١٤٠. صالح بن حميد: تلبيس مردود في قضايا حية، مكتبة المنارة ، مكة ، ط١ ، ١٤١٢هـ
١٤١. الصلابي، علي محمد: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار بن الجوزي، القاهرة، ط١٤٢٨، ١٤٠٧هـ-٢٠٠٧م.

١٤٢. القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، موقع الوراق، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخيرة

١٤٣. القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب، الرياض ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
١٤٤. القشيري: عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية، موقع الوراق، المكتبة الشاملة، الإصدار الأخير
١٤٥. الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط٣ - ١٤٢٠ هـ
١٤٦. الرازي: محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان - بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
١٤٧. الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ط٢، دار القلم، دمشق، سنة ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م
١٤٨. شلبي: أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م،
١٤٩. الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي، الإعتصام، دار ابن الجوزي للطباعة والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
١٥٠. الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، الملل والنحل، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٤ هـ
١٥١. الشهرزوي، عثمان بن عبد الرحمن: مقدمة ابن صلاح، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (د.ت)
١٥٢. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، فحح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، بيروت - دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ
١٥٣. الشعرائي، محمد متولى: تفسير الشعراوي - الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧ م، نقلا من المكتبة الشاملة الإصدار الأخيرة
١٥٤. توفيق الواعي: البدعة والمصالح المرسله، مكتبة دار التراث / الكويت، ط١ سنة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م
١٥٥. الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى: سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون (د.ت)
١٥٦. خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، دار الفكر بيروت (د.ت)
١٥٧. الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، معالم السنن ٢٨٨ - (ص ٤ / ٣٠٨) المطبعة العلمية - حلب، ط١، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م
١٥٨. الخطيب البغدادي: أبوبكر أحمد بن علي، اقتضاء العلم العمل، بتحقيق الشيخ الألباني، ط٤ / المكتبة الإسلامية - بيروت ١٣٩٧ هـ

١٥٩. الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي، الكفاية في علم الرواية دار الكتاب العربي بيروت
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
١٦٠. الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ، موقع جامع الحديث، المكتبة الشاملة، الإصدارة الأخيرة
١٦١. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، فحح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، بيروت-
دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ
١٦٢. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد: ميزان الاعتدال ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار
المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان (د.ت)
١٦٣. الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان
الطبعة : الثالثة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م
١٦٤. الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط ١
دار الكتاب العربي، لبنان بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
١٦٥. الغزالي: أبو حامد، محمد بن محمد : إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت (د. ت)
١٦٦. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: فقه السيرة ، دار القلم، دمشق - سوريا، ط ٤، ١٤٠٩ هـ-
١٩٨٩ م

البحوث الأكاديمية

١٦٧. إبراهيم حسن إبراهيم "جهود منظمة الدعوة الإسلامية في نشر الإسلام بإفريقيا" رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة إفريقيا العالمية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)
١٦٨. حسب الرسول حمدان الحسين صباحي: المنهج الدعوي في القرآن الكريم من خلال سورة البقرة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة إفريقيا العالمية (١٤٢٢هـ - ٢٠١١م)
١٦٩. حضر مصطفى النيجيري: التبشير والاستعمار في نيجيريا - رسالة ماجستير مقدمة لقسم العقيدة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الملك عبد العزيز (عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)
١٧٠. حليلة شرطي غير: الدعوة والداعية نظرة تحليلية موضوعية مع التركيز على دور المرأة المسلمة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة إفريقيا العالمية (٢٠٠٠م)
١٧١. سليمان بن القاسم العيد: منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله والاستفادة منه في العصر الحاضر، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه
١٧٢. صبحي علي قنصوة: الدين والسياسة في نيجيريا، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية برنامج الدراسات الإفريقية، القاهرة (٢٠٠٤م)
١٧٣. عبد الحفيظ فلور نشو أحمد: دور العلماء والدعوة الإسلامية في نيجيريا في العصر الحاضر: رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م
١٧٤. عبد الحليم المساعد: أهمية إعداد المعلم الداعية وأثر ذلك في نشر الإسلام، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم المنهج وطرق التدريس، كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة إفريقيا العالمية (٢٠٠٢م)
١٧٥. مالك إبراهيم سعيد الشيخ: انتشار الإسلام في الإستوائية الكبرى - بالإشارة إلى دور المنظمات الإسلامية الطوعية - رسالة مقدمة لنيل درجة الدبلوم العالي، جامعة إفريقيا العالمية (٢٠٠٢م)
١٧٦. مرضية عبد الرسول دوكة محمد: السفارة ودورها في تبليغ الدعوة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة إفريقيا العالمية (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)

١٧٧. وهبي آدم سليمان: الدعوة الإسلامية في نيجيريا، مكاسبها ومشكلاتها (ولاية برنو نموذجاً) رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة إفريقيا العالمية (٢٠١٦)

المجلات

مجلة الفيصل، العدد ٢٥٧، سنة ١٤١٨ هـ، مقال بعنوان المدارس الإسلامية العربية في غرب إفريقيا، مشكلات وحلول، بقلم هارون المهدي ميغا

مقابلات شخصية

- حوار مع مالم آدم عمر ناصر: رئيس مدراء المدارس الإسلامية الثقافية، يوم الإثنين ٢٦/٨/٢٠١٨ م
- حوار مع مالم عمر أبوبكر مشرف مدرسة، يوم ٧/٤/٢٠١٧
- حوار مع مالم موسى ساغاي ومنشئ ورئيس كلية الدراسات الإسلامية ٥/٥/٢٠١٥
- حوار مع مالم يحيى سلي أكاوو، نائب مدير مدرسة حياة الإسلام سابقاً ١٨/١/٢٠١٧
- حوار مع مالم لون عمر نائب رئيس مجلس العلماء التابع لجماعة إزالة البدعة وإقامة السنة، فرع سابون لاي جوس ١١/١٢/٢٠١٦
- حوار مع قانوني أول عبدالله محرر مجلس العلماء والشيخ، مركز جماعة نصر الإسلام ولاية بلاتو. يوم ٢٧/٧/٢٠١٠
- حوار مع الحاج عثمان علي في جوس ١٥/٧/٢٠٠٩
- حوار مع الحاج تحاني شيخ يوم جوس ٥/٧/٢٠٠٩
- حوار مع الإمام عبد الرحيم سنوسي (إمام جامع نورالدين، جوس) يوم، ٢٢/١٠/٢٠١٥
- حوار مع عبد العزيز زكريا أوجو، يوم ٢٢/٧/٢٠٠٩
- حوار مع مالم أمين سادس عبدالله محرر جماعة نصر الإسلام فرع حكومة جوس المحلية ولاية بلاتو - ٢٦/٧/٢٠١٥
- حوار مع الشيخ عبد العزيز يوسف جماعة نصر الإسلام فرع ولاية بلاتو ١٥/١٠/٢٠١٥
- الحاج يايأ أبوبكر أغا، السكرتير الأول لجماعة إزالة البدعة: في لقاء صحافي في جوس يوم ٦-١٢-٢٠١٨

١. AbdurRahman and Canham: *The Ink of Scholars: The Islamic Tradition of Education in Nigeria*. Lagos : Macmillan ١٩٧٨
٢. Ajayi S “Christianity in Nigeria ١٨٤١- ١٨٩١;) *The Making of New Elite*. London: Longmans, ١٩٦٣
٣. Ansaru-Deen Society of Nigeria, *Constitution of Ansar Ud Deen (Adson)* np. Nd
٤. Babs Fafunwa, *History of Education in Nigeria*, Nigeria Ibadan, NPS Education Publishers Limited, reprint ٢٠٠٤, (p.٦٧-٦٨)
٥. ELESIN Abdulwahab Jamiu, *Legitimization of “Boko type of Education” within the Framework of the Shari’ah Principle of ‘ Ad-daruratu Tubihu Al-Mahzurat*, Journal of The Nigeria Association of Teachers of Arabic and Islamic Studies Tetfund Supported Production vol.١٥ (٢٠١٢)
٦. National Teachers Institute. Islamic Religious Studies Cycle ٣, ٩ “Reform Movement in West Africa” Kaduna: N T I
٧. Nuru-Ud-Deen Society of Nigeria: *The Profile of Nuru-Ud-Deen Society of Nigeria*. Nd np
٨. Jama’atu Izalatul Bid’ah Wa-Iqamatis-Sunnah: *Constitution of Jama’atu Izalatul Bid’ah Wa-Iqamatis-Sunnah*. Nd

Aminu S Abdullahi. “ *Jama’atu Nasril Islam, Its Educational and Cultural Activities in Jos (since inception ١٩٦٧-١٩٩٠)* B A Project in the Department of Religious Studies, University of Jos

Ishaka H Bala, “*Islamic Organizations in Plateau State and the Challenges of Globalizations: A case Study of the Southern Senatorial Zone*” M A Dissertation in the Department of Religious Studies, University of Jos

Muhammad Sani Abdulkadir: *Islam in Non-Muslim Area of Northern Nigeria*, from ١٩٠٠-١٩٦٠

Moddibo M Sani: *Proliferation of Muslim Organizations*. PhD Dissertation in the Department of Religious Studies, University of Jos(unpublished)

Minutes of Meeting, Association of principals of Islamic Private
Schools, (APIPS) held on ١/٢/٢٠١٥

المواقع الإلكترونية

ar.islamway.net

<http://www.al-islam.com>

www.alsunna.org

<http://www.alwarraq.com>

<http://www.mawdoo.com>

<https://dorar.net>

<http://alhazme.net>

<http://www.alwaraq.net>

<http://www.alahnaf.almuntada.com>

www.omandaily.om

maher_fahl@hotmail.com

www.saaaid.net

<http://www.alsunnah.com>

<http://www.alwarraq.com>

wikipedia.org

قائمة العناوين

١	الفصل الأول: أساسيات البحث
٢	أولاً : مقدمة البحث
٣	ثانياً : أهمية البحث
٣	ثالثاً : أهداف البحث
٤	رابعاً : مشكلة البحث
٤	خامساً : أسئلة البحث
٥-٤	سادساً : فروض البحث
٥	سابعاً : منهج البحث
٥	ثامناً : وسائل وأدوات البحث
٥	تاسعاً : حدود البحث
٦-٥	عاشراً : مصطلحات البحث
٦	حادي عشر : مساهمة الخطة في الفكر الإنساني
١٤-٧	الفصل الثاني: الدراسات السابقة
١٥	الفصل الثالث : تاريخ دخول الإسلام إلى نيجيريا
١٦	المبحث الأول: دخول الإسلام في نيجيريا
١٩-١٧	المطلب الأول: نيجيريا في التاريخ
٢٢-٢٠	المطلب الثاني: دخول الإسلام في نيجيريا
٢٣	المبحث الثاني : جهود الشيخ عثمان بن فوديو ونشره للإسلام في شمال نيجيريا
٢٤	المطلب الأول: مولده ونشأته وطلبه للعلم وشيوخه

المطلب الثاني: مؤلفاته	٢٥-٢٦
المطلب الثالث: حالة الإسلام ووضع البلاد قبل دعوته	٢٦-٢٨
المطلب الرابع: دعوته وطريقته في التعليم	٢٨-٣٢
المطلب الخامس: جهاده وقيام دولة سكوتوا الإسلامية ووفاته	٣٢-٣٤
الفصل الرابع: التعريف بالصحابة رضوان الله عليهم	
المبحث الأول: تعريف الصحابة	٣٦
المطلب الأول: تعريف الصحابة لغة واصطلاحاً	٣٧-٣٩
المطلب الثاني: طرق إثبات الصحبة	٣٩-٤١
المبحث الثاني: فضائل الصحابة ومناقبهم	٤٢
المطلب الأول: تحرير معنى كلمة فضائل	٤٣-٤٤
المطلب الثاني: فضل الصحابة رضوان الله عليهم	٤٤-٤٧
المطلب الثالث: طبقات الصحابة رضوان الله عليهم	٤٨-٥٠
المطلب الرابع: التحذير من سب الصحابة والحث على حبهم	٥٠-٥٢
المبحث الثالث: في تحقيق عدد الصحابة	٥٣
المطلب الأول: أقوال العلماء في عدد الصحابة رضوان الله عليهم	٥٤-٥٥
المطلب الثاني: عدد الرجال من الصحابة رضوان الله عليهم	٥٥-٥٦
المطلب الثالث: عدد الصحابيات رضوان الله عليهن	٥٦-٦٠
المبحث الرابع: الثناء عليهم في القرآن والسنة والإجماع	٦١
المطلب الأول: الثناء عليهم في القرآن الكريم	٦٢-٦٥
المطلب الثاني: الثناء عليهم رضوان الله عليهم في السنة المطهرة	٦٦-٦٨

المطلب الثالث: الإجماع على عدالتهم بإجماع من يعتدّ بقولهم ٦٨-٦٩

الفصل الخامس: الدعوة في العهد النبوي ومراحلها ٧٠

المبحث الأول: حالة الناس قبل البعثة ٧١

المطلب الأول: البيئة العربية قبل البعثة ٧٢-٧٥

المطلب الثاني: بداية النبوة ونزول الوحي ٧٥-٧٦

المطلب الثالث: الدعوة السرية ٧٦-٧٧

المطلب الرابع: السابقون الأولون إلى الإسلام ٧٧-٧٩

المطلب الخامس: دار الأرقم بن أبي الأرقم مقر الدعوة ومركزها الأول ٧٩-٨١

المطلب السادس: ماذا كان الصحابة يتلقون من الدراسية في دار الأرقم ٨١-٨٢

المبحث الثاني: الجهر بالدعوة قبل الهجرة من مكة إلى المدينة ٨٣

المطلب الأول: الأمر بالدعوة الجهرية وما ترتب عليه ٨٤-٨٧

المطلب الثاني: الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة والحكم المترتبة عليها... ٨٧-٨٩

المطلب الثالث: الدعوة خارج مكة ٨٩-٩٠

المطلب الرابع: عرض الاسلام على القبائل والأفراد ٩٠-٩١

المطلب الخامس: بذور الدعوة في المدينة قبل الهجرة ٩١-٩٢

المطلب السادس: هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ٩٣-٩٥

المبحث الثالث: الدعوة في المدينة إلى ما قبل الحديبية ٩٥

المطلب الأول: التمهيد للدعوة في المدينة قبل الهجر ٩٦

المطلب الثاني: وضع الأسس والقواعد لنجاح الدعوة والدولة ٩٧-١٠٣

المطلب الثالث: غزوات الرسول والسرايا وأثرها على الدعوة ١٠٣-١٠٥

المبحث الرابع: الدعوة في المدينة وداخل جزيرة العرب وخارجها بعد

.....	صلح الحديبية	١٠٦
.....	المطلب الأول: دواعي وأسباب الصلح	١٠٧-١٠٩
.....	المطلب الثاني: أثر هذا الصلح على الدعوة	١٠٩-١١٠
.....	المطلب الثالث: حملات دعوية بعد الصلح	١١٠-١١١
.....	المطلب الرابع: نموذج من رسائل رسول الله ﷺ إلى الأمراء والملوك	١١١-١١٤
.....	المطلب الخامس: لمحات دعوية في غزوة فتح مكة	١١٤-١١٧
.....	الفصل السادس: واقع الدعوة في ولاية بلاتو ومشاكلها	١١٨
.....	المبحث الأول : انتشار الإسلام في ولاية بلاتو	١١٩
.....	المطلب الأول : ولاية بلاتو وظهور الإسلام فيها	١٢٠-١٢٢
.....	المطلب الثاني: أبرز الطاقات التي ساهمت في نشر الإسلام فيها	١٢٢-١٢٤
.....	المطلب الثالث: جهد الجماعات والمنظمات الإسلامية وحركاتها في نشر الإسلام في ولاية بلاتو	١٢٤-١٤٠
.....	المبحث الثاني: الصحوة الإسلامية في ولاية بلاتو في العصر الحاضر..	١٤١
.....	المطلب الأول : الوعي الديني	١٤٢-١٤٥
.....	المطلب الثاني : العناية بالدراسات الدينية والعلوم التكنولوجية	١٤٥-١٥٠
.....	المطلب الثالث : الوعي السياسي	١٥٠-١٥٢
.....	المبحث الثالث: الدعوة في ولاية بلاتو	١٥٣
.....	المطلب الأول: حالة الدعوة في ولاية بلاتو	١٥٤-١٥٨
.....	المطلب الثاني: التحديات التي تواجه الدعوة في ولاية بلاتو	١٥٨-١٦٦
.....	المبحث الرابع: حالة التعليم في ولاية بلاتو	١٦٧
.....	المطلب الأول: التعريف بالعلم وأهميته	١٦٨-١٧١

المطلب الثاني: تحديات التعليم في ولاية بلاتو ١٧٦-١٧١

الفصل السابع: التعريف بالصحابيين عبد الله بن مسعود

ومصعب بن عمير رضي الله عنهما ١٧٧

المبحث الأول: التعريف بالصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.. ١٧٨

المطلب الأول: نسب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ١٧٩

المطلب الثاني: إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ١٨٠-١٨٢

المطلب الثالث: صفات عبد الله بن مسعود رضي الله عنه..... ١٨٣-١٨٤

المطلب الرابع: التعريف بآل رضي الله عنه عبد الله بن مسعود ١٨٤-١٨٥

المبحث الثاني: علم ومناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه..... ١٨٦

المطلب الأول: علم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ١٨٧-١٩٠

المطلب الثاني: مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه..... ١٩١-١٩٦

المطلب الثالث: حكم ومواعظ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه..... ١٩٦-٢٠٠

المطلب الرابع: مرض ووفاة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٢٠٠-٢٠١

المبحث الثالث: التعريف بالصحابي مصعب بن عمير رضي الله عنه.. ٢٠٢

المطلب الأول: ونسب مصعب بن عمير رضي الله عنه ٢٠٣

المطلب الثاني: وصفات مصعب بن عمير رضي الله عنه..... ٢٠٤-٢٠٥

المطلب الثالث: التعريف بآل مصعب بن عمير رضي الله عنه..... ٢٠٥-٢٠٦

المبحث الثاني: إسلام وجهاد مصعب بن عمير رضي الله عنه..... ٢٠٧

المطلب الأول: إسلام مصعب بن عمير رضي الله عنه..... ٢٠٨-٢٠٩

المطلب الثاني: جهاد مصعب بن عمير للنفس وشطف العيش..... ٢٠٩-٢١٠

المطلب الثالث: جهاد مصعب بن عمير رضي الله عنه بالسنان ٢١١-٢١٢

المطلب الرابع: وفاة مصعب بن عمير رضي الله عنه ٢١٢-٢١٣

المطلب الخامس: مناقب مصعب بن عمير رضي الله عنه ٢١٣-٢١٤

الفصل الثامن: منهج الصحابة رضي الله عنهم في الدعوة إلى الله. ٢١٥

المبحث الأول: منهج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الدعوة ٢١٦

المطلب الأول: منهج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الدعوة ٢١٧-٢٢١

المطلب الثاني: منهج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في التعليم ٢٢٢-٢٢٧

المطلب الثالث: منهج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

في التعامل مع الخلاف ٢٢٧-٢٣٢

المبحث الثاني: منهج مصعب بن عمير رضي الله عنه

في الدعوة والتعليم ٢٣٣

المطلب الأول: التمهيد ٢٣٤

المطلب الثاني: منهج مصعب بن عمير رضي الله عنه في الدعوة

والتعليم ٢٣٥-٢٤١

المطلب الثالث: منهج مصعب بن عمير رضي الله عنه في التعامل

مع الناس ٢٤١-٢٤٤

الفصل التاسع: تطبيق منهج الصحابييين عبد الله بن مسعود

ومصعب بن عمير رضي الله عنهما في ولاية بلاتو ٢٤٥

المبحث الأول: تطبيق منهج عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير رضي الله عنهما في

الدعوة والتعليم في ولاية بلاتو ٢٤٦

المطلب الأول: تطبيق منهج الصحابييين عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير في

الدعوة على ولاية بلاتو ٢٤٧-٢٧٢

المطلب الثاني: تطبيق منهج الصحابييين عبد الله بن مسعود

ومصعب بن عمير في التعليم على ولاية بلاتو ٢٧٣-٢٨٩

المبحث الثاني: تطبيق منهج الصحابييين عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير

في التعامل مع الناس في ولاية بلاتو.....	٢٩٠
المطلب الأول: المعاملة وأهميتها في الإسلام.....	٢٩٥-٢٩١
المطلب الثاني: أسس التعامل مع غير المسلمين وحقوق أهل الذمة.....	٣٠٠-٢٩٥
المطلب الثالث: صور من المشكلات الاجتماعية التي تؤثر على المعاملة في ولاية بلاتو.....	٣٠٧-٣٠١
المطلب الرابع: نماذج تطبيقية لمنهج عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير على ولاية بلاتو.....	٣٢٥-٣٠٧
المبحث الثالث: تطبيق منهج الصحابييين عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير في التعامل مع الخلاف في ولاية بلاتو.....	٣٢٦
المطلب الأول: أسباب الخلاف بين الناس وطريق الخلاص منه.....	٣٣١-٣٢٧
المطلب الثاني: الاختلاف بين السلف وكيف تعاملوا معه.....	٣٣٦-٣٣٢
المطلب الثالث: بعض أساليب الصحابة في التعامل مع الخلاف.....	٣٤٦-٣٣٧
المطلب الرابع: مظاهر الخلاف بين الدعاة وأتباعهم في ولاية بلاتو.....	٣٥٦-٣٤٧
المطلب الخامس: نموذج تطبيقي لمنهج الصحابييين عبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير في التعامل مع الخلاف في ولاية بلاتو.....	٣٦٢-٣٥٧
الخاتمة.....	٣٦٣
النتائج والتوصيات.....	٣٦٥-٣٦٤
فهرس الآيات القرآنية.....	٣٧٧-٣٦٦
فهرس الأحاديث النبوية.....	٣٨٦-٣٧٨
فهرس الأعلام.....	٣٨٧
قائمة المصادر والمراجع.....	٤٠٢-٣٨٨
قائمة العناوين.....	٤٠٩-٤٠٣